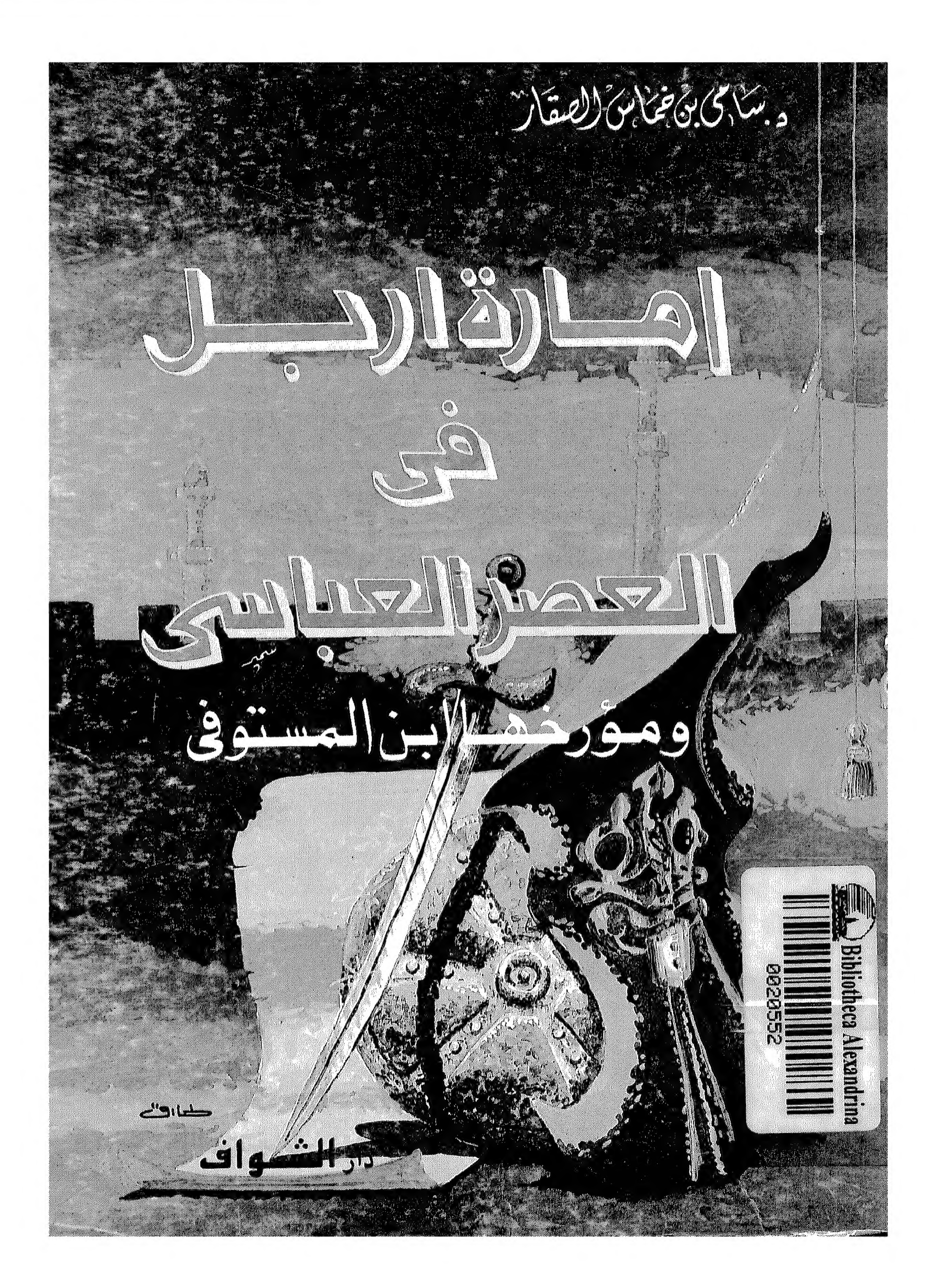

د. سامي بن خماس الصقار
امارة اربل
في
العصر العباسي
ومؤرخها ابن المستوفي
دار الشواف
Bibliotheca Alexandrina
0020552



أمارة اربل في العصر العباسي

دار الشـــواف للنشر والتوزيع

الريـاض – العليـا – شـارع الثلاثين – شـرق بنده ت ٤٦٢٢٦٣٠ – ٤٦٢٢٦٦٧ فاكس : ٤٦٢٢٨٦٦
Riyad - Olaiya, Thalatheen St , (East to Panda) Tel 4622630 - 4622667 - Fax . 4622866

أمارة إربل فى العصر العباسى

ومؤرخها ابن المستوفى

تاليف
الدكتور سامى بن خماس الصقار
أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب
بجامعة الملك سعود
الرياض

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار الشواف



بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــداء

إلى السيدة العلوية العظيمة ، التي وقفت دائمًا إلى جانبي ، تساعدني وتشجعني ، وتأخذ بيدي في جميع الأوقات والظروف ، طيلة حياتي ، إلى أعز مخلوق عندي ، والدتي الحبيبة «الحاجة أم سامي» أهدى هذه الأطروحة ، عربونًا لحبّي وامتناني ، وقضاءً لبعض مالها عليّ من الحقوق ، ورجائي بأن لا تحسب اغترابي عنها من العقوق .. (١)

سامي بن السيد خماس الصقار

مدينة كمبرج (بريطانيا) في ذي القعدة من سنة ١٣٩٤هـ
الموافق لشهر تشرين الثاني من سنة ١٩٧٤م

(١) لم تسعد رحمها الله برؤية الأطروحة منشورة ، إذ توفاها الله إلى رحمته الواسعة في ٦ ذي الحجة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٨/١٠/١٩٧٨م



شكر وامتنان

أرى من واجبي قبل ازجاء شكري إلى الأحياء ، أن أذكر بكل تقدير وإجلال ، المستشرق البريطاني الراحل ، والبحاثة العظيم ، بروفسور آرنولد آربري ، الذي كان له ـ بتشجيعه إياي ـ الفضل الأول في عودتي إلى ميدان الدرس ودخول الجامعة من جديد ، بعد طول انقطاع ، علاوة على حسن اختياره لعملي «تاريخ إربل» . إذ لولا تشجيعه ومساعدته الثمينة ، لما تجرأت على طرق أبواب جامعة كمبرج . كذلك عليَّ أن أذكر المرحوم بروفسور محمد عبد المعيد خان ، الأستاذ في الجامعة العثمانية بحيدر أباد الدكن في الهند ، ومدير عام «دائرة المعارف» فيها (وهي الدائرة التي تتولى نشر كتب التراث الإسلامي) . فلقد كان من حسن حظي أن ألقاه خلال سنتي الأولى في كمبرج ، وقد خصني ـ رحمه الله ـ بالكثير من عطفه ومعونته . وإني أبتهل إلى الله العلي القدير ، أن يدخله في رحمته ويجزل له الثواب ، إنه سميع الدعاء .

أما الأحياء ـ أطال الله أعمارهم ـ ممن أمدني بالرعاية والعطف ، فهم كثيرون . وأخص بالذكر منهم أستاذي الكريم والمشرف على أطروحتي ، بروفسور روبرت سارجنت ، رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة كمبرج ، فقد كان لي خير مرشد وأحسن معين ، وإنني لن أنسى توجيهاته القيمة ومساعداته الثمينة ، وأنتهز هذه الفرصة كي أقدم إليه أجزل الشكر وأعظم الامتنان . كذلك أخص بالشكر الدكتور بدويل سكرتير معهد الشرق الأوسط بجامعة كمبرج ، والأستاذ ريكس سميث ، المدرس في الجامعة المذكورة ، وبقية المدرسين وموظفي المكتبات فيها ، وهيئة الإدارة في كلية «شرشل» ولا سيما الدكتور بيتر سكواير ، على ما قدموه لي من عون ولطف ومساعدة ، خلال وجودي في كمبرج .

كذلك أتقدم بالشكر وببالغ الامتنان إلى أستاذي الجليل وصديقي القديم ، بروفسور قسطنطين زريق ، الأستاذ بجامعة بيروت الأميريكية على عطفه وحسن توجيهه ، وإلى الدكتور إحسان عباس ، الأستاذ في الجامعة المذكورة ، على أفضاله الكثيرة ، ولاسيما تكرمه بمراجعة بحور المقطوعات الشعرية الواردة في «تاريخ اربل» للتأكد عما إذا كنت قد أصبت في تعيين تلك البحور ، وكذلك على تلطفه بإعارتي ـ خلال زيارتي لبيروت ـ نسخته المصورة من كتاب «عقود الجمان» لابن الشعار الموصلي .

وأرى من واجبي أيضاً ، أن أعبر عن خالص شكري إلى صديقي الدكتور يحيى

الجبوري ، الأستاذ بجامعة بغداد ، لتفضله بمراجعة القسم العربي من أطروحتي ، وإلى الدكتور يوسف ضياء قوارجي ، عميد معهد الدراسات الإسلامية في جامعة ارضروم بتركيا ، لتكرمه باستنساخ بعض التراجم الواردة في مخطوطة كتاب «عقود الجمان» آنف الذكر ، الموجودة في المكتبة السليمانية باستانبول ، وإلى صديقي العزيز الدكتور عبد الله المهنا ، المدرس بجامعة الكويت ، لتفضله باستنساخ مقدمة رسالة «ثالث القمرين في بيتي الرقمتين» المنسوبة إلى ابن المستوفى ، والموجودة في دار الكتب المصرية ، علاوة على الطافة الكثيرة التي خصني بها خلال وجودنا معا في كمبرج ، مدة تزيد على خمس سنوات .

وأخيراً وليس آخرا ، أتوجه بالشكر وبالامتنان العظيم إلى جميع الأصدقاء والأقارب ، الذين كانوا لي خير مشجع ومعين للمضي في الدراسة والبحث ، سواء بما أبديه تجاهي من عطف وتشجيع ، أو بما يسرّوه لي من وسائل العيش ومتطلبات البحث . فإنهم ـ جزاهم الله كل خير ـ لم يبخلوا عليّ بشيء منها ، ولا سيما الكتب التي كانوا يوافوني بها كلما احتجت إلى شيء منها . فإلى هؤلاء جميعا أقدم شكري وعظيم امتناني ، داعيا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجزيهم عني بأحسن الجزاء ، وأن يجعلهم على الدوام في خير عميم ، إنه سميع الدعاء .

مدينة كمبرج (بريطانيا) في ذي القعدة من سنة ١٣٩٤ هـ

الموافق لشهر تشرين الثاني من سنة ١٩٧٤ م .

سامي بن السيد خماس الصقار

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا الكتاب أعد بالأصل ليكون جزء من رسالة الدكتوراه التي تقدم بها المؤلف إلى جامعة كمبرج . وقد كتب الأصل باللغة الإنكليزية . وتم الفراغ منه في أواخر عام ١٩٧٤ ميلادية ، ونال بالفعل درجة الدكتوراه في العام المذكور . (١)

ولقد رأى المؤلف ألاّ يحرم القارىء العربي من الاطلاع على هذا الكتاب ، فعمد إلى ترجمته إلى اللغة العربية . وها أن الترجمة قدتمت بتوفيق من الله ، ويسر المؤلف أن يقدم الكتاب هدية متواضعة إلى القراء العرب ،

والله من وراء القصد .

---

(١) يلاحظ القارىء أن الكتاب تم تصنيفه في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، لكن هناك إشارات إلى بعض المصادر والمراجع التي ظهرت بعد هذا التاريخ ، وسبب ذلك أن المؤلف رغم حرصه على إخراج الكتاب بشكله الأصلي دون تغيير ، إلا أنه وجد من المفيد إضافة بعض الاستدراكات .



فهرس الموضوعات

ص

القسم الثاني ـ ابن المستوفي (١٩٣ – ٢٨٦)



المقدمة

أولاً :

إن موضوع هذا البحث ، هو كتاب «تاريخ إربل» ومؤلفه ابن المستوفي وهذا يتطلب ـ بطبيعة الحال ـ التعريف مدينة إربل التي يدور حولها الكتاب ، وإلقاء بعض الضوء على تاريخها ، ولاسيما في الفترة التي عاشها المؤلف . والكلام على «تاريخ إربل» لا يتم إلا بالتعريف بملكها مظفر الدين كوكبوري الذي ألف الكتاب في عهده ، بل أنه (أى الكتاب) يكاد يكون ثمرة من ثمرات الازدهار الذي شهدته هذه المدينة بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها هذا الملك ، ليجعل منها مثابة لأهل الفضل والعلم . ولذا فسوف أتناول في القسم الأول من بحثي هذا المواضيع الآتية :

١ - الفصل الأول ، ويتناول إربل وتاريخها . فأتحدث أولا عن اسمها وموقعها ، فاذكر الأسماء التي عرفت بها في القديم والحديث . ثم التعريف بموقعها الجغرافي ، وبعد ذلك أتناول تاريخ إربل منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، فأركز بصفة خاصة على إربل في العصور الإسلامية ، منذ الفتح حتى دخولها تحت حكم الاتابكة في سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م .

٢ - وفي الفصل الثاني أتحدث عن إمارة «آل بكتكين» الذين أقطعت إليهم إربل . ولاسيما عن مؤسس هذه العائلة زين الدين علي ، ثم نوابه في حكم إربل . وأخيرا حكم ولده زين الدين يوسف الذي انتهى بوفاته في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م .

٣ - وأتناول في الفصل الثالث سيرة مظفر الدين كوكبوري والعصر الذهبي لإربل . فأبدأ بترجمته بشيء من التفصيل ولاسيما طموحه السياسي ونشاطه العسكري ، ودوره في أحداث عصره حتى وفاته في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م . وبذلك انتهى وجود الإمارة الإربلية بعودتها إلى حظيرة الخلافة ببغداد .

٤ - ويتناول الفصل الرابع إنجازات كوكبوري الثقافية والعمرانية والخيرية . وهنا أتحدث عن دوره في تطوير إربل وتوسيعها ، وأشير إلى بعض مرافقها . ثم أتناول اهتمام كوكبوري بالفقراء وأهل العلم وبره بهم وعنايته بأحوالهم . وأتحدث عن مهرجان إربل في عهده ، وهو الاحتفال الضخم بالمولد النبوي الشريف الذي لم

يكن له مثيل في أي بلد إسلامي آخر . وأعقب ذلك بالحديث عن المؤسسات الدينية بإربل ، وخصوصا المساجد والربط . ثم أتكلم عن المؤسسات الخيرية والاجتماعية ، كالمستشفى ودور الزمنى والعميان وملاجيء الأرامل والأيتام .

٥ - وفي الفصل الخامس أتناول الحياة الثقافية بإربل بصورة عامة أولا ، ثم أذكر المدارس التي أنشئت بها ودار الحديث المظفرية . وبعد ذلك أشرح الأسباب التي جعلت إربل تجتذب أهل العلم والدين من كل مكان ، فأذكر الأسماء البارزة لمن وردها . ثم أتحدث عن ظهور طبقة إربلية مثقفة ، وانتشار بعض أفرادها في سائر أنحاء العالم الإسلامي ومشاركتهم في مختلف وجوه النشاط الثقافي . وقد خصصت زاوية لشعراء إربل . وختمت الفصل بالتساؤل عما إذا كانت إربل قد حوت مكتبة عامة أم لا ؟ وخلصت في الإجابة عليه إلى ترجيح وجودها .

٦ - ويتناول الفصل السادس حكومة الولاية الإربلية . وقد بدأته بلمحة جغرافية لغرض الإحاطة بالمدى الذي اتسعت إليه الولاية ، مع ذكر أهم المدن والقلاع التي كانت تابعة لها . وثنيت على ذلك بالكلام على الجهاز الحكومي لإربل ، ذاكراً وزراءها ومستوفيها وكتابها وحجابها وقضاتها وأرباب الوظائف العامة فيها . وختمت الفصل بفقرة عن جيش إربل ودوره في الحروب الصليبية بصورة خاصة .

٧ - أما الفصل السابع ، فقد خصصته للعلاقات الخارجية التي كانت قائمة بين إربل من جهة ، وكل من مركز الخلافة ومملكة الموصل والأيوبيين وملوك الأطراف المجاورين من جهة أخرى ، كي أبرز الدور الذي لعبته إربل في النشاط السياسي والعسكري الذي ساد المنطقة في ذلك العصر .

٨ - ويتناول الفصل الثامن الأوضاع الدينية والقومية والاقتصادية بإربل ، وأى شيء آخر لا مكان له في الفصول السابقة . وهنا قصرت حديثي على انتشار المذهب الشافعي بإربل ، وعلى الوجود النصراني فيها ، لأن تفاصيل الحياة الدينية في الواقع قد عولجت في فصول سابقة عند الكلام على المؤسسات الدينية والخيرية ، وفي فصل الحياة الثقافية وما إلى ذلك ، وليس من المنطق تكرارها . أما بالنسبة للأوضاع القومية ، فقد أشرت بصفة خاصة إلى اختلاط القوميات في إربل ، مع

إبراز الوجود العربي فيها ، حيث بدا ذلك واضحا في استعراب أهلها وظهور عدد كبير من العلماء والأدباء العرب من بين أهلها وفي مقدمتهم صاحبنا ابن المستوفي «العربي اللخمي» . وفي الفقرة المتعلقة بالحياة الاقتصادية ، نوهت بالازدهار الاقتصادي لإربل ووفرة المال بيد حكامها ، مما مكنهم من إنشاء الكثير من المؤسسات داخل الإمارة وخارجها والإنفاق بسخاء على أهل العلم ومساعدة الفقراء والعجزة والمحتاجين . وذكرت شيئًا عن ضرب النقد بإربل . وختمت هذا الفصل بفقرة لم أجد لها مكانا في أي موضع آخر ، وهي «إربل في نظر الشعراء» .

ثانيًا :

لقد خصصت القسم الثاني من هذا البحث للمؤلف ابن المستوفي ، وينقسم إلى ثلاثة فصول .

١ – الفصل الأول يتناول اسم المؤلف ونسبه وأسرته ، ثم ولادته ورحلاته والوظائف التي تقلدها . كما يتناول أخلاقه وسلوكه الديني ، مع محاولة لإلقاء الضوء على المذهب الذي كان يقلده . وأخيرًا لجوءه إلى الموصل ووفاته فيها .

٢ – أما الفصل الثاني فيتناول دراسته وشيوخه الذين درسوه ، ثم الشيوخ الذين قرأ عليهم وأجازوه ، وأخيرًا الشيوخ الذين سمع منهم بصورة عارضة . كما يتناول الفصل الإشارة إلى المصادر الثقافية الأخرى التي استمد منها المؤلف ثقافته كالكتب والمجالس الأدبية .

٣ – ويتناول الفصل الثالث مكانة ابن المستوفي العلمية ، فأتحدث عن اهتمامه الكبير بالحديث النبوي وبروزه فيه ، وعن منزلته الأدبية واللغوية ، ومكانته كناقد ، وسعة اطلاعه ، موردًا الشواهد على ذلك بشيء من التفصيل . ثم أنوه بشاعريته التي كفلت له مكانة حسنة بين الشعراء . وأتحدث في هذا الفصل أيضًا عن مجلس ابن المستوفي الذي كان أهل العلم والأدب يرتادونه . وأعقبه بذكر مؤلفاته التي بلغت العشرين عدًا . ثم أتكلم عن تلاميذه أو الذين ظننت أنهم كذلك .

هذا وقد أرجأت البحث في موضوع تقييمه كمؤرخ إلى القسم الثالث من هذه

الدراسة ، عندما أتناول «تاريخ إربل» بالتفصيل ، لأنه في اعتقادي هو الموضع المناسب لتقييم مكانة المؤلف بين المؤرخين .

ثالثا :

خصصت القسم الثالث من دراستي للحديث عن «تاريخ إربل» ومكانة ابن المستوفي كمؤرخ ، وهو في خمسة فصول :

١ – تناولت في الفصل الأول «تاريخ إربل» ، وصفه وموضعه بين كتب التاريخ وقد مهدت إليه بالكلام عن التاريخ عند المسلمين ، والفنون التي ألفوا فيها ، ولاسيما كتب التراجم والتواريخ المحلية التي «تاريخ إربل» يعتبر واحداً منها . ثم عرفت بالكتاب ذاكراً اسمه والاختلافات التي تعرض لها هذا الاسم ، وعدد أجزائه ، وهنا جئت بالأدلة المؤكدة على تعددها . وعقبت على ذلك بالحديث عن مادة الكتاب ، كالحقبة التي يتناولها ، ومحتوياته من التراجم ، فتكلمت عن طوائف أصحابها ، ووصفت تلك التراجم بإيجاز . ثم تعرضت لنظام ترتيبها الذي لم يتبع فيه المؤلف أية قاعدة ثابتة .

٢ – ويتناول الفصل الثاني أسلوب ابن المستوفي في «تاريخ إربل» فتكلمت أولا عن الشروط التي فرضها المؤلف على نفسه ، كتاريخ الواردين إلى إربل ، وخروجه أحيانا على تلك الشروط ، لاسيما على سبيل الاستطراد . وثنيت على ذلك بذكر المنهج الذي اتبعه المؤلف ، وهنا أبرزت الوعي التاريخي الذي يتمتع به ، وتصرفه كمؤرخ مسؤول . وأشرت إلى اهتمامه بالسند ورواة الأخبار ، وحرصه على إيراد التواريخ في كل مناسبة يتيسر له تاريخ وقوعها . وتناولت بعد ذلك أمانته ودقته وصراحته ، وهي الصفات التي ينبغي توافرها في المؤرخ . وتحدثت كذلك عن حرصه على إدراج النصوص مما أغنى الكتاب بمادة تاريخية ثمينة ، ثم تعريفه بالمواقع الجغرافية ، وميله إلى الاختصار .

٣ – وتناولت في الفصل الثالث المصادر التي اعتمدها ابن المستوفي في «تاريخ إربل» ، سواءً أكانت الرواية الشفوية عن أشخاص – وقد ذكرت بعضا منهم والنقل عن الكتب المعتمدة ، أو باستنساخ الحواشي والتعليقات التي يجدها مسطورة في

بعض الكتب ، أو النقل عن الأجازات والاشهادات والخطوط ، أو الرجوع إلى الرسائل الواردة إليه أو المتبادلة بين بعض الأشخاص ممن لهم علاقة بموضوع الكتاب . كذلك استفاد المؤلف من النقوش الجدارية والكتابات التي دأب البعض على تسطيرها على الحيطان ، ولاسيما حيطان المساجد والأماكن العامة .

٤ – أما الفصل الرابع فقد خصصته للبحث في أهمية «تاريخ إربل» ، ولاسيما كمصدر اعتمده المؤرخون ، وهنا تعرضت للكتب التي نقلت عنه ، وخصوصا المهمة منها ، مثل «عقود الجمان» لابن الشعار و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و«تكملة المنذري» ، و«كتاب الروضتين» وذيله لأبي شامة و«ذيل مرآة الزمان» لليونيني و «الوافي» للصفدي وغيرها .

وثنيت على ذلك ببحث مزايا هذا الكتاب ، وهنا تناولت أهمية التراجم الواردة فيه ، وكون ما ورد فيها هو حصيلة لقاءات شخصية بالدرجة الأولى ، مما يجعل للمعلومات التي تضمنها قيمة خاصة . كما أن المؤلف ترجم لطوائف من الناس عديدة ولم يقتصر على فئة معينة أو أهل بلد مخصوص . وعلاوة على ذلك فالكتاب يضم نصوصا أدبية مهمة منقول بعضها عن كتب مفقودة ، أو عن روايات شفوية أو رسائل شخصية أو تعليقات خاصة . وفضلا عن ذلك فالكتاب غني بالشعر ، إذ حرص مؤلفه على رواية الكثير منه حتى بلغ عدد الأبيات الواردة فيه ٢٥٠٠ بيت ، بعضها لا يُتوقع العثور عليه في أى مرجع آخر ، لأن المؤلف رواه عن قائله مباشرة ، وأن بعضه قد نظم لتلك المناسبة . والكتاب أيضا يلقى الضوء على بعض الأحوال في عصر المؤلف ، فتضمن إشارات عديدة إلى الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية والأدبية والاجتماعية ، ويتناول بعض الأمور الدينية أيضا . وهو يبرز دور المدن الصغيرة في النشاط الثقافي في تلك الأيام ، كما يشير إلى دور الأكراد – على ضئالته – في الحياة العامة لمنطقة إربل . وينفرد الكتاب ببعض الأخبار ، ومنها قصة بناء الحجرة النبوية المطهرة في عهد المسترشد ، مما لم أجد له ذكراً في أى مرجع ذي علاقة . ثم أنه يلقي بعض الضوء على خطط مدينة إربل وعمرانها . وأخيراً فالكتاب دليل واضح على الوحدة الروحية والثقافية التي كان العالم الإسلامي يتمتع بها في عصر المؤلف ، رغم التمزق السياسي الذي انتابه

واستحكام العداء بين حكامه الذين كانوا في نزاع مستمر . وهذا واضح من سعة الرحلات التي قام بها العلماء في ذلك الزمان من مشرق العالم الإسلامي ومغربه على السواء ، ومن الترحيب الذي كانوا يلقونه أينما حلوا وحيثما ارتحلوا ، الأمر الذي ساعد إلى حد كبير على ازدهار الحياة الثقافية وتقدمها بنتيجة تبادل الأفكار وانتشار الكتب وسرعة تداولها بسبب تلك الرحلات .

٥ – وجعلت الفصل الخامس خاتمة للبحث ، تضمنت خلاصة موجزة جداً لما قلته عن «تاريخ إربل» وأهميته بين كتب التاريخ ، والمزية التي انفرد بها بتاريخ أحوال مدينة خاملة الذكر صغيرة كإربل .

ولقد راجعت في إعداد هذه الدراسة مئات المراجع على اختلاف أنواعها وتباين مواضيعها ، مما هو مدون في ثبت المراجع ، لكن «تاريخ إربل» كان هو مرجعي الأول . فلقد اعتمدت عليه – قبل أي كتاب آخر – في رسمي لصورة إربل في عهد ابن المستوفي ، لأنه في اعتقادي هو المصدر الموثق لمعرفة أشكال تلك الصورة وألوانها .

رابعًا :

ويتناول القسم الرابع من هذه الدراسة النص المحقق من «تاريخ إربل» ومقدمتي له . وقد تناولت في هذه المقدمة الظروف التي جعلتني أختار موضوع تحقيق «تاريخ إربل» ، ثم ذكر المخطوطة ووصفها المادي ، وورقها وخطها وأسلوب إملائها وترتيب أوراقها ، ومافيها من حواش وتعليقات .

وحيث أن ورقتها الأولى ليست أصلية ، فقد وجدت من المفيد التعرض لموضوع نسبتها إلى ابن المستوفي ، وسقت الأدلة المستفادة من خلال نصوصها على تأكيد صحة تلك النسبة ، كي لا أدع مجالًا للشك والارتياب في كون الكتاب الذي نحن بصدده هو «تاريخ إربل» . وكذلك شرحت الأسباب التي حملتني على الاعتقاد بأن المخطوطة منقولة عن مسودة وليس عن نص نهائي للكتاب ، مدللا على ذلك بعدم انسجام بعض المعلومات الواردة فيه مع بعضها الآخر ، أو مع ظروف التأليف ، وتكرر ورود بعض التراجم بدون مبرر واضح ، ثم عدم ترتيبها وفق أي نظام ثابت معروف .

ثم تناولت منهجي في تحقيق النص ، والجهد الذي بذلته في تثبيته لاسيما وأن المخطوطة نسخة فريدة لا أخت لها ، مما جعل مهمة التحقيق شاقة . وتحدثت عن سبب اهتمامي بالإكثار من الحواشي ، وبينت أن غرضي من ذلك هو إيضاح كل ما يحتاج إلى إيضاح ، والتعريف بأصحاب الأسماء الواردة في المتن من أشخاص ومدن وكتب أو أحداث ، تسهيلا على القارىء ، علاوة على كون مثل هذا التعريف ـ في اعتقادي ـ هو جزء من التحقيق الصحيح . وأشرت إلى الفوائد الجمة التي حصلت عليها من وراء ذلك التحقيق الدقيق ، إذ أعانني على جمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك من أجل إعداد مادة الأطروحة (١) وكتابة تاريخ إربل في عهد المؤلف ، بشكل لا يمكن العثور عليه في أي مرجع آخر قديم أو حديث .

ويجدر بي أن أذكر هنا بأنني قمت بتحقيق الجزء الثاني من «تاريخ إربل» كله بالشكل المشار إليه آنفا (أى إغنائه بالحواشي والتعليقات الدسمة) ، حتى صار معداً للنشر في أى حين . ولقد بذلت كل ما في وسعي لإخراجه بما يرضي أهل العلم والاختصاص ويرضى ضميري قبل كل شيء . وأرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة عن الجهد الذي بذلته بهذا الصدد أداءً للواجب الذي آليت على نفسي أداءه ، ومن الله التوفيق .

سامي بن السيد خماس الصقار

كمبرج (بريطانيا) في ١/ذي القعدة سنة ١٣٩٤ هـ

الموافق ١٦ / تشرين الثاني ١٩٧٤م

---

(١) لعل من الضروري أن أشير إلى أن هذه الدراسة هي في الأساس أطروحة للدكتوراة ، نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من جامعة كمبرج في بريطانيا ، في سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م . أما تحقيق «تاريخ إربل» فقد كان عملا مستقلا . وقد تم بحمد الله نشره من قبل وزارة الإعلام العراقية في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ضمن سلسلة كتب التراث ، وبلغ عدد صفحات الجزئين حوالي (١٧٥٠) صفحة



القسم الأول ـ إربل

الفصل الأول ـ إربل وتاريخها

١ - اسمها وموقعها :

قبل الكلام على تاريخ إربل ، لابد من ذكر شيء عن اسمها فأقول ، إن إربل هي أربيل الحالية ، أو كما يسميها الأكراد «أرويل» ، لأنهم يقلبون الباء واواً ، فيقولون مثلا عن «الماء ـ آب» : (آو) وهم أيضا يسمونها أولير أو هولير . والظاهر أن هاتين التسميتين كانتا سائدتين عند زيارة «بكنغهام» لإربل ، وقد نقل بكنغهام أن أحد الرحالين الأجانب سماها "HARPEL" سنة ١٨١٦ (رحلة بكنغهام ص٩٦ - ١٠٠) . أما اسمها في التاريخ الإسلامي وكتب الجغرافيين المسلمين فهو «إربل» (بكسر الهمزة أو فتحها ، وقد ضبطها شيخ الربوة ص ١٩٠ بالفتح) . أما اسمها السامي القديم فهو «أربا ـ إيلا ، أربيلا ، أربائليو ، أُربيلم URBILUM, ARBA-ILU,ARBELA,ARBA,IL وسماها المؤرخ بليني PIINY أربليتس ARBELITIS [1] والمعروف أن هذا الاسم معناه «مدينة الآلهة الأربعة إذ كانت إربل مدينة مقدسة فيها بعض المعابد التي تضم الآلهة «عشتار ISHTAR » وهي الزهرة VENUS ، كما تضم الشمس وإلاهة خاصة بمدينة إربل تسمى «شربل» . إلا أن الإله الرابع غير معروف ، ولعله كان إله القمر ، إذ عُرف عن قدماء العراقيين عبادتهم له أيضا .

ومما لا شك فيه أن إربل قديمة جداً ، إذ ورد ذكر «أربيلم» في مدونات «ولكي» ملك سومر الذي عاش حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد . كما ورد ذكرها في المدونات البابلية ـ

---

(١) هذا وقد نقل الفارسي مؤرخ مكة المكرمة في كتابه «العقد الثمين» أن أحد أبناء إسماعيل (عليه السلام) كان اسمه أيضا «أربل» (العقد ج ١ / ص ١٣٦) . كما أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو زار قرية في فلسطين تقع بين عكا وطبرية تحمل هذا الاسم أيضا (سفر نامة ـ الترجمة العربية ، ص ٥٢) . والغريب أن الدكتور طليمات في كتابه «كوكبوري» ص ١٨٩ـ يقول ـ نقلا عن الموسوعة البريطانية فيما يزعم ـ بأن «إربل» قد اتخذت اسمها هذا عن معركة وقعت سنة ٣٣١ قبل الميلاد ، بين الاسكندر الكبير وداريوس ، ثم يقول « وتتفق الدائرة ـ أى الموسوعة الإسلامية ـ مع دائرة المعارف البريطانية في أن اسمها (اربلا) منذ أن حدثت وقعة الاسكندر الأكبر» . أقول وهذا يوهم بأن هذا الاسم لم يكن معروفا قبل وقوع تلك المعركة وهذا غير صحيح . ويبدو أن السيد طليمات قد أخطأ ترجمة ما قرأ في الموسوعتين المذكورتين .

الآشورية بعدئذ بصيغة «آربا ـ ايلو» وقد نصب فيها الآشوريون علاوة على أصنام الآلهة سالفة الذكر ، صنما للإله آشور (وهو كبير الآلهة) وجعلوا من إربل عاصمتهم الدينية ، فأصبحت بمثابة القلب بالنسبة لعواصمهم الأخرى . وكان ملوكهم يؤثرونها بعناية خاصة . إذ كانوا علاوة على سلطانهم الدنيوي ، يشغلون منصب الكاهن الأعظم . وبلغ من تقديسهم لمعابد إربل أن كان الملوك يحجون إليها ، ولا سيما قبل الإقدام على حملاتهم العسكرية ، طلبا للنصر والبركة . وكانت الآلهة «عشتار» هي الأثيرة عندهم . وعشتار هذه تعتبر من أعظم الإلاهات في الديانات القديمة ، إذ شُيدت لها المعابد واستطالت عبادتها أمداً طويلاً بين سكان العراق القدامى وغيرهم كالفنيقيين والحثيين والآراميين والفلسطينيين وعرب الجنوب . بل وانسابت «عشتار» إلى أساطير اليونان ومنها إلى أنحاء أوربا الأخرى . وقد بلغ من حرمة العراقيين لها أنهم كانوا يسمون «إربل» في المدونات المسمارية E-KASHAN-KALAMA أى «بيت سيدة الأقاليم» ، ولذا يمكن القول بأن إربل كانت أشبه بمدينة «دليفي» اليونانية بالنسبة لهم . ويبدوا أن حرمة هذه المدينة صانتها من الخراب لفترة طويلة رغم كثرة الحروب التي تعرضت لها ، ووقوعها على طريق الجيوش المتقاتلة .

هذا والجدير بالذكر أن لإربل أهمية أخرى هي وقوعها على الطريق السلطاني الذي كان يسلكه سعاة البريد منذ أيام هيرودوت ، وأن بعض خطوط هذا الطريق لازالت مستعملة في وقتنا الحاضر . وعلاوة على ذلك ، فإن إربل تقع في وسط إقليم مهم يسمى «حدياب أو اديابين Adiabene » نسبة للزابين (يقول السيد طليمات ص ١٩٤ عن هذا الأقليم بأن الجغرافين العرب سموه « أرض إربل » دون أن يشير إلى المصدر الذى لم أوفق فى الأهتداء إليه) . أو « اتوربا Autria » أو « ARBELITIS » نسبة للمدينة نفسها ، وقيل «حزة» (ذكر ياقوت في بلدانه ٢٦٣/٢ أن حزة كانت من قبل قصبة كورة إربل) . وهذا الإقليم سهل منبسط يحده شمالا الزاب الأعلى ، وجنوبا الزاب الأسفل ، وغربا نهر دجلة ، وشرقا هضبة الجبال الممتدة حتى حدود اذربيجان الإيرانية (يقول السيد طليمات ص ١٩١ «ويقوم إقليم إربل على هضبة (صناعية) خصبة شبه مستوية» . أقول ويبدو أنه قد توهم في ترجمة ما قرأه في الموسوعة البريطانية من أن (مدينة) إربل مشيدة على تل اصطناعي ، فظن أنه الإقليم) . وقد كانت هذه المنطقة على حظ كبير من الرفعة في أيام

الآشوريين والفرس من بعدهم ، حتى أن الاسكندر عندما دخل إربل بعد هزيمته للفرس ، وجد في خزاناتها أثاثا وكنوزاً ملكية طائلة وغنم فيها أموالا كثيرة . وحيث أن هذا الإقليم كان متاخما لحدود عدد من الدول ، فقد كان عرضة للتنازع بينها . من ذلك مثلا دول السلوقيين والفرس والأرمن والرومان (انظر مقال السيد فؤاد جميل ــ مجلة سومر مج ٢٥ لسنة ١٩٦٩ ص ٢١٩ ، رحلة بكنغهام ص ٩٦ – ١٠٠ وكتاب AINSWORTH ص ٢٦٢ ، وفيما يتعلق باسم إربل انظر مخطوطتنا ورقة ٢٥أ ، بلدان ياقوت (مادة إربل) ومراصد ابن عبد الحق ٤٢/١ ، والمشترك صقعا لياقوت ص ١٩ وبلدان أبي الفداء ص ٤١٢ – ٤١٣ ، وكتاب القزويني) . وهي في الوقت ذاته مركز تجاري لأهل المنطقة كلها .

وتقع إربل الحالية إلى الشمال الشرقي من بغداد ، في سهل منبسط ، على خط العرض ٣٦ درجة شمالا وخط الطول ٤٢ درجة شرقا . وترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٣٠٠ قدم . وهي على الطريق الذي يربط بين بغداد والموصل ماراً بكركوك . وتبعد عن الموصل بحوالي ٤٠ ميلا . وهي الآن مركز للواء يعرف باسمها ويشمل أراضي إقليم «حدياب» أنف الذكر ، ويمتد حتى الحدود الإيرانية شرقا ، وتبلغ مساحته ١٥٣١٥ كيلو متراً مربعا ، بينما تبلغ مساحة مركز قضاء إربل ١٤٨٤ كيلو متراً مربعا (وقبل الانتهاء من هذه الدراسة أعلنت الحكومة العراقية اتخاذ إربل عاصمة لإقليم كردستان الذي منحته الحكم الذاتي ، وأنها أصبحت مقراً لإدارة الإقليم المذكور) وتشير الإحصاءات التي تمت سنة ١٩٦٥ م إلى أن نفوس هذا اللواء بلغت ٣٥٦٢٩٣ نسمة يسكن حوالى ٩٠ ألفا منهم مدينة أربيل نفسها (المجموعة الإحصائية السنوية لسنة ١٩٦٩ – وزارة التخطيط ببغداد ص ٤٧ و٤٨ و ٦٧ و ٨٦ و ٨٧) . أما تخمينات عام ١٩٧٠ ، فتقدر عدد سكان اللواء بحوالي ٤٢١ ألفا . ولعله من المفيد هنا أن نعود إلى الوراء ونذكر بأن سكان إربل ــ وفقاً لإحصاءات سنة ١٩٢٠م ــ بلغوا حوالى ١٠٦٠٠٠ نسمة ، منهم ٩٦١٠٠ مسلم و ٤٨٠٠ يهودي و ٤١٠٠ مسيحي و ١٠٠٠ من أتباع ديانات أخرى (مفصل جغرافية العراق لطه الهاشمي ص ٨٦ – ٨٧) .

للاستزادة عن هذا الموضوع راجع «بلدان ياقوت» ١٨٧/١ و«المشترك وضعا» له ص ١٩ ، «الموسوعة البريطانية» ط ١١ جـ ٣٢٣/٢» ، الموسوعة الإسلامية «ط ١٩٢٧ ج

٢٨/٢ و ٥٢١ ، «دائرة معارف البستاني» ط ١٨٧٧ ج ٧٦٥/٢ و ٧٧١ ، «بلدان أبي الفداء» ط باريس ص ٤١٢ – ٤١٣ ، «نخبة الدهر» ص ٩٦ و ١٩٠ و ٢٥٥ ، «صبح الاعشى» ٣٦٦/٤ ، «تاريخ الكرد» لأمين زكي ص ٤ و ١٢٦ و ١٦٧ ، كتاب "AINSWORTH" ص ٣١ و ١٦١ ومجلة «العربي» الكويتية ـ العدد ١٩٦ لشهر آذار ١٩٧٥ ص ٧٠ – ٨٦ ، وفيه استطلاع عن «إربل» الحديثة . انظر أيضا «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ص ٨١ .

٢ – إربل في التاريخ :

أولاً ـ إربل قبل الإسلام :

كما سبق وأشرنا إلى أن أول ذكر لإربل يعود إلى حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وأنها كانت منذ البداية مدينة مقدسة ، إلا أنها تدين بازدهارها إلى الآشوريين الذين جعلوها كعبتهم وأحاطوها بعنايتهم . وقد بلغ من عنايتهم بها أن جلبوا إليها المياه بأقنية خاصة محفورة تحت الأرض من مسافات بعيدة (راجع مقال الأستاذ فؤاد سفر عن تلك القنوات ، وهو بعنوان «أعمال الإرواء التي قام بها سنحاريب في نينوي وأربيل» في مجلة سومر مج ٣ لسنة ١٩٤٧ ص ٧٧ – ٨٦) . وقد كانت إربل محجا لملوكهم الذين كانوا يقضون فيها أياما عديدة للتعبد وطلب البركة . وكانت تذكر على الدوام إلى جانب عواصمهم الكبرى كآشور ونينوى (جغرافية العراق ص ٤٦٠) . ولقد ورد ذكرها في بعض الوثائق الآشورية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد (موسوعة إسلامية ٥٢١/٢) . ويشير البستاني (٧٦٥/٢) إلى احتمال أن تكون إربل هي «بيت ارئبيل» المذكورة في الإصحاح العاشر من سفر « هوشع HOSIA » من أسفار العهد القديم ، غير أنه ليس لديه دليل يؤيد ذلك . وعلى كل حال يمكن القول بأنه لم يكن لإربل دور سياسي مهم في التاريخ القديم ، وإنما كانت علاوة على مركزها الديني ، مفترقا لطرق القوافل مما ضمن لها البقاء رغم تقلب الأحوال . ولكن هذا لا يعنى أنها لم تقم بأي دور سياسي ، ذلك أن اسمها "ARBELITIS" أطلق على البلاد الآشورية كلها بعد تدهور نينوى ، إذ ازدهرت إربل حتى ليقال أنها أصبحت قاعدة لمملكة صغيرة استطاعت الصمود والاحتفاظ باستقلالها في عهد البارثيين ، خلال النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد . أما في العهد الساساني ، فقد صارت إربل مقرًا لبعض الحكام الذين

كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي في بعض الأحيان (انظر كتاب AINSWORTH ص ٢٦٢)

وحيث أن عرض تاريخ إربل القديم ليس من أغراض هذه الدراسة ، فيكفي أن أقول بأن اسمها اقترن بمعركة حربية حاسمة من معارك التاريخ ، هي تلك التي دحر بها الاسكندر الكبير جيوش الفرس ، وكانت بقيادة دارا ، في سنة ٣٣١ ق م (موسوعة بريطانية ، مادة «أربيلا» ، موسوعة البستاني ٧٧٢/٢ ، كتاب FIEY ص ٤٠ ، كتاب FRASER ص ١٨ و ١٩٣) ومنذ ذلك الحين تقلبت الأحوال بإربل ، ولكنها كانت في الأعم الأغلب خاضعة لمن يتولى حكم العراق ، ولاسيما حكم المنطقة الشمالية منه .

كذلك من المستحسن أن أشير هنا إلى أن النصرانية قد تسربت إلى إقليم إربل وترسخت قواعدها فيه ، حيث أقيمت سنة ٥٠٠ م مطرانية كلدانية بها ، تضم الموصل وإربل . وبذلك انتهت عبادة عشتار التي استمرت أكثر من ٢٠٠٠ سنة . وعاش في إربل بعض الكتاب النصارى ، ومنهم «ميشحا زخا» الذي ألف كتابا بالسريانية عرف باسم «تاريخ إربل» ، ويرجح أن يكون ذلك في منتصف القرن السادس الميلادي (انظر مقال السيد فؤاد جميل سالف الذكر ، ومجلة «النجم» الموصلية) .

ثانيًا ـ إربل في العصور الإسلامية :

١ - تاريخ إربل منذ الفتح حتى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م :

في سنة ١٨هـ / ٦٣٩ م دخلت منطقه إربل فى الحكم الأسلامى ، ألا أن كتب الفتوحات لم تشر إلى إربل بالذات . ويرجع امين زكى (تاريخ الكرد ص ٣ و١٣١ و١٣٢) بان فتح هذه المنطقة كان سنة ١٨ هـ /٦٣٩ م على يد عياض بن غنم الذي فتح إقليم الجزيرة وبعض قلاع الموصل . وقدعينه الخليفة عمر بن الخطاب ـ رض ـ أول عامل مسلم على تلك البلاد (فتوح البلاذرى ١٧٢/١ وتاريخ الإسلام ٣٦/٢) . إلا أنني أرجح أن الفتح كان على يد عتبة بن فرقد السلمي الذي ولى الموصل سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠م ، لأن عتبة هو الذي عبر دجلة إلى الجانب الشرقي وحارب أهل نينوى وفتح المرج وقراه وأرض باهُذري وباعَذْرى وحِبتُون وبانعاثا وغيرها من حزة (قال ياقوت في بلدانه ٤٨٨/٤ عن مرج الموصل أنه يقع إلى جانبها الشرقي ، وهو موضع بين الجبال فيه

مروج وقرى حسنة . كذلك انظر «بلدان ياقوت» ١/٤٧٢ و ٢/١٩٣ و ٤/٦٨٣ فيما يتعلق بالمواضع التي فتحها عتبة) . وهذه المناطق هي ألصق باربل ، بل إنها تقع ضمن إقليم إربل . وأن عتبة قد استمر في فتوحاته شرقي دجل حتى وصل أرمية . وكان من نتائج ذلك الفتح أن ألحقت شهرزور بالموصل وظلت كذلك إلى أيام الرشيد عندما فصلت عنها (فتوح البلاذرى ١/٣٣١ – ٣٣٤) .

ويبدو أن إربل بعد انتشار الدين النصراني في منطقتها ثم تبعه الإسلام ، زالت عنها حرمتها الدينية ولم يبق لها ذلك المركز الممتاز . ولذلك انزوت في زوايا النسيان ، ولم يعد لها ذكر في الكتب لقرون عديدة إلا أن سهولها شهدت سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩ م معركة حاسمة أخرى ، هى معركة الزاب التي آذنت بانتهاء الحكم الأموى وبداية عهد بني العباس (ذكر ياقوت في بلدانه ٢/٩٠٤ عن يوم الزاب هذا أنه كان بين مروان بن محمد وعبد الله بن علي عم السفاح العباسي وأن المعركة وقعت على الزاب الأعلى بين الموصل وإربل . انظر «كامل ابن الأثير» ٥/٣١٩ و«تاريخ الإسلام» ٥/٢٠٣ و ٢٠٤ و«شذرات» ١/١٨٣) . وقد استمر ذكرها مطويا حتى أن المؤرخ الطبري مثلا لم يذكرها ولا مرة واحدة . وقد ورد ذكرها لأول مرة على لسان الجغرافيين المسلمين من قبل ابن خرداذبه وقدامة بن جعفر ، وهما من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين على التوالى وذلك عند حديثهما على التقسيمات الإدارية في العراق . فذكرا بأن إربل هي إحدى طسوج حلوان الخمس (المسالك والممالك ص ٦ و ٢٣٥) وقد اعتبراها من أعمال العراق . وبعد ذلك صار يشار إليها على أنها من أعمال الجزيرة والموصل بالذات (جاء في «نخبة الدهر» ص ١٩٠ على أنها حصن عظيم ، وأنها كانت من قبل تعد في بلاد السواد ثم أضيفت إلى الموصل ، ثم أفردت وصارت مملكة قائمة بنفسها ، لها حصون منيعة وهي بين الزابين . واعتبرها أبو الفداء في بلدانه ص ٤١٢ – ٤١٣ ط باريس ، من إقليم الجبال) .

وقد استقرأتُ كتب التاريخ الإسلامي ، فلم أجد لها إلا ذكراً عابراً سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨ م عندما وقعت معركة بالقرب من إحدى قراها تسمى «حزة» بين عسكر الموصل ومساور الخارجي (كامل ابن الأثير ٧/١٢٧ ، وقد توهم المحقق فسماها «حرة» بالراء المهملة ، والصحيح بالزاى وفقا لما ذكره ياقوت في بلدانه ٢/٢٦٣ ، وقال أنها بليدة قرب

إربل وقد كانت قصبة كورة إربل قبل) . إلا أن ذكرها أخذ يتردد في ثنايا الكتب منذ أواسط القرن الخامس الهجرى . ولعل من المفيد إدراج هذه الإشارات ، لأنها تلقي بعض الضوء على تطور مركز إربل وارتباطاتها السياسية .

أ / أول إشارة عثرت عليها كانت سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥ م ، إذ ذكر ابن الأثير (كامل ٣٦٢/٩) أنه قتل في تلك السنة عيسى بن موسى الهذباني صاحب إربل ، قتله ابنا أخ له وسارا إلى قلعة إربل فملكاها ، وكان سلار بن موسى أخو القتيل نازلا على قرواش ابن المقلد صاحب الموصل ، لنفرة كانت بين سلار وأخيه . وعندها سار قرواش معه إلى إربل فملكها وسلمها إلى سلار .

ب / وذكر ابن الأثير (كامل ٣٧٥/٩) في حوادث سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م اختلاف قرواش والأكراد الحُميدية والهذبانية ـ وكان للهذبانية قلعة إربل وأعمالها ـ وكان صاحب العقر حينئذ أبو الحسن ابن عيسكان الحميدي ، وصاحب إربل أبو الحسن ابن موسك الهذباني . وقد أعان الأول أبا علي بن موسك أخا أبي الحسن المذكور على أخذ إربل من أخيه ، فملكها منه وأخذه أسيرًا . وهنا تدخل قرواش في الأمر محاولا إعادة الأمور إلى مجراها السابق مما أدى إلى ملابسات لا حاجة لذكرها ، ويكفي أن نقول أنها عمقت الوحشة بين الأكراد وقرواش (يقول أمين زكي في تاريخه ص ١٤٨ حاشية ، بأن إربل كانت من مناطق الأكراد الهذبانية) .

ت / وأشار ابن الأثير أيضا (كامل ٤٣٩/٩) في أحداث سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨ م إلى وجود ابن موسك صاحب إربل داخل قلعة الموصل عندما حاصرها البساسيرى وقريش ابن بدران ، وأنه طلب الأمان عندما اشتد الحصار فحصل عليه له ولمن في القلعة ، وبعد خروجهم منها هدمها البساسيرى وعفى أثرها .

ث / كذلك ذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ١٥٩) في حوادث سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ، مرور بركيارق السلجوقي بإربل في مسيره من نصيبين إلى اذربيجان ، لملاقاة عمه تتش . وقد انهزم في تلك المعركة .

ج / وأشار ابن الأثير أيضا (كامل ١٠/ ٢٦٢) في حوادث سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م إلى مرور السلطان محمد السلجوقى بإربل في طريقه من تبريز إلى الموصل لأخذها من جكرمش صاحبها .

ح / وجاء في حوادث سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م (كامل ابن الأثير ١٠ / ٢٩٢) إن السلطان محمد آنف الذكر وافق على إبقاء جكرمش على الموصل شريطة أن يقدم إليه الأموال المتفق عليها ، لكنه نكث عن ذلك مما حمل السلطان على إقطاع الموصل لجاولي الذي سار من بغداد فأخذ البوازيج أولا ، ثم توجه إلى إربل مما حمل صاحبها أبو الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني (قال أمين زكي في تاريخه ص ١٥٠ بأن أبا الهيجاء كان حاكما لإربل وأنه قاتل جيوش السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي عند زحفها على الموصل سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) على مكاتبة جكرمش للاتفاق على مدافعة جاولي ، واجتمعت عساكر إربل والموصل في قرية باكلبا ، وهي من قرى إربل ، ولكن جاولي هزمهم (بلدان ياقوت ١/٤٧٧ وكامل ابن الأثير ١٠/٢٩٤) . ويبدو أنه لم يحتل إربل ، إلا أنه أسر أولاد أبي الهيجاء ، ثم أطلقهم بعد مساومات ، لا فائدة من ذكرها .

خ / وفي حوادث سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م ذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ٣٢٠) بأن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي طلب إلى أمراء شمالي العراق بالمسير إلى الموصل وأخذها من جاولي ، وكان بينهم أبو الهيجاء صاحب إربل .

د / وأشار ابن الأثير أيضا (كامل ١٠ / ٣٤٠) إلى قيام السلطان سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م بمكاتبة عدد من الأمراء - ومن بينهم أبو الهيجاء المذكور - ليلحقوا بالملك مسعود والأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج وذكر ابن القلانسي أنه اشترك مع مودود في حصار الرها سنة ٥٠٤ هـ (ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤) .

ذ / وجاء في أحداث سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨م (كامل ابن الأثير ١٠ / ٣٧٨) إشارة إلى انضمام أبي الهيجاء صاحب إربل إلى الجيوش التي تحالفت ضد البرسقي .

ر / وذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ٤٤٧) في حوادث سنة ٥٢٠ هـ / ١٢٦ م بأن عز الدين مسعود لما استقر في ولاية الموصل ، قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل - وهو من أكابر الأمراء - وطلب منه أن يوعز لابن أخيه أن يسلم قلعة إربل إلى الأميرين فضل وأبي علي ابني أبي الهيجاء ، وكان ابن أخيه قد أخذها من أبيهما سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م . وقد تم تسليم القلعة إليهما فعلا . وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣١ ب) «البابكرية» حكام إربل ، ولكنه لم يذكر الزمن الذي حكموا خلاله . أما آل أبي الهيجاء ، فهي عائلة كردية كبيرة تردد ذكرها في كتب التاريخ ، من ذلك مثلا ما ذكره ابن الأثير

(كامل ١١ / ٧ و ٨) من وجود علي بن أبي الهيجاء صاحب قلعة اشب المتوفي سنة ٥٢٨ هـ ، كما ذكر ولده أحمد ، وأحمد هذا هو والد «علي بن أحمد المعروف بابن المشطوب» من أمراء صلاح الدين ، وقد توفي سنة ٦٦١ هـ (ذيل المرآة لليونيني ٢/٢٢٤) ـ وقد ذكر ابن الجوزى (منتظم ١٠/٣) وصول ابن «الهيج» الكردي إلى الموصل ومعه عساكر كثيرة لمناصرة الخليفة المسترشد في حصاره للموصل سنة ٥٢٧ هـ . وذكر ابن الأثير (اتابكية ص ٢٥٥) أنه كان في عسكر شيركوه بمصر قطب الدين خسرو بن تليل ، وهو ابن أخى أبى الهيجاء ـ صاحب إربل وقد طالب عند وفاة شيركوه بالوزارة لنفسه ، لكنها صرت إلى صلاح الدين (ذيل اليونيني ١ / ٤٣ و ٥٠١ - ٥٠٢ والروضتين ١/١٦٠ و ١٨١ وتاريخ الكردى لزكي ص ١٥٠ - ١٥٤ والعراق فِيَ العصر السلجوقي لحسين أمين ص ٣٤٢) . أما فضل بن أبي الهيجاء آنف الذكر فقد ذكره أسامة بن منقذ (ص ٦٥) من «كتاب الاعتبار» وطبعة حتّى ص ٨٧ وعباس العزاوي في مقاله عن إربل (مجلة المجمع ص ٤١٣) .

ز / وذكر ابن الأثير (كامل ١٠/٤٥٠ والباهر ص ٣٠) في حوادث سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م : أن عسكر الخليفه المسترشد عزم على كبس عسكر السلطان محمود الذي كان يحاصر بغداد ، فغدر به أبو الهيجاء الكردي صاحب إربل ، وخرج وكأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان . ولما رأى الخليفة خروج أبى الهيجاء على هذه الصورة أجاب إلى الصلح . هذا وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٩٥ ب و ١٧٤ أ) بين حكام إربل ابا الهيجاء بن أبي على الذي كان حيا سنة ٥٢٥ هـ .

يتضح مما تقدم بأن إربل كانت منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، أمارة توالي على حكمها بعض العوائل الكردية من آل موسك وآل أبى الهيجاء والبابكرية . ولكنها في سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م دخلت تحت حكم أتابكة الموصل ، وقد تولاها نيابة عنهم آل بكتكين حتى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م عندما مات كوكبوري وعادت إربل إلى حظيرة الخلافة . وبالنظر لأهمية هذه الفترة فسنفرد لها فصلا خاصا يأتى في موضعه إن شاء الله ، ثم نتبعه بفصول أخرى عن كوكبوري نفسه وحكومته ومختلف مظاهر الحياة في إربل في عهده .

٢ - إربل تحت حكم الخليفة والغزو المغولي :

استمر الحكم الذاتي لولاية إربل ـ كما أسلفنا ـ حتى وفاة كوكبوري سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م ، وعندها تسلم جيش الخليفة المستنصر بقيادة إقبال المستنصري الحكم فيها (الحوادث الجامعة ص ٤٥ و ٣٠٩ وتاريخ ابن كثير ١٣/١٣٥) . وقد حاول أيوب بن الكامل وإسماعيل بن العادل (كان الأول في آمد والثاني في سنجار) ، أن يأخذها كل منهما لنفسه ، ولكن عسكر الخليفة سبقهما إليها . ويبدو أن بعض مماليك كوكبوري لم يسلموا القلعة دون قتال ، وقد قال ابن الشعار بأن جيش المستنصر أخذ المدينة عنوة (عقود الجمان ـ مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ١٩ والحوادث الجامعة ص ٣٣ و ٤٨ ومرآة السبط ٨/٦٨٠) . وقد تولى حكمها الأمير باتكين نيابة عن الخليفة ، وقد استوزر ابن المستوفي لمساعدته في تدبير شؤون الولاية ولقد مدحه ابن المستوفي بقصيدة (سنذكرها إن شاء الله ضمن شعر ابن المستوفي) انظر «عقود ابن الشعار» مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩ . أقول أن تعيين باتكين حاكما لها يدل ولاشك على اهتمام الخليفة باربل ، ذلك أنه كان حاكما على البصرة بحربها وخراجها لمدة ٢٣ سنة . وقد عرف بالإصلاح وحب العلم ، فبنى بالبصرة المدارس والربط وعمر المساجد والمستشفيات ، وكان حسن السيرة جيد السياسة ، وهو على مستوى عال من رجال الحكم . ولولا أهمية إربل لما فرط به الخليفة ونقله من البصرة ثاني مدن العراق . إلى إربل (كامل ابن الأثير ١٢ / ١٧٥ وفيه تصحف اسمه إلى «ملتكين» ، الحوادث الجامعة ص ٣٣ - ٤٨ و ١٨٠ - ١٨٢ ، شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٢ / ٣٧٠ و ٣ / ٣٨٢ ، «وفيات» ٣ / ١٧٢ ، مرآة السبط ٨ / ٦٩٩ ، تاريخ ابن الساعي ص ٧٥ - ٧٦ ، معجم ابن الفوطي ٢ / ٧١٦ استطرادا) .

والجدير بالذكر ، أن المغول عندما بدأ تسربهم إلى العراق أخذوا في مهاجمة إربل، وقد هاجموها عدة مرات في سني ٦١٧ و ٦٢٨ و ٦٣٢ ـ و ٦٣٤ و ٦٣٥ هـ (١٢٢٠ و ١٢٣٠ و ١٢٣٤ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ م) . وكان المسلمون يتصدون لهم في كل مرة . وفي سنة ٦٣٤ هـ بالذات جهز الخليفة جيشا لمحاربتهم فانهزموا أمامه . كما خرج إليهم باتكين حاكم إربل ، بجيشه في بعض المرات واضطرهم إلى العدول عن احتلاء إربل . غير أن باتكين هذا غادر إربل في سنة ٦٣٤ أو ٦٣٥ هـ (١٢٣٦ أو ١٢٣٧ م) ، ورجع إلى بغداد حيث توفي معزولا سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م (وفيات ٣ / ١٧٢ وكامل ابن الأثير

١٢ / ٣٢٥ و ٣٢٧ والحوادث الجامعة ص ١٨٠ - ١٨٢ ، مرآة السبط ٨ / ٦٩٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٨٦ و ١٤٥) . وكانت نتيجة هذه الهجمات المغولية ، ولاسيما عندما تمكنوا في سنتي ٦٢٨ و ٦٣٤ هـ من احتلال ربض إربل واستباحته وقتل أهله والاعتداء على حرماته ، ونهبهم ما فيه من أموال ، وخاصة في المرة الثانية (في معهد الدراسات الإسلامية في بغداد مخطوطة برقم ٨٠ ـ لقصيدة في سبي إربل وكرمليس (فهرس مخ المعهد ص ٩) ، ولكنني لم أستطع الاطلاع عليها لأرى عما إذا كان لهاعلاقة بالحوادث المذكورة آنفا . ولابن المستوفي قصيدة في رثاء إربل نظما بهذه المناسبة وقد نقلها ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩ ، وسوف نذكرها ضمن ترجمة ابن المستوفي إن شاء الله) ، مما دفع أهل إربل إلى الهجرة منها ، وكان من المهاجرين صاحبنا ابن المستوفي ، إذ هاجر إلى الموصل (المرجع السابق وذيل الروضتين ص ١٦٥ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٦ وكامل ابن الأثير ١٢ / ٣٢٥ و ٣٢٧) .

ومع ذلك فقد استمر حكم الخليفة لإربل ، إذ عين سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م حاكما لها الشريف محمد بن نصر الهاشمي المعروف بتاج الدين ابن الصلايا . فقام هذا بتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها ، إلا أن المغول عادوا فحاصروها مرة أخرى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م وعندها سقطت بمساعدة بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل ، الذي اتهمه أبو الفداء بمصانعة هولاكو . وقد لقي ابن الصلايا مصرعه على يد المغول في السنة المذكورة بسعاية من بدر الدين المذكور ، على ما يقال (الحوادث الجامعة ص ٨٤ و ٩٨ و ١٠٩ - ١١٣ و ١١٩ و ١٣١ و ١٦٨ و ٢٣٦ و ٢٦٠ و ٣٢٠ ومرآة السبط ٨ / ٦٩٩ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ١٩٨ وذيل اليونيني ١ / ٨٧ و ٩١ وطبقات السبكي ٨ / ٢٦٣ و ٢٧٤ عمدة الطالب لابن عنبة ص ٣١٧ ، معجم ابن الفوطي ٢ / ٨٢٥ وحاشية و ٣/٢٧٤ ، وعبر الذهبي ٥/٢٣٦ وشذرات ٥/٢٨٤ ومختصر الدول ص ٤٣٥ وكشف الغمة للإربلي ص ١٤٠ و ٢٤٩ و ٣٢٤ وتاريخ الكرد لزكي ص ١٦٢ - ١٦٦ والعراق بين احتلال للعزاوي ١/٢١٣) . وعندها عين المغول أميراً كرديا على إربل هو مبارز الدين كك وضموا إليه حبتون (تاريخ الكرد لزكي ص ٣٨٤) . وفي سنة ١٢٦٨م نقل البطريك النسطوري مقره من بغداد إلى إربل (الحوادث الجامعة ص ٣٥٤ والموسوعة الإسلامية ١/٥٢٢) وفي سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤ م عين رجل نصراني اسمه مسعود البرقوطي ـ وهو من إحدى

قرى إربل ــ واليا على الموصل ، وفي سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م عزل البابا عن إربل حيث أضيفت إلى الموصل تحت حكم مسعود البرقوطي آنف الذكر (الحوادث الجامعة ص ٣٦١ و٣٩٨) .

ويذكر زكي (تاريخ الكرد ص ١٦٧ – ١٦٨) بأن فتنا ضد المغول قد وقعت بإربل ، كما أن نصارى الجيش المغولي من حامية إربل ثاروا سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م بقيادة رئيسهم زين الدين بالوا ، وبتأييد من العرب والأكراد ، ضد المغول (ذكر FIEY ٧٧/١ وقوع ثورة في منطقة إربل ضد المغول سنة ١٢٦١م) واستمرت ١٣ سنة ، ولكن المغول تمكنوا من القضاء عليها . وذكر ابن عنبة (عمدة ص ٣٤٨) أن الأمير عماد الدين ناصر بن ركن الدين محمد الدلقندي فتح إربل في أيام السلطان الايلخاني خدابنده وحكم بها . والمعروف أن هذا السلطان حكم بين ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م و٧١٦هـ / ١٣١٦م فلعل لفتح القلعة هذا صلة بإخماد الثورة سالفة الذكر ·شذرات ٦/ ٤٠، العراق بين احتلالين ١/ ٤٠٠ – ٤٢٢) . وذكر زكي أيضا وقوع حركات أخرى ضد المغول في المنطقة الواقعة بين إربل ومراغة ، وقد استعمل المغول القسوة والإرهاب في إخمادها . ويبدو أن إربل بقيت في هذا العهد مركزًا إداريًا لأحد الألوية ، وقد ضربت فيها بعض المسكوكات خلال عهد السلطان أبي سعيد الذي حكم بين ٧١٧هـ / ١٣١٧م و٧٣٧هـ / ١٣٣٥م ، كما ضربت باسم السلطان أحمد بهادر في سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م (العراق بين احتلالين للعزاوي ٤٤٧/١ و٥٢١ و٥٣٦ و٣٠٨/٢) .

٣ – تاريخ إربل حتى نهاية الحكم العثماني :

وعندما ظهر تيمورلنك وزحف غربا ، كانت إربل من بين أهدافه . فقام سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٤م حاكمها ــ واسمه علي ــ وبقية حكام المنطقة بتقديم الولاء إليه (العراق بين احتلالين ٢١١/٢ وتاريخ الكرد ص ١٧٠) . إلا أن سكان المنطقة انتفضوا على تيمورلنك سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١م بسبب الظلم الواقع عليهم ، مما حمله على ضربهم بقسوة (تاريخ الكرد ص ١٧١) . ثم تعاقبت الدول الأجنبية على حكم العراق (وبضمنه إربل) مثل

أ / دولة «قرة قوينيلي» التي حكمت بين ٨١٤هـ / ١٤١١م و٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ، وقد تردد ذكر إربل في أحداث السنوات ٨٣٧ و٨٣٩ و٨٦٩هـ (١٤٣٣ و١٤٣٥ و١٤٦٤م) انظر العراق بين احتلالين (٢١/٣ – ١٩٩ و٨٧ و٩٦ و٢٢٧ و٢٣٧) .

ب / دولة «أق قـــوينلي» التي حكمت بين ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م و ٩١٤هـ / ١٥٠٨م ، (المصدر السابق ٣/٢٠١ - ٢٢٢) .

ت / دولة الصـفـويين التي احـتلت العـراق في ٩١٤هـ / ١٥٠٨م و ٩٤١هـ / ٥٣٤م (المصدر السابق ٣/٢٢٥ - ٣٦٢) .

وبعد حروب عدة بين الصفويين والعثمانيين ، تمت الغلبة للعثمانيين سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م ، مما مهد السبيل أمام بني عثمان لفتح العراق ، وبذلك أصبحت منطقة إربل خاضعة للحكم العثماني ، وقد تخلل ذلك استيلاء نادر شاه على إربل سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م وهو في طريقه لحصار الموصل ، إلا أنه أخلاها بعد أن عجز عن فتح الموصل (العراق بين احتلالين ٣/٣٥٢ ، تاريخ الكرد لزكي ص ١٦٩ - ١٧٧ و ٢٢٩) . والظاهر أنها بقيت في هذا العهد تتمتع ببعض الأهمية ، إذ وُجدت فيها في عهد السلطان سليمان إمارة (حاكمية) يتولاها الأكراد الصورانيون ، غير أنه انتزعها منهم لوليها اليزيدية ، ثم أودعت بعد ذلك إلى أمير العمادية (العراق بين احتلالين ٤/٦٥ و ٢٥٠ - ٢٥٢) . وفي سنة ١١٦٠هـ ١٧٤٧م عُين أحد الباشوات حاكما عليها (المصدر السابق ٥/٢٣٨١) . وفي سنتي ١١٦٤ و ١٢١٩هـ (٧٥٠ و ١٨٠٤م) ورد ذكـر لواء بأسم إربل (المصـدر السـابق ٦/٣٤ و ٤٩ و ١٦٢) . كـمـا ذُكـر عـسكر إربل في سنتي ١٢٢٤ و ١٢٢٣هـ (١٨٠٩ و ١٨١٧م) (المصـدر السـابق ٦/١٨٩ و ٢٥٠) . إلا أن مكانة إربل تدهورت بعض الشيء وأُنزلت درجتها سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م فصارت قضاءً تابعا للواء كركوك (المصدر السابق ٨/١٦٧ - ١٦٩ وموسوعة البستاني ١/٧٧١) . والحقيقة أن إربل كانت في الغالب قضاءً تابعا لإيالة شهرزور ، التابعة بدورها لولاية الموصل . وقد طغى اسم شهرزور على اسم إربل في خلال العهد العثماني ، إذ كانت إيالة شهرزور هذه إحدى إيالات العراق (العراق بين احتلالين ٤/٣٧ و ٨٥ تاريخ الكرد ص ٢١٣ و ٢١٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٢) . هذا ويقـول زكي (تاريخ الكرد ص ٢٤٣) بأن مـحـمـد باشـا الرواندوزي الذي كانت له إمارة صغيرة في بعض أنحاء شمالي العراق ، استولى سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م على إربل لفترة قصيرة لم يذكر مداها . وما عدا ذلك فقد كانت إربل جـزءً من الدولة العثمانيـة ، وبقيت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (الموسوعة الإسلامية ٢/٢٨ ط ١٩٢٧) ثم احتلها الإنكليز في أعقاب هذه الحرب في سنة ١٩١٨م

(العـراق بين احتـلالين ٧/٣٠٩) ، إلا أن مـصـيـرها الذي كـان مـترتبطا بمصـيـر ولاية الموصل ، ظل معلقا إلى أن قررت عصبه الأمم سنة ١٩٢٥ إبقاء هذه الولاية (وبضمنها إربل) ضـمن المملكة العراقيـة الوطن الأم . أما الآن فهي مركز لأحد ألوية العراق ، كما أسلفنا ، (انظر كتاب مشكلة الموصل لفاضل حسين ، وتاريخ الوزارات العراقية للحسني ٢/٢٤ وتاريخ الكرد لزكي ص ٢٨٤ – ٢٨٥) .

الفصل الثاني
إمارة آل بكتكين (١) باربل

سبق وأن بينا في الفصل السابق أن إربل كانت إمارة منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، وأنه توالى على حكمها بعض العوائل الكردية من القبائل الهذبانية ، وقد برز من هؤلاء آل موسك وآل أبي الهيجاء وآل ميكائيل أو البابكرية (معجم ابن الفوطي ١/٣٧٠ وكامل ابن الأثير ٩/٢٧٥ و ٢٧٦ و ٤٣٩ ومخطوطتنا ورقة ٩٥ب و ١٧٤أ) . وذكر لنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٥أ و ٧٧ب و ١٧١ب) متوليا عليها اسمه عز الدين إلياس بن عبد الله ، ولكنه لم يذكر سني توليه . كذلك يمكننا القول بأنه كان لهذه الإمارة نوع من الاستقلال الذاتي المحدود ، الذي كان يخضع لحماية بغداد حينا ، والموصل حينا آخر . ويقول زكي (تاريخ الكرد ص ١٥٣ - ١٥٤) أن أبا الهيجاء بن عبد الله كان حاكما لإربل وأشيب وملحقاتهما ، وأنه كانت تابعا اسما لعماد الدين زنكي ، وعند وفاته اختلف ورثته في الأمر مما أدى إلى تدخل عماد الدين في هذه الإمارة ـ التي يصفها بأنها كردية ـ فاستولى عليها عام ٥٣٧هـ / ١١٤٢م (كذا) وأخضع قلاعها ، أقول لقد فات أمين زكي بأن إربل فُتحت سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، وأن أبا الهيجاء هذا توفي سنة ٥٢٨ هـ ، وأن سرفتكين الزيني كان نائبا لزين الدين علي باربل في سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م ، فكيف يكون استيلاء زنكي على إمارة إربل قد تم في سنة ٥٣٧هـ ؟ !!

وعلى كل حال ، فإن إربل كانت في بعض الأحيان تابعة لبغداد رأسا كما يستفاد من وجود جيشها إلى جانب الخليفة في قتاله للسلطان محمود . والذي أريد أن أنبه إليه بهذه المناسبة ، هو أن مجرد أن يكون لإربل جيش باسمها له من الدلالة على تمتعها بقدر غير قليل من الحكم الذاتي . وعلاوة على ما تقدم فقد كان لحكامها بعض مظاهر الاستقلال ، إذ ذكر ابن خلكان (١/٤٤١) نقلا عن الجزء المفقود من «تاريخ ابن المستوفي» بأن الحسين بن على الشاعر الطغرائي ـ الذي قتل سنة ٥١٣ أو ٥١٤هـ / ١١١٩م أو ١١٢٠م ـ قد تولى الوزارة بمدينة إربل . إلا أن الحكم الذاتي لإربل لم يترسخ

---

(١) ضبطها ابن خلكان (٣/٢٧٧) بالشكل المثبت أعلاه ، وقال انه اسم تركي ، ولم يذكر معناه . وجاء في القاموس التركي أن «بك BEG,BEY هي «الأمير» وتكين TEKEN في اللغة التركية القديمة هي الرئيس والحاكم والسيد (انظر أيضا قاموس SIR GERARD CLAUSON)

إلا بعد قيام حكم الأتابكة في الموصل سنة ٥٢١هـ أو ٥٢٢هـ / ١١٢٧ أو ١١٢٨م واستيلائهم على إربل في رمضان من سنة ٥٢٢ [1] . (وفيات ٧٩/٢ والباهر لابن الأثير ص ٣٤ والروضتين ٣٠/١ ومجلة دعوة الحق المغربية ـ شهر يناير سنة ١٩٧١م ص ١٦٩ - ١٧٢) وعلى قلاع الأكراد الحميدية (الباهر ص ٤٨ ، ٥٧ - ٥٨ و ١٣٥) . وقد اعتبر المرحوم العزاوي هذه السنة تاريخا لتأسيس إمارة إربل (مجلة مجمع دمشق مج ٢١ عدد ٩ و ١٠ ص ٤٠٤) ، أقول وقد جاء في منشور وجهه صلاح الدين إلى صاحب الموصل وغيره سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ، قوله بأن إربل من أنعام البيت الاتابكي على البيت الزيني مذ « ٧٠ عاما » (الروضتين ١٦٤/٢ ، وكوكبوري لطليمات ص ٩١) وهذا معناه أنها كانت لهم في سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م ، وهذا ما لا يمكن تأييده تاريخيا ، في حين أن زكي (تاريخ الكرد ص ١٥٢ حاشية) يرى أن الدولة الأتابكية (كذا) فرع إربل تأسست سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ، ثم يقول بأن الأيوبيين (كذا) قضوا عليها سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م . أقول والذي لاشك فيه أنه توهم فظن أن إمارة إربل تأسست سنة ٥٣٩هـ ، وهي السنة التي عُين فيها زين الدين على كوجك واليا على قلعة الموصل ، في حين أن زين الدين هذا قد ولى إربل قبل ذلك لأن مملوكه سرفتكين كان نائبا عنه فيها سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م (الباهر لابن الأثير ص ٧٢ والكامل له ٣٨/١١ - ٣٩ وابن خلكان ١٠/٢ - ١٢) . كذلك توهم أمين زكي في حكاية كون الأيوبيين هم الذين قضوا على إمارة آل بكتكين .

هذا وفي الوقت نفسه لا يمكن قبول قول المرحوم العزاوي بأن الإمارة المذكورة قد تأسست في سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، لأن ابن المستوفي يذكر وجود أبي الهيجاء بإربل في سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م (مخ ورقة ٩٥ب) ، وهذا يتفق وما ذكره ابن واصل (مفرج الكروب ٩٧/١) من أن إربل وأعمالها كانت لأبي الهيجاء الكردي الهذباني وورثته من بعده ، ثم تغلب عليها السلاجقة إلى أن صارت للسلطان مسعود بن محمد (وهو يومئذ صاحب مراغة قبل أن تصير إليه السلطنة) وله نائب في إربل ، فسار إليها زنكي سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م ونازلها وهاجم البلد فامتنعت عليه القلعة . ثم حصلت مفاوضات بينه

(١) ويؤيد هذا التاريخ ابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ» إذ يتحدث عن مسير زنكي بن آق سنقر إلى إربل وحصاره لها يسيراً ثم استيلائه عليها في أوائل شهر رمضان من سنة ٥٢٢ (عيون التواريخ ، بغداد ١٩٧٧م ، ج ١٢ ص ١٩٧) . وفي ذلك يقول ابن واصل أن زين الدين على كوجك استولى على إربل وأعمالها وكانت لأبي الهيجاء الكردي الهذباني (مفرج الكروب ج ١ ص ١٩٧) .

وبين مسعود أدت في النهاية إلى التنازل عن إربل إلى زنكي الذي أقطعها إلى زين الدين (كوكبوري لطليمات ص ٢٣ - ٢٤) .

ولنلق الآن نظرة عجلى على حكام إربل من آل بكتكين ونوابهم ، علما بأنه ليس هدفي هنا أن أكتب تاريخ آل بكتكين أو أترجم لهم ، ويكفي القارىء أن يرجع إلى سلسلة المقالات القيمة التي نشرها المرحوم عباس العزاوي في «مجلة المجمع العربي بدمشق» عن إمارة آل بكتكين (مج ٢١ لسنة ١٩٤٦ ص ٤٠٤ - ٤١٨ و ٥١٥ - ٥٢٩ ومج ٢٢ لسنة ١٩٤٧ ص ٥٥ - ٦٤ و١٣٨ - ١٤٩ و ٢٢٣ - ٢٣١) .

١ - زين الدين علي كوجك :

قائد تركماني كان من أقرب المقربين للأتابكة ، والركن الركين لدولتهم ، بل أن نصيحته لعماد الدين زنكي هي التي فتحت عليه أبواب الخير والشهرة وحملته إلى سدة الملك ، بعد أن كان تابعا لأمراء الأقاليم إذ أشار عليه زين الدين بأن ينقل انتماءه من هؤلاء الأمراء إلى السلطان محمود السلجوقي رأسا ، ويدخل في خدمته أملا في الحصول على مركز سام يتفق وهمته وكفاءته ، وهكذا كان (أتابكة ابن الأثير ص ٢٨ - ٣٠) . وفضلا عن ذلك فإن الصداقة التي كانت تربط بينهما منذ الصغر ـ وكانا من سن متقاربة ـ جعلت الثقة بينهما متبادلة إلى أبعد الحدود . وقد أسند زنكي قيادات جيوشه إلى زين الدين علي ، وكان يصحبه معه في غزواته وغيرها ، فكان معه في البصرة ، وكان معه عند حصار البيرة وحصن فنك ، وعند حصار الرها(أتابكية ابن الأثير ص ٢٧ و ٧٢ و ٧٣ و ١١٨) . ولم يفارقه إلا عندما قُتل نائب عماد الدين في الموصل ، وعندها أسند إليه منصب النيابة إلى جانب محافظة قلعة الموصل وذلك في سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م علاوة على إمارة إربل التي كانت له . وقد برهن زين الدين على كفاءة عالية مما عزز مكانته في الدولة ، حتى تمكن منها تمكنا عظيما ، ولاسيما بعد مقتل عماد الدين سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م (الباهر لابن الأثير ص ٨٢) . وقد ترسخت أقدامه في الحكم في عهد سيف الدين غازي ابن عماد الدين الذي أقره على ولاية قلعة الموصل وإمارة إربل وزاد في إقطاعه شهرزور التي كانت لسيف الدين نفسه أيام أبيه ، وأعلى مكانته وأسند إليه القيادة العامة لجيش الموصل ، حتى صار زين الدين صاحب الكلمة المطلقة ، خصوصا وأنه استطاع استرداد عدة مدن مثل دارا ونصيبين وكانتا لبني ارتق (الباهر

لابن الأثير ٩٠ – ٩٤) . والحقيقة أن مجرد كونه نائب القلعة يجعله صاحب أكبر مركز في الدولة بعد الملك ، فهو «نائب الملك» (اتابكة الموصل للجميلي ص ٢٣٧) .

وفي عهد قطب الدين ـ الذي تولى الحكم سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م ـ زاد اقطاع زين الدين ، إذ صارت إليه سنجار ، وصار النائب المطلق ، بل كان الملك لا يبرم أمراً إلا بموافقته . وبلغ من القوة أن تدخل في النزاع بين ملوك الأتابكة أنفسهم ، كما حصل في النزاع الذي وقع بين قطب الدين وعمه نور الدين (الباهر لابن الأثير ص ٩٦ – ٩٧) . بل صار يتدخل حتى بين السلاطين السلاجقة أنفسهم ، من ذلك مثلا أنه في سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م ألقى في شهرزور القبض على سليمان شاه ـ الذي كان هو السلطان الرسمي المعترف به من قبل الخليفة ، وكان قد انهزم أمام الملك السلجوقي محمد ـ وحمله زين الدين إلى الموصل فحبسه في قلعتها . ثم عاد في سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م فشارك في دعم سليمان شاه هذا وتنصيبه سلطانا (الباهر لابن الأثير ص ١٠٨ –١٠٩ و ١١٥ والكامل له ٧٧/١١ والمنتظم ١٩٢/١٠) .

والجدير بالذكر أن زين الدين كان يتولى قيادة الجيش الأتابكي الذي سار سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م لنجدة الملك محمد بن السلطان محمود الذي كان يحاصر بغداد في عهد الخليفة المقتفي . وقد راسل الخليفة زين الدين واستماله إلى أن تغيرت نيته في القتال ، مما ساعد على تثبيط الملك محمد . وقد ذكر ابن الأثير أن زين الدين هذا وعسكر الموصل لم يكونوا جادين في القتال رعاية للخليفة والمسلمين (الكامل ١٤١/١١ والباهر ص ١١٣ – ١١٤) . وقيل أيضا في هذا الصدد أن نور الدين ابن زنكي أرسل إلى زين الدين يلومه على اشتراك جيشه في قتال الخليفة ، وزاد على ذلك ابن الجوزي (المنتظم ١٧١/١٠ – ١٧٥) قائلا بأن نور الدين أمر كوجك بأن يرمي نفسه بين يدي الخليفة حتى يرضى . ويبدو أن زين الدين قد فاز برضى الخليفة العباسي ، خصوصا وأنه بعث إلى الخليفة المستنجد سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م يعتذر عن اشتراكه في حصار بغداد ، ويطلب الإذن له في الحج . فأرسل إليه الخليفة وفداً مؤلفاً من يوسف الدمشقي أستاذ المدرسة النظامية وسليمان بن قتلمش يطيبان قلبه نيابة عن الخليفة ويعرفانه الإذن في الحج . وقد حظي زين الدين عند وروده إلى بغداد في تلك السنة بمقابلة الخليفة الذي أكرمه وخلع عليه (المنتظم ١٩٦/١٠ وكامل ابن الأثير ٩٩/١١ والباهر له ص ١١٥) .

وفي سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م شارك زين الدين - وهو على مقدمة جيش الموصل - في واقعة حارم ضد الصليبيين، وابلى بلاء عظيما (الباهر لابن الاثير ص ١٢٣ - ١٢٤ ومرآة السبط ٨/١٩١ و٢٣٢ و٢٤٦ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٧٢) ثم تالق نجمه وزادت قوته حتى تمكن من ان يقبض على الوزير جمال الدين الاصفهاني وزير الموصل ويسجنه في القلعة (اتابكية ابن الاثير ص ٢١١ - ٢١٣).

ولقد كان زين الدين أثيراً عند الاتابكة نافذ الأمر، سواء لدى حكام الموصل أو حكام الشام. وخير دليل على ذلك أن نور الدين صاحب الشام أقطعه حران سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م وسماه «الاسفهسلار»، كما أنه بعث إليه ببعض الجوارى عند فتحه الرها (تاريخ القلانسي ص ٣٥٨ واتابكية ابن الأثير ص ١٥٧ وكوكبوري لطليمات ص ٣٤. أما الاسفهسلار فهي لفظ فارسي قديم أصله «سيهسالار» ومعناه قائد عام الجيش، كما في القاموس الفارسي). والحقيقة أن زين الدين خدم الاتابكة باخلاص تام من أيام عماد الدين، ثم ابنه سيف الدين غازي الذي أقره على ولايته وزاد في اقطاعه مكافأة له على اخلاصه، اذ كان له دور كبير في استدعاء سيف الدين من شهرزور وتنصيبه ملكا على الموصل، وبذلك أحبط محاولات الملك السلجوقي الب ارسلان الذي كان يحاول السيطرة على الموصل (اتابكية ابن الاثير ص ١٥٢ - ١٥٦). وخدم بعده اخاه قطب الدين مودود الذي كان لزين الدين يد كبرى ايضا في توليه الحكم (المصدر السابق ص ١٦٥ - ١٧٤). والحقيقة أن نور الدين ابن زنكي - رغم قوته وصلاته الطيبة مع زين الدين لم يستطع أن يبسط نفوذه على الموصل ألا بعد وفاة زين الدين (المصدر السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٨). فلقد كان من ابرز رجال الدولة الاتابكية وقائد جيوشها، وكان بتحالفه مع الوزير جمال الدين الأصفهاني، غدا الأمر النافذ في الدولة. حتى أن صلاح الدين - وفقا لابن خلكان ٦/١٤١ - لم تحدثه نفسه بمحاولة الاستيلاء على الموصل إلا بسبب وفاة زين الدين.

وعلى كل حال فإن زين الدين كبر وطعن في السن واستولى عليه الهرم وضعفت قوته واصابه العمى والصمم، فتقاعد سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٨م عن نيابة الاتابك قطب الدين صاحب الموصل، وتخلى عن كل اقطاعاته (يعتقد كاهن انه حصل لقاء هذا التنازل على حق الحكم الوراثي لابنائه في إربل، ولم يذكر المصدر. الموسوعة الاسلامية ١/١٦٠ ط

١٩٦٠م)، فوزعها على أولاد قطب الدين مكتفيا باربل حيث كان بيته وأولاده وخزائنه، وقد كان له من الاقطاع سنجار وحران وتكريت وشهرزور وقلعة عقر الحميدية وقلاع الهكارية كلها، علاوة على قلعة الموصل واربل. وقد توفى باربل فى تلك السنة. (الباهر لابن الاثير ص ١٣٥ والكامل له ٢١٨/١١ وابن خلكان ٢٧٠/٣).

لقد عُرف زين الدين بحسن السيرة والعدل فى الرعية وحب الخير وكرم اليد، علاوة على الفطنة والشجاعة والذكاء. وكان اداريا ناجحا اطمأن الناس اليه وأمنوا فازدادت العمارة بالموصل فى عهده. وقد بنى المدارس والربط والجسور والقناطر. وبنى بالموصل جامعا على هيئة مدرسة سميت فيما بعد بالمدرسة الكمالية. وعندما ادى فريضة الحج احسن إلى الناس فى الطريق وأكثر من الصدقات. وقد قيل أنه مات ولم يخلف شيئاً لأنه أنفق امواله فى أبواب البر والاحسان. ووصفه ابن الاثير بالكرم وكثرة العطاء، وقد مدحه الحيص بيص فاكرمه الف دينار، وذكره اسامة بن منقذ وذكر ثناء عماد الدين عليه واطرائه لشجاعته ووصفه له بانه يخاف الله ولا يخافه – أى لا يخاف زنكى – (اتابكية ابن الاثير ص ٢٠٥ و٢٤٤ ومرآة السبط ٢٧٣/٨، ابن خلكان ٣٩٦/٤، الاعتبار ص ١١٦ وطبعه حتى ص ١٥٦ – ١٥٧، العراق فى العصر السلجوقى لحسين أمين ص ١٩٠) والغريب أن ابن الجوزى (المنتظم ١٩٦/١٠) ذكر خلاف ذلك، فقال انه عندما حج لم يفعل شيئاً يُذكر به على كثرة ماله.

وزين الدين هذا من أصل تركمانى، كان يجيد التركية وفقا لما ذكره ابن الاثير (اتابكية ص ٢٠٥ و ٢٤١ – ٢٤٤) وابن خلكان (٢٧٠/٣) وأكده العزاوى (مجلة المجمع ص ٤١٣ ، ٤١٤). والغريب أن بعض المؤرخين الأجانب توهموا فظنوه كرديا (انظر FIEY ٧٤/١ ومقال STRECK فى الموسوعة الاسلامية). وكان من بداية أمره من المحسوبين على البيت الاتابكى، وليس من مماليكهم – على ما اعتقد – رغم أن بعض النصوص التاريخية قد توحى بخلاف ذلك، اذ توهم المرحوم العزاوى (مجلة المجمع ص٤١٣) والأستاذ طليمات (كوكبورى ص١٥) فظنا بأنه من مماليك قسيم الدولة والد عماد الدين زنكى. ويبدو أنهما استندا إلى ما قاله ابن الأثير (الباهر ص١٥) من أنه لما قُتل قسيم الدولة اقسنقر فى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م لم يخلف غير ولد واحد هو عماد الدين زنكى، وكان عمره عشر سنوات «فاجتمع عليه مماليك والده وأصحابه، وفيهم زين

الدين على، وهو صبى أيضاً. وقال ابن الفوطى (معجم ١/٧٢٧ – ٧٢٨) انه «اجتمع عليه مماليك أبيه، وفيهم زين الدين على كوجك» ونقل أسامة بن منقذ (الاعتبار ص ١١٦) عن زنكى تسميته لزين الدين هذا بأنه «أحد غلمانه» ومن الطبيعى أن هذه الاشارات أوحت للمؤرخين بأنه زين الدين كان مملوكا. والحقيقة انه لو كان مملوكا بالمعنى الصحيح لما عُرف اسم ابيه ولا اسم جده على الاطلاق، إذا جرت العادة أن يُنسب المماليك إلى آباء مجهولين يسمون «عبد الله» لعدم امكان معرفة آبائهم الحقيقيين. أما صاحبنا فهو «ابو الحسن على بن بكتكين بن محمد» الملقب بكوجك (ابن خلكان ٣/٢٧٠ وشذرات ٤/٢٠٩)، بل انه هو نفسه كان يملك عدداً من المماليك المنسوبين اليه أمثال سرفتكين الزينى ومجاهد الدين قايماز نائبيه على إربل وتبر أو طبر نائبه فى تكريت (معجم ابن الفوطى ٣/٢٧٦).

أما إذا سلمنا بأنه كان يعتبر مملوكا للاتابكة، فإن معنى «المملوك أو الغلام» هنا لا تعنى بالضرورة «الرق» مطلقا[1] فلقد قال صلاح الدين للقاضى الشهرزورى، عندما كلفه باقناع صاحب قلعة دمشق ليسلمها اليه بأنه هو (أى صلاح الدين) من مماليك الملك الصالح ابن نور الدين. بل أن أهل حلب قالوا مرة لصلاح الدين نفسه إنه «أحد غلمان نور الدين» (كامل ابن الاثير ١١/٢٧٥ والسلوك ١ / ٥٨ والروضتين ١/٢٣٧ والاتابكة للجميلى ص ١١٢ و١١٣). وواضح أن صلاح الدين لم يكن مملوكا لأحد أو غلاما رقيقا، وانما المعنى هنا هو المحسوبية والتبعية، ولاشك أن المؤرخين القدماء قد استعملوها بهذا المعنى. (وللأستزادة من أخبار زين الدين، تراجع علاوة على ما سبق، «الروضتين» ١/٤١ و٤٧ و٤٩ و٦٦ و١٢٣ و١٢٤ و١٣٢ – ١٣٥ و١٣٧ و١٣٩ و١٥٢ و«معجم ابن الفوطى» ١/٧٢٧ – ٧٢٨ و«تاريخ ابى الفداء» ٣/٢١ و٢٩ و٣٦ و٤٤ و«الوفيات» ٣/٢٧٠ والعقد الثمين» للفارسى ٢/٢١٢ و«المنتظم» ١٠/١٦٥ و١٦٩ – ١٧١ و«زبدة

---

(١) ذكر ابن حاتم فى كتابه «السمط الغالي الثمن» أن شريف مكة قبض سنة ٦٤٦هـ على الوالى المدعو «ابن المسيب» واحتاز أمواله، واتهمه بالخروج على ولى أمره سلطان اليمن من آل رسول. وقد أعلن شريف مكة انما هو فعل ذلك حرصا على مصلحة السلطان الذى إليه أمر مكة «وأنا غلامه فيها»، أى أن الشريف يعتبرَ نفسه غلاماً للسلطان فى مكة المكرمة أى تابعاً له. وليس معنى أنه من مماليكه طبعاً.

العصرة» ص ٢٠٧ و٢١١ و٢٢٥ و٢٤٢ و٢٤٧ و٢٨٨ و«العصر السلجوقي» لحسين أمين ص ١٥٩ و ٣٤٢ و٣٤٧، و«نجوم ابن تغرى بردى ٥/٣٨٤ ومخطوطتنا ورقة ١٨أ.

٢ - نواب زين الدين في إربل:

يتضح مما قدمنا أن زين الدين علي كانت له اقطاعات كثيرة، وكان مقامه بالموصل حيث كان نائب الملك والقائد العام لجيوشها، ولذلك كان له نواب يحكمون باسمه في اقطاعاته. ومن هؤلاء الأمير بوزان نائبه في شهرزور (الباهر لابن الاثير ص ١٠٨ - ١٠٩ والكامل له ١١/٧٧. هذا وقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٧٢ هـ عصيان صاحب شهرزور المدعو شهاب الدين محمد بن بوزان. انظر الباهر ص ١٧٨ والكامل ١١/٢٩٠ وفي المرجع الأخير تصحف اسم الاب إلى «يزان») وتبر صاحب تكريت، وقد مر ذكره. والذي يهمنا هنا أمر إربل التي كان لزين الدين فيها نائب ايضا لأنه لم يكن يحكمها بنفسه رغم انها كانت مقر اقامة أولاده وفيها بيته وخزائنه، كما اسلفنا، اذ آثر البقاء في الموصل يمارس وظائفه الأخرى، وهي أكثر أهمية ولا شك من حاكمية إربل، اما نوابه فيها فهم:

أ/ سرفتكين الزيني:

من المعلوم أن زين الدين تولى إربل سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣١ م، وليس من المعروف من هو أول نوابه فيها. الا اننا نعرف بأن أول نوابه الذين ذكرتهم كتب التاريخ هو مملوكه سرفتكين الزيني. وكان سرفتكين هذا من أهل الخير، اذ بنى عدة مساجد باربل وقراها، وانشأ أول مدرسة فيها - كما سنرى - وبنى سور مدينة فيد في الحجاز واثر آثاراً صالحة، كل ذلك من ماله الخاص. وقد توفي سنة ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣ م وفقا لما ذكره ابن خلكان (٢/١٠ - ١٢) الا أن ابن المستوفي ذكر وجوده حيا سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦ م (مخ ورقة ٢٠٤ ب). والحقيقة ان أخباره محدودة، وليس لدينا عنه الكثير، سوى انه عتيق زين الدين علي، وان ابن المستوفي سماه مرة «الحاجب» (مخ ورقة ١٢٦ ب و١٤٦ ب و٢٠٤ ب)، هذا وقد ترجم ابن الشعار لهارون بن الحسين بن كرجي، وقال انه كان ينوب عن سرفتكين هذا عند غيابه عن إربل (مخطوطة عقود الجمان، ج ٩ ورقة ١٥٧).

ب/ مجاهد الدين قايماز:

يبدو ان سرفتكين استمر في نيابة إربل حتى سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م عندما عين زين الدين نائبا غيره في إربل، هو عتيقه الآخر مجاهد الدين قايماز الخادم، الذي استمر يحكم إربل حتى بعد وفاة زين الدين - كما سنرى - وصيا على ولديه، كوكبوري أولا، ومن بعده يوسف، حتى سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣ م عندما اعتقله صاحب الموصل (مفرج ابن واصل ٢/١٥٣ وعبر الذهبي ٥/٢٨٠ وكوكبوري لطليمات ص ٢٤. وهنا ينبغي ان نشير مرة أخرى الى ما ذكره ابن المستوفي عن بقاء سرفتكين في السلطة حتى سنة ٥٦٢ هـ، مخ ورقة ٢٠٤ ب، وهذا امر يحتاج الى تحقيق). وكان قايماز من الساسة المجربين والحكام الاكفاء والقادة العسكريين الذين يستطيعون فرض أنفسهم حتى على خصومهم - كما حصل له مع صاحب الموصل الذي اعتقله أولا ثم أفرج عنه واستعان به (الباهر لابن الاثير ص ١٧٧ و١٩٣ والكامل له ١٢/١٠١ وكوكبوري لطليمات ص ٧١ - ٧٥). وفضلا عن ذلك كان اديبا عاقلا يعرف الفقه الحنفي، ويحفظ الكثير من التاريخ والشعر. وقد ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٥ أ و١١٣ ب) بين حكام إربل. وقد اتهمه المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٥١٦ - ٥١٧) بانه كان يحمل ايرادات إربل الى اتابكة الموصل، وبذلك نال الحظوة عندهم وجلب نقمة الاربليين عليه، وانه بسبب ذلك لم يترك اثراً جميلا باربل رغم كثرة آثاره بالموصل. أقول ان هذا غير صحيح لان ابن المستوفي ذكر له رباطا باربل سماه «الرباط المجاهدي»، أو «الخانقاه المجاهدية» كما ذكر له مدرسة باسم «المدرسة المجاهدية»، وقد ذكرها ابن خلكان (٣/٢٤٦) والسبكي (طبقات ٨/٣٠٨) والاسنوي (طبقات ١/٤٩٥) انظـر ايضا مخطوطتنا (ورقة ٣٣ ب و٧٥ ب و٨٧ ب و٨٨ أ و١٣٧ ب و١٦٢ أ). وعلاوة على ذلك فان ما ذكره العزاوي يخالف ما أكده ابن الاثير - وهو معاصر لقايماز - من ان الارابلة ارادوا، بعد وفاة زين الدين يوسف، استقدام قايماز ليملكوه عليهم لحسن سيرته فيهم (الكامل ١٢/٣٣ و٣٦ و٣٧).

وعلى كل حال فقد توفي قايماز بالموصل سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م. هذا وقد علمت قبل نشر هذا الكتاب بأن هناك دراسة قام بها الدكتور صادق أحمد جودة عن قايماز تقع في حوالى ٧٠ صفحة، وقد تم نشرها في عام ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٣ - إربل تحت حكم زين الدين يوسف:

لما توفي زين الدين علي، كان الحاكم الفعلي باربل والمتولي لامورها خادمة قايماز - كما مر معنا - وقد ورث الحكم ابنه مظفر الدين كوكبوري تحت وصاية قايماز لصغر سنه. الا انه لم يستطيع المكث طويلا لخلاف وقع بينه وبين قايمز، اذ كتب الأخير محضراً يصف فيه كوكبوري بانه ليس أهلا للحكم، وشاور الديوان العزيز في أمره ثم اعتقله واقام بدله اخاه زين الدين يوسف (الباهر لابن الاثير ص ١٣٦ وابن خلكان ٣/ ٢٤٦ و٢٧٠). وبقي قايماز في إربل حتى سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م عندما استدعاه الاتابك سيف الدين ليكون نائبه في قلعة الموصل والموكل اليه أزمة الامور في الحل والعقد، وكان طيلة وجوده باربل هو الحاكم الفعلي، بينما كان الحكم اسما فقط لزين الدين يوسف، حتى قال ابن الاثير (الباهر ص ١٧٧) «وكان البلد - أي إربل - لولد زين الدين اسما لا معنى تحته، ولمجاهد الدين صورة ومعنى» بل ان إربل بقيت تحت حكمه ومعها شهرزور ودقوقا وجزيرة ابن عمر وعقر الحميدية حتى سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣ م، وهي سنة عزله (كامل ابن الاثير ٢٨٧/١١ و٣٢٩ والباهر له ص ١٨٣)، فانتهز زين الدين يوسف الفرصة، فامتنع - بمجرد علمه بعزل قايماز - من طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل، وكتب الى صلاح الدين بالطاعة، مما شجع صلاح الدين على المطالبه باربل ضمن شروط الصلح التي يفاوضه عليهاصاحب الموصل (اتابكية ابن الأثير ص ٣٣٤ - ٣٣٥، والكامل له ٣٢٩/١١ - ٣٣٠)، لا سيما وان الخليفة سبق اصدر منشوراً في سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢ م باقرار ولاية نور الدين ابن زنكي على الموصل والجزيرة وإربل وغيرها من الولايات، وحيث ان صلاح الدين ولاشك، يعتبر نفسه الوارث الفعلي لممتلكات نور الدين بالنظر لصغر سن الوارث الشرعي وكثرة الطامعين من حوله، فانه ابدى اهتماما كبيراً بتحول زين الدين يوسف اليه (كامل ابن الاثير ١١/ ٢٥٨ وكوكبوري لطليمات ص ٥٠ - ٥١ والاتابكة للجميلي ص ١١٠ - ١١١).

وقد ذكر ابن شداد (سيرة صلاح ص ٥٤) بأن يوسف هذا استصرخ صلاح الدين في سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م، عندما هاجم عسكر الموصل إربل مع عسكر همذان، فنهبوا قراها واحرقوا بعضها، الا ان يوسف انتصر على المهاجمين (كامل ابن الاثير ١١/ ٣٣٢). ويرى المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٥٢٥) ان سبب هذا الهجوم يعود الى

رفض زين الدين يوسف حمل الاموال التي كان يحملها قايماز الى الموصل من قبل. وعلى كل حال فان استدراج يوسف لصلاح الدين دليل واضح على تحويل ولائه من ملوك الموصل الى صلاح الدين. ولقد ترجم هذا الولاء الى أفعال يوم قام صلاح الدين بحصار الموصل في سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م، فاعانه زين الدين في الحصار ، الا انه عجز عن فتحها، فتراجع عنها. وعندما عاد اليها صلاح الدين - وهي المرة الثالثة والأخيرة - وحصل الصلح بين الطرفين، خُطب لصلاح الدين بالموصل وأعطى شهرزور - وهي من ملحقات إربل - والبوازيج (كامل ابن الاثير ١١/ ١٩٢ - ١٩٣ ومرآة السبط ٨/ ٣٨٣ - ٣٨٤). ثم ان صلاح الدين كتب سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م الى البلاد الاسلامية، ومنها إربل، يدعو أهلها الى الجهاد. وكان بين امرائه في معركة عكا سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩ م القائد الكردي حسام الدين أبو الهيجاء السمين (توفي ابو الهيجاء سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م، وفقا لما ذكره ابن الاثير - الكامل ١٢/ ٨٢)، وهو من أكابر قادته، وكان من إربل. ولكن ابن الاثير (الكامل ١١/ ٣٤٩ و١٢/ ٢٢) لم يذكر عما اذا كان هذا القائد كان في تلك المعركة من قادة جيش إربل أم لا. علما بأن جيش إربل كان حاضراً في تلك المعركة بقيادة زين الدين يوسف نفسه (كامل ابن الاثير ١٢/ ٣٧، سيرة ابن شداد ص ٢٢ و١٤٤ وتاريخ ابن كثير ١٢/ ٣٣٨ وكوكبوري لطليمات ص ١٧١)، وقد توفي زين الدين هذا في معسكره سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠ م اثر مرض اصابه. وقد حاول الارابلة - كما مر معنا - استقدام قايماز ليملكوه عليهم، الا انه لم يتجرأ على الاستجابة لا هو ولا سيدة الاتابك مسعود، خوفا من صلاح الدين. ثم ان كوكبوري كان حاضراً عند وفاة اخيه ضمن عساكر صلاح الدين، فطلب اليه ان يوليه إربل بدلا من حران والرها، فاستجاب له صلاح الدين وأضاف اليه شهرزور وأعمالها ودربند قرابلي وبني قفجاق وفقا لما ذكره ابن الاثير (الكامل ١٢/ ٣٧). وقال السبط (المرآة ٨/ ٤٠٦) بأن يوسف مرض، وكان يمرضه أخوه مظفر الدين، ويقال ان سقاه سما فمات، ولا تأسف عليه، ولم يكترث بموته وحزن عليه صلاح الدين وبكى، لانه كان صاحبه ومصافيه، وحزن عليه المسلمون لعفته وشبابه. ولقد اثنى عليه مؤرخون آخرون كابن شداد (السيرة ص ١٢٣) الذي قال عن وصوله الى معسكر صلاح الدين سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠ م «قدم بعسكر حسن وتجمل جميل، فاحترمه السلطان واكرمه وانزله في خيمته وأكثر من ضيافته.. الخ «وقال العماد (الفتح القسي ص ٢١٧ / ٢١٨) مثل ذلك. وروى أبو الفداء

(التاريخ ٣/ ٧٧) قصيدة الشاعر الاربلي محمد بن يوسف البحراني في مدحه، ومطلعها:

رب دار بالحمى طال بلاها   عكف الركب عليها فبكاها

ومنها:

ان زين الدين اولانــي يداً   لم تدع لي رغبة فيما سواها

وعلى كل حال فان اخبار زين الدين قليلة، ولم ينسب اليه المؤرخون أعمالا تذكر رغم حكمه لاربل مدة عشرين عاما، بعضها تحت وصاية قايماز، واكثرها مستقلا بنفسه. ثم اننا لا نعرف بالضبط سنه، ويبدو انه مات شابا - كما اسلفنا - ولم يتجاوز ٣٥ عاما. وقد ذكر له العماد (الفتح ص ٢١٧ - ٢١٨) اسما تركيا هو «ينالتكين» وسماه العزاوى (مجلة المجمع ص ٥١٧ و٥٢٤ و٥٢٩) تسميتين «نيالتكين وانيالتكين» (ذكر SIR GERARD CLAUSON في قاموسه ان كلمة « INAL أو UNAL » تعني المؤتمن والموثوق به، و« TEKEN » تعني الامير، فيكون المعنى المراد هو «الأمير المؤتمن». كما ان زمباور (جدول السلالات الحاكمة ص ٢٢٨) توهم فلقبه «نور الدين» بدلا من «زين الدين» بينما ذكره العماد الأصفهاني في كتابه «البرق الشامي» (ص ٢٤٩ - ٢٥٤) وسماه «سيف الدين». وللاستزاده من أخباره راجع «كامل الاثير» ١٢/ ٣٦ و٣٧ و٦٠ - ٦٢ و٦٧ و٦٩ و٧٥ و٨٢ و٨٧ و٩١ و٩٥ و١٢٤ و١٢٦ و١٤٢ و١٤٤ و١٥٢ و١٥٧ و١٦٤ و١٨٧ و١٩٣ و«مرآة السبط» ٨/ ٢٤٩ و٢٧٢ و٢٧٣ و٣٢٣ و٣٨٢ و٤٠٦ و٤٣٥ و«سيرة ابن شداد» ص ١٢٣ و١٤٤ و«الروضتين» ٥٣/٢ و٥٤ و«تاريخ ابى الفداء» ٣/ ٧٩ و«عبر الذهبي» ٤/ ١٤٥ و١٨٢ و٢٦٠ و«شذرات» ٤/ ٤٨٨ و«العراق في العصر السلجوقى» لحسين أمين ص ٣٤٢ ومخطوطتنا ورقة ١٥٦ أ والفاسي: العقد الثمين، ج ٧ ص ١٠٠).

الفصل الثالث

مظفر الدين كوكبورى - حاكم إربل

نشاطه السياسي والعسكرى - أقاربه

ليس هدفي هنا أن أكتب تاريخ آل بكتكين - كما سبق وبينت - أو اترجم لمظفر الدين كوكبوري. ويكفي القارئ أن يرجع الى المقالات القيمة التى نشرها المرحوم العزاوى في «مجلة المجمع العربي بدمشق» وتقدمت الاشارة اليها، عن امارة إربل، والى الترجمة الضافية التى كتبها ابن خلكان (٣/ ٢٧٠) لكوكبورى، والى تلك التي نشرها حديثا الدكتور عبد القادر طليمات، ضمن سلسلة «اعلام العرب»، علاوة على مقال «آل بكتكين» في الموسوعة الاسلامية (١/ ١١٦٠ ط ١٩٦٠) ومقال IRBIL و ERBIL فيها، ومقال الموسوعة البريطانية (٢/ ١٩١٠ طبعة ١١) عن إربل، وكتاب Moh. Dynasties ص ١٦٥ تصنيف Lane - poole. وانما غرضي هنا هو القاء الاضواء - من خلال تلك الترجمة - على ما بلغته إربل من رفعة وتقدم مما أهلّها - رغم خمول ذكرها - لتتبوأ مكانة بارزة بين عواصم العالم الاسلامي وحواضره، الامر الذى حمل ابن المستوفي على كتابة تاريخها اسوة بغيرها من المدن التى أحرزت شيئا من الاهمية. (انظر ايضا الروضتين ١/ ١٥٢ و٢/ ٢٢ و٣٠ - ٣٢ و١٤٩ و١٥٠ و١٥٣ و١٦٤ و٢٠٩ و٢٢٦ و٢٢٨).

الا انني أود ان انبه هنا الى عدم اتفاقي مع المرحوم العزاوى فى بعض استنتاجاته، ولا سيما قوله ان امارة إربل عاشت بهناء واطمئنان، وانها بقيت مخلصة للايوبيين حتى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، وان حكام إربل لم يرهقوا أهلها بشيء فوق طاقتهم (مجلة المجمع ص ٤٠٥ و٤٠٦ و٤١١) وذلك للاسباب التي سيلمسها القارئ في ثنايا هذه الدراسة.

١ - ترجمة كوكبورى:

هو ابو سعيد كوكبوري (ويكتب احيانا «كوكبرى» وهذا ما اختاره العزاوى. وقد آثرنا الشكل الذى أخذ به ابن المستوفي، لانه هو الحجة المعول عليه فى هذا الشأن. هذا ولم يذكر أحد ممن ترجم له ان له اسما عربيا كاسم ابيه «على» واسم اخيه «يوسف») بن

علي بن بكتكين بن محمد، الملقب بالملك المعظم (سماه ابن المستوفي ورقة ٦٨ ب و٧٨ ب و١١٤ ب «السلطان»، وذكر العزاوي - مجلة المجمع ص ٥٢٨ - ان لقبه المحفور على النقد هو «ملك الامراء») مظفر الدين. ولد بقلعة الموصل ليلة ٢٧ من المحرم سنة ٥٤٩ هـ / ١٣ نيسان ١١٥٤ م، وتوفي باربل في ١٨ رمضان سنة ٦٣٠ هـ / ٥ حزيران ١٢٣٣ م. وكوكبوري اسم تركي معناه «ذئب أزرق» وفقا لما ذكره ابن خلكان في ترجمته، الامر الذي تؤيده المعاجم التركية (ذكر SIR GERARD CLAUSON في قاموسه ان كلمة KÖK أو GÖK تعني «الازرق» وان كلمة Bori تعني «الذئب» وان اسم مظفر الدين مكون من هاتين الكلمتين). وهو تركماني الاصل وليس كرديا (انظر ما ذكرناه عن ابيه زين الدين في الفصل السابق)، وقد ذكر ابن الاثير (اتابكية ص ٢٠٦) ان اباه عندما زار بغداد، تحدث باللغة التركية الى الخليفة المستنجد الذي كان يجيدها.

ولقد سبق لنا ان ذكرنا اباه والمناصب التي تولاها لاتابكة الموصل ووفاته سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م، وقلنا ان كوكبوري قد اعقبه في حكم إربل - وكان عمره ١٤ سنة - تحت وصاية اتابكه قايماز، الا ان الخلاف الذي دب بينه وبين وصيه مما حمله على مغادرة إربل، تاركا اخاه الاصغر يوسف في حكمها. ويقول ابن خلكان ان قايماز تعصب عليه وكتب محضراً مفاده ان كوكبوري ليس اهلا للحكم، وانه شاور الديوان العزيز» في أمره واعتقله، وأقام أخاه زين الدين يوسف مكانه. وذكر المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٤١٢) ان ولاية يوسف بدأت في سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م أو في سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م، وهذا يعني ان كوكبوري حكم بين ثلاث واربع سنوات. اما طليمات (كوكبوري ص ٤٩) فقد ذكر بأن ذلك قد وقع في سنة ٥٦٩ هـ، غير انني لم اهتد الى مرجع يؤيد هذه الاقوال. وعلى كل حال فان قايماز اخرج كوكبوري من إربل، فتوجه الى بغداد ولم يحصل له مقصود بها، فانتقل الى الموصل (وملكها يومئذ سيف الدين غازي الذي حكم من سنة ٥٦٥ هـ/ ١١٦٩م الى ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م)، واتصل بصاحبها عارضا عليه خدماته، فاقطعه حران فانتقل اليها واقام بها مدة. وقد قام بنشاط كبير في هذه الفترة، وساهم في الحروب والمنازعات التي نشبت بين الاتابكة وصلاح الدين، بل انه هزم بعض جيوش صلاح الدين عند حلب في سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ وقد ولاه الاتابك عز الدين

شحنكية حلب وديوانها سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م مع القيادة العامة لجيوشه. وقد حاول كوكبوري في سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م ان يستولي على حلب لنفسه (الروضتين ٢/ ٣٠ وابن خلكان ٤/٢٩٣ و٦/ ١٦٧ - ١٦٩، مرآة السبط ٨/ ٣٣٢ - ٣٣٤، تاريخ ابن العدم ٣/ ٢٧ و٤٨ و٥٠ - ٥٣ مفرج ابن واصل ٢/ ٣٩ و١١٨ وكوكبوري لطليمات ص ٨٠ - ٨٢). الا انه عاد فغير ولاءه فاتصل صلاح الدين، عندما رأى بثاقب بصيرته صعود نجمه وخوفا على نفسه من عدوه القديم مجاهد الدين قايماز الذى أصبح الحاكم الفعلي لمملكة الموصل التي كانت تتبعها حران. وحظي عند صلاح الدين، وتمكن منه فزاد في اقطاعه الرها سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م علاوة على حران (ذكر ابن جبير في رحلته ص ٢٤٨ - ٢٤٩ كوكبورى عند مروره بحران في ٧ من شهر ربيع الاول سنة ٥٨٠هـ /١٨ حزيران ١١٨٤م، وذكر تبعيته لصلاح الدين). ثم اضاف اليه سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب (وكانت قبله زوجة لسعد الدين مسعود بن معين الدين صاحب «قصر معين الدين» الذى في الغور، وقد توفي سنة ٥٨١ هـ) وليس في المراجع التي بين ايدينا ما يفيد بأن كوكبورى تزوج غيرها أو أنه كانت له سرية (تاريخ ابن العديم ٣/٥٧ - ٥٨ وابن خلكان ٤/ ٢٩٣ وكامل ابن الاثير ١١/ ١٨١ - ١٨٣، تاريخ ابي الفداء ٣/ ٦٤ - ٦٥). ولم يكتف كوكبورى بخلع طاعة اتابكة الموصل، بل انه حرض صلاح الدين على غزو الاقاليم التابعة لهم، وهذا ما تم بالفعل فيما بعد (الروضتين ٢/ ٣٠ وكوكبورى لطليمات ص ٨٤ - ٨٥).

ومنذ انضم كوكبورى الى صلاح الدين، وضع نفسه وجيشه تحت تصرفه، وقد اشترك معه في سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م في حصار الكرك التي كانت بيد الصلبيين (سيرة ابن شداد ص ٥٢ ومرآة السبط ٨/ ٣٨٢). ولكن الأمور لم تكن دائما في صفاء، ذلك أن كو كبورى - كما أسلفنا - كان يطْمع صلاح الدين بأخذ الموصل ويعده بالمساندة والدعم، ولكنه لم يف بوعده ولا سيما بالاموال الموعودة فلم يقدمها، مما حمل صلاح الدين على اعتقاله وأخذ مدينتي حران والرها منه الا انه سرعان ما اطلقه خوفا من انحراف الناس عنه لمكانة كوكبورى، ثم أعاد اليه مدينتيه (تاريخ ابن العديم ٣/ ٨٠ و٨٣، سيرة ابن شداد ص ٥٤، كامل ابن الاثير ١١/ ١٩٢ - ١٩٥، ابن خلكان ٤/ ١٧٢، مفرج ابن واصل ٢/ ١٦٤ و١٦٥، تاريخ ابى الفداء ٣/ ٦٩).

ثم شهد كوكبورى مع صلاح الدين مواقف كثيرة أظهر فيها الكثير مر النجدة والعزم وقوة النفس، وثبت في المواضع الحرجة. من ذلك انه فتح بنفسه الناصرة وصفورية في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وخاض معركة طبرية التى انهزم بها الصليبيون (الفتح القسي ص ٢٥ – ٢٦، كامل ابن الاثير ١١/ ٣٤٩ – ٣٥٠ و٣٥٢ ومجلة المجمع للعزاوى ص ٥٢٢ وكتاب كوكبورى لطليمات ص ١٥٤ و١٥٧)، ثم مساندته لصلاح الدين في سنة ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م في محاولته لاحتلال جبيل، وقد كان على مقدمة مسيرته، فانتصر كوكبورى واحتل أحد البرجين في «انطرسوس» مما فتح الطريق الى النصر النهائي. ولكن ابرز وقفاته هي وقفته في معركة «حطين» سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م، اذ كان على ميسرة صلاح الدين، واليه قيادة جيوش الشرق. وهذه تكفيه فخراً، لان ثباته هو وتقي الدين صاحب حماة – بعد انكسار الجيش الاسلامي بأسره – قد حمل المسلمين على العودة الى ميدان القتال ومعاودة الكرة، حتى فازوا بالنصر الحاسم (مرآة السبط ٨/ ٣٩٢ – ٣٩٣، الروضتين ٢/ ٧٥ و٨٠ و٨٢، ابن خلكان ٦/ ١٨٩، آثار البلاد للقزويني ص ١٩٢ – ١٩٣ سيرة ابن شداد ص ٨٧، نجوم ابن تغرى بردى ٦/ ٣٩).

وساهم كوكبورى أيضا، وكذلك أخوه يوسف في حصار عكا في سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م، وفى المصاف الأعظم الذى وقع عندها في تلك السنة (سيرة ابن شداد ص ١٠٩ – ١١٨ و١٢٣ – ١٢٤، مفرج ابن واصل ٢/ ٢٩٢، كوكبورى لطليمات ص ١٦١ – ١٦٥)، غير ان وفاة أخيه يوسف في تلك الاثناء (رمضان ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م) هي التي حملته على مفارقة صلاح الدين والذى وافق على التماس كوكبورى بتوليته إربل بدلا من حران والرها وسميساط وضم اليه شهرزور، وحرر له منشوراً بذلك، فتوجه اليها ودخل إربل فى ذى الحجة من تلك السنة (سيرة ابن شداد ١٢٣ – ١٢٤، تاريخ ابى الفداء ٤/ ١٠٨ ط اوربا، تاريخ ابن كثير ١٢/ ٣٣٨، كامل ابن الاثير ١٢/ ٢٣، الروضتين ٢/ ١٦٤) وقد ذكر السبط (مرآة ٨/ ٤٠٦) نقلا عن العماد (الفتح القسي ص ٢١٧ – ٢١٨ ط مصر) في معرض ذم كوكبوري، ان العماد لما ذهب اليه يعزيه بوفاة اخيه – ظناً منه انه قد حزن عليه – واذا به مشغول عن العزاء بحيازة أمواله وأسبابه، والقبض على عماله وكتابه. وهنا أود أن أقول بأن الذي رآه العماد لا يدل على تهاون كوكبورى بشأن

وفاة أخيه، وانما يدل على حزم ونباهة ورباطة جأش، إذ لم تذهله المصيبة فينسى واجباته كحاكم مسؤول، فيهأ للأمر عدته وعتاده. والجدير بالذكر ان العماد نفسه أثبت في «الفتح القسي» ثلاثة كتب - سيأتي ذكرها في موضعها - مرسلة من صلاح الدين الى كوكبورى حول الموقف العسكرى في فلسطين، مما يدل على تعظيمه لأن صلاح الدين لم يكن يرسل مثل تلك الرسائل الا الى ديوان الخلافة والملوك الكبار. فلو كان كوكبورى من صغار النفس وقلة الادراك بالشكل الذى نسبه اليه العماد، لما اكترث له صلاح الدين ولا اهتم به.

ويبدو ان كوكبورى، بعد ذهابه إلى إربل، توقف نشاطه في الميدان الفلسطيني بالنظر لانشغاله في توطيد أركان حكمه في امارته. وقد افتقده صلاح الدين فكتب اليه يشرح له تأزم الحال في عكا ويطلب مساعدته، الا ان كوكبورى لم يتمكن في بادئ الامر من الاستجابة للسبب الذى ذكرنا عن انشغاله في تعزيز مركزه في إربل، غير انه، بعد سقوط عكا ووصول رسائل أخرى من صلاح الدين، استجاب الى النداء فوراً، وشخص بنفسه الى ميدان القتال على رأس جيش إربلى، واستمر يحارب الى جانب صلاح الدين الى ان تم الصلح بينه وبين ملك الانكليز في سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م (الفتح القسي ص ٣٥٣ و٣٦٥ و٣٦٨ و٣٧٨ و٣٧٩ ط اوربا، سيرة ابن شداد ص ٢٣٦ وكوكبورى لطليمات ص ١٧١ - ١٨١)

هذا كل الذى نعرفه عن كوكبورى منذ ولادته حتى دخوله إربل، وان المراجع التي بين أيدينا لا تلقى أى ضوء على طفولته وشبابه، وعما اذا كان قد درس شيئا، ومن هم مدرسوه؟ ولكن سيرته - كما سنرى - تدل ولا شك على علم وفضل وثقافة وحسن ادراك، وهى تشكل دليلا واضحا على انه قد تعلم الشئ الكثير قبل أن يبلغ المكانة التى بلغ. وقد ذكر ابن خلكان انه كان يميل الى علم التاريخ، وانه كان يحفظ شيئا منه يذاكر به. الا ان طليمات (كوكبورى ص ٦٠ - ٦٣) يعتقد ان الذى أشرف على تربيته وتعليمه هو مجاهد الدين قايماز عتيق والده، وان ذلك الاشراف استمر حتى مغادرة كوكبورى لاربل اثر خلافه مع قايماز هذا. ولكن طليمات عجز عن ذكر أى مرجع يسند هذا الرأى. وكل الذى نستطيع قوله بهذا الصدد، هو ان المؤرخين يجمعون على ان عائلة زين الدين علي

وأولاده كانوا موجودين باربل عند تقاعده في سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م، وانسحابه من الحياة العامة وذهابه الى إربل، وكان قايماز آنذاك هو نائب زين الدين فيها، ولعله – كما يتوقع – قد اشرف على راحة عائلة مخدومة وتربية ابنائه.

٢ – طموحه السياسي ونشاطه العسكري:

ولأجل الوقوف على همة كوكبوري ومدى طموحه، يحسن بنا ان نعود الى أيامه الاولى، يوم اختلف مع وصيه قايماز على حكم إربل، مما أدى الى اعتقاله ثم اخراجه من المدينة. ولكنه لم يفقد الأمل، فحاول أولا مع الخليفة ثم مع صاحب الموصل لاسترداد إربل، الا انه لم يوفق في الحالتين، وانما وفق في الحصول على حاكمية حران. كذلك من المستحسن ان نشير الى المركز القوي الذي كان يحتله، من ذلك مثلا ان عز الدين صاحب الموصل، فكر – عقب وفاة صلاح الدين في سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م – واسترداد البلاد الجزرية من ورثة صلاح الدين، فحذره قايماز من انكشاف مؤخرته التي يهددها كوكبوري، مما يدل على قوة مركزه. ويذكر ابن الاثير (كامل ١٢/ ٦٥ واتابكية ص ٣٣٧ – ٣٣٩) بأن عز الدين هذا طلب الى اصحاب الاطراف تأييده في استرداد تلك البلاد، وكانت من ممتلكاته اصلا – الا انهم رفضوا. ويمكننا هنا ان نقول ان كوكبوري كان ضمن أصحاب الأطراف هؤلاء، وان سبب رفضه في الغالب، هو خشيته من ان يقوى مركز الاتابكة فيستردوا إربل منه (اتابكة للجميلي ص ١٧٤).

ومن نشاطات كوكبوري التي تستحق الذكر، انه استغل انشغال صاحب الموصل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م بمحاولة أخذ ميافارقين، فقصد نينوى وهاجمها وأحرق غلاتها، مما حمل صاحب الموصل على التخلي عن تلك المحاولة. ويبدو انه فعل ذلك لا ارضاءاً لطموحه فحسب، بل ودعما للايوبيين الذين تربطه بهم اواصر المصاهرة والتبعية السياسية. وتجلى ذلك بصورة أوضح في اتفاقه مع الملك الاشرف في سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م على منع صاحب الموصل عن أخذ أي شئ من ممتلكات العادل أخي صلاح الدين (كامل ابن الاثير ١٢/٧٥). ومثل آخر على طموح كوكبوري، هو اتفاقه في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م مع صاحب مراغة على قصد اذربيجان وأخذها من صاحبها

ابى بكر ابن البهلوان، بحجة انشغاله بالشرب واهماله شؤون المملكة ومصالح الرعية. الا ان صاحب اقليم الجبل تدخل في الامر وحذر كوكبورى من مهاجمة اذربيجان، وضرب على وتر حميته الاسلامية، مما حمله على التخلي عن تلك المغامرة (كامل ابن الاثير ١٢/ ٩٢، تاريخ ابن الساعي ص ١٧٥، تاريخ ابن كثير ١٣/٤٣).

وفي سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م، حاول الملك الايوبي العادل ان يأخذ سنجار، بالاتفاق مع صاحب الموصل، وقد استنجد صاحب سنجار بكوكبورى الذى رأى أن أخذ سنجار سيخل بالتوازن الاقليمى فى المنطقة، فحاول أولا ان يستشفع له عند العادل لخدماته السابقة وذبه عن ملكه، وهنا لجأ كوكبورى الى الدبلوماسية قبل اللجوء الى القوة. ولكن العادل رفض شفاعته ظنا منه بأن اتفاقه مع صاحب الموصل يجعله (أي العادل) في غني عن كوكبوري. فأغاظ ذلك كوكبورى وجعله يتحرك بسرعة، فبعث وزيره الى نور الدين صاحب الموصل يفرق بينه وبين العادل، ويعده بالمساعدة على منع العادل من أخذ سنجار، وسار اليه بجيش إربل وشهرزور. كما عمل على تعبئة خصوم العادل، ومنهم صاحب حلب الملك الظاهر ابن صلاح الدين، وصاحب الروم. واستعان ايضا بالخليفة الذى ارسل وفداً الى العادل - وكان يحاصر سنجار - يدعوه الى وقف القتال وعودة كل من المتخاصمين الى بلده. ولكن كوكبورى اراد الاستفادة من هذه المناسبة، فاستغل وجوده فى الموصل، فعمل على دعم صلاته بالبيت الاتابكي، فزوج ابنتيه لولدى نور الدين، وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكى (اتابكية ابن الاثير ص ٣٦٠ - ٣٦١ والكامل له ١٢/ ٩٢ و١١٠ - ١١١ ومرآة السبط ٨/ ٥٤١ وتاريخ ابن العديم ٣/ ١٦٠ - ١٦١ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٦. هذا وقد ذكر ابن كثير ١٣/ ٥٢ في حوادث سنة ٦٠٦ هـ وهى السنة التى وقع فيها حصار سنجار، بأنه وصل الى بغداد يونس بن بدران المصري، رئيس الشافعية بدمشق رسولا من العادل ومعه ابن اخي كوكبوري، يعتذر عن عمه ويطلب الرضى عنه، فاجيب الى ذلك، ولكنه لم يذكر المناسبة التى استدعت الاعتذار، انظر ايضا تاريخ ابن الساعي ص ٢٨٨).

وقد اضطرت هذه المصاهره كوكبوري ان شارك في المنازعات التى وقعت بين اعضاء البيت الاتابكي فيما بعد، فنراه في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م مثلا يناصر صهره

عماد الدين، ذلك ان عماد الدين هذا كان له منذ وفاة والده قلعتا العقر وشوش، وقد حاول بدر الدين لؤلؤ المتحكم بالموصل استرداد العمادية منه، الا ان كوكبورى سارع لنصرته – رغم تذكير لؤلؤ له بعهوده السابقة وايمانه بعدم التعرض لاعمال الموصل – وقد وقع القتال وانكسر جيش الموصل امام كوكبوري، وأفلت لؤلؤ هاربا. وقد أدى ذلك الى احتفاظ عماد الدين بالعمادية، بل وبسط سلطته على قلاع الهكارية والزوزان. فلجأ لؤلؤ الى الملك الاشرف الايوبي يستعديه، فكتب الاشرف الى كوكبوري يستقبح فعلته ويذكره بأن الوضع الراهن كان قد تقرر بحضور رسل كوكبوري، وان الاتفاق قد تم على ان يقف جميع الحكام ضد الناكث. ثم طالبه باعادة الوضع الى سابق عهده، والا فانه سيركب اليه وينهي الامر لكي يتفرغ المسلمون الى قتال الافرنج النازلين بمصر. الا ان أحداً لم يستجب لنداء الاشرف، بل ان كوكبوري أمد عماد الدين ببعض جيشه، غير انه انهزم الى إربل (يذكر ابن خلكان ٤/ ٢٩٥ ان عماد الدين هذا، قد أخذت منه قلعة العمادية وغيرها، مما كان في يده عقب وفاة أخيه القاهر. فانتقل الى إربل حيث أقام لدى صهره كوكبورى – وقد رآه ابن خلكان هناك – ثم قبض عليه كوكبورى لأسباب لم يذكرها ابن خلكان، وسيره الى الملك الاشرف – فى سنجار، فافرج عنه وعاد الى إربل. وقايضه كوكبوري عن العقر بشهرزور وأعمالها، فانتقل اليها وأقام فيها الى ان مات سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م). وفي هذه الاثناء كان الخليفة قد أرسل وفداً للصلح بين الفريقين، فتم ذلك في اوائل سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م. وقد ورد ذكر اشتراك جيش إربل في هذا النزاع في رسالة بعثها لؤلؤ الى الخليفة (كامل ابن الاثير ١٢/ ٢٢٢، رسائل ابن الاثير ص ٦٠ – ٦٢).

ولكن هذا لم يضع حداً لمطامع عماد الدين ومن ورائه كوكبورى، فانتهزا فرصة غياب بعض جيوش الموصل التي توجهت لمساعدة الاشرف في حربه ضد الافرنج في الشام ومصر. فسار كوكبوري الى مشارف الموصل، حيث وقع القتال، وقد تمكن جيش الموصل من الثبات مما أخاف كوكبورى، فعاد الى إربل وتم الصلح مرة اخرى. غير ان عماد الدين واصل اغراء بعض اصحاب القلاع، ففاز ببعضها. واخذ كوكبورى يراسل ملوك الاطراف للاستعانة بهم، فألفوا حلفا، الا ان هذا الحلف انفرط بوفاة رئيسه

صاحب بلاد الروم، وبلغ من طموح كوكبوري ان راسل حتى الامراء التابعين للاشرف نفسه واستمالهم، فأجابه منهم أحمد بن علي بن المشطوب (وهو إربلي الأصل) وغيره، ففارقوا الاشرف وتحالفوا ضده، لكن حلفهم لم يطل ايضا بسبب الدبلوماسية الحاذقة التي استخدمها الاشرف. ثم سار الاشرف بنفسه الي الموصل، وقد وردت عليه عند وصوله رسل الخليفة ورسل كوكبوري ساعيين في الصلح واعادة القلاع المأخوذة الى لؤلؤ، ما عدا قلعة العمادية التي أريد اعطاؤها الى عماد الدين لانهاء الفتنة والتفرغ لمقاتلة العدو. ثم توجه الاشرف قاصداً كوكبوري، فوصل قرية السلامية بالقرب من الزاب، وكان كوكبوري نازلا على الضفة الأخرى. وطالت المفاوضات بينهما، وأخيراً وافق الاشرف على مطالب كوكبوري تحت تأثير حليفه صاحب آمد الذي كان صديقا لكوكبوري، وتم الصلح. وكان ذلك في سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م (كامل ابن الاثير ١٢/ ١٢٩ - ١٣٣ و١٣٧ و١٥٤، تاريخ ابي الفداء ٣/ ١٢٠ و١٢١، عبر الذهبي ٥/ ٦٥).

غير ان هذا لم ينه مطامع كوكبوري في ان يكون قوة ذات وزن في المنطقة، فقد اتفق في سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م مع شهاب الدين غازي صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق، على قصد بلاد الملك الاشرف. ولكن الحملة لم تتحقق بسبب خشية المعظم من مفارقة ملكه من أخيه، ولسقوط صاحب خلاط أمام الأشرف . أما كوكبوري فانه حاصر الموصل عشرة أيام ولم يحصل على طائل، لان لؤلؤ أحسن الدفاع عنها، فرجع الى إربل بعد ان تخلى عنه حليفاه. وكان الحصار بدون قتال، ماعدا بعض المناوشات بين الترك التابعين لكوكبوري وبعض الفرسان والمشاة الذين كانوا يخرجون من الموصل من حين لآخر (كامل ابن الاثير ١٢/ ١٦٢ ومرآة السبط ٨/ ٦٣٢ - ٦٣٤ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٩٩ و١٠٤). وفي السنة التالية (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م) كان أهل العمادية يراسلون عماد الدين وكوكبوري وغيرهما، يؤلبونهم ضد لؤلؤ ويعدونهم بالانحياز اليهم، ولكن هذا الاخير تمكن من تثبيت حكمه في العمادية، الا ان ذلك لم يحل دون قيام كوكبوري بمحاولة جديدة، اذ اتفق في سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق وصاحب آمد وصاحب ماردين، ليقصدوا ممتلكات الاشراف فيقتسموها بينهم (توهم السيد طليمات ص ١٣١ - ١٣٢، فظن ان هذا الحلف قد حصل عند وفاة ناصر الدين محمود حفيد كوكبوري، وإعلان بدر الدين لؤلؤ نفسه ملكا على الموصل.

أقول أن وفاة محمود هذا وإعلان ملكية لؤلؤ كانا في الواقع في سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م، أي بعد وفاة كوكبوري بسنة. انظر الحوادث الجامعة ص ٥٢ وعبر الذهبي ٥/ ١٢٣ واتابكة الجميلي ص ٢٢٩. هذا وقد ذكر السبط في مرآته ٨/ ٦٨٠ بأن خورازمشاه تكش هو الذي قتل أهل دقوقا، وسار الى إربل فحاصرها فضايقه كوكبوري ثم عاهده على انه من أصحابه. ولم يذكر السبط تاريخ هذا الحادث، ولعله كان سابقا لهذا الحلف) فسار مظفر الدين الى الموصل، وسار خوارزمشاه الى خلاط، لكنه اضطر على العودة الى بلاده بسبب عصيان نائبه عليه. وقد استنجد لؤلؤ بالاشرف ليدفع كوكبوري عن الموصل. وسار المعظم نحو حمص وحماة، وانذر أخاه الاشرف بترك ماردين وحلب لقاء تعهده (أي المعظم) باعادة كوكبوري عن الموصل وقد تم الأتفاق على تلك الصورة بعد أن ضربت بعض أعمال الموصل بسبب تعرض كوكبوري لها، كما خربت بعض أعمال ماردين. (كامل ابن الاثير ١٢ / ٢٩٦ و٣٠١ وتاريخ ابى الفداء ٣ / ١٢٦. وقد توهم ابن العديم ٣/ ٢٠٨ فظن ان هذه الأحداث قد وقعت في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م).

وفي سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م، ظهر أمير تركماني يدعى شمس الدين صونج من قبيلة «قشيالوا»، وأخذ يقطع الطريق بين إربل وهمذان، بل واعتدى على قلعة «سارو» التابعة لكوكبوري، وقُتل عندها أحد امرائه وهو عز الدين الحميدي.فخرج اليه كوكبوري بجيشه محاولا استعادة القلعة، فلم يستطع لحصانتها ووافق على تركها لصونج المذكور (كامل ابن الاثير ١٢/ ٣٢٢). وفي السنة التالية، وصل التتر من اذربيجان بعد هزيمة ملكها جلال الدين، الى اعمال إربل فقتلوا في طريقهم الكثير من قبائل التركمان والاكراد وغيرهم، ونهبوا قرى إربل وقتلوا من ظفروا به من أهلها وارتكبوا الفظائع. فبرز اليهم كوكبوري بعساكره واستمد عساكر الموصل، الا ان التتر عادوا فتراجعوا الى اذربيجان مارين بالكرخيني ودقوقا دون أن يتعرض لهم أحد بسوء (كامل ابن الاثير ١٢/ ٣٢٥ و٣٢٧. وقد قال المؤلف ان المغول «دخلوا بلد إربل» في ذى الحجة من سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م. أقول لعل المقصود هو ولاية إربل وليس المدينة نفسها).

وفي السنة نفسها (٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م) حظي كوكبوري بشرف عظيم لم ينله الا القليل من حكام الولايات من أمثاله، ذلك انه زار بغداد زيارة رسمية احتفلت بها عاصمة

الخلافة بشكل منقطع النظير، وأعد له استقبال حافل وموكب ضخم. والأهم انه حظي مرتين بمشافهة الخليفة المستنصر له. وكان هذا يعد شرفا ما بعده شرف، غبطه عليه سائر الملوك، بل وتمنوا الفوز بمثله. حتى أن أحد ملوك بني أيوب (وهو الناصر داود صاحب الكرك) أبدى حسده لكوكبورى يوم حرمه الخليفة مثل ذلك الشرف، عندما جاء الى بغداد ملتجئا الى الخليفة في سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م، خوفا من عمه الكامل. وظن ان الخليفة المستنصر سيمنحه شرف المثول بين يديه، اسوة بكوكبوري لأنه يعتقد (أي الناصر داود) بأنه أكبر بيتا من كوكبوري وأعرق في الملك حسبما ذكر اليونيني (ذيل المرآة ١/ ١٣٢). ولكن ذلك لم يحصل رغم الحاح الناصر، وعندها نظم قصيدة فى مدح الخليفة، يعرض فيها بكوكبورى، منها:

وتسمح لي بالمال، والجاه بُغيتى ... وما الجاه الا بعض ما أنت واهبه

ويأتيك غيرى من بلاد قريبة ... له الأمن فيها صاحب لا يجانبه

فيلقي دُنُـوّاً منك لم الق مثله ... ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه

وينظر من لألاء قدسك نظرة ... فيرجع والنور الامامي صاحبه

ولو كان يعلوني بنفس ورتبة ... وصدق ولاء لستُ فيه اصاقبه

لكنتُ أسلي النفس عما أرومه ... وكنت أذود العين عما يراقبه

ولكنه مثلي ولو قلت انني ... أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

وما أنا ممن يملأ المال عينه ... ولا بسوى التقريب تُقضي مآربه

ويبدو ان الخليفة كان يمتنع من لقاء الناصر داود رعاية منه لخاطر الملك الكامل. ولذلك آثر ان يجمع بين الاعتبارين، فاستقبل الناصر ليلا وأعاده الى الكرك (تاريخ ابي الفداء ٣/ ١٥٧). وهنا أقول، لا أدري كيف جاز للناصر داود ان يعتبر نفسه اعرق بيتا من بيت كوكبوري في حين ان والد كوكبوري كان هو المقدم لدى الاتابكة والقائد العام لجيوشهم في وقت كان فيه بنو أيوب لا يزالون مجرد ضباط في الجيش الاتابكي، ولم تحن لهم بعد فرصة الظهور الا يوم انتدبهم نور الدين ابن زنكى للسفر الى مصر دعما

لاحد وزرائها. وحتى هنا تطاول لمنافسة صلاح الدين، قطب الدين ابن اخي ابي الهيجاء صاحب إربل – وكان ضمن جيش شيركوه – فقد طالب سنة ٥٦٤ هـ لنفسه بوزارة مصر، لكنها صارت الى صلاح الدين. وكان ذلك بعد وفاة زين الدين علي والد كوكبوري، أي يوم كان كوكبوري حاكما علي إربل. انظر اتابكية ابن الاثير ص ٢٥٥).

هذا وقد حفظ لنا كتاب « الحوادث الجامعة » (ص ١٩ – ٢٣) وصفا رائعا لهذه الزيارة، وما تم خلالها من مراسم، وتقديم الهدايا من الخيل والتحف الى الخليفة، وما ناله كوكبورى ووفده من رعاية وتكريم وخلع وهدايا، كانت أضعاف ما قدمه هو، وان الخليفة خلع عليه خلعة السلطنة. وكان ذلك سببا في ان يقطع كوكبوري– عند عودته الى اربل – خطبة بني أيوب ويقتصر على اسم الخليفة. وقد سجل هذه المناسبة شاعر إربلي، هو أسعد بن إبراهيم النشابي الشيباني، وكان يرافق كوكبورى، بخطبة استهلها بقوله:

جلالة هيبة هذا المقامْ　　تحيّر عالـــم علـــم الكلامْ
كأن المناجي بها قائما　　يناجي النبي – عليه السلام–

والجدير بالذكر ان هذا الشاعر قد بلغ منزلة عالية في إربل، اذ تولى ديوان انشائها (الحوادث الجامعة ص ١٩ – ٢٣، مرآة السبط ٨/ ٦٨٠ وذيل اليونيني ١/ ١١١ – ١٢٣ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ١٢٩).

ويرى المرحوم العزاوى (مجلة المجمع ص ٥٥ و٥٢٩) ان سبب التجاء كوكبوري الى الخليفة، هو ما بلغه عن تواطؤ الاشرف الأيوبى مع بدر الدين لؤلؤ المتحكم بالموصل، على القضاء على امارة إربل. وعلى كل حال فقد تم في خلال هذه الزيارة الاتفاق بين كوكبوري وديوان الخلافة على تسليم إربل الى حكومة بغداد عند وفاته، اذ لم يعقب كوكبوري أحداً من الذكور (الحوادث الجامعة ص ٢٣). وتأييداً لهذا الاتفاق قطع كوكبورى الخطبة لبني أيوب، كما اسلفنا (مجلة المجمع – العزاوى ص ٥٥) وأصبح كوكبوري تابعا للخليفة رأسا، وبالفعل فان الخليفة – عند ورود التتر في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م الى جهات شهرزور – ندب كوكبوري لردهم وأمده بجيش منه مما أدى الى

تراجعهم. فاقامت الجيوش الاسلامية تجاههم عدة شهور، الا ان مرض كوكبوري اضطره على العودة الى إربل (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٢٢). ولم يطل عمر كوكبوري بعد ذلك، اذ توفي في السنة التالية (رمضان ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م، ولكن القزويني انفرد في «آثار البلاد» ص ١٩٣ بالقول انه توفي في سنة ٦٢٩هـ). وبذلك طويت صفحة وضاءة من صفحات التاريخ الاسلامي (تكملة المنذرى - مخ كمبرج ورقة ١٠٨ وتذكرة الذهبي ٤/ ١٤٥٦ والعبر له ٥/ ١٢١ وآثار البلاد للقزويني ص ١٩٢ - ١٩٣، والحوادث الجامعة ص ٤٤ وابن خلكان ٣/ ٢٧٢ - ٢٧٦ ومرآة اليافعي ٤/ ٧٠، وتاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٦ - ١٣٧ وتاريخ ابي الفداء ٤/ ٣٩٨ ومرآة السبط ٨/ ٦٨٠ وذيل الروضتين ص ١٦١).

وقد اثنى أكثر المؤرخين على كوكبوري(١)

فوصفوه بالكرم والجود والشهامة والشجاعة، والعقل والعلم والعدل. وعددوا مآثره الحسنة، ومواقفه المعروفة في الدفاع عن الاسلام، وزهده وتقشفه في حياته الخاصة، وتوفير المال من أجل انفاقه في وجوه الخير، واقدامه في الحروب حتى ليقال انه لم ينكسر في معركة قط. غير ان أبا الفداء، رغم ثنائه عليه قال «وفيه تعسف في استخراج الأموال من الرعية». أما الذهبي فقد قال في العبر «انه رغم صغر مملكته أنشأ مدرستين وأربع خوانك وداراً للارامل، وأخرى للايتام، وثالثة للقطاء، وبيمارستان»، وقد بلغ الاعجاب بأحد علماء بغداد - وهو عبد الرحمن بن علي بن التانرايا، وقد زار إربل - ان صنف كتابا في سيرة كوكبوري، سماه «سيرة العبد المقبل والملك الغازي سلطان إربل» غير ان هذا الكتاب - مع الاسف - لا يزال في عداد المفقودات (مخطوطتنا ورقة ١٥٦أ).

ولكن الدكتور طليمات لم يقتنع بهذه الصفات العالية لكوكبوري، فجادت قريحته عليه بوصف جديد - لا نرى ان كوكبوري يرضاه لنفسه لو كان حيا - اذ قال عنه (كوكبورى ص ٢٠١) «وكان مظفر الدين اشتراكيا بكل ما في الاشتراكية من معنى وقد استفاد

---

(١) ترجم له الفاسي في «العقد الثمين» ترجمة ضافية، وقال انه ذكره في كتابه للمآثر الحسنة التي صنعها بظاهر مكة، ثم عدّد تلك المآثر العقد الثمين، جـ٧ ص ١٠٠ - ١٠٧.

مجتمعه من اشتراكيته فائدة كبيرة الخ..» ويبدو ان السيد طليمات - وقد صنف كتابه في سنة ١٩٦٣ - كان متأثراً بموجة الاشتراكية التي غمرت آنذاك مصر وبعض البلاد العربية الاخرى، فرأى من المفيد ان يظهر كوكبورى بمظهر عصرنا الحاضر رغم مرور ستة قرون ونصف القرن على وفاته!!، وانه خشي ان ينتقص من قدر كوكبورى اذا لم يُظهره بذلك المظهر!!. ومن الغريب ان السيد طليمات اقتبس - ضمن مقتبسات أخرى - قول يا قوت فيه عن بره بالفقراء، وكثرة صدقاته على الغرباء، ولكنه غض الطرف عما قاله يا قوت عنه من ارهاقه للرعية في جباية الاموال، وأجله الى موضع آخر خصصه للدفاع عن كوكبورى وتبرير مصادرته للأموال (كوكبورى ص ٢٣٤).

أقول، ولعل من الانصاف ان نذكر هنا بأن كوكبورى لم يتورع عن مصادرة ٧٠٠٠ دينار من ابن المستوفي، بدون وجه حق، رغم ان الرجل خدمه خدمة لله خالصة، فكان كاتب انشائه لمدة ٤٠ سنة بدون أجر ولا جراية، فضلا عن وظائفه الأخرى. وكان في منتهى الاستقامة والعفة، فلم يمد يده الى أموال الدولة ولا الى أموال الناس. ومع ذلك اعتقله وحبسه وقيده بقيد ثقيل، حتى اضطر الى بيع أملاكه ودفع المبلغ المذكور (ابن الشعار - مخ استنابول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩، هذا وقد ذكر ابن الشعار أيضا ٩ ورقة ٩٤ بأن كوكبورى كان كثير المصادرات لأرباب الولايات ومتصرفى الدواوين).

وعلى أى حال فقد كانت أمنية ان يدفن فى الحجاز، حيث أعد لنفسه قبة تحت جبل عرفات، وأوصى بحمل جثمانه اليها. فدفن باربل مؤقتا، ثم سير جثمانه مع ركب الحجاج، غير ان اختلال الأمن سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م منع الحجاج من مواصلة السفر، فعادوا من بعض الطريق، ومعهم الجثمان وقد شاء الله ان يتم فى مقبرة الأمام علي - كرم الله وجهه - فى النجف الأشرف، وفقاًلما ذكره ابن خلكان (انظر ايضا الحوادث الجامعة ص ٦٢ ومرآة السبط ٨/ ٦٨٠).

٣ - أقارب كوكبورى:

ولتتم الصورة عن آل بكتكين، أرى من المفيد أن أذكر شيئا عن أقارب كوكبورى، ولا أقول عقبه، لانه لم يخلف ذكراً كما اسلفنا، رغم تكنيته بأبي سعيد. ولقد ذكر ابن

الفوطي (معجم ٤/ ٧٢٥) الأمير قطب الدين أبي الحسن موسى بن آقبوري بن علي بن بكتكين، ابن أخي كوكبوري ولم يزدنا شيئا عن أحواله سوى قوله «وكان فارسيا جواداً، وانه رأى بخط بعض الأرابلة قولهم كنا في خدمة الأمير قطب الدين موسى، فأنشدنا — وذكر بيتين من الشعر— ». وقد ذكر كل من ابن الساعي (تاريخ ٢٨٨) وابن كثير (تاريخ ١٣/ ٥٢) في حوادث سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م، وصول ابن اخي كوكبورى الى بغداد برسالة تتضمن الاعتذار عن عمه، وطلب الرضى عنه. فأجيب الى ذلك. الا انهما لم يذكرا اسمه ولا سبب الاعتذار. فلعله هو قطب الدين موسى أنف الذكر. ومن الغريب حقا في هذا الصدد ان كتب التاريخ التي ترجمت لكوكبورى وغيره من آل بكتكين، لم تذكر ان لكوكبوري أخا غير زين الدين يوسف الذى تقدم ذكره. وعلى كل حال فالظاهر ان أخاه الآخر هو آقبورى، ومعناه «الذئب الابيض»، لكننا لا نعرف عنه شيئا حتى الآن.

وهذا وقد سبق لنا ان أشرنا الى زواج ابنتي كوكبوري من أميرين من آل زنكى أتابكة الموصل، احدهما هو عماد الدين بن نور الدين (توهم ابن الفوطي ٢/ ٧٢٦ — ٧٢٧، فظن ان كوكبوري هو جده لأمه. وظن المرحوم مصطفى جواد انه خاله. والصحيح ما اثبتناه من انه أبو زوجته، وهذا ما قاله ابن خلكان ٤/ ٢٩٥، الذي رأي عماد الدين هذا شخصيا باربل) وقد ساعده كوكبوري على أخذ بعض القلاع، وقد توفى في شهرزور في سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م حيث كان يحكمها — كما أسلفنا — وقد خلف ولداً واحداً مات بعده بقليل (تاريخ ابي الفداء ٣/ ١٢٠ — ١٢١). والثانى هو عز الدين مسعود الذي تزوج ابنة كوكبوري الاخرى، وقد تولى حكم الموصل وتوفى سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٧م (ابن خلكان ٥/ ٢٠٨ ط الدكتور إحسان عباس). وهناك بطبيعة الحال أحفاد كوكبوري من ابنتيه هاتين، وكان آخرهم ناصر الدين محمود الذى مات فى سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م، وبموته انتهى ملك الاتابكة فى الموصل، فتربع على عرشها بدر الدين لؤلؤ (المرجع السابق).

وينبغى ألا يفوتنا هنا ذكر ربيعة خاتون بنت أيوب، شقيقة صلاح الدين وزوجة كوكبورى، وهى زوجته الوحيدة على ما أظن. وقد انتقلت عقب وفاته من إربل الى دمشق، وعاشت بها الى سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م حيث توفيت بعد ان جاوزت الثمانين، ودفنت بالمدرسة التي بنتها لفقهاء الحنابلة بسفح جبل قاسيون (مرآة السبط ٨/ ٦٨٢ وابن

خلكان ٣/ ٢٧٧). والجدير بالذكر أن ترجمتها في «نجوم ابن تغري بردي» ٦/ ٢٥٣ قد اصابها شئ من الاضطراب، اذ جاء فيها: «وبعد موته (أي موت زوجها الأول) تزوجها صلاح الدين بن مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل». أقول لعل المحقق أخطأ فى قراءة هذه العبارة، أو انها تصحفت بقلم الناسخ في الأصل، وصحة قراءتها هى «فزّوجها صلاح الدين من مظفر الدين ... الخ» وهذا يتفق مع واقع الحال.

الفصل الرابع
انجازات كوكبورى الثقافية
والعمرانية والخيرية

١ - دور كوكبورى فى تطوير إربل:

على الرغم من انقسام العالم الاسلامي، في العهد الذى نحن بصدده، الى دول ودويلات، بل والى حاكميات مدن صغيرة، وما استتبع ذلك من تدهور سياسي وعسكري أطمع الاعداء بالمسلمين، فصاروا ينتقصون من أطراف بلادهم، بل ويقصدون القلب منها أحيانا، وان الحكام المسلمين انفسهم صاروا يقاتلون بعضهم بعضا في كثير من الأحيان. غير أن هذا الانقسام لم يكن كله شراً محضا، لان حكام تلك الدويلات الصغيرة والمدن أخذوا يهتمون بعواصمهم ويتبارون مع جيرانهم، ويقلدون عاصمة الخلافة وعواصم الاقاليم الكبرى، فى اقامة المدارس وإنشاء الملاجئ والمستشفيات ونشر العلم وتشجيع العلماء، والعمل على تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية لمن يحتاجها من السكان.

ولقد برزت إربل في هذا المضمار بشكل يفوق حد التصور، لا سيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار صغر رقعة هذه الولاية وقلة أهميتها بالنسبة للولايات المجاورة لها، وخمول ذكرها الذى فطن اليه ابنها البار مؤرخنا ابن المستوفى، فسمى إربل «البلد الخامل» (اذ سمى كتابه فى تاريخ إربل «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل» انظر دراستنا عن هذا الكتاب). وقد بلغت إربل أوج عزها في عهد كوكبورى الذي برهن على كفاءة في الادارة وسعة في الافق، وإقبال على العلم وأهله، وتفانٍ في حب الخير، وحب للعمران منقطع النظير. وهنا يحسن بنا ان نتحسس الاسباب التي جعلت من هذا الحاكم يتصف بكل تلك الصفات، حتى أمكن وصفه بالحاكم المستنير. وفي اعتقادى انه تثقف من صغره بثقافة دينية حببت الى نفسه فعل الخير واحترام أهل العلم. ثم أنه تأثر ولا شك

بسيرة والده الذي، كما رأينا، كان رجلا طيبا، كريم النفس، محبا للخير، وقد بني في الموصل مسجداً ورباطا، وفي المسجد مدرسة. وعلاوة على ذلك فان كوكبورى قد سنحت له الفرصة للسفر ومشاهدة مظاهر التقدم فى العواصم الاسلامية، وفي مقدمتها بغداد عاصمة الخلافة، التي زارها عقب طرده من إربل، ثم الموصل وحلب ودمشق، وكلها كانت مراكز للعلم والمعرفة، زاخرة بالمدارس والربط ودور الحديث وما الى ذلك من مؤسسات العلم وعمل الخير. وأغلب الظن أنه تأثر في بنائه للمدارس بما شاهده في بغداد بالدرجة الاولى، كما انه شاهد دار المضيف (أو سمع به على الأقل) الذى بناه الخليفة الناصر فى عاصمته. أما فيما يتعلق بانشائه داراً للحديث، فعله تأثر بنور الدين ابن زنكى الذي أنشأ أول دار حديث بدمشق، كما تأثر به فيما يتعلق بعنايته باليتامي من الاطفال. ويمكن القول أنه تأثر أيضا بصلاح الدين الذي كان يحترم العلماء ويقربهم. ويبدو انه خلال وجوده بحران كان وثيق الصلة بأهل العلم، من ذلك ما يرويه ابن المستوفي عن محاورة جرت فى حران بين كوكبورى والمحدث عبد القادر الرهاوى (مخ ورقة ٥٥ أ)، واستمرت صلته هذه بهم بعد ان جاء الى إربل، بل أخذت في الازدهار، حتى أنه بعث الى المؤرخ ابن شداد - عندما كان الاخير في حلب - بكتاب توصية بحق ابن خلكان وأخيه، عند مغادرتهما إربل متوجهين الى حلب، فأفسح لهما ابن شداد مجالا في مدرسته واعتنى بهما (ابن خلكان ٦/ ٨٧). أما الآثار التى خلفها كوكبورى فهى كثيرة بهما يصعب الاحاطة بها، ويكفى هنا ان نشير الى ما ذكره ياقوت عن إربل عندما قال «وفي ربض هذه القلعة في عصرنا هذا، مدينة كبيرة، عريضة طويلة، قام بعمارتها وبناء سورها وأسواقها وقيسارياتها الأمير مظفر الدين كوكبورى «(بلدان ١/ ١٨٧ ومخطوطتنا ورقة ١٨١أ). وقد أشارت المراجع العربية الى العديد من مساجد إربل ومدارسها، كمسجد الكف الذى أشار اليه القزويني (آثار البلاد ص ١٩٢ - ١٩٣ ومخطوطتنا ورقة ٩٩ ب) الذى يظن كاتب مقال «إربل» في الموسوعة الاسلامية بأنه هو الخرائب القائمة الآن لمسجد كبير وبقايا المنارة التي تحمل اسم كوكبوري، والتى يبلغ

ارتفاع العمود المتبقي منها ٢٠٢ أقدام، ومحيط قاعدتها ٤٨ قدما (انظر الشكل ٣٠) وهذا يعطي فكرة على مدى ضخامة انجازاته العمرانية.

وهنا أرى من المفيد العودة الى ابن خلكان الذى قال «وأما سيرته، فقد كان له في فعل الخير غرائب، ولم يُسمع أن أحداً فعل في ذلك ما فعله، ولم يكن شيء في الدنيا أحب اليه من الصدقة. كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج، في عدة مواضع من البلد، يجتمع في كل موضع خلق كثير يُفرق عليهم في أول النهار. واذا نزل يكون قد اجتمع جمع كثير عند الدار فيُدخلهم اليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من شتاء أو صيف، ومع الكسوة شيء من الذهب».

وانه بنى أربع خانقاهات (ملاجيء) ملأها بالزمنى والعميان (مخطوطتنا ورقة ٨٤أ) وقدر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم. وكان يزورهم بنفسه مرتين في الاسبوع، ويدخل الى غرفة كل واحد منهم، يسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة، وهكذا حتى يدور عليهم جميعهم. وهو يباسطهم ويمازحهم ويجبر قلوبهم. وأقام لكل واحد من الزمنى قائداً يخدمه (مرآة السبط ٨/ ٦٨٠). وكذلك بنى داراً مماثلة للنساء الأرامل وأخرى للأيتام، وداراً لُلقطاء رتب بها جماعة من المراضع. وأجرى على أهل تلك الدور ما يحتاجون اليه في كل يوم. وكان يتفقدهم بنفسه أيضا، ويزيدهم في العطاء وكان اذا كبرت اليتيمة زوجها (المرجع السابق). وكان كوكبوري مولعا بمؤاساة المرضى، فيزورهم في البيمارستان (المستشفى) ويقف عند كل مريض ويسأله عن حاله وبيته وما يشتهيه. وفضلا عن ذلك فقد كان له دار مضيف (المرجع السابق ومخطوطتنا ورقة ٦٨ ب و١٦٧أ و١٧٩ ب)، يدخل اليها كل قادم الى إربل من فقير أو فقيه أو غيرهما. وزاد على ذلك ابن المستوفي قوله «ينزل فيها كل قادم لاربل في طلب معروفه» وانه أوقف عليها الأموال، وكان لها متول يدير شؤونها وكان لا يمنع من دخولها أحد قصدها. وللضيوف مرتبات من الغداء والعشاء، واذا عزموا على السفر أعطوا نفقته بما يناسب مكانة كل منهم. أقول أن هذا ولا شك يدل على نضج الوعي الاجتماعي لدى كوكبوري وحكومته.

وبنى ايضا مدرسة ورتب فيها فقهاء من الشافعية والحنفية، وكان يأتيها بنفسه

ويعمل السماط بها، بل ويبيت في المدرسة ويعمل السماع. (ابن خلكان ٣/ ٢٧٣) وكثيراً ما كان ينعم على هؤلاء الفقهاء بشيء من الانعام. ولم تكن له لذة سوى السماع، كان لا يتعاطى المنكر، بل منع من إدخال المنكرات الى إربل. وكذلك بنى للصوفية رباطين كانا زاخرين بخلق كثير من المقيمين والواردين، ويجتمع فيهما في المواسم أعداد ضخمة. وكان للرباطين أوقاف كثيرة تفي بما يحتاج اليه أولئك الواردين أثناء اقامتهم وسفرهم، إذ كان لكل منهم نفقة يأخذها عند السفر. وكثيراً ما كان ياتي كوكبورى لزيارة الصوفية ويعمل عندهم السماعات. وقد ذكر القزويني (آثار البلاد ص ١٩٢ - ١٩٣) بأن كوكبوري كان معتقداً بأهل التصوف، وانه بنى لهم رباطا فيه ٢٠٠ صوفي. وذكر رعايته لهم وإكرامه إياهم، وقال انه يفعل مثل ذلك وأكثر مع أهل الخير والصلاح. أقول وسنتحدث عن رُبط إربل في موضع آخر من هذا الفصل ان شاء الله.

والظاهر ان المدينة قد اتسعت في عهد كوكبوري، فصارت تضم الى جانب القلعة التي وصفها ياقوت، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم، والتي كان فيها ديوانه المسمى «دار الامارة» (الحوادث الجامعة ص ٤٥ - ٥٠، ومجلة المجمع ص ٦٢ للعزاوي)، الربض الذي قال عنه ياقوت أنه «مدينة عريضة طويلة، قام بعمارتها وبناء سورها وعمارة اسواقها وقيسارياتها (ذكر ابن المستوفي ورقة ١٨١أ)، بأن كوكبورى بنى قيسارية باربل فى سنة ٥٩٥ هـ) الامير مظفر الدين... فأقام بها، وقامت بمقامه بها، لها سوق الخ..» ثم ذكر ان زروعها على القُني المستنبطة تحت الارض. ويبدو ان سكان المدينة قد تكاثروا في عهد كوكبوري، لا سيما وقد كثر الوافدون عليها من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، مما حمله على بناء الربض (ذكر ابن المستوفي هذا الربض ورقة ٤٤ أ) وتوسيعه. ويبدو أن أهلها ساهموا من جانبهم في عمارتها، اذ يذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧٢ ب) بأن أحد الارابلة، وقد كان إمام الحرم المكي، عندما عاد الى إربل بنى فيها بيتا على هيئة دور مكة. هذا ومن الغريب أن ياقوت بعد ان يطنب في وصف إربل، يعود فيقول «ومع سعة هذه المدينة، فبنيانها وطباعها بالقري أشبه منها بالمدن». أقول ولا أدرى كيف تكون قرية

وهي تضم دار حديث وخمس مدارس – ينبغي ان نقارنها بالكليات في عصرنا الحاضر – وعدد غير قليل من المساجد والربط ودور العجزة ومستشفى؟ ويكفي أن نقول بأن خرائب إربل بدت سنة ١٨٢٦، بدت في نظر RICH وكأنها من السعة تقارب بغداد التي زارها في تلك السنة (انظر كتابه ٢/ ١٤ – ١٨).

واستكمالا لصورة إربل العمرانية، لعل من المفيد ان نتناول بعض مرافقها العامة، ومنها: –

سور إربل:

ومن الطبيعي أن مدينة كبيرة كالتي وصفها ياقوت، تحتاج الى سور يحميها من الطامعين، وقد أشار ياقوت الى قيام كوكبوري ببناء سور لربض إربل والظاهر انه كان يحيط بالربض وليس بالقلعة التي كان لها سورها الخاص وهي قائمة على نشز من الأرض، وهي بحد ذاتها حصن حصين، اذ صمدت للمغول عندما احتلوا الربض في سنة ٦٣٤ هـ (انظر الحوادث الجامعة ص ٩٨ ومخطوطتنا ورقة ١ ب و٦ ب و٢٩ ب و٢٤ ب و ٤٣ب و٦٢ب و٦٥ب و٩٨أ و١٠٤أ و١١٣ب و١١٩ ب و١٢٠ أ و١٩٧ أ). وقد جاءت الاشارة الى هذا السور عند هجوم التتر على إربل في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦ م، ونقبهم إياه، ودخولهم المدينة عنوة وقتلهم كل من كان فيها، حتى صارت الآبار والدور قبوراً لأهلها، ونتنت المدينة من كثرة الجيف، كما انهم نهبوا أموال السكان. وكان مملوك الخليفة، باتكين في القلعة فقاتلهم وشحت المياه في داخلها ومات بعض من فيها عطشا، الا ان المغول غادروها (مرآة السبط ٨/ ٦٩٩ والحوادث ص ٩٨ وتاريخ ابن كثير١٣/ ١٤٥)

لقد ذكر ابن المستوفي سور إربل، وذكر بعض أبوابه ومنها الباب الشرقي والباب الغربي وباب الفرج، وباب الفحامية وهو باب المدينة القديمة، وباب الموصل (مخ ورقة ٤٥ ب و٩٩ ب و١٠٤أ و١٧٦ أ). وفي «الحوادث الجامعة» ص ٤٦ ذكر «باب عمكا» و«باب اللونه». وهما – كما قال المصنف – من أعظم أبواب إربل. ويستفاد من المرجع الأخير، أنه كان لهذا السور خندق.

مقابر إربل:

بالنظر لاتساع المدينة، كما تقدم، وكثرة سكانها احتاجت الى عدة مقابر. وقد ذكر ابن المستوفى «المقبرة العامة» التى تسمى المقبرة الشرقية أيضا. وقد دُفن فيها الكثير من الأعوام (مخ ورقة ٥ أ و٩ أ، و١٢ أ و٢٧ ب و٨٤ أ و١٠٤ أ و١٣٧ ب و١٦٤ أ)، وذكر «مقبرة مشهد الكف» (مخ ورقة ٩٩ ب)، وذكر مقبرة أخرى لم يسمها، وهى قرب سوق البياطرية القديمة (مخ ورقة ١٠٣ ب)، وذكر مقبرة رابعة، قال انها قريبة من الميدان» الذى يعرف بتل زطي (مخ ورقة ١١٣ أ) أقول لعلها «مقبرة باب الميدان» التي ذكرها ابن خلكان (٣/ ١٧١) وهى المقبرة التي دفن بها الشاعر الاربلى عيسى بن سنجر الحاجرى المتوفى باربل سنة ٦٣٢ هـ. وهناك مقابر أخرى مخصصة لجهات معينة، منها مقابر المارستان ومقبرة الزمنى والعميان القائمة بالقرب من ملجأهم (مخ ٨٤ أ و١١٤ ب و٢١٦ب) هذا وقد سبق لنا وأشرنا الى مقبرة الصوفية. ثم ان ابن خلكان (٤/ ١٠٤) ذكر بأن الشاعر الاربلى محمد بن يوسف البحراني المتوفى سنة ٥٨٥ هـ. قد دُفن فى مقبرة أهله ، قِبليّ البَسْت باربل ، والبست هذا واد عريض فى وسط إربل تجرى فيه مياه السيول في الشتاء والربيع (ابن خلكان ٤/ ١٠٣).

مواضع متفرقة باربل:

ولكي تستتم الصورة، رأيت من المفيد الاشارة الى بعض المواضع المتفرقة باربل، وقد نوه عنها ابن المستوفى في ثنايا كتابه، ومنها حبس القلعة أو حبس الحلبى، والقناة المهدمة بظاهر إربل، وكان فيها بستان وبركة جميلة وصفها أحد الشعراء، والكجك وهو بظاهر إربل ايضا ، ويبدو انه كان مكانا لنزول بعض الوافدين، ودرب المنارة، وكانت فيه زاوية ينزل فيها الوافدون الى إربل (مخ ورقة ١٣ ب و١٩ أ و٤٥ ب و١٧٥أ و١٩٦ أ). وفيها أيضا ميدان يعرف بتل زطي (مخ ورقة ١١٣ أ) ولعله الميدان الذى ذكر ابن خلكان إقامة مهرجان المولد النبوى الشريف فيه، والقطوية والنبراث (مخ ورقة ١٧٥ أ) ولعلهما محلتان من محلات إربل أو قريتان من قراها ، ويوجد في الاخيرة منهما مسجد. وكان في إربل عدة أسواق، يختص بعضها بأهل مهنة معينة لا يشاركهم فيها غيرهم، من ذلك سوق

الصفارين وسوق البياطرة وسوق الغراطين، كذلك هناك باب الفحامية (مخ ورقة ٥٦ أ و٧٥ ب و١٠٢ ب و١٠٤أ و٢١٨ أ)، هذا فضلا عن القيساريات والخانات (مخ ورقة ٨١ أ و١١٨ب).

٢ - بره بالفقراء وأهل العلم:

لقد أطنب المؤرخون - ولا سيما ابن خلكان - في وصف بر كوكبوري بالفقراء وأهل العلم، ومما يؤثر عنه، انه اذا استطاب طعاما لا يختص به وحده، بل يأكل منه لقمة، ثم يأمر اتباعه بحمله الى بعض المشايخ المشهورين بالخير والصلاح من الرجال والنساء. ويفعل مثل ذلك في الفواكه والحلوى، ولقد كان كريم الاخلاق، كثير التواضع، حسن العقيدة، شديد الميل الى أهل السنة والجماعة. ولا ينفق عنده من أرباب العلوم، سوى الفقهاء والمحدثين، ومن عداهم لا يعطيه شيئا الا تكلفا. ولا يعطي الشعراء الا اذا قصدوه، لانه لا يخيب أمل من يطلب بره. هذا ما قاله ابن خلكان، ثم يستطرد فيقول «ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب، وان شهرته تغني عن الاطالة.» ثم يعتذر الى القارىء اذا ما وجد في ترجمته لكوكبوري تطويلا، فيقول «ولم يكن سببه، الا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكرها، ولو عملنا مهما عملنا». ثم يشير الى الايادي البيضاء التي له ولأسلافه على ابن خلكان وأسلافه. ويؤكد انه لم يذكر شيئا عنه على سبيل المبالغة، بل كل ما ذكره كان عن مشاهدة وعيان، وانما حذف بعض ما يعرف طلبا لايجاز (انظر ايضا آثار البلاد للقزويني ص ١٩٢ - ١٩٣).

والطريف ان ياقوت (بلدان ١/ ١٨٦ - ١٨٧) يصف كوكبوري، بعد أن يتحدث عن هيبته وشهامته وتجربته مما شجع الغرباء على سكنى مدينته، فيقول «وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة، فانه كثير الظلم عسوف بالرعاية، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها. وهو مع ذلك مفضل على الفقراء، كثير الصدقات على الغرباء، يسيّر الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الاسارى الخ..» ثم يستشهد بقول الشاعر:

كساعية للخير من كسب فرجها ... لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

وقال السبط (مرآه ٨/ ٦٨٠) بهذا الصدد مستغربا، بأنه «رغم مناقبه لم يسلم من ألسنة الناس، فيقولون انه يصادر أصحاب دواوينه وكتابه ويستأصلهم. فلعله أطلع منهم على خيانات، فرأى أخذ الأموال وانفاقها في أبواب البر والقربات أولى «وقال انه حكي له باربل، بأن ما ينفقه في كل سنة، عدا نفقات المولد، ٢٠٠ ألف دينار على الخانقاه و١٠٠ ألف على دار المنيف و١٠٠ ألف على الأسارى و٣٠ ألفا في الحرمين والسبيل، غير صدقات السر. وانه لم يكن يلبس غير ثوب قيمته ٥ دراهم. ولقد عاتبته زوجته على ذلك، فقال لها انه يفضل ان يلبس ثوبا بخمسة دراهم بدلا من عشرة، ويتصدق بالباقي. ثم روى عنه قوله «لما أخذت إربل آليتُ على نفسي أن أقسّم مغلها ثلاثة أقسام، قسم أنفقه في أبواب البر، وقسم للجند وما يخصني، وقسم أدخره لعدو يقصدني». ولقد رأى الدكتور طليمات في هذا التقسيم، وفي هذا الزهد اشتراكية نسبها الى كوكبوري، كما تقدم.

ان أعمال الخير والبر التي قام بها كوكبوري يضيق بها مثل هذا البحث، مهما حاولنا الايجاز. لقد كان مقبلا على العلماء والمتصوفة، فيرعاهم ويزورهم في منازلهم ويقرر لهم الصدقات السنوية والرسوم والصلات ويتقبل وساطتهم، وبذلك يُعلي من جاههم ومكانتهم بين الناس (مخطوطتنا ورقة ٥١ ب و٥٥ أ و٥٨ أ و٦١ أ و٦٧ ب و٧٢ أ و٧٦ ب و٨٣ ب و٨٥ أ و١١٤ ب، و١٢٠ ب و١٢٢ أ و١٢٤ ب و١١٥ ب)، كما يفسح في بلاده للصلحاء ممن أُخرجوا من ديارهم بسبب قولهم للحق والتزامهم به. ويمتدح العلماء المتمسكين بأهداب الدين الحنيف (مخطوطتنا ورقة ٢٧ ب و١٧٥) مما جعل بلاطه مثابة للعلماء من كل مكان، فقصده هؤلاء من الأماكن القريبة كبغداد والموصل وواسط، ومن البعيدة النائية كايران وتركستان، بل ومن الاكثر بعدا كمصر والمغرب والاندلس، وكان بعضهم يتعقبه حتى ولو لم يكن باربل (مصدر سابق ورقة ١٢٢ أ وب و١٦١ أ و١٦٧ أ و١٩٦ أ و٢١٥ ب). بل كان يحرص على أن يشهد جنازة من مات منهم، وأكثر من ذلك فقد كان ينزل بنفسه في قبورهم ويلحدهم، ثم يحضر تربتهم عدة أيام ويمنح يتاماهم ما يحتاجون اليه من نفقة، ويوكل الاطباء لمعالجة من مرض منهم، كما كان يقبل شفاعتهم ووساطتهم في قضاء

حوائج الناس كما اسلفنا (مصدر سابق ورقة ٥ أ و٧ أ و١٢ ب و٧٦ب و٧٧ أ و٨٦ أ و١٣٨ أ). وكان يستخلص لنفسه بعضا منهم، ويحضر مجالس الوعظ والدروس وسماع الحديث والكتب المؤلفة فيه، ويسمع نصائحهم دون ان ينزعج من شدة لهجتها، وكان يشعر بالوجد من عظة الواعظين (مصدر سابق ورقة ٣٤ ب و٦٧ ب، ٧٢ أ و٧٨ ب و٨١ أ و٨٨ أ و١١٥ أ و١٤٩ أ). وكان يجهز هؤلاء العلماء ومن في ركابهم بما يلزمهم لأداء فريضة الحج (مصدر سابق ورقة ٣٤ ب و٧٢ أ و١٤٩ أ)، ويقوم برواية أخبارهم، فينقلها عنه ابن المستوفي (مصدر سابق ورقة ١٧٤ ب)، وينكر على المنحرفين عن جادة الاسلام انحرافهم، لكنه لا يحرمهم من معروفه (مصدر سابق ورقة ٤٥ أ - ٤٦ ب). وان انشاءه لدار المضيف وخانقاه الصوفية، ما هو الا من مظاهر حبه للخير ومساعدة المحتاجين، بل وغير المحتاجين أيضا (مصدر سابق ورقة ٦٨ ب و٩٩ ب و١٦٧ أ). ولقد كانت صلاته تعم جميع القاصدين له، ومنهم الرسل الوافدين بمهام رسمية. ولذا فانه استحق من كل مَّنْ عرفه الذكر العطر، فكثر مادحوه، وقلّ ذاموه. وقد روى ابن المستوفي بعض الشعر الذى نظم في مدحه (مصدر سابق ورقة ٣٥ أ و٨٦ أ و١٥٤ ب، و١٥٦ أ وب و٢٢٧ ب)، ولعل من المناسب ان اجتزىء بضعة أبيات من قصيدة عبد الرحمن بن علي البغدادى المعروف بابن التانرايا ، إذ يقول:

أهـــدى لـــولاى المجا ـــد فى ايالته المنفيـة

عقـــد المكـارم من منـا قب عصر مولانا الخليفه

در العطـــاطا مـن جوا هر حسن سيرته الشريفه

الى ان يقول:

مـــا نال نـــو ملك علا ك من الانام ولا نصيفـه

عظمـــت ميـــلاد النبو ة واحتشدت له مضيفـه

فبنـــاك تـأمن في المعا د اذ النفوس غدا مخيفه

فاسلم وعش وانعش لعبـ ـــد حـــاله حال ضعيفه

وذكر ابن خلكان (١/ ١٩٠ – ١٩١) ان ابن دحية، عندما صنف لكوكبورى كتاب التنوير» عن مولد الرسول (ﷺ) ضم اليه قصيدة يمدح بها كوكبورى، مطلعها:

لولا الوشاة وهُمُ   أعداؤنا ماوَهَموا

ويبدو ان ابن خلكان اكتشف بأن هذه القصيدة منحولة، وهى لابن مماتي في مدح الملك الكامل الأيوبي.

هذا وقد نظم ابن المستوفي أكثر من قصيدة في مدح كوكبوري، ذكر بعضها ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ – ٣٩) وقد رأيتُ من الأفضل ايرادها عند الحديث عن شعر ابن المستوفي في الفصل المخصص لذلك من هذا البحث. كما ان الفخر ابن تيمية بعث الى كوكبوري برسالة يدعو له فيها بالتأييد، وقد صدَّرها بمقطوعة مطلعها:

زد بالعطاش على دموعي   وا ملأ مزادات الجميع

كذلك مدحه عبد الحميد المقدسي، الذي زار إربل، بقصيدة جاء فيها:

وأنت أكرم مَنْ طاف الوفود به   ومنَ الى شرف العلياء منسوبُ

يا مَن أعاد عيون المجد مبصرَة   قميص نائله والمجد يعقوب

٣ – مهرجان إربل – الاحتفال بالمولد النبوى:

اهتم كوكبوري اهتماما كبيراً بالاحتفال بمولد النبى (ص)، ويقول ابن خلكان (٤/ ٢٧٣) بأن الوصف يقصر عن الاحاطة به، وقد عرف القاصي والداني باهتمامه به، وكان الناس يقصدون إربل من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، فيأتون من بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وغيرها. ويبدأ الاحتفال في المحرم من كل عام، فيتوافد الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ويتكاملون فى ربيع الأول. وتقام عندئذ القباب التي أمر كوكبوري بنصبها – وهى من الخشب ذات أربع أو خمس طبقات، وعددها عشرون أو أكثر – واحدة منها له، والباقي لأمراء دولته. وتُزين تلك القباب في أول صفر بأنواع الزينة، وتخصص كل قبة لقعود جوق من المغاني، وأخرى لجوق من أرباب الخيال، ومن أصحاب الملاهي، وهكذا. وتتاح الفرصه للناس أن يتفرجوا على مايدور فى

تلك القباب وكان كوكبورى يقصدها بنفسه بعد صلاة العصر ويقف على نشاط أهلها ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم. ثم يبيت في الخانقاه (الرباط) ويعمل السمـ ع ويخرج للصيد بعد صلاة الصبح. ثم يرجع الى القلعة قبل الظهر، وهكذا كل يوم الى ليلة المولد الذي كان يحتفل به بين الثامن من ربيع الأول والثاني عشر منه. فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج عدداً كبيراً من الابل والبقر والغنم وزفها بالطبول والمغاني والملاهي الى الميدان، حيث تم نحرها وطبخها. وتقام السماعات ليلة المولد، فبعد أن يؤدى صلاة المغرب في القلعة، ينزل منها وبين يديه الشموع المضاءة - وفي جملتها شمعتان أو أربع من الشموع الموكبية التي تُحمل كل واحدة منها على بغل - حتى ينتهي الى الخانقاه. فاذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة الى الخانقاه على أيدى الصوفية، وعلى كل يد واحد منهم بقجة، وهم متتابعون الواحد وراء الآخر. وعندها ينزل هو الى الخانقاه، حيث يجتمع الرؤساء والأعيان وسواد الناس، ويُنصب كرسي للوعاظ، وبرج خشب ذو شبابيك لكوكبوري نفسه يطل منها على موضع الوعاظ وعلى جهة الميدان الفسيح، حيث يجتمع الجند ويعرضهم في ذلك النهار، ويوزع نظراته بينهم وبين الناس والوعاظ. وبعد الفراغ من العرض العسكرى يمُد السماط فى الميدان للعامة، وهو حافل بأنواع الطعام. ويمُد سماط ثان في الخانقاه للناس المجتمعين عند كرسي الوعاظ.

وخلال العرض يطلب كوكبوري حضور الأعيان والرؤساء والوافدين من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء فيخلع عليهم واحداً واحداً، ثم يدعون الى السماط الذى يحق لبعضهم أن يحملوا منه الى بيوتهم. ويستمر الاحتفال طيلة ذلك اليوم وليلة، حيث يبيت كوكبوري في موضع الاحتفال ويستمر على السماعات حتى صبيحه اليوم التالى وبذلك ينتهى الأحتفال ويجُهز كل انسان للعودة الى بلده، ويُدفع اليه شيء من النفقة. وقد وصف السبط (مرآة ٨/ ٦٨٠) سماط المولد، فقال بأنه سمع ان السماط كان يتألف من:

١٠٠ قرش قشلميش (ذكره طليمات ص ٢٠٨ حاشية، وقد تعذر عليه معرفة معناه، كذلك ذكر دوزى في قاموسه كلمة «قشلمش» ولم يذكر المعنى. وانني بدوري اعترف

بعجزى عن ادراك معناه. هذا وفي اللغة التركية كلمة «قزل مش» تعنى «المشوى» فلعل هذا هو المقصود، وان هذه الكلمة تحرفت الى «قشلمش»).

٥٠٠٠ رأس شوى (ولعله يقصد رأس غنم)

١٠٠٠٠ دجاجة

١٠٠٠٠٠ زبدية (واظنه يقصد بها صحون مختلف أنواع الطعام).

٣٠٠٠٠ صحن حلوى.

وذكر بأن عدد الصوفية الذين يجتمعون، يتراوح بين ٨٠٠ و١٠٠٠ وكان كوكبوري يعطي الشيوخ على قدر طبقاتهم، فيتراوح العطاء بين ٣٠ و١٠٠ دينار، وكذلك يعطي لاتباعهم. وذكر أيضا بأنه حُكى له باربل، بأنه كان ينفق على المولد ٣٠٠ ألف دينار في كل سنة (انظر ايضا مخطوطتنا ورقة ١٥٧ أ وآثار القزويني ص ١٩٢ - ١٩٣ والموسوعة الاسلامية طبعة ١٩٣٦ ج ٣/ ٤١٩ - ٤٢٢، مقالة «مولد»).

وعند زيارة ابن دحية الكلبي لاربل، اطلع على اهتمام كوكبوري بالمولد النبوي، فصنف له - كما اسلفنا - كتابا سماه «التنوير في مولد السراج المنير»، فأجازه بالف دينار، عدا ما غرم عليه مدة اقامته (ابن خلكان ١/ ١٩٠ - ١٩١ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٦). هذا ويعتقد كاتب مقال «مولد» في الموسوعة الاسلامية بأن كوكبوري بدأ الاحتفال بالمولد النبوى سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م، وقال انه بالنظر لاتصال حكمه بفترة الحروب الصليبية واشتراكه فيها، فقد يحمل ذلك على الاعتقاد بأنه ربما تأثر بالنصارى في تطوير هذا الاحتفال، كما ان علاقاته الخاصة بالصوفية من ناحية أخرى تستدعي وجود تأثير من نوع آخر بهذا الشأن. ويرى الكاتب ان الاحتفال يستحق الاهتمام، وهو يعتبره أصلا لجميع الاحتفالات التي صارت تقام في العصور التالية (الموسوعة الاسلامية ط ١٩٣٦). ويعتقد كاهن (انظر المرجع السابق ١/ ١١٦٠ طبعة ١٩٦٠) بأن الاحتفال المذكور قد يكون رد فعل لاحتفالات الشيعة والنصارى.

ولعل من المفيد أن نذكر بهذا الصدد ان ابن جبير (رحلة ص ١١٣) قد لاحظ بأن الدار التي ولد فيها النبي (ص) بمكة، كان الناس قد اعتادوا على زيارتها في شهر ربيع الاول، وفي يوم الاثنين بالذات. الا انه لم يذكر عما اذا كانت هناك احتفالات خاصة بالمناسبة أم لا. ولكن أهل الموصل كانوا يحتفلون بالمولد النبوى في العهد الاتابكي، فيزينون الدور والاسواق ويتجمهرون في المساجد، ويتبارى في ذلك الحكام. وكان الشيخ عمر الملاء – الذى تولى بناء جامع الموصل- لنور الدين ابن زنكي – يقيم احتفالا مشهورا يحضره الاعيان والعلماء والفقهاء، وتُقدم فيه الاطعمة. (سبط مرآة ٨/ ٣١٠ وذيل الروضتين ص ١٨٩ والاتابكة للجميلى ص ٢٨٩ – ٢٩٠).

وعلاوة على ذلك، فقد وصف المقريزى والقلقشندى (خطط ١/ ٤٣٢ – ٤٣٣ وصبح ٣/ ٥٠٢) احتفالات الخلفاء الفاطميين بالمولد النبوي، ولكن الاحتفال، على فخامته كان متواضعا بالنسبة لاحتفالات إربل، اذ كان يقتصر على ليلة واحدة تُقدم فيها الحلوى ويُقرأ القرآن الكريم في الأزهر، ثم يتوجه المحتفلون بعد ذلك الى قصر الخليفة، ليقرأ القراء ويخطب الخطباء، ويبدو ان الاندلس عرفت ايضا الاحتفال بالمولد النبوى، فقد وردت الاشارة الى احتفال أهل غرناطة به فى أواسط القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى (انظر كناسة الدكان ص ١٣٤).

٤- المؤسسات الدينية والخيرية باربل:

حفلت إربل في عهد حكمها الذاتي – ولا سيما في أيام كوكبوري – بالكثير من المؤسسات الدينية والخيرية، كالربط والمساجد والدور المخصصة للعجزة وذوى العاهات والأرامل والايتام. ولاجل رسم صورة واضحة عنها، نجمل فيما يأتى بعض المعلومات التي توفرت لدينا عن تلك المؤسسات:

أ/ مساجد إربل:

كان في إربل عدد من المساجد، وفي مقدمتها المسجد الجامع بالقلعة، ولعله أقدمها.

وقد ذكره ابن المستوفى أكثر من مرة (مخ ورقة ٦ ب و٢٩ ب و٤٦ ب و٤٨ ب و٧٥ ب و١١٩ ب و١٢٠ أ و١٧٤ أ و١٩٧ أ)، وذكر لنا عدداً من خطبائه منذ أيام أبي الهيجاء ابن علي صاحب إربل حتى زمنه هو. ومعظم هؤلاء الخطباء ينتمون الى عائلة محمد بن غياث ولعل أبرزهم هو عثمان بن عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م، (مخطوطتنا ورقة ٢٨ أ و١١٩ ب و١٢٠ أ و١٧٤ أ و«تكملة المنذرى» ٣/ ٣٧٠) وأشار ابن المستوفى أيضا الى عدة مساجد أخرى، منها المسجد الجامع الزيني، والمسجد الجامع (كذا بدون تسمية)، ومسجد عمر الدزيجاني (مخطوطتنا ورقة ٧٥ ب و١٠٣ ب و١٠٩ ب و١٤٩ أ و١٧٢ ب). ثم ان ابن خلكان (٣/ ٢٧٠) ذكر بأن زين الدين علي قد دفن في تربته المجاورة للجامع العتيق داخل البلد. أقول لعل المراد هو جامع القلعة أو المسجد الزيني أنف الذكر.

هذا وقد ذكر بعض البلدانيين وجود أقنية للماء كانت تسقى إربل ومنها قناتان كانتا تدخلان الى المدينة لسقاية الجامع ودار السلطنة. وقد ذكرها ابو الفداء في كتابه «تقويم البلدان» (طبعة باريس، ص ٤١٣). وذكر القزويني (آثار ص ١٩٢ - ١٩٣) مسجد الكف، وهو الذى أشار اليه ابن المستوفي وسماه «مشهد الكف» (مخ ورقة ٩٩ ب و١٠٤ أ و١٢٦ ب) كما ان الموسوعة الاسلامية (٢/ ٥٢٢) أشارت الى ان كوكبورى بني جامعا ضخما كانت له منارة عالية ارتفاعها ٢٠٣ أقدام (توهم الدكتور طليمات ص ١٩٩ فظن ان ارتفاعها ٥٠٣ أقدام) ومحيط قاعدتها ٤٨ قدما، وانه على الارجح «مسجد الكف» الذى أشار اليه القزويني وقد شاهد RICH هذه المنارة في سنة ١٨٢٦، وقاس ارتفاع شمعتها حتى الحوض فكان ١٢١ قدما، ووجد محيطها ٥١ قدما. وذكر ان لها قاعدة ثمانية الشكل، ارتفاعها بين ٣٠ و٤٠ قدما وطول كل ضلع من اضلاعها الثمانية حوالى عشرة أقدام، وان لها سلمين يفضيان الى الحوض، وما فوقه مهدوم. ويرجح الكاتب أن تكون هذه المنارة من عهد الخلفاء او من أيام حكام إربل (٢/ ١٥). وذكر بكنغهام (ص ١٠٠) هذه المنارة أيضا. ومن الجدير بالذكر ان في إربل الآن بقايا مئذنة تطابق

أوصافها تلك التى وصفها RICH وتسمى «المئذنة المظفرية»، وقد قامت مديرية الآثار العراقية العامة بصيانتها (مجلة سومر - عدد ١٦ لسنة ١٩٦٠ ج ١/ ١٢٧، انظر أيضا الشكل ٣). وتقوم هذه المئذنة فيما كان يسمى ربض إربل، أى خارج القلعة، ولعلها تعود الى الجامع الذى ذكره ابن المستوفي في الربض (مخطوطتنا ورقة ٤٤ أ).

ب/ رُبُط اربل:

سبق ان بينا تعلق كوكبورى بأهل التصوف ورعايته لهم، وبنائه رباطا يضم ٢٠٠ صوفي (آثار القزويني ص ١٩٢ - ١٩٣). ويبدو ان هذا الرباط هو الذى عُرف «برباط الجنينة». وقد ذكره ابن المستوفى (مخ ورقة ٩٩ب) وابن الفوطي (معجم ٤/ ٦٢٣). ولعل من الضرورى ان نذكرهنا بأن الصوفية باربل أقدم عهداً من كوبكورى، إذ ذكر ابن المستوفي (مصدر سابق) «خانقاه الصوفية» التي كانت قائمة قرب باب الفرح، والتي خربت، وقد انتقل المتصوفة منها الى رباط الجنينة آنف الذكر. كذلك ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٣٣ ب و٧٥ ب و٨٧ب) وابن خلكان (٣/ ٢٤٦) «الرباط المجاهدى أو الخانقاه المجاهدية المنسوبة الى مجاهد الدين قايماز نائب حاكم إربل. وهناك أيضا «رباط المنظرة» و«رباط الزاهد» الواقع تحت القلعة. وكلاهما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ١١٥ أ و١١٣ ب و١٥٠ ب). كذلك أشار ابن المستوفى (مخ ورقة ٤٤ أ و٨١ أ و١٥٥ ب و١٦٧ أ و١٩٦ أ) الى عدد من الزوايا، ومنها «زاوية الغرباء» التي بناها كوكبورى لنزول الغرباء، وتسمى أحيانا بزاوية الشيخ محمد بن محمد بن الحسين الكريدى. على انه ليس من الواضح عما اذا كانت هذه الزاوية هى «دار المضيف» الذى تقدم ذكره، أم هي شيء آخر غيره. وهناك ايضا « زاوية البستي»، وهي ركن في جامع القلعة اصطلح الناس على تسميته بهذا الاسم، و«زاوية أحمد بن المظفر الخراط» و«زاوية اسحق بن ابراهيم» وقد بناها اسحق المذكور بظاهر إربل.

ويبدو ان رباط الجنينة كان هو المركز الرئيسى للصوفية باربل، ولقد ذكره ابن المستوفي ١٥ مرة بالنظر لاهميته، وقد تولى مشيخته بدل ابن خليل الاربلى (معجم ابن الفوطى ٤/ ٦٢٣) ومحمد بن ابى الفخر الكرماني المتوفى سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م

(مخطوطتنا ورقه ٦٩ ب ، ١٤٩ أ ٢٠٣، أ) . وعلاوة على مشيخة هذا الرباط ، كانت هناك مشيخة الصوفية باربل كلها ، وقد تولاها محمد بن اسماعيل بن مسلم الاربلى المتوفي سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، (مخطوطتنا ورقة ٩٩ ب ومعجم ابن الفوطي ٣/ ٣١١)، مما يدل على كثرة المتصوفة المقيمين باربل، بل وهناك دليل آخر على كثرتهم في هذه المدينة، حيث صار لهم مقبرة خاصة ذكرها ابن المستوفى (مخ ورقة ٤٩ أ و٧٦ ب). والظاهر ان إربل صارت تصدر الصوفية الى الخارج، حتى أن أحد أبنائها – وقد هاجر الى مكة المكرمة – صار شيخا للصوفية هناك (معجم ابن الفوطي ٣/ ١٦٧). وعلاوة على ما تقدم فان قلعة إربل كان لها شيخها (مخطوطتنا ورقة ١٠٤ أ).

ت/ المؤسسات الخيرية والاجتماعية:

وبر كوكبورى برز واضحا في انشائه عدداً من المؤسسات الاجتماعية التي تعني بالفقراء والمحتاجين وذوى العاهات، وقد سبقت الاشارة اليها. ولقد بلغت نفقات هذه المؤسسات ٢٠٠ ألف دينار في السنة وفقا لما ذكره السبط (مرآة ٨/ ٦٨٠)، الأمر الذي يدل على وعي اجتماعي عميق كان يتمتع به كوكبورى، الحاكم المستنير. وقد يكون من المفيد تعداد تلك المؤسسات:

(١) دار الزُمنى: وهي الدار المخصصة لذوى العاهات الذين ليس بوسعهم قضاء حاجاتهم بأنفسهم. وقد خصص لهم كوكبورى داراً زودها بكل ما يحتاج اليه سكانها من طعام وكساء وعلاج. كذلك خصص لكل منهم خادما يرعاه (مرآة السبط ٨/٦٨١).

(٢) دار العميان: وهي دار تشبه الاولى، الا انها مخصصة لمن فقد بصره وعجز عن تحصيل رزقه بنفسه، وبذلك كفاهم مؤونة السؤال واستجداء الناس. وبلغ من اهتمام كوكبورى بهم انه كان يزورهم بنفسه ويباسطهم (ابن خلكان ٣/ ٢٧٠ ومرآة السبط ٨/٦٨٢).

(٣) دار الأيتام. جمع كوكبوري في هذه الدار الأطفال الذين فقدوا معيليهم، من بنات وبنين. وهي لا تختلف عن الدارين السابقين. هكذا حمى بعمله هذا أولئك الأطفال من اخطار التشرد وعوّضهم عن العطف الأبوي الذي فقدوه، اذ كان يزورهم أيضاً ويسبغ عليهم الكثير من عطفه وكرمه، لا سيما بالنسبة للبنات اللاتي كن يحظين برعاية خاصة، إذ يهيء لهن أسباب الزواج (ابن خلكان ٣/ ٢٧٠ ومرآة السبط ٨/ ٦٨١).

(٤) دار اللقطاء: وهؤلاء هم الاطفال الذين لا تُعرف أسرهم، اذ يتخلى عنهم أهلهم لسبب أو آخر، فيلقونهم على قارعة الطريق. وقد أوجد لهم كوكبوري ملجأ عيّن فيه المرضعات لارضاع هؤلاء الأطفال والعناية بهم (ابن خلكان ٣/ ٢٧٠).

(٥) دار الأرامل. لم ينس كوكبوري النساء اللاتي يموت عنهن أزواجهن، وليس لهن معيل، فابتنى لهن داراً جهزها بكل ما تحتاج اليه تلك النساء، وكان يزورهن بنفسه ويتفقد أوضاعهن (ابن خلكان ٣/ ٢٧٠).

(٦) دار الضيافة. وقد سماها ابن المستوفي «دار المضيف» وهي دار خصصها كوكبوري للغرباء الوافدين على إربل. وقد بلغت نفقاتها ١٠٠ ألف دينار (وهي علاوة على ٢٠٠ ألف دينار كانت تصرف على الدور الخمسة آنفة الذكر). ويبدو ان كوكبوري قد تأثر بمعاصرة الخليفة الناصر الذي ابتنى دوراً للضيافة ببغداد في سنة ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨ م، بينها دار لضيافة الحجاج (كامل ابن الاثير ١٢/ ٢٨٦ وتاريخ ابن الساعي ص ٢٥٨، ومرآة السبط ٨/ ٥٣٩ و٦٣٧). وكانت هذه الدار - أي دار إربل - مجهزة بكل ما يحتاج اليه النزلاء الذين لهم ان يقيموا فيها المدة التي يريدون. ومبالغةً في إكرامهم، كان كوكبوري يدفع لكل ضيف يغادر إربل نفقة الطريق، كل على قدر حاجته (مرآة السبط ٨/ ٦٨٣ وابن خلكان ٣/ ٢٧٠ ومخطوطتنا ورقة ٦٨ ب و١٦٧ أ و١٧٩ ب).

ج/ بيمارستان إربل:

لم يكتف كوكبوري بالعناية بالعجزة والزُمنى، بل أنشأ مستشفى للعناية بالمرضى وقد ذكره ابن المستوفي في عدة مواضع، وقد كان فيه عدد من الأطباء (مخ ورقة ١١٤ ب و١١٦ ب). ويبدو انه كان من المستشفيات المهمة، إذ كان ابن المستوفي نفسه يهتم بأمره. فقد طلب الى علي بن عثمان السليماني الاربلي – وكان بدمشق – أن يتولى الاشراف على هذا المستشفى (ذيل اليونيني ٢/ ٤٨١). والظاهر ان إربل كان فيها – كما ذكرنا أنفا – عدد من الأطباء إذ قال ابن المستوفى (مخ ورقة ٧٧ أ) ان كوكبورى أوكل الى «الاطباء» معالجة عبد اللطيف السهروردي الذي كان مصابا بداء «القولنج» وعدة أمراض أخرى، ويذكر ابن الشعار ان ابراهيم بن اسماعيل الحراني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م كان كحالا (أى طبيب عيون) في هذا البيمارستان، وكذلك يذكر يوسف بن جامع الاربلي الذى كان خازنا فيه ومشرفا على خزانة الادوية، وان له عناية بالطب والعلاج، وقد توفى سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م (مخطوطة عقود الجمان، ج ١ ورقة ١٥ – ١٦ وج ١٠ ورقة ١٧٣).

٥ – مآثر كوكبورى خارج إربل:

أ/ فكاك الأسرى:

لم يقنع كوكبورى بأعمال البر التي أجراها في المنطقه التي يحكمها وانما أراد أن يعم بره القريب والبعيد على السواء، ويقول ابن خلكان (٣/ ٢٧٠) في معرض تعداد مآثره، بأنه كان يسيِّر جماعة من أمنائه، مرتين في السنة، الى ساحل الشام، ومعهم الأموال الضخمة ليفتكوا بها الاسرى المسلمين من أيدي الصليبيين. واذا وصلوا إربل أعطى كلا منهم نفقة ورتب لهم الاقامة في قرية على باب إربل اسمها «بيت النار»، فلا يدخلون إربل حتى يجهز غيرهم. وأحصي عدد من فكهم من الاسر فكانوا ٦٠ ألفا بين رجل وامرأة. أما الأسرى الذين لا يأتون الى إربل فيعطيهم الأمناء ما يوصيهم كوكبورى باعطائه لهم. ويقال انه كان ينفق على فكاك هؤلاء ١٠٠ ألف دينار في كل سنة، وكان اذا نفد ما عنده من مال، يبيع ما عنده من المجوهرات لهذا الغرض (مرآة السبط ٨/

٦٨٠ – ٦٨٢وأثار القزويني ص ١٩٢ – ١٩٣) . بل ان اهتمامه بالأسرى قد شمل حتى البعيد من المسلمين ، إذ يذكر ابن المستوفى (مخ ورقة ٢١٥ ب) ان أحد الادباء الاندلسيين قصد إربل بعد سقوط ميورقة بيد الاسبان، طالبا عون كوكبوري في فكاك الأسرى. وقد استجاب له عن طيب خاطر، الأمر الذى يدل على ان صيته قد ذاع حتى في تلك الانحاء النائية.

ب/ العناية بالحجاج وأهل الحرمين:

يقول ابن خلكان (٣/ ٢٧٠) ان كوكبوري كان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج، ويسير معه جميع ما تدعو اليه حاجة المسافر، ويبعث معه أمينا يحمل ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ دينار لانفاقها بالحرمين على المحتاجين وأرباب الرواتب، وكان يشرك معه العلماء في التوزيع (مخطوطتنا ورقة ٨٥ أ و١٣٧ ب ومرآة السبط ٨/ ٦٨٣). ولكوكبوري أيضا آثار جميلة في الحجاز، منها إيصاله الماء الى جبل عرفات، وقد غرم علي ذلك مبالغ جسيمة، فقد أنشأ خزانات للماء في الجبل.

هذا وقد ذكر الزركلي (كتابه «ما رأيت وما سمعت» ص ٣٢ و٣٣) نقلا عن مخطوطة بمكة المكرمة بعنوان «سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالى»، تصنيف عبد الملك بن حسين بن عبد الله المكي العاصمي، المتوفى بها في سنة ١١١١هـ، ان مجاري عين زبيدة قد تخربت فعمرهامظفر الدين صاحب إربل في سنة ٦٠٥هـ. ونقل أيضا عن رسالة للسيد عبد الله الزواوي المكي، مدرس المسجد الحرام ورئيس «لجنة عين زبيدة» في عهد الملك حسين بن علي الهاشمي، ان مظفر الدين المذكور قد عمر تلك العين في سنة ٥٩٤ هـ ، وان الذي عمرها في سنة ٦٠٥ هـ هو الخليفة العباسي المستنصر. أقول ان هذا وَهْم منه، لان الخليفة المستنصر ولي الحكم في سنة ٦٢٣ هـ، أي بعد ١٨ عاما من تاريخ التعمير المزعوم، اللهم الا اذا كان قد قام بالتعمير قبل أن يلي الخلافة، وعندها لا يكون لقبه «المستنصر»، فقد كان من الأمراء الذين يسمون عادة باسمائهم.

وقد قال السبط (مرآة ٨/ ٦٨٠، ٦٨٢) انه كان ينفق عشرة آلاف دينار في السبيل وألف دينار برسم اجراء الماء الى برك عرفات (مخطوطتنا ورقة ١٣٧ ب). (لعل المقصود

بالسبيل هو ارسال بعثة اسعاف ترافق الحجاج للعناية بهم)، وكان ايضا يشترى الدواب للعلماء الذين يريدون اداء فريضة الحج، ويمنحهم النفقة الكافية لهم ولمرافقيهم ذهاباً وايابا (مخطوطتنا ورقة ١٤٩ أ) مما حمل الكثيرين على جعل طريقهم يمر باربل، وإنْ لم تقع على الطريق المعتاد. وكان يصل بعض العلماء بصلات سنية في كل سنة ولو لم يأتوا الى إربل، وخير مثل على ذلك صلته الى الخضر ابن السراج نزيل مكة، فقد كانت تصله صلته وهو هناك (مخطوطتنا ورقة ١٨٥أ).

ولمظفر الدين كوكبورى مآثر كثيرة في الحجاز غير هذه، ومنها نصب الاعلام لتحديد حدود عرفة، من ذلك ما قاله المؤرخ الفاسي في «شفاء الغرام» (ج ١ ص ٣٠٢)، إذ قال. حد عرفة من جهة مكة الذي فيه بعض الاختلاف الآن (أي في زمانه)بينٌ ، وهو علمان بين العلمين اللذين هما حد الحرم إلى جهه عرفة وكان ثم ثلاثة أعلام، فسقط أحدها فهو الى جهة المغمس، واثره بيّن، وقال: رأيت عنده حجراً ملقى مكتوبا فيه «أمر الاسفهسلار الكبير مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل حسام أمير المؤمنين بانشاء هذه الاعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفه ووادى عُرنة، لا يجوز لحج بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الاعلام قبل غروب الشمس» وهذا الحجر مؤرخ في شعبان من شهور سنة خمس وستمائه، ورأى الفاسي مثل هذا ذلك مكتوبا في حجر ملقى قرب أحد العلمين الباقيين. الا انه ذكر في موضع آخر (شفاء الغرام، ج ١ ص ٥٥) بأن المظفر صاحب إربل أمر بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفات، وذلك في سنة ٦٢٦ هـ. ويبدو ان كوكبوري كان يوالي اهتمامه بتلك الاعلام، فعمرها مرة في عام ٦٠٥هـ، وعمرها مرة اخرى في عام ٦٢٦ هـ.

ومن مآثره التي ذكرها الفاسي (شفاء الغرام، ج ١ ص ١٣) انه قام بتسهيل العقبة التى بنيت عليها باب الشبيكة واصلحت، وقال انه يظن بأن مظفر الدين كوكبوري هو نفسه الذي بنى السور الذي بأعلى مكة، وذلك في سنة ٦٠٧هـ، وعند حديثه عن برك عرفات، قال (شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٠) ان فيها عدة برك، وكان غالبها في زمانه ممتلأ بالتراب حتى صار ذلك مساويا للارض، وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر، وعد تلك خمس برك وتاريخ عمارتها سنة ٣١٥ هـ، وبعضها عمره المظفر صاحب إربل في سنة ٥٩٤ هـ، وفيما بعدها.

وتحدث الفاسي كذلك عن الابار، ومنها الآبار التي بين باب المعلاة ومنى (شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٣) فقال: ومنها بئر ميمون بن الحضرمي أخي العلاء بن الحضرمي، وهي التي الآن (أي في زمانه) بالسبيل المعروف بسبيل الست بطريق منى، وممن عمرها المظفر صاحب إربل في سنة ٦٠٤ هـ على ما وجدتُ (والقول للفاسي طبعا) بخط عبد الرحمن بن أبي حرمي المكي في حجر بهذه البئر يتضمن عمارة صاحب إربل لها، وعرّفها ببئر ميمون الحضرمي. ورأيتُ (والقول للفاسي أيضا) لبعضهم ما يقتضى ان بئر ميمون بطريق وادي مر الظهران، وهو وَهْم، والله أعلم، ومنها بئر يقال لها «الشمردقية» وقربها عدة ابار أُخر لاماء فيها، وعمّرها المظفر صاحب إربل (شفاء الغرام، ج ١ ص ٣٤٥).

ومن اصلاحاته، إصلاحه للعقبة المعروفة بعقبة المتكا بطريق العمرة، وعمارته للموضع الذي يقال له المتكافى سنة ٦٠٥ هـ، علاوة على عقبة الشبكية المذكورة آنفا. (فيما يتعلق بانجازات كوكبورى فى الحجاز وغيرها، انظر: ابن الفوطي، معجم الالقاب، ح ٥ ص ٥٨٠، والفاسي: العقد الثمين، ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٧ وابن الشحنة: الدر المنتخب ص ١٠٦ وابن شداد: الاعلاق الخطيرة (قسم دمشق) ص ٨٦، وكامل بن حسين بن محمد البالي الغزي. نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢ ص ٢٧١، ومحمد كرد على: الاسلام والحضارة، ج ١ ص ٣٢٧، وحسن الباشا: الفنون الاسلامية، ج ٢ ص ٦٦١).

ت/ مؤسسات دينية في دمشق والموصل:

وعلاوة على ما تقدم لكوكبوري مآثر حتى في البلدان التي لم يحكمها، غير الحرمين الشريفين، من ذلك ان أحد الشيوخ شرع فى بناء جامع بدمشق في سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م، فأعوزه المال، فبلغ ذلك كوكبوري فبعث اليه بـ ٣٠٠٠ دينار فأتمه، كما انه رصد مبلغ ١٠٠٠ دينار ليسوق الماء الى الجامع، ويبدو ان صاحب دمشق قد حسده على هذه المأثرة فمنع سحب الماء الى الجامع، بحجة انه سيمر بمقابر المسلمين. ومع ذلك فان الجامع صار يدعى بالجامع «المظفري» اعترافا بفضل كوكبوري[1] (مرآة السبط ٨/ ٥١٠ وذيل الروضتين ص ٢٩ والأعلاق الخطيرة ص ٨٦ وتاريخ ابن كثير ج ١٣/ ٣٢ و١٣٦ و١٣٧). كذلك ابتنى كوكبورى داراً للحديث بالموصل واوقف لها الاوقاف لسد

(١) وقد ورد في حاشية لمخطوطة «كتاب الاشارات» للهروي، أن كوكبوري عمّر مسجدا للحنابلة في سفح قاسيون، إذ أرسل في سنة ٥٩٦هـ أحد حجابه الى دمشق ومعه ٣٠٠٠دينار لاكمال عمارة المسجد، ووقف ما يفضل منها على الجامع نفسه(مجلة مجمع دمشق مج٨ح/ ١٢٠ لشهر شباط ١٩٢٨).

نفقاتها (مخطوطتنا ورقة ٥٤ ب و٧٤ ب و٨٣ ب و١٤٨ ب وتكملة المنذرى ٤/ ١٦٣ و٣٨٩ و«المنذرى» لبشار معروف ص ١٢ و١٢٩ و١٣٠).

هذا وقد وجدت في «فهرس مخطوطات الموصل «للدكتور الجلبي ص ٨، نقلا عن مخطوطة «منهل الأولياء» لأمين بن خير الله العمري، ما يفيد بأن كوكبوري بنى جامعا في الموصل أيضا، وهو الجامع المشاد عند مقام «الخضر»، وانه أثناء وجوده في الموصل، عقب طرده من إربل على يد قايماز، بنى عدة مدارس للحنفية والشافعية. أقول بأنني حاولت الاهتداء الى مصدر هذه المعلومات، الا انني لم أوفق. ولكنني لم استغرب أن يكون لكوكبورى مدارس في الموصل، فان والده زين الدين سبقه وابتنى مدرسة هناك، عرفت بالزينية والكمالية (ابن خلكان ٤/ ٣٩٦ و٦/ ٢٥٢ ومعجم ابن الفوطي ٢/ ٨٥٦ والعراق في العصر السلجوقي لحسين امين ص ٣٨٣). وجاء في المرجع الأخير ص ١٩٠ نقلا عن «تاريخ الموصل» لسعيد الديوه جي ص ١٥٥، وهو المرجع الذى لم اطلع عليه، ان زين الدين علي والد كوكبوري أنشأ رباطا في الموصل، سُمي بالرباط الزيني. وهناك أيضا لم أهتد الى مصدر هذه المعلومات.

ومما يجدر ذكره هنا، ان ربيعة خاتون بنت أيوب، أخت صلاح الدين وزوجة كوكبوري، المتوفاة سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م عن أكثر من ٨٠ عاما، كانت لها هى الاخرى مآثرها العديدة. وقد ذكر السبط (مرآة ٨/ ٥٥٦ - ٥٥٧)

بأنها حجت في سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م، وقد بسطت حمايتها على الحجاج يوم تعرض لهم أمير مكة وأتباعه بالأذى. وعندما مات زوجها غادرت إربل الى دمشق وعايشت الصالحين، وكان في خدمتها العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي، وقد انتفعت من خدمتها بأموال عظيمة. ويبدو أنها صارت تعطف على الحنابلة فبنت لهم مدرسة في جبل الصالحية بدمشق (المصدر السابق ٨/ ٧٥٦ وتاريخ ابي الفداء ٣/ ١٧٤ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ١٧٠ ونجوم ابن تغري بردي ٦/ ٢٥٣ وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب - مخطوطة المتحف البريطاني، ورقة ٦٢ ب).

الفصل الخامس

الحياة الثقافية باربل

١ - لمحة عامة:

يتضح مما ذكرناه، سخاء كوكبوري، وحبه للعلم واحترامه للعلماء حتى صار هو نفسه واحداً من أهل العلم، اذ كان يميل الى التاريخ، وكان يذاكر فيه، وفقا لما ذكره ابن خلكان. كما صار من أهل الحديث أيضا، حتى ان أحد المحدثين المغاربة سمع عليه «مسند أهل البيت» (مخطوطتنا ورقة ١٠٤ ب)، كما انه هو نفسه سمع من ابن دحية سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م كتابه «التنوير فى مولد السراج المنير»، وقد سمع ابن خلكان سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨م هذا الكتاب على كوكبوري نفسه (وفيات ١/ ١٩٠ - ١٩١). وبلغ من حدب كوكبوري على أهل العلم، انه كتب رسالة شخصية الى القاضي ابن شداد، وكان بحلب، في حق ابن خلكان وأخيه، يوصيه بهما. فأنزلهما ابن شداد في مدرسته، ورتب لهما ما يحتاجان اليه (وفيات ٦/ ٨٧). وفي هذا دليل واضح على صلاته الطيبة بأهل العلم حتى الذين هم خارج إربل. ولقد كان يتلقى شفاعاتهم ووساطاتهم بصدر رحب، من ذلك مثلا ان الشيخ عمر السهروردي بعث اليه من بغداد كتابا يوصي فيه بأحد العلماء، كما ان المبارك بن طاهر الخزاعي، استاذ ابن المستوفى، كان يتوسط لديه كثيراً في قضاء حاجات الناس (مخطوطتنا ورقة ٦ ب و١٣٨ أ).

فلا غرابة إذن ان أصبحت إربل مثابة لأهل العلم الذين صاروا يقصدونها من كل مكان، مما أدى الى نفاق سوق العلم بها، وازدهار النشاط الثقافي بين أهلها، فبرهنت إربل على أن المعارف ليست وقفا أو حكراً للعواصم والحواضر الكبرى، كبغداد ودمشق والقاهرة وحلب والموصل وأمثالها. بل ان إربل قد أدلت بدلوها أسوة بواسط وحران والمدن المماثلة لهما. هذا وان حب العلم لدى الارابلة لم يكن جديداً اذ يحدثنا ابن المستوفى (مخ ورقة ١٠ ب و١١ أ و٨١ ب) عن عدد منهم سمعوا الحديث ببغداد فى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م، على الخطيب البغدادى والقاضى ابن المهتدي. ويخبرنا السمعاني (انساب ١/ ١٥٢) بأن إربليا هو داود بن محمد الخالدي الاربلي، قصد مروفي سنة ٥٢٠

هـ/ ١١٢٦م في طلب الحديث، وزامل السمعاني نفسه في الطلب، ثم توغل الى ما وراء النهر (مخطوطتنا ورقة ١٢٧ أ وطبقات الاسنوي ١/ ١٣٤). بل ان قلعة إربل شهدت شيئا من النشاط العلمي، فقد ذكر ابن المستوفى (مخ ورقة ٩٨ أ) ان الرسالة القشيرية» كُتبت في تلك القلعة في سنة ٥٠٤ هـ/ ١١١٠م، وان سماعا قد تم فيها أيضا في سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م (مخطوطتنا ورقة ١٩٧ أ) وان أحمد بن عمر بن نصر الاربلى الفقيه قد قرأ «المخلصيات» على العكبري في سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦م (المصدر السابق ورقة ١١٦ أ). وجاء في «نفح الطيب» ١/ ٨٠٦ بأن محمد بن إبراهيم الاربلى قد سمع بمكة في سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م على الحسن بن علي البطليوسي. وذكر ابن المستوفى (مخ ورقة ٤ ب) ان أحمد بن عثمان الزرزاري المتوفى سنة ٥٩١ هـ/ ١١٩٤ م – وهو من إربل – كان واسع الرحلة في الحديث، وانه سمع ببغداد وهراة واصبهان وغيرها.

أما التدريس باربل فيرجع الى الثلث الأول من القرن السادس الهجري، اذ يحدثنا ابن خلكان (٢/ ١٠) بأن الخضر بن نصر بن عقيل الاربلى الشافعي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م، كان أول من درس باربل، فقد بنى له سَرْفْتِكين الزيني، نائب صاحب إربل مدرسة القلعة في سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨م. ولكن الخضر نفسه يعترف بأن أول من تفقه من أهل إربل هو محمد بن علي بن جامع، وانه – أي الخضر – قرأ عليه (مخطوطتنا ورقة ١٧٤ أ)، ولكن حب العلم حمله – رغم فقره – على الذهاب الى بغداد للدراسة في نظاميتها، كما ذهب الى دمشق للغرض نفسه. وقد برز الخضر هذا فألف ودرّس، وكانت له مدرسة خاصة به في ربض إربل، علاوة على مدرسة القلعة. وتخرج عليه كثيرون، منهم ابن أخيه نصر بن عقيل ابن نصر الذى تولى التدريس بمكان عمه في المدرستين المذكورتين (ابن خلكان ٢/ ١١).

وكثيرون فعلوا مثلما فعل الخضر، فسافروا الى بغداد للدراسة، منهم الياس بن جامع الاربلي المتوفى سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م، اذ تفقه بالنظامية وعاد الى إربل للتاليف وكتابة الشروط (تاريخ ابن الساعي ص ١٦٥). بل منهم من تولى الاعادة في نظامية بغداد نفسها، مثل محمد بن عبد العزيز الاربلي المتوفى في الشام سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م (طبقات الاسنوى ١/ ١٢٢ والوافي ٣/ ٢٥٩)، ومحمد بن اسماعيل بن مسلم

الاربلي المتوفى سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١م، الذي قدم بغداد وصحب أبا النجيب السهروردي، وعندما عاد الى إربل تولى مشيخة الصوفية بها (معجم ابن الفوطى ٣/ ٣١١)، ومحمد ابن ابراهيم بن خلكان الذى رحل في طلب العلم وتفقه بنظامية بغداد، ثم عاد الى إربل حيث تولى التدريس والافتاء الى أن توفى سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م (طبقات الاسنوى ١/ ٤٩٦ وطبقات السبكى ٥/ ١٩ ط، الحسينية).

وعلاوة على ما تقدم، فان إربل كانت حافلة بمجالس أهل العلم والأدب، التي كانت بمثابة ندوات علمية يؤمها المقيمون والوافدون، فيتبادلون ما لديهم من آراء ومعلومات، ويتناقشون فيما يعرض لهم من مواضيع ومقترحات. وكان كوكبورى نفسه يشارك في بعضها. وقد نقل لنا ابن المستوفى اخباراً عن تلك المجالس وما كان يقال فيها، بل كان بيته من أبرز تلك الندوات. ويكفي ان نشير هنا الى ان من رواد مجلسه كان الشاعران الاربليان مجد الدين أسعد النشابي والحسام عيسى الحاجري (ذيل اليونيني ١/ ١١١ – ١٢٣ وكوكبورى لطليمات ص ٢٢٤) ويذكر ابن خلكان (٣/ ٢٩٤) هذا المجلس، وانه كان يحضره وهو صغير.

ولذلك فان من الطبيعي أن تزدهر الحركة الثقافية في مثل هذا الجو وتتسع، لا سيما وانها كانت طابع العصر كله، إذ كان متسما برعاية العلم وانشاء المدارس ودور الثقافة، حتى ليقال انه كان بالموصل في العهد الاتابكي ٢٨ مدرسة و١٨ دار حديث و٢٧ خانقاه (أتابكية للجميلي ص ٣١٥، ولعل من المفيد ان نذكر بأن الاتابك سيف الدين غازى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م بنى مدرسة بالموصل دُفن فيها – مرآة السبط ٨/ ٢٠٤ وتاريخ ابن كثير ١٢/ ٢٢٧). هذا فضلا عما كانت عليه بغداد التي تعتبر القدوة والاسوة لبقية مدن العالم الاسلامى. ولم يرد أهل إربل أن يتخلفوا عن غيرهم في هذا المضمار، ولذلك تعددت المدارس فيها حسبما يذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٦٣ ب). وأرى من واجبي أن أشير هنا الى قول الدكتور طليمات (كوكبورى ص ٢٣٠) بصدد تلك الحركة اذ قال: «لا نستطيع أن نقول انها كانت حركة واسعة ولكنها على كل حال وصلت الى مسامع جيرانه (أى جيران كوكبورى)». ومن حقى أن أتساءل ماذا يريد سيادته أكثر مما تم في إربل، لكي تكون الحركة الثقافية واسعة، بعد أن قامت فيها خمس مدارس

(وهي بمعيار عصرنا كليات جامعية) ودار حديث وعدد كبير من المؤسسات الاجتماعية؟!!
فهل هناك شيء آخر يمكننا اضافته لنسبغ على تلك الحركة صفة الاتساع؟!!

٢ - مدارس إربل:

واستكمالا للصورة، يحسن بنا ان نذكر هنا مدارس إربل، وهي:

أ/ مدرسة القلعة: وهي المدرسة التي تقدم ذكرها وقد درّس فيها أولا الخضر بن نصر بن عقيل، ثم ابن أخيه نصر بن عقيل بن نصر (ابن خلكان ٢/ ١٠ ومجلة المجمع للعزاوي ص ١٤٣)، ثم محمد بن عبد الله المهاني المتوفى سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م (مخطوطتنا ورقة ٦٩ ب وطبقات الاسنوي ١/ ١٨ ومجلة المجمع للعزاوي ص ١٤٢). وممن تخرج في هذه المدرسة عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني، شارح «المذهب» و«اللمع» وقد تولى نيابة القضاء في القاهرة والتدريس في احدى مدارسها حتى وفاته في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥ م (ابن خلكان ٢/ ٤٠٦ ومجلة المجمع ص ١٤٣). ويقول المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ١٤٤) بأن هذه المدرسة بقيت قائمة باربل، وان آخر مدرسيها كان ملا افندي الصغير المتوفى في سنة ١٣٦١ هـ/ ١٩٤١م.

ب/ مدرسة الربض أو مدرسة الخضر أو المدرسة العقيلية: أنشأ هذه المدرسة الخضر ابن نصر بن عقيل آنف الذكر، وفي أوائل القرن السادس الهجري، ولعلها أول مدرسة بنيت باربل وفقا لما يقوله المرحوم العزاوي (مجلة ص ١٤٢)، ثم كانت سببا لانشاء مدرسة القلعة التي تقدم ذكرها، الا ان العزاوي لم يذكر أي مصدر يسند رأيه هذا. والذي يستفاد من أقوال ابن خلكان (٢/ ١٠) ان مدرسة القلعة هي أولى مدارس إربل. وعلى أي حال فان الخضر بن عقيل قد درّس بهذه المدرسة حتى وفاته، وقد دُفن بها، وتولى مكانه ابن أخيه نصر بن عقيل بن نصر سالف الذكر. وممن درّس بها أيضا محمد بن عبد السلام السنجاري (معجم ابن الفوطي ١/ ٦٢٣). هذا وقد ذكر ابن المستوفي هذه المدرسة (مخطوطتنا ورقة ٦٩ ب و١٧١ ب).

/ المدرسة الفقيرة أو مدرسة الطين:

كر ابن المستوفى هذه المدرسة (مخ ورقة ٦٩ ب)، وذ... بأن محمد بن عبد الله هاني الذي تقدم ذكره، قد درّس فيها، وقال ان كوكبوري قد وقفها على فقهاء الشافعية، وهذا معناه ان كوكبوري هو بانيها.

ث/ المدرسة المجاهدية:

لا شك ان هذه المدرسة منسوبة الى مجاهد الدين قايماز، الذي حكم إربل بوصايته ..ن صاحبها كوكبوري أولا، ثم على أخيه زين الدين يوسف، وكان قبل ذلك نائبا عن ابيهما زين الدين كوجك. وقد ولي التدريس في هذه المدرسة، عمر بن ابراهيم الخلكاني المتوفى سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م (طبقات السبكي ٨/ ٣٠٨). وأعقبه في التدريس المشرف ابن عبد اللطيف القزويني (مخطوطتنا ورقة ٨٨ أ و١٣٧ ب و١٦٢ أ، وطبقات الاسنوى ١/ ٤٩٥). والجدير بالذكر ان ابن خلكان (٣/ ٢٤٦) أشار الى بناء مجاهد الدين قايماز مدرسة وخانقاه باربل، وانه أكثر وقفهما.

جـ/ مدرسة الملك المعظم أو المدرسة المظفرية:

تنسب هذه المدرسة الى مظفر الدين كوكبوري، ولا أدري عما اذا كانت هى المدرسة الفقيرة سالفة الذكر، أم انها غيرها. وكان من عناية كوكبوري بهذه المدرسة انه يأتيها بنفسه في كل وقت ويمد السماط بها، بل ويبيت بها ويعمل السماع. وقد سماها المرحوم العزاوى (مجلة ص ١٤٤) «مدرسة كوكبوري» وذكر انها كانت واسعة البناء، ويرى ان بقايا المنارة القائمة الآن تعود (انظر الشكل ٣، وص ٧٨ من هذا البحث) الى هذه المدرسة، ويرجح ان بناءها قد تم قبل سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م. والمعروف ان هذه المدرسة قد تولى التدريس فيها محمد بن أبي بكر بن خلكان (والد المؤرخ ابن خلكان الذي وُلد في هذه المدرسة) حتى وفاته في سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م. وأعقبه في التدريس أحمد بن موسى بن منعة الاربلي، الذى استمر فيها حتى سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م، حيث انتقل الى الموصل (مخطوطتنا ورقة ٦٩ ب و١٦٢ أ وابن خلكان ١/ ٩٠ و٢/ ٩٢ وطبقات الاسنوى ١/ ٤٩٦ و٢/ ٥٧٣، وطبقات السبكي ٨/ ٣٩ و٤٤).

والجدير بالذكر ان هذه المدارس - أو على الأصح أكثرها - كانت مخصصة لتدريس الفقه الشافعي. وممن درس فيها دون تخصيص، محمد بن ابي الفوارس الحلي الذي غادر إربل الى الموصل في سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م، ومحمد بن أبي الوفاء العمري الذي كان حيا في سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م (بغية السيوطي ١/ ٢١٢ و٢٦٠). ثم ان انشاء هذه المدارس كان في الأعم الأغلب تقليداً لما جرى في عاصمة الخلافة، وليس محض صدفة أن يكون تأسيس أول مدرسة باربل، على يد الخضر بن نصر بن عقيل أو بسببه، ذلك انه عقب تخرجه في نظاميه بغداد وعودته الى إربل، بادر الي تأسيس مدرسته متأثراً بما شاهده في بغداد العاصمة.

ونقطة أخرى أود الاشارة اليها، هي ان العلم والتعلم لم يكن مقصوراً على المدارس وحدها، وانما كانت المساجد مثابات للعلماء أيضا، بل هي الأصل في التدريس، ولا تزال في كثير من أنحاء العالم الاسلامي. ولم تكن إربل لتشذ عن ذلك، اذ يحدثنا ابن المستوفي نفسه (مخ ورقة ٢٩ ب) انه كان يرتاد الجوامع منذ صغره، ويستمع الى مناظرات بعض العلماء ومجادلاتهم.

٣ - دار الحديث:

لقد كان اهتمام كوكبوري بالحديث كثيراً جداً، اذ كان هو نفسه يسمع الحديث ويرويه، كما أسلفنا. وقد سمع «مسند أحمد بن حنبل» كله على حنبل بن عبد الله الرصافي في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م (مرآة السبط ٨/ ٥٣٧) وتأكيداً لهذا الاهتمام بنى داراً للحديث في كل من إربل والموصل، أسوة بدور الحديث التي كانت قائمة في زمانه في بعض الحواضر الكبرى كدمشق (ان أول من أسس دار حديث بها هو نور الدين ابن زنكي، وقد أسسها للحافظ المؤرخ ابن عساكر - أتابكية ابن الاثير ص ٣١٣ ومفرج ابن واصل ١/ ٢٨٤ وخطط المقريزي ٢/ ٣٧٥ والدارس للنعيمي ١/ ٩٩) والقاهرة وتكريت (المنذري لبشار معروف ص ١٢ و١٣٢). ويعتقد بشار معروف (المنذري ص ١٢) ان الدارين اللذين بناهما كوكبوري كانا من أقدم دور الحديث في العالم الاسلامي. والغريب ان الدكتور صبحي الصالح الذى تناول في كتابه (مصطلح الحديث ص ٧٣ - ٧٤) دور

الحديث لم يشر اليهما، والأغرب من ذلك ان الدكتور طليمات (كوكبوري ص ٢٢٢) الذي ذكرَ دار الحديث المظفرية بالموصل، أبدى استغرابه لأن كوكبوري - في ظنه - لم يؤسس داراً مماثلة لها باربل؟!!

ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٦٢ أ) بان كوكبوري بنى دار الحديث هذه في سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م، وانه احتفل بافتتاحها بخطبة ألقاها المتشرف بن عبد اللطيف القزويني الذى نُصب شيخا لها. ولكن إربل كانت فقيرة بالمحدثين، وقد تذاكر كوكبوري في الامر مع ابن المستوفي الذي اقترح عليه استئذان الخليفة في استقدام ابن طبرزذ وحنبل من بغداد، وقد تم ذلك في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م (مخطوطتنا ورقة ١٤٠). وكان ذلك مناسبة كبيرة، اذ قصد إربل عدد غير قليل من طلبة الحديث طلبا للسماع على هذين المسندين، مثل عمر بن الخضر الدنيسرى، واسماعيل بن عبد الله الأنماطي المصري، وعمر بن بدر الحنفي الموصلي (مخطوطتنا ورقة ٧٣ أ و١١٠ ب و١١٢ ب). وعبد الرحيم بن وهبان - وهو نفسه من كبار الائمة - (مخ ورقة ١١١ أ). ومنذ ذلك الحين ازدهرت قراءة الحديث وسماعه باربل، ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٥٨ أ و٧٢ أ و٧٨ ب) عن سماعات تمت في هذه الدار في السنوات ٦٠٥ و٦١٢ و٦١٤ هـ/ ١٢٠٨ و١٢١٥، و١٢١٧م، وعن تولي الشيخ بدل بن أبي المعمر التبريزي المتوفى سنة ٦٣٦ هـ/ ١٢٣٨ م، لمشيخة هذه الدار، الا انه لا يذكر تاريخ ذلك (مخطوطتنا ورقة ٦١ ب وعبر الذهبي ٥/ ١٤٩). وبدل هذا صنف عدة كتب واختصر «تاريخ دمشق» لابن عساكر. وذكر ابن الفوطي (معجم ٤/ ٨٧٩) ان يونس بن محمد الاربلي الفقيه سمع في صباه المشايخ بدار الحديث هذه.

والطريف أن أحد المحدثين - وهو محمد ابن نقطه - تبع شيخه عبد اللطيف السهروردي من بغداد الى إربل، ليكمل عليه ما فاته سماعه ببغداد (مخطوطتنا ورقة ١١٨ أ وشذرات ٥/ ١٣٣ وكوكبورى لطليمات ص ٢١٨). وقد حدث باربل مشايخ كبار، منهم الحسين بن أبي صالح بن فناخسرو التكريتي، الذي سُمع عليه «صحيح البخاري» في سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م بقراءة ابن المستوفي نفسه، وكان بين السامعين عمر بن سليمان بن محمد الهكارى الفقيه، ومحمد بن عمر بن علي الحديثي، وأحمد بن دواد بن

بلال الاربلي (معجم ابن الفوطي ١/ ٥٠٦ - ٥٠٧ و٢/ ٨٤١ و٣/ ٨٠ - ٨١). وسُمع «صحيح البخاري» باربل أيضا، في مجالس آخرها جمادى الاولى سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، على محمد بن هبة الله بن المكرم البغدادي، فسمعه عليه محمد بن ابي الفتح الهمذاني الفقيه، وعبد الرحمن بن نجم وابنه عبد الله، وأمة اللطيف وأمة الرحيم (معجم ابن الفوطي ١/ ٤٦٥ - ٤٦٦ و٣/ ١٦٨ - ١٦٩). وممن سمع باربل على ابن المكرم هذا، المؤرخ ابن خلكان، وذلك في بعض شهور سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م (وفيات ٢/ ٣٩٢). وسمع عليه أيضا أحمد بن علي بن أبي غالب الاربلي (شذرات ٥/ ٢٨٨ وكوكبورى لطليمات ص ٢١٨)، وذكر ابن قاضي شهبة في «طبقات النحاة واللغويين» المخطوط ان أحمد بن أبي طاهر العدوي النحوي الموصلي كان مقيما باربل يقرئ النحو في دار الحديث (الورقة ١٢١).

والحقيقة ان دور الحديث كانت تهيء لروادها لا أمكنة السماع فحسب، بل وأماكن الاقامة أيضا، وجرايات الطعام لهؤلاء الرواد، الأمر الذي سهّل على العلماء أمور النقل والاقامة. وكانت دار الحديث المظفرية مكانا لاقامتهم (مخطوطتنا ورقة ١٣٥ أ و١٩٤ ب و٢٠٢ ب و٢٠٨ب). وممن أقام بها مدة سنتين فقيه من دمشق، كان يجرى عليه ما للطالب فيها من المعّين له في شروط الوقف. وقد ذكر ابن خلكان (٤/ ٢٩٧) مثلا قدوم الشيخ أثير الدين المفضل الابهري[1]، صاحب «التعليقة» في الخلاف و«الزيج» من الموصل الى إربل في سنتي ٦٢٥ و٦٢٦ هـ/ ١٢٢٧ و١٢٢٨م، ونزوله بدار الحديث المذكورة. وذكر انه اشتغل عليه بشيء من الخلاف (طبقات السبكي ٨/ ٣٨٠). والجدير بالذكر ان الزوايا والمدارس أيضا كانت أماكن لاقامة العلماء (مخطوطتنا ورقة ١٩٦ أ وأنساب السمعاني ١/ ١٥٢). ويبدو ان هذا التقليد كان سائدا في سائر أنحاء العالم الاسلامي، اذ يذكر المقري (كناسة ص ١٥٥) ان أحد علماء المغرب كان يقيم في سنة ٧٥٧ هـ/ ١٣٥٦ م في احدى مدارس غرناطة.

وللمزيد من المعلومات عمن حدّث باربل، راجع مخطوطتنا ورقة ٢٦ ب و٣٤أ وب و٣٧ أ

---

(١) وقد ذكر القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» ان أثير الدين هذا كان عديم النظير في علم الهندسة (انظر ص ٤٦٣).

و٣٨أ و٣٩ ب و٤٠ ب و٤٨ ب و٤٩ أ و٥٠ أ و٥١ ب، ٥٣ أ، و٥٤ ب – ٥٦ أ و٥٧ أ و٥٨ أ و٦١ ب و٦٧ ب و٧٠ أ و٧٢ أ و٧٥ ب و٧٦ ب، و٧٨ ب، و٨٣ ب و٨٥ أ و٨٧ أ – ٨٨ أ و٨٩ ب و٩٠ أ و٩١ أ وب و٩٩ب و١٠٠ أ و١٠٣ أ و١٠٤ ب – ١٠٥ ب و١١٠ ب – ١١٢ ب و١١٣ أ وب و١١٥ أ و١٢٢ أ، و١٢٤ أ و١٢٥ ب و١٣٥ أ و١٤٥ ب و١٤٦ ب و١٤٧ أ و١٤٩ أ وب و١٥٢ ب – ١٥٣ ب و١٥٦ أ و١٦١ أ و١٦٢ أ و١٦٤ أ و١٦٧ ب و١٧٠ أ و١٧٦ ب و١٩٢ ب و١٩٤ ب و١٩٩ ب و٢٠١ أ و٢٠٢ ب و٢٠٣ ب و٢٠٨ ب و٢٠٩ أ و٢١٧ ب و٢١٨ ب و٢٢٤ ب و٢٢٦ ب.

٤ – إربل تجتذب أهل العلم والدين:

يبدو ان إربل منذ بدأت تأخذ بأسباب الحكم الذاتي، صار حكامها يجتذبون أهل العلم والدين. وقد نقل ابن الفوطي (معجم ٢/ ١٠٥٥) عن القسم الضائع من «تاريخ إربل»، بان عليا بن محمد بن الحسين البيهقي المتوفى في سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م، وكان واعظا متصوفا وله قبول لدى الخاص والعام، جلس يعظ باربل وحضر مجلسه قايماز الزيني حاكمها فأغلظ له القول في موعظته، فصار قايماز يبكي في ذلك المجلس. ولقد زار إربل – في عهد قايماز هذا – الشاعر سعد بن علي الحظيرى المتوفى سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م، وأقام بها ومدح قايماز، ثم صنف له كتابا سماه «الاعجاز في حل الأحاجي والالغاز» (المنتظم ١٠/ ٢٤١ وخريدة العماد – العراق ١/ ١٣٤ وأدباء ياقوت ٤/ ٢٣٢ وابن خلكان ٢/ ٢٣٢ و٣/ ٤٧). والظاهر ان ياقوت الحموى نفسه قد لاحظ إقبال الغرباء على إربل، فقال في معرض كلامه عن كوكبوري بعد أن وصفه بالشهامة والقوة والتجربة، وانه نابذ الملوك حتى هابوه، وبذلك انحفظت أطرافه، «وقصدها – أي إربل – الغرباء وقطنها كثير منهم، حتى صارت مصراً كبيراً من الامصار». (بلدان ١/ ١٨٧). ولا شك ان وجود عدد من المدارس ودار للحديث فيها، علاوة على سخاء كوكبوري واحتفائه بالعلماء، شجع أهل العلم على قصد إربل، مما أحدث نهضة ثقافية كبيرة فيها، لا تتناسب وحجم المدينة وأهميتها. وان بعض هؤلاء الوافدين صنفوا كتبا اهدوها لكوكبوري وغيره من الحكام (سبق أن أشرنا الى الكتاب المصنف لقايماز)، من ذلك مثلاً محمد بن عمر المقدسي المتوفى سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م الذى تولى مشيخة دار الحديث

المظفرية بالموصل، صنف كتابا سماه «المجد المظفري»، ذكر فيه أخبار الأمراء وأبوابا في ذكر العدل وذم الظلم.. الخ.. (مخطوطتنا ورقة ٧٤ ب). وذكر ابن الفوطي (معجم ١/ ٤٢٢) بان عيسى بن المعلى بن مسلمة الأموي الحضي، صنف كتابا اسمه «زهر الرياض وحديقة المرتاض» وأهداه الى كوكبوري، وذكر انه نقل منه. أقول وهذان الكتابان مفقودان مع الأسف. بل ان كوكبوري كان يقرر رسما سنويا لبعض العلماء، يحضرون كل سنة لاستيفائه - كما هو الحال بالنسبة لابن بصلا (مخطوطتنا ورقة ١٢٤ ب) - ومثل ذلك بالنسبة للسنهوري المصري الذي ورد إربل عدة مرات، وفي كل مرة كان يصله كوكبوري بصلة سنية، وقد قال عن ذلك ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٢ أ) « فوصله بما جرت به عادته أن يصل به مرة ثانية» ومثل محمود اللبان المقرىء الموصلي وأبي الفرج الواسطي (مخ ورقة ٥١ ب و٥٨ أ).

ولعل من الطريف أن نذكر أن كثيرين من العلماء والمتصوفة، قد جعلوا طريقهم الى الحج يمر باربل، حتى ولو لم تكن واقعة على الطريق المعتاد. وقد فعل ذلك الفخر ابن تيمية الذي عرج من حران الى إربل في طريقه الى الحجاز (مخ ورقة ٣٤ ب)، وفعل مثله عالم مصري وكذلك الحال مع قاضي البيلقان (مخ ورقة ٣٧ أ). وان بعض هؤلاء جاء الى إربل بقصد النوال، كعادة الذين يردونها بقصد الاستجداء - على حد قول ابن الشعار - مثل عبد الله بن الحسين بن رواحة الذي جاء من حماه (مخ استانبول ٣ ورقة ١٥٩) بل ان بعضهم أعجبتهم الاقامة، فأقاموابها حتى أخر حياتهم، وخير مثل على ذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد القاهر السهروردي، وبارسطغان بن محمود الغزي، قاضي الاسكندرية، وعلي بن علوى بن ملاعب الموصلي، واسحق بن هبة الله بن صديق، قاضي خلاط الذي استوطن إربل وتوفي بها في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م (مخطوطتنا ورقة ١١٦ ب وطبقات السبكي ٨/ ١٣٣ ومخطوطة ابن الشعار ٤ ورقة ٢١٠ وذيل اليونيني ٢/ ٤١٠). على انني لو أردت أن أذكر مَنْ قصد إربل في عهد كوكبوري وحده، لاحتجت الى كتاب خاص، ولذلك فساكتفي بالاشارة الى بعض البارزين ممن أمّها وفي مقدمة هؤلاء:

١ - الأمير اسامة بن منقذ، وقد ذكر في كتابه «المنازل والديار» (ورقة ١٦٧ ب - ط موسكو) وجود العسكر الاتابكي باربل، وانه كان فيه.

٢ – المؤرخ الكبير محمد بن سعيد ابن الدبيثي، مصنف «ذيل تاريخ بغداد». وقد قرأ الحديث باربل، وسمع من محمد بن اسماعيل الاربلي (المختصر المحتاج اليه ٢/ ١١٣ وابن خلكان ٤/ ٢٨ ومعجم ابن الفوطي ٣/ ٣١١، ومخطوطتنا ورقة ٨٩ ب).

٣– المؤرخ محمد بن أحمد القطيعي البغدادى (مخ ورقة ٥٥ ب).

٤ – المؤرخ البغدادى الشهير ابن النجار (المصدر السابق ورقة ١٦٩ أ).

٥ – سبط ابن الجوزى الذى زار إربل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م، ووعظ بها واجتمع ببعض شيوخها، وفقا لما ذكره هو في مرآته ٨/ ٥١٦ (ذيل الروضتين ص ٤٨).

٦ – يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي، رسول الخليفة المستنصر واستاذ داره. زار إربل في سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م، وقد أنشد فيها بعض شعره فسمعه منه ابن الشعار (ذيل اليونيني ١/ ٣٣٤).

٧ – عدي بن مسافر، الصوفي الشهير وامام الطائفة اليزيدية في العراق (مخ ورقة ٤٥ أ وابن خلكان ٢/ ٤١٨).

٨ – محمد بن الخضر ابن تيمية الحراني، وعظ باربل وحضر مجلسه كوكبوري (مخ ورقة ٣٤ ب وابن خلكان ٤/ ٢٠).

٩ – محمد بن عبد الغنى ابن نقطة، المحدث البغدادي (مخ ورقة ١١٨ أ، وابن خلكان ٤/ ٢٦).

١٠ – نصر الله بن محمد ابن الاثير، مصنف كتاب «المثل السائر» (ابن خلكان ٤/ ٣٢ وابن الشعار، ج ٩ ورقة ٢٦ – ٤٣).

١١ – وأخوه ضياء الدين بن الاثير، وزير الملك الافضل الأيوبي، ورد إربل بعد ان فارق الوزارة (اتابكة ابن الاثير ص ٩).

١٢ – النحوي مكي بن ريان الماكسيني، استاذ ابن المستوفي (ابن خلكان ٤/ ٣٦٥).

١٣ – موسى بن يونس بن منعة، العالم بالهندسة والمنطق (ابن خلكان ٤/ ٣٩٨).

١٤ - ياقوت الحموي، الذى قابل ابن المستوفي وأعجب به (مخ ورقة ١٥٧ أ وبلدان ياقوت ١/ ١٨٧ وابن خلكان ٥/ ١٧٩).

١٥ - أحمد بن محمد، ابو الفتوح الغزالي، أخو الامام أبي حامد (مخ ورقة ١ ب).

١٦ - عبد العزيز بن عبد القادر الجيلي (مخ ورقة ٣٤ أ).

١٧ - محمد بن وهب الدمشقي، الذى حضر كوكبوري مجلس حديثه (مخ ورقة ٧٢ أ).

١٨ - محمد بن يوسف البرزالي ، المحدث الاندلسي (مخ ورقة ١٤٦ ب).

١٩ - أسعد بن يحيى بن موسى، الشاعر السنجاري، ورد إربل في سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦م (ابن خلكان ١/ ١٩٤).

٢٠ - ابو بكر الحازمي، المحدث والمؤلف المعروف (مخ ورقة ٤٩ أ).

٢١ - علي بن القاسم ابن عساكر الدمشقي (مخ ورقة ١١١ ب).

٢٢ - عبيد الله بن علي البغدادي المعروف بابن المارستانية، وقد حدث باربل. (تكملة المنذرى ٢/ ٤٢٩) والمختصر المحتاج اليه ٢/ ١٨٧ وذيل الروضتين ص ١٣٤ ومعجم ابن الفوطي ٣/ ٢٢٦ وتاريخ ابن الساعي ص ١١٢ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٣٥ وذيل ابن رجب ١/ ٤٤٢ ولسان ابن حجر ٤/ ١٠١ وشذرات ٤/ ٣٣٩ ومجلة المجمع العراقي ٧/ ٢٦٠).

٢٣ - ابن الشعار الموصلي، مصنف «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» ويبدو من كتابه بأنه انتفع كثيراً من وجوده باربل، ومن ملازمته لابن المستوفي (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨ وابن خلكان ٣/ ٢٩٦).

٢٤ - ابن دحية الكلبي، الذى صنف أثناء وجوده باربل كتابا عن المولد النبوى، أهداه الى كوكبوري (ابن خلكان ١/ ١٩٠).

٢٥ - صاعد بن علي الواسطي، من شيوخ ابن المستوفي ورواته (المختصر المحتاج اليه ٢/١١٣).

٢٦ - المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي، شيخ ابن المستوفي (مخ ورقة ٦ أ).

٢٧ - محمد بن علي العراقي الحلي المتوفي في سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م، أحد أئمة النحو والفقه وشارح «مقامات الحريري» وقد أخذها عن مؤلفها (بغية السيوطي ١/ ١٨٢).

٢٨ - يحيى بن سليمان بن شاؤل الشاعر اليهودي الاندلسي، المستغرب من أهل طليطلة (ابن الشعار ج ٩ ورقة ٢٢٧).

٢٩ - الفقيه الفاسي الفتح بن موسى بن حماد الاموي، العالم الاصولي والنحوي والفرضي، وكان ذا نظر في الحكمة والمنطق، وقد لقيه ابن الشعار لدى زيارته لاربل (ابن الشعار ج ٥ ورقة ٢٥٥ - ٢٥٦).

٣٠ - نصر الله بن يوسف الكناني الذى زار إربل من مصر، وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م (ابن الشعار ج ٩ ورقة ٥٤).

٣١ - عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السنينيرة الذى ورد إربل من واسط، وكان من أعيان شعراء عصره، وقد نزل عند والد المؤرخ ابن خلكان بالمدرسة المظفرية (وفيات الاعيان - تحقيق احسان عباس، ج ١ ص ٢١٥).

٣٢ - يعقوب بن نصر بن يعقوب الدارقزي، وهو شاعر ورد إربل من بغداد (ابن الشعار ج ١٠ ورقة ٩٨).

٣٣ - أسعد بن يحيى السلمي، الفقيه الشاعر المعروف بالبهاء السنجاري وقد زار إربل عدة مرات، وكانت آخر زيارة لها في سنة ٦٠٤ هـ (ابن الشعار ج ١ ورقة ٢٥٤، وابن خلكان - تحقيق احسان عباس ج ١ ص ٢١٤).

٣٤ - حسن بن صافي بن عبد الله النحوي، المعروف بملك النحاة المتوفي سنة ٥٦٨ هـ (ابن خلكان - تحقيق احسان عباس ج ٢ ص ٩٣، والسيوطي بغية الوعاة، ج ٢ ص٢١٦).

٣٥ - علي بن بكمش بن مزان التركي البغدادي، النحوي المقرئ، (السيوطي. بغية الوعاة، ج ١ ص ٥٧٠ وج ٢ ص ١٥٢).

٣٦ - مهذب الدين الحاجب الدمشقي، زار إربل وكان يهتم بالطب والرياضيات، وقد اجتمع في إربل بمحمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان الحاسب البغدادي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤م، فدرس مهدب الدين عليه، وقرأ عليه «الزيج» الذى نقله بخطه ثم حمله معه الى دمشق (ابن ابي أصيبعة، ج ٢ ص ٢٩٩).

٣٧ - فخر الدين سرخاب بن الحسين بن الحسين الأموري الذى تولى التدريس في المدرسة العصرونية في حلب حتى عام ٦٠٥ هـ، وفيها غادر حلب متوجها الى إربل (ابن شداد الاعلاق الخطيرة، ج ٣ ق ١ ص ٩٩).

٣٨ - محمد بن احمد بن محمد البكرى الوالبي التريشي (الاندلسي) الذي رحل إلى بغداد، ومنها قصد إربل، ثم توفي في دمشق في سنة ٦٨٥ هـ (ابن فرحون، الديباج المذهب ص ٣٢٦ - ٣٢٦ والقضاعي، فضل تالي كتاب الوفيات، تحقيق جاكلين شويله، ص ١٨٤).

هذا قليل من كثير، على انه من المفيد ان نشير الى ما نقله ابن الفوطي (معجم ١/ ٢٠٤ و٥٨٦ و٥٩٥ و٤/ ٦٨٥ - ٦٨٦) عن القسم الضائع من «تاريخ إربل»، وفيه يتحدث ابن المستوفي عن أناس لقيهم باربل، من ذلك مثلا انه اجتمع سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦ م بالحسن بن سعيد بن عبد الله الشاتاني الأديب، وكان شاعراً يحفظ جل اشعاره (جاء في ذيل الروضتين ص ٤٨ ان سبط ابن الجوزى، لقي باربل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م شيخا يدعى «محيي الدين الشاتاني».

أما الحسن الشاتاني المذكور، فقد توفي في سنة ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م وفقا لما ذكره ابن الفوطي في معجمه (١/ ٥٨٦) كما انه - أي الفوطي - ينقل عن ابن الشعار، قوله بأنه كتب باربل عن عبد القادر بن يحيي البوازيجي الشاعر، وانه كتب شعراً باربل أيضا عن عبد الصمد بن عبد الله المراغي المتوفى سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م، وهو كاتب الانشاء لملكة مراغة، كما كتب في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨م باربل عن محمد بن احمد الخسروسابوري الواسطى الشاعر ويذكر ابن الفوطي أيضا (معجم ٢/ ٦٨٨) اسماعيل

ابن عبد المحسن الدقوقي الأديب الشاعر المتوفي سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م، الذى كان رد إربل في أيام تاج الدين ابن الصلايا، ويمدحه.

في الحقيقة ان التشجيع الذى لقيه الغرباء من كوكبوري، كان هو السبب في تواردهم عليه بكثرة، وكان لا يميز بين أحد منهم، فقد ولىّ - مثلا - مقدسيا مشيخة دار الحديث التى أسسها بالموصل (مخ ورقة ٧٤ ب)، وجاءه فقيه من دمشق فأقام بدار الحديث باربل سنتين فأجرى عليه ما يجرى على الطالب فيها من الأرزاق (مخ ورقة ١٣٥ أ)، وهذا محمد ابن أبي الفوارس الحلي يأتي إربل فتسند اليه وظيفة تعليمية (بغية السيوطي ١/ ٢١٢)، وهذا محمد بن عبد السلام السنجاري يتولى التدريس بالمدرسة العقيلية، ويتصل بكوكبوري فيصير مستشاره ورسوله الى دار الخلافة (معجم ابن الفوطي ١/ ٦٢٣)، وهذا محمود بن رالي الرقي الأديب الشاعر المتوفى سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١ م، ينزل باربل فتسند اليه وظيفة ناظر بها (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٤)، ويأتيها بدل بن أبي المعمر التبريزي المتوفى سنة ٦٣٦ هـ/ ١٢٣٨م، فيولّي مشيخة دار الحديث الاربلية (مخ ٦١ أ وعبر الدهبي ٥/ ١٤٩ وشذرات ٥/ ١٨٠)، ويأتي حمد بن أحمد بن صديق الحراني فيُعين قاضيا لشهرزور (مخ ورقة ١٤٢ ب)، ويأتي علي بن ملاعب الموصلي، فيوليه كوكبوري النظر في دار المضيف (مخ ورقة ٦٨ ب)

ثم ان إربل كانت ملجأ للمظلومين، فهذا ابراهيم بن المظفر الحنبلي، يخرجه أهل الموصل لأنهم أرادوه أن يرجع عن شهادة حق شهد بها، فأبي الرجوع عنها، فيجد باربل الملجأ الأمين، ويجلس للوعظ في قلعتها فيحضر مجلسه كوكبوري ويُحسن اليه ويُنعم عليه (مخ ورقة ٦٧ ب)، وشيخ آخر من أهل الموصل هو سلمان بن يحيى البحياري، يحاول أحد الطارئين الحط من مكانته، فيلجأ إلى إربل، فيُكرمه كوكبوري ثم يعيده الى موضعه (مخ ورقة ٧٥ أ)، ويفر القاضي ابن عثمان المصري من القاهرة خوفا على نفسه من الوزير ابن شكر، فيلجأ إلى إربل أيضا (مخ ورقة ١٤٣ أ)

وعلاوة على ذلك، فان إربل صارت مقصد العلماء وطلبة العلم، شأنها في ذلك شأن مدن العلم العريقة، فهذا محمد بن أحمد الزهري الأندلسي المتوفى سنة ٦١٧ هـ/

١٢٢٠م، الذي حملته رحلته الى أقاصى المشرق الاسلامى فزار نيسابور وأصبهان - علاوة على بغداد والموصل - نراه يقصد إربل للسماع على أحد شيوخها (مخ ورقة ٣١ ب)، وعمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي، قدم إربل ولازم كمال الدين بن منعة (بغية السيوطي ٢/ ٢٦٠)، وسعيد بن أحمد المغربي النحوي الذى قدم إربل في سنة ٦١٤/ ١٢١٧م (المصدر السابق ١/ ٥٨٢)، والمطهر بن سديد النوزكاني الذي ورد من خوارزم، فقد سمع على شيوخ اربل في سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م (مخ ٣٨ ب). وهذا سليمان المكي يأتي من الحجاز إلى إربل، فيسمع بها الحديث (مخ ورقة ٥٩ ب)، ثم ان ابن سراقة الشاطبي الاندلسي دخل إربل في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م وقرأ الحديث على بدل التبريزي (ذيل اليونيني ٢/ ٢٠٤). أقول إن أمثال هؤلاء كثيرون، بل ان تاريخ ابن المستوفي، ما هو الا قصة هؤلاء الواردين من آفاق الأرض الواسعة الى تلك المدينة الخاملة التي نبه ذكرها.

وفضلا عما تقدم، فكثيراً ما كان يحصل، ان يلتقي باربل شيخان من بلدين مختلفين، فيسمع أحدهما من الآخر. من ذلك مثلا ان محدثا دمشقيا - هو الحسن بن عبد الله بن شافع - لقي باربل محمد بن على العراقي الحلي المتوفى في سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م، فسمع عليه الحديث (طبقات السبكي ٦/ ١٥٣). ولقي أحمد بن محمد الهمذاني باربل هبة الله بن المكرم البغدادي، فسمع عليه «صحيح البخارى» في مجالس آخرها ٥ جمادى الاولى سنة ٦٢٠ هـ/ تموز ١٢٢٣م (معجم ابن الفوطي ١/ ٤٦٥).

فلهذه الاسباب كثر الراغبون في سكنى إربل، إذ هاجر اليها عدد كبير من الناس، ولعل من الغريب ان نجد مراكشيا يولد باربل، فقد ورد في «منتخب المختار» للفاسي (ص ١٣١ و١٧٦)، بان محمد بن أحمد بن عمر المراكشي المحتد قد وُلد باربل في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م، وقد عُرف فيما بعد بابن الظهير، وبرز بين علماء الحنفية، وصار من كبارهم. وكان له شعر جيد ومساهمة في التآليف. ثم توفي بدمشق في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م، حيث كان يدرس في بعض مدارسها (فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية ٣/ ٢٧). وهذا محمد بن عبد الملك الهمذاني المعدل المتوفى سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤م يولد باربل أيضا في سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م، ويرحل الى بغداد حيث يكون من الشهود أمام

أقضى القضاة عبد المنعم البندنيجي (كان والده يلي الاشراف باربل أيام تاج الدين بن الصلايا، وفقا لما ذكره ابن الفوطي في معجمه ٢/ ٨٢٤ - ٨٢٥ و٨٢٩). والظاهر ان عوائل كثيرة هاجرت الى إربل واستوطنتها، وهذا يفسر سبب ولادة عدد غير قليل من الغرباء فيها. فلقد ذكر السبكي (طبقات ٨/ ٣٧٣) ان الشريف العباسي المظفر بن عبد الله الهاشمي الواعظ المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، وُلد باربل وسمع ببغداد وحدث بمصر ودمشق. وأحمد بن شجاع بن منعة، أصل والده من تكريت، فأقام باربل (مخ ورقة ١٠٩ ب). ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٩ ب و١٣٥ ب). عن وجود عدد غير قليل من الواسطيين كانوا باربل في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م ومنهم شيخه صاعد بن علي الواسطي، وقد مر ذكره، ومنهم مؤمنة العالمة التي كانت تعظ النساء، وقد توفيت باربل.

والذين وردوا إربل لم يقتصروا على فئة معينة، أو جاؤا من جهة محددة، فهناك القادمون من الاندلس والمغرب، مثل محمد بن أحمد الاندلسي المعروف بالشريشي، الذى سمع باربل من الفخر الاربلي، وتوفي بدمشق سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م (بغية السيوطي ١/ ٤٤)، وعبد العزيز بن هلالة المغربي ومعاذ بن علي الصنهاجي ومحمد بن موسى السلاوي (مخ ورقة ١٠٤ ب و١١٨ ب و١٥٣ أ). ومن الطريف ان نذكر بهذه المناسبة، ان يحيى بن أحمد الغرناطي، كان واعظا أعجبته إربل، لا سيما وقد كان له قبول حسن لدى العامة، أوعز لهؤلاء ان يلتمسوا من كوكبوري استبقاءه باربل، وهكذا كان (مخ ورقة ١٦١ أ). وهناك القادمون من مصر، مثل ابراهيم بن خلف الغساني، الذي ورد اربل ثلاث مرات، ومبشر بن محمد المصري، الذي وردها مرتين، وابراهيم بن عثمان الماراني المصري، الذى وردها عدة مرات (مخ ورقة ١٠٠ ب و١٢٢ أ و١٣٦ ب). ثم هناك القادمون من المشرق كخوارزم وبخارى وقزوين ومن هؤلاء محمد بن أحمد القزويني الذي ورد إربل وكان له بها قبول عظيم من الناس (مخ ورقة ٣٨ ب - ٣٩ أ و٧٧ ب و٧٨ أ و١٣٧ أ و١٩٤ ب).

وعلاوة على هؤلاء، فهناك القادمون من المدن القريبة كالموصل، وخير من يمثلهم ابن الشعار وعلي بن علوي بن ملاعب (مخ ورقة ٦٨ ب ، ومخطوطة ابن الشعار ٤ ورقة ٢١٠)، فضلا عن القادمين من بغداد، وخير من يمثلهم المبارك ابن طاهر الخزاعي، شيخ

ابن المستوفي، وعبد اللطيف السهروردي، الذى كسب خطوة كبيرة لدى صلاح الدين، فكان يوليه قضاء كل بلد افتتحه بالساحل، وقد قضي الشطر الاخير من حياته باربل، وكان كوكبوري يحضر مجالس سماعه (مخ ورقة ٦ أ و٧٦ أ وب)، ثم القادمون من دمشق كالشاعر محمد بن نصر بن عنين الدمشقي الذى رأه ابن خلكان باربل في سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م (مخ ورقة ٢٢٤ أو الوفيات ٤/ ١٠٧)، والقادمون من واسط كالشاعر عبد الرحمن بن محمد الواسطي، الذي له موقف مع ابن المستوفي، وقد ورد إربل في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م (ابن خلكان ٣/ ٢٩٦ ومجلة المجمع للعزاوى ص ٢٢٣).

كذلك كان بين القادمين الى إربل بعض النساء، ومنهن مؤمنة العالمة الواسطية – وقد تقدم ذكرها – وجشماؤنة بنت مكي الكاتبة الأرموية التي وردت إربل في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م (مخ ورقة ١١٧ ب)، وأمّة اللطيف وأمّة الرحيم، وقد مر ذكر سماعهما باربل على محمد بن هبة الله بن المكرم (راجع ص ٨٩ من هذا البحث)، وراجية بنت عبد الله عتاقة عبد اللطيف السهروردى، التى توفيت باربل سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م، وقد قرأ عليها ابن المستوفي بعض الحديث (مخ ورقة ١١٣ أ). وللاستزادة من المعلومات عن الواردين الى إربل وأغراضهم، تراجع مخطوطتنا ورقة ٢٦ ب و٣٤ ب و٣٧ أ و٥٤ ب – ٥٦ أ و٥٩ ب و٦٨ ب و٧٢ أ و٧٣ أ و٧٥ ب و٧٦ ب و٧٧ ب و٩٧ أ و٩٩ أ و١٠٠ ب و١٠٤ ب و١١٠ ب – ١١١ ب و١١٧ ب و١١٨ أ و١١٩ أ و١٢٢ أ و١٣٧ أ و١٣٨ أ و١٤٢ أ و١٤٣ أ و١٤٥ ب – ١٤٦ ب و١٤٨ ب و١٥٢ ب و١٥٣ أ و١٥٧ أ و١٦١ أ و١٧١ أ و١٧٤ أ و١٧٦ ب و١٧٨ أ و١٨٧ ب و١٨٨ أ و١٩٢ أ و١٩٤ أ و١٩٦ أ و١٩٧ أ و١٩٩ أ و٢٠٠ أ و٢٠٠ أ و٢٠٩ أ و٢١٥ أ و٢١٦ أ و٢١٧ أ وب.

٥ – ظهور طبقة مثقفة أربلية:

وكما اجتذبت إربل أهل العلم والفضل، فانها بدورها أخرجت طبقة مثقفة كبيرة العدد، وافرة العلم، طرق أبناؤها مختلف أبواب المعرفة وساروا في آفاق الارض ينشرون ما لديهم من معارف، ويسهمون في النهضة الثقافية التي اجتاحت العالم الاسلامي رغم تفككه السياسي واضطراب الامور فيه. وقد ضم «تاريخ إربل» بين دفتيه تراجم لعدد غير

قليل منهم. واحتل بعض الارابلة مراكز مرموقة في مهاجرهم، ويكفي ان نقول بأن الجزء الرابع من «معجم ابن الفوطي» وحده قد تضمن تراجم لاثنين وعشرين إربليا .

وفي طليعة هؤلاء الارابلة يأتي آل الشهرزوري الذين تولوا القضاء وقضاء القضاء في بغداد والشام وغيرها (قبل نشر هذا الكتاب علمت أن دراسة قصيرة من الاسرة الشهرزورية قام بها الدكتور صادق أحمد جودة تقع في ٤٤ صفحة، وقد تم نشرها عام ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م). فمنهم القاسم بن المظفر قاضي إربل، وولداه محمد قاضي الخافقين، والمظفر (انساب السمعاني ١/ ١٥٢ وابن خلكان ٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣ ومخطوطتنا ورقة ٩٨أ)، وآل الحديثي، ومنهم أحمد بن محمد الاربلي الحديثي، وولده روح بن أحمد الذي تولى منصب قاضي القضاة ببغداد (مخ ورقة ٩٦ أ و٩٧ أ)، وآل الماراني[1]، الذين تولوا القضاء بمصر (ابن خلكان ٢/ ٤٠٦)، وبنو عقيل الذين منهم الخضر بن عقيل أول مدرس إربلي، وابن أخيه نصر بن عقيل الذى درّس وافتى باربل والموصل وتوفي في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م (مخطوطتنا ورقة ٢٦ أ وطبقات السبكي ٥/ ١٦٣ ط، الحسينية)، ومنهم الحسن بن أبي الحسن بن خل الاربلي المتوفى في سنة ٥٥٨ هـ/ ١١٦١م، وقد تولي نيابة القضاء بها (مخطوطتنا ورقة ٧٧ أ)، ومنهم بنو خلكان الذين تولوا التدريس باربل، وأبرزهم ولا شك، بل وأكثر الارابلة شهرة المؤرخ أحمد بن محمد الاربلي المعروف بابن خلكان الذى وُلد باربل ودرس بهـا، ولم يغـادرها الا في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م (وفيات ٣/ ١٧٠)، وهو علاوة على تسلمه منصب قاضي القضاة في الشام، فقد كان من أبرز مؤرخي التراجم في العالم الاسلامي (مخطوطتنا ورقة ١٣٧ ب و١٦٣ ب ومعجم ابن الفوطي ١/ ٢٨٨ وبغية السيوطي ص ٢٣١ ط بولاق وشذرات ٥/ ٢٧٤ وطبقات الاسنوي ١/ ٤٩٦ وطبقات السبكي ٥/ ١٩ ط الحسينية، تكملة المنذرى ٤/ ٣٥، و٨٠ ذيل اليونيني ٤/ ١٤٩ و٢٣٤ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٣٠١).

---

(١) ومنهم ضياء الدين عثمان بن عيسى بن درباس الماراني الذى درس باربل ثم انتقل الى دمشق، وتبحر في الفقه الشافعي حتى صار حجة فيه. وصنف عدة كتب منها شرح «المذهب» في خمسة مجلدات سماه «الاستقصاء في مذاهب الفقهاء»، وشرح «اللمع» في أصول الفقه لابى اسحق الشيرازى، وناب عن أخيه في القضاء في مصر، وانشأ له أحد الأمراء الاكراد مدرسة في القاهرة سنة ٦٠٢ هـ (ابن خلكان ج ٣ ص ٢٤٢، والاسنوى. طبقات الشافعية ج ١ ص ١٢٧)

وهناك كمال الدين علي بن ارسلان بن عبد الله الاربلي، الأديب المعروف برسائله (مجلة المجمع العراقي ٩/ ١٢٨). ويبدو انه عاش بين القرنين الخامس والسابع للهجرة، وفقا لما ورد في تلك المجلة. وهناك ايضا محمد بن علي بن أحمد الاربلي المتوفى في سنة ٧٥٥ هـ، وقد شرح «الحاوي الصغير» للقزويني، كما شرح كلا من «الشافية» و«الكافية» (انظر هدية العارفين ٢/ ١٣٥).

ولا يفوتنا ذكر آل منعة الذين تولوا التدريس والافتاء باربل والموصل، وعلى رأسهم يونس بن محمد بن منعة المتوفى في الموصل سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م، وكان مدرسا وفقيها ومفتيا، وابنه محمد العالم الكبير (ابن خلكان ٣/ ٣٨٥ و٦/ ٢٥٢ وذيل اليونيني ٣/ ١٤) واحمد بن موسى بن يونس الاربلي المتوفى في سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م، وقد درس عليه ابن خلكان (وفيات ١/ ٩٠ ومرآة اليافعي ٤/ ٥٠ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ١١١ ومعجم كحالة ٢/ ١٩٠)، وأحمد بن أحمد بن منعة الاربلي الأديب (معجم ابن الفوطي ٢/ ٩٧٤). وكان أحدهم مبرزاً - وهو موسى بن يونس بن منعة - في الرياضيات والهندسة، وكان يعرف ٢٤ فنا أخرى، وكان ترد اليه من بغداد المسائل في مشكلات علم الفلك فيحلها ويستصغرها. درّس في عدة مدارس بالموصل، وتخرج عليه خلق كثير في كل فن (الحوادث الجامعة ص ١٤٩ وابن خلكان ٤/ ٣٩٦).

وظهر بين الارابلة من بلغت به جرأته أن يأخذ على سيبوية في عدة مواضع، ويناقض المتنبي وأبا تمام، وهو علي بن أبي القاسم الشيباني الاربلي المتوفى في سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م (بغية السيوطي ١/ ١٨٤). وهذا قاضي إربل جعفر بن محمد الكفرعزي الاربلي المتوفى في سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م، لا يكفيه ان يكون عالما بالفقه وعلوم القرآن الكريم والفرائض، فيضيف اليها الحساب والهندسة والأدب ونظم الشعر (غصون ابن سعيد ص ٧٨ و١١٦ والحوادث الجامعة ص ٣٤٣ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٠). ومن الارابلة أيضا محمد بن يوسف البحراني المتوفى في سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م شيخ ابن المستوفي، فعلاوة على كونه من اكثر الناس علما بالعروض - على حد قول ابي الفداء في تاريخه ٤/ ١٠٣ - وأحذقهم بنقد الشعر، فانه اشتغل بعلوم الأوائل وحل كتاب اقليدس (بغية

السيوطي ١ / ٢٨٦) . ومن اشتغل بعلوم الاوائل أيضا، وكان يقرؤها المسلم والذمي والكافر على السواء، الحسين بن محمد المعروف بالعز الاربلي الضرير، المتوفى في دمشق سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١م (ذيل الروضتين ص ٢١٦ وذيل اليونيني ١/ ٥٠١ و ٢/ ١٦٥ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٣٥ وفوات الكتبي ١/ ١٣٤ ونكت الهيمان ص ١٤٢ وشذرات ٥/ ٣٠١ وبغية السيوطي ٢٢٦ ط بولاق، واعلام الزركلي ٢/ ٢٣٢، وقد ورد اسمه في الفوات والبغية «الحسن بن محمد» وقد اختار الزركلي هذه التسمية أيضا). ويذكر ابن خلكان (٢/ ٩٨ - ٩٩ ط احسان عباس) محمود بن عبد الله الاربلي الأديب، الذى كان يجيد صناعة الالحان وغير ذلك، وكان من أصحاب ابن خلكان نفسه، وقد زاره في القاهرة سنة ٦٤٥ هـ/ ١٢٤٧م وروى له بعض شعره، وهناك أيضا محمد بن على الخطيب الاربلي المتوفي في سنة ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨م، وكان موسيقيا، ومن آثاره «قصيدتان في الانغام» (معجم كحالة ١١/ ٧ وبروكلمان ٢/ ١٦٩ وملحق ٢/ ٢١٨).

ومن عوائل إربل البارزة، عائلة ابن المستوفي، وفي المقدمة عمه صفي الدين علي بن المبارك الذي ترجم كتاب «نصيحة الملوك» الذي صنفه الامام الغزالي باللغة الفارسية، فنقله صفي الدين الى العربية (ابن خلكان ٣/ ٢٩٨ وكشف الظنون ص ١٩٢٦ و١٩٥٨ وبروكلمان ١/ ٤٢٣) ويحدثنا ابن المستوفي عن بعض تعليقاته وعن الشعر الذى وجده مكتوبا بخطه (مخ ورقة ٣٢ أ و٥٤ أ و١٤٠ أ). وكذلك يحدثنا كيف ان والده كان يصطحبه معه - وهو صغير - لزيارة أهل العلم (مخ ورقة ٣ أ و٤٤ أ) مما جعل المؤلف - رغم صغر سنه - يعتاد على ارتياد الجوامع لسماع مناظرات العلماء، ويبدو ان والده كان محباً للخير، إذ يذكر المؤلف بأنه بنى قبة كان ينزل فيها العلماء والمتصوفة الذين يردون الى إربل (مخ ورقة ٢٩ ب و٤٤ أ و٤٦ ب و١٧٢ ب). هذا وتوجد في «مكتبة الخالصي» بالكاظمية في العراق مخطوطة لكتاب «النهاية في غريب الحديث» تصنيف المبارك بن محمد بن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، وهى مكتوبة في سنة ٨٣١ هـ، وقد جاءت نسبة المؤلف فيها الجزرى الاربلى ، (فهرستها ص ٢٧) وهذا معناه ان آل الاثير اراِبلة أيضا، مما لم أجد له سنداً في المراجع التى تحت يدي.

٦ - شعراء اربل:

ان انتشار الثقافة بين أهل إربل استتبع ظهور عدد من الشعراء اد
سمات المثقفين في ذلك العصر، بل ان صاحبنا ابن المستوفى كان شد
الينا مقطوعات من شعره، اما ديوانه الذي ذكره حاجي خليفة (ص ٨
مؤلفاته المفقودة. واستكمالا لصور الحياة الثقافية باربل، سنتناول ب
الذين برزت أسماؤهم، ومنهم:

١) الحاجرى:

هو عيسى بن سنجر الاربلي المعروف بالحاجري، وكان جنديا ويقول
١٦٩) انه كان له ديوان شعر فيه معان جيدة، وقد ضمنه «الدوبيت و
الشاعر اختلف مع كوكبوري وتحول الى التصوف. وقد اغتيل في
١٢٣٤م، وقد كان من أصحاب ابن المستوفي ومن رواد مجلسه. هذا
مخطوطة من ديوانه في المكتبة الاحمدية بتونس (فهرس المكتبة ص
مخطوطة في الخزانة البارودية ببيروت، جمعه عمر بن حسين الدمشقي
وقد تم استنساخها في اواسط القرن الثامن الهجرى (مجلة مجمع دمش
١٣٣ لشهر آذار ص ١٩٢٥). ويتضح مما تقدم ان الحاجرى لم يكتف ب
التقليدي، وانما أضاف اليه شيئا من الشعر الحر - إذا جاز لي ا
التسمية -. وهنا يحضرني اسم اربلي آخر، كان يكتب «الدوبيت» أيضـ
المختص الاربلي، أحد أصحاب ابن خلكان (وفيات ٤/ ٨٤).

٢) ابن ابي الهيجاء الاربلي:

ذكر ابن حاتم اليامي في كتابه «السمط الغالي الثمن» ان «جكو» أم
الايوبية في اليمن، التحق بامام اليمن وخاصم الايوبيين، ولكنهم تمكنوا مر
مقدميه ويدعى «أبو الهيجاء» (السمط ص ٦٣) ولعل لهذا المقدم صلة بالث
وهو خشترين بن تليل ابن أبي الهيجاء الاربلي المتوفى في سنة ٦١٩
وينتسب الى مروان بن الحكم. ويقول اليونيني (ذيل ٢/ ٢٢٨) ان شعره لط
مقطوعات منه.

٣) علي بن عيسى:

هو علي بن عيسى الاربلي المنشئ الكاتب بديوان الانشاء ببغداد والمتوفى في سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣م، وقد صنف كتابا بعنوان «التذكرة الفخرية» (انظر مجلة المجمع العراقي ٩/ ١٢٩ والحوادث الجامعة ص ٢٧٨ و٣٤١ وفوات الكتبي ٢/ ٦٦ ط بولاق ومعجم ابن الفوطي ١/ ٥٧١ و٢/ ١١٩٧ وروضات الخوانساري ص ٣٩٦ وفهرس مخطوطات الامام الحكيم ص ١١٢). وقد سبق لوالده «عيسى بن ابي الفتح ان تولى هذه الديوان في بغداد، وتوفي في سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م (الحوادث الجامعة ص ٣٤١ و٣٦٦ و٣٦٩ ومعجم ابن الفوطي ٣/ ٢٧٤).

٤) الصلاح الاربلي:

كان شاعراً ذا حظوة عند الملكين الاشرف والكامل ولدي العادل الايوبي وقد توفي في سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م (تاريخ ابي الفداء ٣/ ١٥٦).

٥) شيطان الشام:

هو يوسف بن النفيس الاربلي، ولد باربل في سنة ٥٨٦ هـ وتوفي بالموصل في سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠م، وله شعر في رثاء ابن المستوفي (ابن خلكان ٣/ ٢٩٨) والمعروف عن هذا الشاعر انه كان هازلا خليعا يتزيا بزي الجند الاكراد، ويرسل شَعره، تجول في كثير من الاقطار الاسلامية، ثم استقر بالموصل (ابن الشعار، ج ١٠ ورقة ٦٣ ب).

٦) محمود الاربلي:

هو محمود بن عبيد الله الاربلي الشاعر، وكان من أصحاب ابن خلكان (وفيات ١/ ٣٧٦).

٧) علي بن عثمان الاربلي:

كان صوفيا شاعراً، من شعراء الملك الناصر الايوبي، توفي بالفيوم في سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م (ذيل اليونيني ٢/ ٤٨٠ وفوات الكتبي ٢ / ١١٨ وروضات الخوانساري ص ٤٩٣).

٨) عبد العزيز الاربلي

هو عبد العزيز بن عثمان الغزاري ، شاعر إربلي آخر لحق بالايوبيين وامتدحهم، ثم عاد الى إربل في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م (معجم ابن الفوطي ١/ ٢١٨).

٩) ابن النقف:

هو رشوان بن منصور المولود باربل، وقد خدم في جند الملك الايوبي العادل، وتوفي في سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦م (تاريخ ابن كثير ١٣/ ٧٥).

١٠) طه الاربلي:

هو طه بن إبراهيم بن أبي بكر الاربلي، شاعر أديب أقام بالقاهرة، توفي في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م (ذيل اليونيني ٣/ ٣٠٢ وطبقات الاسنوى ١/ ١٥٣، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢٣٥ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٨٢).

١١) الحسن بن شماس:

هو الحسن بن شماس الاربلي الرسول، من عائلة إربلية خزرجية الاصل عرفت بالرئاسة والفضل والأدب. كان شاعراً، ومن مثقفي إربل البارزين وله رسائل (معجم ابن الفوطي ١/ ٧٩).

١٢) سليمان بن بنيمان الاربلي:

شاعر إربلي مدح الملك الايوبي الناصر يوسف، وقد توفي في سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧م (الوافي – مخ اكسفورد ورقة ١٢١، ذيل اليونيني ٤/ ٣٢٧، وفوات الكتبي ١/ ٣٥٠ وشنرات ٥/ ٣٩٥).

١٣) ابنا قرطاي:

وهما أحمد ومحمد ابنا قرطاي الاربلي، وكانا من امراء كوكبوري ومن الشعراء (الوافي ٧/ ٢٩٦ ومعجم ابن الفوطى ٢/ ١٠٣٢ و٤/ ٣٥٣).

١٤) أحمد بن عبد السيد الاربلي:

كان أحمد هذا حاجبا لكوكبوري، وسيأتي ذكره (مرآة السبط، ٨/ ٦٩٢ وابن خلكان ١/ ١٦٦ والوافي ٧/ ٦٢).

١٥) البحراني:

هو محمد بن يوسف الاربلي، شيخ ابن المستوفي، وسيأتي ذكره (ابن خلكان ٤/ ١٠٢).

١٦) فخر الدين الاربلي:

هو بليمان بن أبي بكر بن عياش الكردى الاربلي، قال عنه ابن الفوطي في معجمه (٣/ ١٣٦) «كان شاعراً مجيداً من شعراء إربل».

١٧) مجد الدين الحنفي:

هو محمد بن أحمد بن عمر الاربلي الحنفي، وُلد باربل في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م، وتلقى بها دروسه ثم أكمل الدراسة ببغداد ودمشق. وتولى التدريس ببعض مدارس دمشق. وكان فوق علمه وديانته شاعراً رقيقا له ديوان. توفي في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م (شذرات ٥/ ٣٥٩).

١٨) مجد الدين النشابي:

هو أسعد بن ابراهيم بن حسن الاربلي، أبرز شعراء إربل، وقد رافق كوكبورى في زيارته التاريخية الى بغداد، وكان الناطق بلسانه (راجع ص ٥٦ من هذا البحث)، وتولى كتابة الانشاء له مدة. وهو من أصحاب ابن المستوفي ومن رواد مجلسه. وقد كانت له معاتبات شعرية مع هاشم بن عبد السلام بن يوسف الاربلي (عقود ابن الشعار - مخطوطة استانبول ٩ ورقة ٩٤، وتوجد في ظاهرية دمشق مخطوطة تحتوى على بعض شعره - فهرس ص ١١٠) هذا وللنشابي كتاب بعنوان «كتاب المذاكرة في ألقاب الشعراء» (شاكر العاشور: فصلان من كتاب المذاكرة في ألقاب الشعراء، مجلة معهد المخطوطات العربية، ج ٢ مجلد ٣١).

وبرز في إربل عدد من الشعراء النصارى، سنتعرض لذكرهم عند حديثنا عن نصارى إربل، ان شاء الله.

٧ - انتشار الارابلة في العالم الاسلامي:

من الظواهر التي تقترن باسم إربل، ظاهرة انتشار أبنائها في العالم الاسلامي على نطاق واسع[١] ، ولقد خدمت إربل المسلمين خدمة تفوق كثيراً ما يتوقع من مدينة صغيرة خاملة الذكر، الا ان أبناءها هؤلاء رفعوا لواءها عاليا، وجعلوا اسمها يتردد في كل مكان. غير أن استقصاءهم يستغرق الكثير من الصفحات، بل يحتاج الى كتاب كامل. لذلك اكتفي بذكر بعضهم فقط علّنا نقف على مدى هذا الانتشار، الذي يدل - ولا شك - على طموح منقطع النظير.

ومن أقدم الارابلة المغتربين ذكراً، قطب الدين ابن اخي ابي الهيجاء صاحب إربل، وقد كان من ضباط عسكر أسد الدين شيركوه في مصر. وعند وفاة شيركوه في سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨م، حمله طموحه على المطالبة بوزارة مصر لنفسه، ولكنها صارت الى صلاح الدين (اتابكة ابن الاثير ص ٢٥٥).

وهناك قريبة الامير أحمد بن علي بن أبي الهيجاء الاربلي المعروف بابن المشطوب، وكان من أمراء صلاح الدين المقربين، وقد شهد معه أكثر المعارك في فلسطين ومنها معركة عكا (ذيل اليونيني ٢/ ٢٢٤). وكان بين أمراء دار الخلافة ببغداد بهاء الدين علي الاربلي، وقد قُتل في معركة مع المغول وقعت قرب خانقين في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م (الحوادث الجامعة ص ١١٣). وهناك الأمير فتح الدين الحسن بن محمد الشيباني الاربلي الذي خلع عليه الخليفة خلع السلطنة في سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م، وكان يوزع في داره ببغداد، كل جمعة الادوية والاشربة والمعاجين ما لا يكون في مستشفي وكان لا يرد سائلا. حارب التتر واستشهد في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م (معجم ابن الفوطي ٣/ ٤٣).

---

(١) يبدو أن انتشارهم لم تكن تحده حدود، فقد ذكر السخاوي أن الملك المظفر ملك اليمن، كان يرسل في طلب الكتب من الخارج، وكان رسوله في بعض المرات شرف الدين الاربلي (الضوء اللامع ج ١٠، ص ١٤)

وأمير إربلي آخر هو فخر الدين ابراهيم بن أيوب الاربلي، الذى ورد من الشام الى بغداد في أيام المستنصر، وقد توفى فى سنة ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢م (المصدر السابق ٢/ ٥٤). والامير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الاربلي الذي كان متوليا لدمشق في أواسط القرن السابع الهجرى، وتوفي بمصر في سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م (ذيل اليونيني ١/ ٥٠١ - ٥٠٢ والوافى ٥/ ١٧٠). هذا وذكر ابن الشعار (مخطوطة استانبول ٩ ورقة ٩٤) ان هشام بن عبد السلام الاربلي، كان كاتب الطغرة لكوكبوري، قد هاجر الى بغداد في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م وتولى بعض الاعمال لبعض أمرائها. هذا وقد جاء في «الحوادث الجامعة» (ص ٣٥٤)، انه في سنة ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٤م عُيِّن البابا واليا على الموصل، فقبض على واليها «الزكي الاربلي» فحوسب ثم قتل. وفي حوادث سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م، قيل ان أمر العراق قد فُوِّض الى عز الدين الاربلى» (المصدر السابق ص ٤٤٨ و٤٥٤). كما ان عبد العزيز بن ابراهيم الاربلي المعروف بابن الوالي المتوفى في سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦م، قد تولى الوزارة بالشام (ذيل اليونيني ٢/ ٣٦٨).

ومن الارابلة محمد بن أبي المظفر بن نصر بن عقيل المولود باربل والمتوفى بدمشق في سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م، وهو من بني عقيل المعروفين (تكملة ابن الصابوني ص ٢٦٣). ومنهم شبلي بن جنيد بن خلكان الاربلي المتوفى في سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م، وكان قاضيا باخميم بمصر (طبقات السبكى ٨/ ١٥١ وتكملة ابن الصابوني ص ٢٣١)، ومحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان المولود باربل، وقد تولى قضاء بعلبك وبها توفى في سنة ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤م (ذيل اليونيني ٤/ ٢٣٤)، والجنيد بن عيسى بن ابراهيم الخلكاني المولود باربل والمتوفى بدمشق في سنة ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦م، وقد ولي عدة جهات، وكان محمود السيرة (ذيل اليونينى ٢/ ٣٦٥). وهناك محمد بن عثمان الزرزارى الاربلي المتوفى بالقاهرة في سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩م، وكان حافظا مقرئا ثقة (طبقات الجزرى ٢/ ١٩٦)، والياس بن علوان الاربلي، وكان امام مقرئا حاذقا، تصدر للاقراء في الجامع الاموي، وتوفي في سنة ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤م (المصدر السابق ١/ ١٧١)، وعلي بن عبد العزيز الاربلي، نزيل بغداد المتوفي في سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩م، وكان إمام بارعا في القراءات (المصدر السابق ١/ ٥٥٠)، وعمر بن حمزة الاربلى، شيخ قراء صفد وقد توفى

في سنة ٨٧٢ هـ/ ١٣٨٠م (المصدر السابق ١/ ٥٩١)، ومحمد بن الحسن الاربلي الذى تولى الاقراء بالمدرسة الفاضلية بدمشق، وقد جالسه الذهبي وأثنى عليه. توفى في سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م (المصدر السابق ٢/ ١٢٧). وممن زامل الذهبي في السماع بدمشق أحمد بن زفر الاربلي المتطبب المتوفى في سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م، وقد صنف عدة كتب (درر ابن حجر ٢/ ١١ ومجلة مجمع دمشق مج ٢٢ لسنة ١٩٤٧ص ٢٣٤ - ٢٤١).

ومن الارابلة البارزين، عبد العزيز بن عثمان الاربلي المتوفى في سنة ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦م، وكان امام دار الحديث النورية بدمشق (مخطوطتنا ورقة ٤٨ ب وذيل الروضتين ص ١٧٩)، وأحمد بن الحسين الاربلي المعروف بابن الخباز، وكان نحويا يدرّس بالقاهرة، توفى في سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م، (بغية السيوطي ١/ ٣٠٤ ومرآة اليافعي ٤/ ١٠١ وشذرات ٥/ ٢٠٢ وروضات الخوانساري ص ٨٥)، ويوسف بن يعقوب الاربلي الذهبي، من أهل دار الحديث الاشرفية بدمشق، وقد توفى في سنة ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٤م (ذيل الروضتين ص ٢٣٢). وذكر السبط (مرآة ٨/ ٦٤٣ - ٦٤٤) أن أحد المحدثين بدمشق - وهو الحسين بن ابراهيم الهذباني المعروف بالشرف الاربلي - قد كُلّف في سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م بترتيب «مسند أحمد بن حنبل» على أبواب الفقه، وقد توفي هذا في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م (ذيل اليونيني ١/ ١٢٥ وشذرات ٥/ ٢٧٤).

ومن الارابلة أيضا، أحمد بن علي بن أبي غالب الاربلي الحنبلي النحوي الذى درس باربل، ثم سكن دمشق وحدّث بها ودرّس العربية بالجامع الأموى وتوفي في سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩م (ذيل ابن رجب ٢/ ٢٦٨ وشذرات ٥/ ٢٨٨)، وعثمان بن عيسى الهذباني الماراني الاربلي الذى درس باربل، ثم عين نائبا للقاضي ومدرسا بالقاهرة، وله مصنفات، وأخوه عبد الملك القاضي بمصر (ابن خلكان ٢/ ٤٠٦)، وطه بن ابراهيم المولود باربل، ثم دخل القاهرة شابا، وكان فقيها فانتفع به خلق كثير، وروي عنه الدمياطي، ومات بمصر في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م (حسن المحاضرة ١/ ٢٣٥)، وسلّار ابن حسن الاربلي أحد مشايخ الشافعية ومن الائمة الفضلاء، درّس بدمشق وكان مدار الفتوى بها. وقد اشتغل عليه محي الدين النووي، توفي في سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١م، (عبر الذهبي ٥/ ٢٩٣ وطبقات الاسنوى ٢/ ٦٩ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٦٢ وطبقات السبكي

٨/ ١٤٩ وذيل اليونيني ٢/ ٤٧٩ وشذرات ٥/ ٣٣١)، والقاسم بن أبي بكر بن القاسم المعروف بالامين الاربلي، الذى رحل في الحديث، وكان من أعيان التجار يتردد الى مصر وبلاد العجم، وانتهى الى خوارزم وبها سمع «صحيح مسلم»، ثم استقر بدمشق حيث رواه وسمع منه الكبار، توفي بالمدرسة العادلية بها في سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م (ذيل اليونيني ٤/ ١٢١ وعبر الذهبي ٥/ ٣٣٠)، ومحمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهير الاربلي المولود باربل في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م والمتوفى بدمشق في سنة ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م. وكان بارعا في النحو واللغة ونقد الشعر، وقد ولي التدريس بالمدرسة الجاروخية التي ولي التدريس بها بعده اربلي آخر هو عز الدين الاربلي، الذى درّس أيضا بالمدرسة القوصية (علماء بغداد للفاسي ص ١٧٦، ونفح الطيب ٢/ ٧٢٢ والدارس للنعيني ١/ ٢٣٠ و٢٣٦ و٢٤٧ وذيل اليونيني ٣/ ٣٨٦ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٨٢ والفوات ٢/ ٣٥٦ وعبر الذهبي ٥/ ٣١٦ وجواهر القرشي ٢/ ١٩ واعلام الزركلي ٦/ ٢١٨).

وهناك أيضا أبو بكر بن إبراهيم الاربلي، نزيل مكة ومفتي الحرمين والمدرس بهما، وقد توفي في سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م (عقد الفاسي ٨ /١١) وابراهيم بن مسعود الاربلي المقرئ، الذى أقرأ في القاهرة ثم تصدر للاقراء في الحرم النبوي الشريف، وتوفي بالمدينة المنورة في سنة ٧٤٥ هـ/ ١٢٤٤م (المصدر السابق ٣/ ٢٦٠ وطبقات الجزري ١/ ٢٧)، والخضر بن علي الاربلي المعروف بابن السراج، الذى رحل الى مكة حيث تولى مشيخة الصوفية بها، وفيها توفي في سنة ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م (معجم ابن الفوطي ٣/ ١٦٧)؛ وعثمان بن موسى الطائي الاربلي الفقيه ، الذى أقام بمكة نحو ٥٠ سنة، وكان إمام حطيم الحنابلة بالحرم، وبها توفي في سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م (ذيل ابن رجب ٢/ ٢٨٦)، وطه بن بشير الاربلي إمام الحرم المكي والحاكم به والمدرس فيه لمدة سبع سنين (مخطوطتنا ورقة ١٧٢ب). ومن الارابلة النازحين، محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الهيجاء الاربلي البغدادي العراقي، المتوفي في سنة ٥٦١ هـ، وقد سكن الحلة. وكان شاعراً له ديوان. وصنف عدة كتب منها شرح «مقامات الحريري» (هدية العارفين ٢/ ٩٥).

ومن الارابلة أيضا محمد بن ابراهيم الاربلي المتوفى بدمشق في سنة ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠م، وكانت له معرفة بالنحو والعربية وحلّ المترجم وقدرة على نظم الشعر (ذيل اليونيني ٤/ ٧٩)، ويحيى بن محمد الاربلي الملقب بتاج الدين، كان من أهل الفقه وتولى القضاء ببعض بلاد الشام كدمشق وحلب، قتله التتر في سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م (المصدر السابق (٤/ ١٣٣)، وعباس ابن عثمان بن شهاب الاربلي رئيس التجار في عصره وأحد المقربين من الملك الناصر الايوبي صاحب الكرك (ابن خلكان ٥/ ٢٩٠ - ٢٩١ وذيل اليونيني ١/ ٣٨٨)، وعبد الرحمن بن إبراهيم الاربلي المعروف بابن قنيتو، وكان أديبا بارعا حسن النظم، اتصل بالملوك وتعاطى التجارة وله كتاب «خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك» (طبع في بيروت في سنة ١٨٨٥م)، وقد توفى باربل في سنة ٧١٧ هـ/ ١٣١٧م (درر ابن حجر ٢/ ٣٢١ والتعريف بالمؤرخين للمرحوم العزاوي ص ١٣٧ - ١٣٨ ومعجم سركيس ص ١٠٥٥)، وعماد الدين يحيى بن عبد الله الاربلي المقرئ، وكان إمام حرم الخليل بفلسطين (معجم ابن الفوطي ٢/ ٨٧٧)، وموسى ابن محمود بن موسى الاربلي الذى تولى القضاء بالموصول وتوفى في سنة ٧١٥ هـ/ ١٣١٥م، (درر ابن حجر ٤/ ٣٨١). ومن القضاة أيضا محمد بن عبد الله بن حسين الزرزاي الاربلى المتوفى في سنة ٧٣٨ هـ/ ١٣٣٧م، درّس وأفتى ثم تولى منصب قاضي القضاة بدمشق (الوافي ٣/ ٣٧٣). وممن تولى القضاء بدمشق أيضا مجد الدين عبد الله بن الحسين الاربلي المتوفى فى سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١م وقد درّس بمدرسة الكلاسة، وكان خبيراً بالقراءات (شذرات ٥/ ٣٥٨). وهناك العلاّمة المعروف «العراقى» وهو عبد الرحيم بن الحسين الرزاني المصرى (ورازيان من أعمال إربل) من كبار الحفاظ وإمام عصره في الحديث، وله مصنفات كثيرة أشهرها «الالفية». توفى بمصر في سنة ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣م (الضوء للسخاوى ٤/ ١٧١ وذيل طبقات الحفاظ ص ٢٢٠ و٣٧٠)، وابنه أحمد المتوفى في سنة ٨٢٦ هـ/ ١٤٢٢م (المرجعين السابقين ١/ ٣٣٦ وص ٢٨٤).

هذا وقد كان لبعض الارابلة شرف سماع علماء بارزين عليهم، ففضلا عن إجازة ابن المستوفي للحافظ والمؤرخ المصري المعروف المنذري (المنذرى لبشار معروف ص ١١٤) فان المنذرى سمع من عبد اللطيف بن المبارك الخزاعي الاربلي المتوفى بمصر (تكملة

المنذرى ٣/ ٤٠، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته). وكذلك سمع المنذري من الأمير أحمد بن عبد السيد الاربلي المتوفى بالرها في سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م، وقد ورد مصر وحدّث بها (المصدر السابق ورقة ١١٧ مخ كمبرج). ويذكر المؤرخ ابن الدبيثي بأنه تلقى الاجازة من شيخ إربلى هو الخضر بن علي الاربلي المعروف بابن السراج - وقد تقدم ذكره - (المختصر المحتاج اليه ٢/ ٥٦ ومعجم ابن الفوطى ٣/ ١٦٧)، وذكر أيضا سماعة على القاسم ابن الاربلي (المختصر المحتاج ١/٥). ويذكر المؤرخ اليونيني (ذيل المرآة ١/ ١٢٥) انه سمع على الحسين بن ابراهيم الهذباني الاربلي سالف الذكر. وهناك علي ابن عبد العزيز الاربلي المقرئ المولود في سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م، وقد قرأ عليه إمام القراء محمد بن أحمد الموصلي المعروف بشعلة (طبقات الجزرى ١/ ٥٥٠ و٢/ ٨٠ وشذرات ٥/ ٢٨١). وذكر الذهبي (تذكرة ٤/ ١٤٢٥) انه سمع على محمد بن يوسف الاربلي، وذكر ابن الفوطي (معجم ١/ ٤٦٢) انه لقى في سنة ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م ببغداد أحمد ابن اسماعيل الاربلي الأديب (وكان يعلّم أولاد الاكابر فيها) وقد كتب كراسة من شعره وأعطاها لابن الفوطي. ولقي ابن الفوطي (١/ ٥٢٠) إربليا آخر هو محمد بن عبد الرحمن الأربلى الملقب بعفيف الدين ، وذكر سبط ابن الجوزى (مرآه ٨ / ٥١٦) أنه لقى باربل سنه ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م شيخاً إربليا هو محيي الدين الساقاني، وسمع منه بعض الشعر. وفضلا عن ذلك فقد مر معنا ذكر طه الاربلي الذى سمع عليه الدمياطي (راجع ص ١٠٩ من هذا البحث) وسلاّر بن الحسن الاربلي الذى اشتغل عليه النووى (راجع ص ١٠٩ المذكورة).

ولا حاجة بنا الى القول بأن أبرز الارابلة الذين ذاعت شهرتهم في مختلف أنحاء العالم، هو المؤرخ ابن خلكان، وان إربل يكفيها فخراً ان أنجبته وقدمته الى العالم الاسلامي، بل ولاهل التاريخ والقضاء شخصية فذة كشخصية ابن خلكان، وان مصنفه «وفيات الاعيان» لخير شاهد على علو شأنه وعظم منزلته.

٨ - مشاركة الارابلة في وجوه النشاط الثقافي:

لم تقتصر مشاركة الارابلة في النشاط الثقافي على فرع معين، وانما شملت مختلف

أبواب المعرفة. ولقد سبق وأفردنا باباً لشعرائهم، ونوهنا بمساهمتهم في علوم القراءات والحديث، وفي القضاء والافتاء والتدريس، وفي التجارة والامارة والولاية. ونود الان ان نضيف على ذلك فنقول بأنه كان بين الاراباة أطباء، نذكر منهم، على بن ركن الدين محمد بن عيسى الاربلى الذى جلس في سنة ٧١٥ هـ/ ١٣١٥م في إيوان الطب التابع للمدرسة المستنصرية ببغداد (معجم ابن الفوطي ٢/ ١٠٦٢ وعلماء المستنصرية لناجي معروف ص ٢٤٧)، وعز الدين الحسن بن أحمد بن زفر الاربلى الطبيب الصوفي المتوفى بدمشق في سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م، وله عدة مصنفات (درر ابن حجر ٢/ ١١ وتاريخ ابن كثير ١٤/ ١٢٥ وشذرات ٦/ ٧٦.) والجدير بالملاحظة ان ابن حجر ترجم في الدرر (٣/ ١٣) لشخص سماه «علي بن أحمد بن زفر الاربلي الطبيب، وذكر انه توفي في سنة ٧٢٦ هـ أيضا. ولا أدرى أهو شخص آخر أم انه مجرد التباس.

وذكر ابن الشعار إسحق بن معالي الاربلى المشرف على ديوان الأهراء باربل حتى سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م، وكان عالما بالهندسة والطب، وكذلك ذكر نبهان بن محمود الاربلي الذي كان عالما بالنجوم والاصطرلاب (عقود الجمان، ج ١ ورقة ٢٣٨ وج ٩ ورقة ٨٥).

وهناك بين الارابلة من كان له قدم راسخة في الموسيقي، مثل محمد بن علي الخطيب الاربلي المتوفى في سنة ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٩م، ومن آثاره «القصيدة في الانغام» و«جواهر النظام في معرفة الانغام» وقد كتبها للملك الارتقى صاحب ماردين (معجم كحالة ١١/ ٧ وبروكلمان ٢/ ١٦٩ وملحق ٢/ ٢١٨). وقد سبقت الاشارة اليه كما سبق وذكرنا محمد بن عبد الله الاربلى صاحب ابن خلكان، وكان يجيد صنعة الالحان (راجع ص ١٠٣ من هذا البحث). كذلك شارك الارابلة في النحو، وقد ذكر السيوطي في بغيته (ص ٧٤ ط بولاق)، محمد ابن علي الاربلي الشافعي النحوي المولود في سنة ٦٨٦ هـ/ ١٢٨٧م والمتوفى في سنة ٧٥٥ هـ والذى شرح «الكافية» و«الشافية»، وله حواش على عدة كتب، وقد ترسّل لملك الموصل (هدية العارفين ٢/ ١٣٥ وذكر حاجي خليفة ص ٤٠٦ محمد بن علي الاربلي المولود في سنة ٧٣٦ هـ، وله «شرح الالفية»). ومن النحويين أيضا محمود بن على الخواتيمي (مخطوطتنا ورقة ٨٣ ب)، بل وان المستوفي نفسه كان من النحاة (بغية السيوطي ٢/ ٢٧٩)، وأحمد ابن الحسين الاربلي المعروف بابن الخباز، وقد تقدم ذكره،

وله مصنفات مفيدة في النحو، منها «شرح الفية ابن معط» (المصدر السابق ١/ ٣٠٤ وشذرات ٥/ ٢٠٢). هذا وتوجد في المكتبة الأحمدية بتونس (فهرس ص ٨٣) نسخة مخطوطة من «شرح مقامات الحريري» تصنيف عبد الله بن الحسين العكبري، وهي بخط سلمان بن داود الاربلي، كتبها بحلب في سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ وذكر ابن كثير (تاريخ ١٣/ ٤٢) ان الياس بن جامع الاربلي المتوفى في سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م قد صنف كتابا في التاريخ، وتفرد بحسن كتابة الشروط. وذكر حاجي خليفة (ص ٣٧٧) بدر الدين محمد الاربلي مصنف «التحفة في الحديث». وفي الخزانة التيمورية (فهرس ١/ ٣٩ و٢٤٥)، مخطوطة «الزوائد المفيدة في القراءات»، وهي من نظم محمد بن خليل بن عمر القشيري الاربلي المقرئ، وله أيضا «واضحة المبهوم في علم المرسوم» وهي في رسم المصحف. وكلا المخطوطتين بخط قديم. وفي الخزانة المذكورة (فهرس ٢/ ٢٨) مخطوطة «مشيخة الاربلي» لمحمد بن ابراهيم بن المسلم الاربلي المتوفى في سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م، وعليها سماع لمحمد بن يوسف بن يعقوب الاربلي الذهبي مؤرخ في سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م. وقد ذكر الصفدي (الوافي ٢/ ٩) ان الزكي البرزالي قد خرج مشيخة لمحمد بن ابراهيم الاربلي هذا، فلعلها هي المقصودة. هذا وفي الخزانة البارودية ببيروت مخطوطة لكتاب «تزكية الارواح» للسجستاني، وهو في الاخلاق والآداب، وقد تم استنساخها باربل في سنة ٧٤٦ هـ (مجلة مجمع دمشق مج ٥ ج ٥/ ٢٢٤ لشهر ايار ١٩٢٥).

هذا وفي معهد الدراسات الاسلامية ببغداد (فهرس ص ٨٤) مخطوطة «حاشية القرباغي» مؤرخة في سنة ١١٧١ هـ/ ١٧٥٧م، وهي بخط محمود بن أويس بن علي الاربلي. ويوجد في خزائن أوقاف بغداد (الفهرس ص ٦٠، والمستدرك عليه ص ١٩٨) «رسالة الطيف» تصنيف بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي المتوفي في سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م (فوات الكتبي ٢/ ١٣٤). وفي الخزائن المذكورة أيضا (فهرس ص ٣٠) مخطوطة «فصيح البيان في تفسير القرآن» تصنيف ابراهيم فصيح الحيدري البغدادي المتوفى في سنة ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩م، وعليها تقاريظ جماعة من العلماء منهم محمد بن سليمان الأربلي، وعثمان المدرس باربل وأحمد بن أبي بكر المدرس باربل أيضا. وفي

خزانة يعقوب سركيس (فهرس ص ١٢١) مخطوطة لمنظومة في التوحيد مؤرخة في سنة ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م، وهي بخط عبد النبي بن مطهر الاربلي. وفي دار الكتب المصرية (فهرس مخطوطات مصطلح الحديث ص ١٢١)، توجد مخطوطة إجازة صادرة عن محمد ابن علي الاوسي الإربلي المعروف بابن الحرادقي (وهو من أهل القرن التاسع الهجري)، وقد كتبها لمحمد بن يوسف الصيفي المصري بسماعه لكتاب «موطأ مالك» عليه.

ولقد استمرت مشاركة الارابلة في النشاط الثقافي في العصور المتأخرة، وبين أيدينا العديد من الكتب التي صنفوها، من ذلك مثلا كتاب «جواهر الادب في معرفة كلام العرب» تصنيف علاء الدين بن علي الاربلي، وقد طبع بمصر في سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م (معجم سركيس ص ٤٢٠ وفهرس مكتبة العينتابي ص ١٠٩). ويذكر العمري الموصلي في كتابه «تاريخ النساء» (ص ١٢ - مقدمة)، ان ملا عبد القادر الاربلي قدم الموصل وتولى التدريس بمدارسها، فتتلمذ عليه جماعة، منهم العمري نفسه فقرأ عليه شيء من الفقه. ويبدو ان لملا عبد القادر هذا ولداً اسمه عبد الرحمن توجد بالموصل بخطه مخطوطة في التصوف (مخطوطات الموصل ص ٨٧). أقول ولعل عبد القادر المذكور هو نفسه الشيخ عبد القادر بن محي الدين الاربلي المتوفى باورفة في سنة ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م، وهو مؤلف عدد من الكتب، منها «تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر» المطبوع بالاسكندرية في سنة ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م، وله كتاب «محبة الذاكرين وورد المفكرين» في التصوف ، وقد طبع بالاسكندرية أيضا في السنة التي قبلها (ذيل كشف الظنون ١/ ١٢٣ و٤٦٨ ومعجم سركيس ص ٤٢٠ ومعجم كحالة ٥/ ٣٠٤ وبروكلمان ملحق ٢/ ٧٨٠. وجاء في فهرس كتب دار الكتب المصرية - ج ٢ ملحق ٢ تاريخ ص ١٠٢ -، ان كتاب «تفريج الخاطر» هو تصنيف محمد صادق القادري الشهابي، وقد ترجمه عبد القادر الاربلي سالف الذكر، وانه طبع بالقاهرة وليس بالاسكندرية)، ومن الارابلة المتأخرين أيضا، نوري بن اسماعيل الشيرازي الاربلي المتوفي في سنة ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢م، وهو مؤرخ من أهل بغداد مشارك في بعض العلوم ، وقد عُين عميداً لكليه دار العلوم ببغداد ، وله مؤلفات في التاريخ والفلسفة (معجم كحالة ١٣/ ١٢٣). ويذكر المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ١٤٩) ان من الارابلة من برز في العهد العثماني كشعراء باللغة التركية، منهم

غريبي الاعمى ويعقوب بيات الاربلي. ويستدل من ذلك على أن جذوة العلم والادب باربل لم تخب حتى في عصور التخلف.

هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد، ان حماس الارابلة للعلم والرحلة في طلبه، لم يقتصر على العلماء وحدهم، وانما شمل تجارهم أيضا. فهذا مبارك الشعار الاربلي المتوفى بالبصرة في سنة ٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦م والذى كان يضرب في الارض طلبا للرزق، لم ينس نصيبه من سماع الحديث باربل وبغداد والبصرة ودمشق ومصر، بل انه صار يُسمّع الحديث (مخطوطتنا ورقة ١٥٥ ب)، وأحمد بن شجاع بن منعة الاربلي، وكان بقالا ثم طلب الحديث وانقطع اليه (مخطوطتنا ورقة ١٠٩ ب). وهذا عبد الرحمن بن بلال الصفار الاربلي - وكان أبوه يبيع الصفر - يسافر الى خراسان في الطلب، ثم يعود الى بلده ليتولى القضاء في بعض أعمال إربل (المصدر السابق ورقة ١٧٨ أ). وقد ذكر ابن الفوطي (معجم ٢/ ٩٨٦) أديبا إربليا هو عبد الرحمن ابن عثمان الاربلي، وكان له دكان يبيع فيه البز باربل. ولا ننسى أسعد بن ابراهيم الاربلي النشابي الذي كان يعمل النشاب باربل، فتركه ورحل في طلب العلم والأدب. وعندما عاد الى إربل تولى كتابة الانشاء لملكها كوكبوري، وكان لسانه المعبر عند زيارته للخليفة في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م (ذيل اليونيني ١/ ١١١ - ١٢٣). وهناك القاسم بن أبي بكر الاربلي المعروف بالمقرئ، ولد باربل وكان من أعيان التجار، ويتردد الى مصر وبلاد العجم وخوارزم، وقد سمع «صحيح مسلم» بنيسابور وتوفي بدمشق في سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م.

ثم ان هذا الحماس للعلم قد شمل الغني والفقير على السواء، إذ يحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٧ أ) عن العباس بن بزوان الشيباني الاربلي الذي سمع معه الحديث، بأنه كان دقيق الحال لا يملك خبز ليلة وانه سافر الى الموصل وبغداد في طلب الحديث. وملاحظة أخرى أود الاشارة اليها، هي بأنه كان بين الارابلة بعض المتصوفة أيضا. هناك مثلا الشيخ عمر بن يعقوب بن عثمان الاربلي الذهبي الصوفي المتوفي في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م(تذكرة الذهبي ٤/ ١٤٦٨) وأبو طاهر بن حسن الاربلي الذي لبس خرقة التصوف من شيخه عدي بن مسافر، وعاش اكثر من ١٥٠ سنة وكان حيا في سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م (عقد الفاسي ٨/ ٥٥)، ومحمد بن طلحة بن عبد العزيز الاربلي

الصوفي الذي ذكره ابن الفوطي (معجم ١/ ٤١١). ومن الطبيعي ان نتذكر هنا اربليا تولي مشيخة الصوفية بمكة هو الخضر بن علي الاربلي (راجع ص ١١١ من هذا البحث). هذا وقد وردت في ثنايا «تاريخ إربل» لابن المستوفي اشارات كثيرة الى أسفار الارابلة وانتشارهم في مختلف انحاء العالم الاسلامي، ولمن رام المزيد عن هذا الموضوع فليراجع (مخطوطتنا ورقة ١٠ ب و١١ أ و٤٨ ب و٨٤ ب و٨٥ أ و٩٩ أ و١٠٠ أ وب و١٤٤ ب و١٤٥ أ و١٥٥ ب و١٧٣ أ و١٧٤ أ و١٧٥ ب و٢٢٧ أ).

ولعل من الطريف ان نذكر بان إربل قد أخرجت غير العلماء والأمراء، من ذلك ما ورد في «الحوادث الجامعة» (ص ٢٣٤) عند الحديث عن أحداث سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م، من أن في تلك السنة سعى علي ابن الاربلي من دقوقا الى بغداد، فوصلها بعد العصر، وفضّل على معتوق الموصلي بنصف ساعة. فكافأه الخليفة بجوائز كبيرة واحتفل بفوزه.

ويذكر مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٢٤٨) في أحداث سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م بأن «عالي بن زخريا اليهودي الاربلي «قد عُين رأسا للمشيخة الدينية لليهود، وهو يتولى زعامتهم والحكم بينهم. وجاء في حوادث سنة ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٤م (المصدر السابق ص ٣٥٤) بأن الجاثليق «مر مليخا» زار سلطان المغول، ثم عاد عن طريق إربل فبنى بقلعتها بيعة، وعند وفاته عُين بمكانه «ماردنحا الاربلي» (انظر كتاب Fiey ١/ ٧٧).

كذلك فان اربل قد أخرجت بعض المغنين، وقد ذكر أحدهم ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٤أ) وهو صدقة بن محمد الذي ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٣ ورقة ٨٣). وذكر لنا ابن خلكان (١/ ٢٨٢) مغنيا إربليا آخر هو الشجاع جبريل ابن الاواني، الذي تألق في عالم الغناء الى درجة ان أحد السامعين لغنائه، تواجد ثم أغمي عليه ومات. وكان ذلك في سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، عندما كان ابن خلكان لا يزال يقيم باربل.

٩- هل كان باربل مكتبة عامة؟

على الرغم من خلو المراجع المتيسرة لنا، من ذكر وجود خزانة كتب عامة باربل، الا ان الذي لا شك فيه هو ان إربل كانت زاخرة بالكتب سواءً في المدارس أو في دار الحديث، أو في المكتبات الخاصة. ولعل أسطع دليل على ذلك هو ان ابن المستوفي ذكر

في الجزء الذي بين أيدينا من «تاريخ إربل» عدداً كبيراً من أسماء الكتب التي أطلع عليها. ثم انه أشار الى معلومات لم يذكر مصدرها، وانما جاء بها من ذاكرته، ولابد انه قرأها في كتاب سها عن باله ذكر اسمه. من ذلك مثلا روايته بيت شعر للاسود بن يعفر - دون ذكر مصدره - لم أجده الا في «المفضليات» (ص ٤٤٩ برقم ٤٤، انظر مخطوطتنا ورقة ١٦٥أ)، فلعل ابن المستوفى قد اطلع على هذا الكتاب ونقل عنه. ولقد ذكر ابن خلكان (٣/ ٢٩٧) ان ابن المستوفي نفسه كان عنده من الكتب النفيسة شيء كثير. ويذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٠) انه بعد دخول جيش الخليفة الى إربل انقطع ابن المستوفى في بيته ملازما مطالعة الكتب والتأليف ويحدثنا أبن المستوفى أيضا (مخ ورقه ١٧٧ ب) بأن صدقة الكتبي كان يرد من بغداد الى إربل ليبيع الكتب فيها، ويذكر (مخ ورقة ١٢٢ ب) بأن السنهوري المصري، عندما جاء لزيارة كوكبوري طلب منه ٥٠٠ دينار لشراء الكتب، والتمس أن يكتب بذلك الى بغداد. وفي هذا الدليل الواضح على ان إربل كانت سوقا للكتب، وان لها صلات منظمة مع باعة الكتب ببغداد.

ولقد هدفنا من إيراد هذه الملاحظات، التنبيه الى سبب آخر من أسباب الازدهار الثقافي باربل، والمشجعات التي كانت تحمل الوافدين على ورودها. والظاهر ان الكتب كانت تصل إربل بسرعة عجيبة، فلقد اطلع ابن المستوفي مثلا على كتاب «معجم الادباء» لياقوت (مخ ورقة ١٥٧ب - ١٥٨ب) ونقل لنا مقدمته، وقد توفي ياقوت قبل وفاة ابن المستوفي باحدى عشرة سنة. ونقل ابن المستوفي عن «ذيل تاريخ بغداد» لمعاصره ابن الدبيثي، وقد توفيا في سنة واحدة، ويبدو ان تنقّل المؤلفين مع مسودات مصنفاتهم، كان يتيح الفرصة لزملائهم كي يطلعوا عليها. فقد ذكر ابن المستوفي ان يا قوت أطلعه على معجمه آنف الذكر، وان ابن الدبيثي عندما ورد الى إربل وأطلع مؤلفنا على كتابه وجد فيه بعض المعلومات عن بعض الارابلة ممن يهمه أمرهم، فنقلها عنه (مخطوطتنا ورقة ٨٤ ب - ٨٥ أ و٩٣ أ).

وكان بعض الوافدين على إربل يصلون ومعهم الكتب التي قرأوها أو سمعوها، موشحة بتلك السماعات، من ذلك مثلا ان محمد بن عبد الرحيم اللارجاني الذى ورد إربل في سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م، كان معه كتاب «المفصل» للزمخشري، وعليه خط مصدق ابن شبيب بقراءته عليه (مخطوطتنا ورقة ١٤٢ أ).

الفصل السادس

حكومة الولاية الاربلية

لم تكن إربل دولة كاملة السيادة بالمعنى القانوني الصحيح، وانما هي ولاية من الولايات التي كانت منتشره في مختلف أنحاء العالم الاسلامي، بعد ان اعتري الضعف مركز الخلافة - رغم بعض المحاولات التي وقعت في عهد الناصر وخليفته المستنصر لاستعادة هيبة الخلافة، وبسط سلطانها على الاقاليم القريبة من بغداد على الاقل - (الحوادث الجامعة ص ٢٤ و٥٢ و٦٠ و٩٠ وأخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٩ ومرآة السبط ٨/ ٤٠٦ و٣٧٧). وقد سجل لنا التاريخ ذكر عدد من تلك الولايات، كالموصل وسنجار وماردين والجزيرة وحلب وامثالها (مرآة السبط ٨/ ٥٤١)، والتي كانت تسمى أحيانا بـ «ممالك الاطراف» (ذكر ابن المستوفي مخ ورقة ٥١ أ عن أحد مترجميه بأنه «اشتغل في آخر عمره بالترسل من وال الى وال بالاطراف» وذكر ابن واصل في «مفرج الكروب» ٢/ ١١٧ وتابعه الجميلي في «الاتابكة» ان صلاح الدين سمى هؤلاء «ملوك الاطراف»بينما ذكر ابن الأثير في الكامل ١٢ / ٢٨ - ٣٠ و٦٥ وتابعه الجميلي « المصدر السابق ص ١٦٤ و١٧٠ و١٧١ » بأن صلاح الدين سماهم « أصحاب الأطراف ») في الحقيقة ان المؤرخين لم يلتزموا باستعمال لفظ واحد في هذا الصدد فخذ مثلا ابن الاثير (أتابكية ص ١٤٣ - ١٤٤) فانه يسمى مملكة عماد الدين زنكي على سعتها - «ولاية»، ومثل ذلك بالنسبة لمملكة ولده نور الدين (المصدر السابق ص ٣٠٣)، وأشار الى الموصل على انها «ولاية» (المصدر السابق ص ١٥٥ - ١٥٦) وفعل مثله سبط ابن الجوزي (مرآة ٨/ ٣٢٣ - ٣٢٤). الا ابن الاثير (المصدر السابق ص ١٦٩) يعود فيطلق اسم «مملكة» على هذه الولاية نفسها.

وما تقدم - في اعتقادي - يصدق على إربل ايضا، وقد سماها شيخ الربوة (نخبة الدهر ص ١٩٠) «مملكة قائمة بنفسها». أقول على الرغم من ذلك ومن تسمّي كوكبوري بـ «الملك المعظم والسلطان»، لا سيما بعد أن خلع عليه الخليفة خلع السلطنة، فان إربل ليست سوى «ولاية»، وقد سماها ابن المستوفي بالفعل «الولاية الاربلية» وسمى صاحبها

بالمتولي (مخطوطتنا ورقة ٧٧ب و٧٨أ و١٧١ب) وهو أدرى من غيره بالاسم الصحيح. وقد سماها البعض «اتابكية إربل»، ومن هؤلاء «لين بول» في كتابه «السلالات الحاكمة الاسلامية» (ص ١٦٥)، وزمباور في كتابه «جداول الحكام المسلمين» ص ٢٢٨، وتابعهم زكي (تاريخ الكرد ص ١٥٢ حاشية)، وحسين أمين (العراق في العصر السلجوقي ص ٢٠٩ و٢١٢) اما المرحوم العزاوى فانه استعمل تسمية «إمارة إربل» ماعدا مرة واحدة فقط حيث سماها «أتابكية». الا ان هذه التسمية ليست صحيحة، لان آل بكتكين لم يكن أحد منهم أتابكة لأحد من الأمراء الزنكيين أو الأيوبيين أو غيرهم، ولم يتلقبوا – على قدر علمي – بهذا اللقب (فما يتعلق بمعنى «أتابك» راجع «أتابكية ابن الاثير» ص ١٢٦ و١٥٢، و«صبح الاعشي» ٤/ ١٨ و«اتابكة الجميلي» ص ٢٧). لكن مجاهد الدين قايماز أصبح – بعد وفاة زين الدين علي – أتابكة لاولاده الصغار، وفقا لما ذكره ابن خلكان (٤/ ٢٩٣)، الا ان هذا لا يستوجب تسمية امارة إربل «أتابكية». هذا وقد وردت تسميتها «ايالة» في قصيدة نظمها شاعر بغدادى في مدح كوكبوري (مخطوطتنا ورقة ١٥٦ ب)، ويبدو ان الايالة بمعني «الدولة» كان معروفا لدي المسلمين في العصور الوسطى، وقد كان مستعملا بهذا المعني في المغرب والاندلس (كناسة الدكان ص ٦١).

١ – إقليم إربل:

قبل الكلام على تركيب الحكومة الاربلية، أرى من المفيد القاء نظرة سريعة على التكوين الجغرافي لتلك الولاية، ليتسنى لنا معرفة مدى سعتها والمدن التابعة لها، لأن ذلك يعطينا فكرة عن القوة التى كانت تتمتع بها والموارد التي تُجبى اليها. اذ لا يخفي ان أهمية الدولة – أية دولة ولا سيما في ذلك العصر – تقوم بالدرجة الاولى، على سعة الرقعة التي تحكمها، وما يتوفر فيها من موارد طبيعية، علاوة على السكان. وهذا هو السبب في حرص الحكام، وخاصة حكام ذلك الزمان، على أخذ أكبر عدد ممكن من المدن، لأنها كانت هي المراكز التي يحتشد فيها السكان، وتتجمع فيها الثروات، وما الى ذلك من أسباب القوة. وفيما يأتي ذكر للمدن والقرى التي استطعت استقصاءها

أ/ شَهْرَزُوْر:

ذكرها ياقوت (بلدان ٣/ ٣٤٠) وابن عبد الحق (مراصد ٢/ ١٣٦)، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، وانها في الصحراء، وعليها سور سمكة ثمانية أذرع. وقال ابن خلكان (٣/ ٢٣٣) انها بلدة كبيرة من أعمال إربل، بناها زور بن الضحاك، وقال زكي (تاريخ الكرد ص ٨ و١٣٣ و١٦٦ و٢٠٩ و٢٣٢) بأنها تسمى الآن «ياسين تبه» أي «تل ياسين»، وان العرب دخلوها قبل الاسلام، وبعد الغزو المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي، هاجر أهلها الي الشام ومصر. وقد كان لها في العهد العثماني حاكم بسط سلطته على إقليم يحمل اسمها، وكان من الاقاليم المهمة لمتاخمته للحدود الايرانية (انظر بلدان ابي الفداء ص ٤١٢ – ٤١٣ والعراق في العصر السلجوقي لحسين أمين ص ٣٤٥ ومقال توفيق وهبي في مجلة سومر – العدد ١٧ لسنة ١٩٦١م).

ويبدو ان شهرزور كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في أوائل القرن السادس الهجري، وكان لها حاكم تركماني اسمه «قفجاق بن أرسلان تاش»، وكان يسيطر على الجبال القريبة منها، وكان مرهوب الجانب لحصانة بلاده. الا ان عماد الدين زنكي رأى ان من المصلحة، بعد استيلائه على قلاع المنطقة الشمالية للعراق، في سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م ان يضم هذا الاقليم الى مملكته، فجرد عليه حملة عسكرية في سنة ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩م، وتمكن بعد قتال ضار من فتحه (الباهر لابن الاثير ص ٥٧ والعراق في العصر السلجوقي ص ٣٤٥). وقد أقطعه زنكي لولده سيف الدين غازى، الذى بقي في شهرزوز حتى سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م، عندما توفي أبوه، ودُعي هو لحكم مملكة الموصل (الباهر ص ٨٥).

وقد أصبحت شهرزور – فيما بعد – جزءاً من إقطاع زين الدين علي الذى عين نائبا عنه يتولى حكمها هو الأمير بوازن (الباهر ص ١٠٨ – ١٠٩). وفي شهرزور – تصدى زين الدين علي، كما مر معنا، لسليمان شاه السلجوقي في سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦م، فقبض عليه. وفي سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م، تخلى زين الدين، كما سبق وبينا – عن جميع إقطاعاته بما فيها شهرزور، مكتفيا باربل وحدها، فعادت الى تبعية الموصل رأسا، فأقر

قطب الدين صاحب الموصل الأمير بوازن سالف الذكر على الاستمرار في حكمها (الباهر ص ١٣٥ – ١٣٦). ويبدو ان خصومه نشأت بين محمد بن بوازن المذكور ومجاهد الدين قايماز النائب باربل، ولعل سببها هو الاحتكاك الناشيء من تجاور الامارتين. ويقول ابن الاثير (الباهر ص ١٧٨ والكامل ١١/ ٢٩٠) في الصدد، ان شهرزور كانت في سنة ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م تابعة لصاحب الموصل، وان صاحبها شهاب الدين محمد بن بوزان، قد أعلن عصيانه على سيف الدين في تلك السنة، خوفا من مجاهد الدين الذى كان يتصرف بالمملكة الاتابكية، الا ان الامر قد سُوِّى بما يبقي شهرزور تابعة للموصل.والظاهر ان شهرزور ظلت تابعة للموصل، إذ كانت في سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م تحت يد مجاهد الدين قايماز، الذي كان نائبا لصاحب الموصل. ويبدو ان عز الدين مسعود حاكم الموصل، أراد استردادها لنفسه، بعدما قبض على قايماز في تلك السنة (الباهر ص ١٨٣ – ١٨٤ والكامل ١١/ ٣٢٩) وبذلك ضمن استمرار تبعيتها للموصل حتى سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م، عندما حاصر صلاح الدين الموصل وأخفق في أخذها، إذ تم الصلح بينه وبين صاحب الموصل على شروط، منها التنازل لصلاح الدين عن شهرزور وأعمالها وولاية «قالي قلا» وما وراء الزاب ألخ.. وقد عين بالفعل واليا عليها من قبله (مخطوطتنا ورقة ١٩٨ ب وابن خلكان ٦/ ١٧٢)، الا ان صلاح الدين ما لبث أن ضمها الى كوكبوري فى سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م وفقاً لما ذكرنا فى موضعه وذكر ياقوت (بلدان ٣ / ٣٤٣) أن شهرزور وتوابعها ، كانت فى عهده ، فى طاعة كوكبورى صاحب إربل. والظاهر انه كان يتفقدها بين حين وأخر، إذ ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٢ أ وب) بأنه وكوكبوري كانا فيها في رجب من سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م. وذكر ابن خلكان (٤/ ٢٩٥) ان عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل وزوج ابنه كوكبوري، كانت له العمادية والعقر ثم انتزعتا منه.. الخ، وقد قايضه كوكبوري عن العقر بشهرزور (ذكر سبط ابن الجوزى في مرآته ٨/ ٥٤٦، بأن نور الدين أرسلان شاه المذكور أوصى، قبيل وفاته في سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م لولده الثاني عماد الدين زنكي بشهرزور. أقول وهذا غريب جداً لان شهرزور – كما أوضحنا – كانت تابعة لكوكبوري) وأعمالها فانتقل اليها وأقام بها الى أن توفي في حدود سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م. وقد

خلفه في حكمها ولده أرسلان شاه، وقد سماه الصفدى (الوافي ٨/ ٣٤٣) بالسلطان، وذكر قدومه الى بغداد بعساكره لنصرة الاسلام ومحاربة التتر. وقد توفى بشهرزور في سنة ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤م. أقول أن شهرزور بعد وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م أصبحت تابعة للخليفة وهذا هو سبب قدوم ارسلان شاه بعساكره الى بغداد.

هذا وقد برز من أهل شهرزور أسر فاضلة، منهم آل الشهرزوري المعروفين، وبنو عصرون قضاة الشام (بلدان ياقوت ٣/ ٣٤١ وصبح الاعشي ٤/ ٣٦٦ وكتاب Ainsworth ص ٢٤٨).

ب/ الكَرْخِينِي:

وصفها ياقوت (بلدان ٤/ ٢٥٧) بأنها قلعة في وطأ من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا وإربل، وقد رآها على تل عال ولها ربض صغير. ويرى بعض المؤرخين انها هي كركوك الحالية، إذ يصدق عليها وصف ياقوت، وقد نوه بذلك مؤلف مقال «الموسوعة الاسلامية» (٢/ ١٠٢٧)، وكذلك المرحوم العزاوى (مجلة المجمع مج ٢٢ لسنة ١٩٤٧، عدد أيار - حزيران ص ٢٢٨). اما Fiey (٣/ ٤٣ - ٤٤) فانه يرى بأن الكرخين هى « قوريه القديمة » أى كركوك الحالية وقد ذكر أمين زكي (تاريخ الكرص ٩٠ و٣٨٣) «كارخى» وقال انها منطقة شهرزور كما ذكر «بلاد الكرخين»، وقال انها تقع بين كركوك وطاووق.

وعلى كل حال، فان منطقة كركوك الحالية، كانت في القرن الثاني عشر الميلادى تابعة لآل بكتكين، وانها استمرت تحت حكمهم حتى وفاة كوكبورى في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، وعندما أصبحت تحت سلطة الخليفة مباشرة. ثم سقطت بعد ذلك فى أيدي المغول (الموسوعة الاسلامية ٢/ ١٠٢٧). أما «الكرخينى» فقد كانت تابعة لاربل، وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤٥أ) عن عدي بن مسافر بأنه «ورد إربل وأقام بالكرخينى»، مما يفيد بأن عديا ورد ولاية إربل وأقام بمدينة الكرخينى الواقعة ضمنها. كذلك أورد ابن المستوفى (مخ ورقة ٢٢٧ب) شعراً في مدح كوكبوري، وقد نوه فيه ناظمه فيه باخلاص والي الكرخينى لكوكبوري، وأشاد بحرصه ويقظته. وذكر اليونيني (ذيل المرآة ١/ ١١٣)

بأن كوكبوري عندما غضب على كاتبه المجد النشابي في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م، حبسه بقلعة الكرخيني. إقول وهذه أدلة واضحة على تبعيتها الى إربل، ويبدو انها كانت أكثر من قلعة، بل انها كانت مدينة، لان لها واليا وقاضيا وخطيبا لصلاة الجمعة، مما لا يتوفر عادة الا في المدن، بل ان إقامة عدي بن مسافر بها تدل على وجود رباط صوفي فيها أيضا. (انظر مخطوطتنا ورقة ٢٩ب و٤٥أ و٢٢٧ب و٢٣١أ، كتاب أسامة بن منقذ «المنازل» ص ١١٨).

ت/ دَقُوقاء:

ذكر ابن الاثير (الباهر ص ١٨٣) ان مجاهد الدين قايماز، نائب صاحب إربل، كان بيده في سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م، دقوقا علاوة على إربل وشهرزور. وقد ذكرها ياقوت (بلدان ٢/ ٥٨١) وقال انها مدينة بين إربل وبغداد).

ث/ حزه:

ذكرها ياقوت (بلدان ج ٢ ص ٢٥٦ و٢٦٣) وقال انها بليدة قرب إربل، وكانت قصبة كورة إربل قبل. ولقد سبق وذكرنا بأن حزة هو الاسم الذى كان يطلق على منطقة إربل كلها، وقال عنها انها اشتهرت بالنصافي وهى ثياب قطنية تصنع من القطن المحلي.

جـ/ مُشْتَكَهر MUSHTAKAHAR

ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٩٨أ) مدينة بهذا الاسم، أو باسم «مشكبهر أو مشكور»، وقال انها من توابع الولاية الاربلية، ويبدو انها قريبة من أذربيجان، أو انها من أرض اذربيجان نفسها. فقد ذكر ياقوت (بلدان ٢/ ٩٠٢) بأن الزاب الاعلى بين الموصل وإربل، مخرجه من بلاد مشتكهر، ما بين اذربيجان وبابغيش (BÀBGHISH) وهو ما بين قطينا والموصل (انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ٩٠ لوسترانج). وبابغيش هذه ناحية بين أذربيجان واردبيل، يمر بها الزاب الاعلى (بلدان ياقوت ١/ ٤٤٦).

ح/ دازيان:

ورد في «ذيل طبقات الحفاظ» (ص ٢٢٠ و٣٧٠)، بأن الحافظ الشهير عبد الرحيم بن

الحسين العراقي، قدم أبوه من بلدة «رازيان» من أعمال إربل. الا انني مع الاسف لم أجد لهذه المدينة ذكراً في المعاجم الجغرافية.

خ/ خُفْتِيذكان:

قال ياقوت (بلدان ٢/ ٤٥٦) انه اسم لقلعتين تدعيان «خُفْتِيَان» وهما قلعتان عظيمتان من أعمال إربل، إحداهما على طريق مراغة، ويقال لها «خفتيان الزُّرزاري»، على رأس جبل ومن تحتها نهر عظيم وسوق وواد كبير، والاخرى «خفتيان سُرخاب بن بدر»، في الطريق بين شهرزور وإربل، وهي أعظم من الاولى وأفخم. وقد ذكر ابن الاثير (كامل ١٢/ ٣٦) هذه القلعة وتبعيتها لاربل، وذكر ان صاحبها الامير «بلداجي» كان من امراء زين الدين يوسف، وقد كان بين امرائه الذين قبض عليهم كوكبوري تحوطا عند وفاة أخيه يوسف في سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م.

والجدير بالذكر ان قلعة «خفتيذكان» كانت تابعة للامير سرخاب بن بدر بن مهلهل، وقد ذكر ابن الاثير (كامل ١٠/ ٢٣٨) نزاعا وقع بشأنها في سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م.

د/ كَفْرعَزّا:

كانت قرية وفقا لما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٣١ب و٣٣ب و٦٧أ و١٠٠ب و١٧٥أ)، وقد ذكرها ياقوت وابن عبد الحق (بلدان ٤/ ٢٩٠ ومراصد ٢/ ٥٠٤) وقالا انها من قرى إربل، تقع بينها وبين الزاب الاسفل، وينسب اليها قاضي إربل. أقول والمقصود طبعا هو جعفر بن محمد الكفرعزي الذي كان قاضي إربل في سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م. كذلك ذكر ابن المستوفي بعضا من أهلها (مخ ورقة ٣١ب و١٠٠ب). والظاهر انها كانت قرية كبيرة فيها جامع، له متول وأوقاف (المصدر السابق ورقة ٣٣ ب و١٧٥أ) وهذا الجامع بناه الغضنفر بن ناصر الدولة الحمداني، وفقا لما ذكره ابن المستوفي.

ذ/ باصيدا:

لم أهتد الى ذكر هذه القرية في المراجع الجغرافية المتيسرة، ولكن Fiey (١/ ١٧٣)، ذكر قرية نسطورية تقع في جنوبي إربل تسمى BÉṮSAYYIDA أو BÉṮ SAYYÁDÉ، أي

قرية الصيادين. وقال انها كانت في القرن الثالث عشر الميلادى تعود لابرشية اليعاقبة، وان آخر ذكر لها في الكتابات اليعقوبية ترجع الى سنة ١٣١٧م.

وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٠٤أ وب و٢٣١أ) هذه القرية أكثر من مرة، وذكر ان سُرَفْتكين الزيني نائب إربل ابتنى بها مسجداً جامعا ذا مئذنة في سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م وقد حاول النصارى من أهلها رشوته لكيلا يبني المسجد قُرب كنيستهم، الا انهم اخفقوا. ويبدو ان ابن المستوفي قد زار المسجد ونقل بعض الكتابات من حائطه.

د/ حبْتون:

ذكر ياقوت وابن عبد الحق (بلدان ٢/ ١٩٣ ومراصد ١/ ٢٨٣) حبتون على انه جبل بنواحي الموصل. وذكره أمين زكي (تاريخ الكرد ص ٣٨٤) وسماه «تل حفتون»(١)، وقال انه من المدن التي أضافها المغول الى عاملهم على إربل، المدعو «مبارز الدين كك» الكردى. والظاهر ان اسم «حبتون» كان يُطلق على المنطقة الجبلية الواقعة شرقى إربل (Fiey ١/ ٤٠) وقد عقد Fiey فصلا عن تلك الجبال. اما ابن المستوفى (مخ ورقة ١٣١ب و١٣٣أ)، فقد سماه «بلد حبتون»، وذكر انه كانت فيه قرية تسمى «منارة»، ثم تغير اسمها بعد ان سكنها أحد الزهاد واسمه «عيسى لل» الذى كان له فيها خانقاه فصارت تسمى «عيسى للان»، وذكر ان فيها جامعا كان يسمى جامع منارة، وقد تم فيه سماع كتاب ديني في سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م والجدير بالذكر أن Fiey (٢/ ٦٣ ٤٦٣) ذكر وجود قرية قرب بعشيقا تسمى «ارض منارة»، كان فيها جامع في سنة ١٨٥٣م ،قد اقيم هذا الجامع على انقاض جامع قديم. أقول لعله هو المقصود. وذكر عباس العزاوى في كتابه «عشائر العراق» وجود قرية في قضاء مخمور التابع لمحافظة إربل تسمى «كرد منارة» (ج ٤ ص ٢٣٦) لعل لها علاقة بالموضوع المذكور.

ز/ بين الجبلين:

هذا موضع ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٩ب ١٧٢ب)، على انه يقع في منطقة

---

(١) وسماه ياقوت بهذا الاسم وقال انه يقع على طريق القوافل بين إربل واذربيجان (معجم البلدان ج ٢ ص ٤٥).

إربل، ونسب اليه أحد مترجميه. وذكر أيضا ان فيه قرية تسمى «بشيران» وفيها دفن طه بن بشير الاربلي إمام الحرم المكي وقاضيه، الذى كان حيا في سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م. ولكن هذا الموضع لم يتعرض له أحد من الجغرافيين – على قدر علمي – وقد ذكر ياقوت (بلدان ١/ ٦٣٥ و٢/ ٩٥٧) قلعة «بشير»، وهي من قلاع الاكراد البشنوية، وتقع في نواحي «الزَوْزان»، أي بين جبال أرمينية وخلاط واذربيجان وديار بكر والموصل (انظر أيضا شذرات ٥/ ٢٤٥).

س/ قرية الصوامع:

ليس لهذه ذكر في المراجع المتيسرة، الا ان ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٦أ و١٤٦ب) ذكرها على انها تابعة لاربل، وذكر ان فيها جامعا، وقد نقل عن حائطه كتابة مؤرخة في سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م، وانه هو نفسه زار قبر أحد الزهاد المدفونين بها.

ش/ قرية خلكان:

ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣٧ب) ان هذه القرية منسوبة الى أحد أجداد عمر بن ابراهيم بن خلكان. وقد ذكرها الاسنوي (طبقات ١/ ٤٩٥) وقال انها من قرى إربل. وأضاف محقق «طبقات الاسنوي» (المصدر السابق ١/ ٤٩٥ حاشية) قائلا بان القرية لازالت موجودة، ولكنها تابعة للواء السليمانية وليس لاربل.

ص/ قرية جبريلاباذ:

ليس في المراجع الجغرافية المتيسرة ذكر لهذه القرية، الا ان ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧١ب) ذكرها دون أية تفاصيل وقد ذكر ابن خلكان (٣/ ١٧٢) ان بمدينة إربل محلة يقال لها «قرية جُبَيْريل» بالتصغير، وقال نقلا عن القسم المفقود من «تاريخ إربل» انها منسوبة الى جبريل جد الشاعر عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل الاربلي المعروف بالحاجري أقول فلعلها هي القرية المقصودة.

ض/ كويران:

ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٢١ب) بأنها قرية من قرى إربل، سكنها أحد القادمين

الى إربل، وهو محمد بن ابراهيم الاشنهي، الذى صار خطيبا بها. وقد كان هذا حيا في سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨م. وذكر ابن المستوفي أيضا بأنه لقي خطيبها الذي كان معاصراً له. غير أنني لم أجد لها ذكراً في المراجع المتيسرة.

ط/ بيت كور:

ذكرها ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٢أ) في ترجمة محمد بن إبراهيم الاشنهي آنف الذكر، ونقل من خطه أسماء المقطعين لبيت كور. ولكنه ليس واضحا عما اذا كانت هذه القرية وكويران السابقة لها شيئا واحداً أم لا. علما بانني لم أعثر على ذكرها في أي مرجع تيسر لي.

ظ/ سارو:

وهي قلعة ذكرها ابن الاثير (كامل ١٢/ ٣٢٢) في حوادث سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م، اذ قال بأن احد التركمان اعتدى على قلعة «سارو» التى كانت تابعة لاربل، وقد قُتل عندها أحد امراء كوكبوري، واسمه عز الدين الحميدى، وان كوكبوري حاول استرداد القلعة ولم يفلح، لحصانتها فتركها.

ع/ برقوطا:

ذكرها مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٣٩٨)، اذ قال ان رجلا نصرانيا اسمه مسعود البرقوطي، وهو من قرى إربل عُين واليا على الموصل، وان البابا، عُزل عن إربل في سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م وانها أضيفت الى الموصل تحت حكم مسعود المذكور.

غ/ دربند قرابلي وبنو قفجاق:

ذكر ابن الاثير (كامل ١٢/ ٣٧) بأن صلاح الدين ضم الى كوكبوري «دربند قرابلي وبني قفجاق». ولقد حاولت الاهتداء الى هذا الموضع فلم أوفق. وقد ذكر ياقوت (بلدان ١/ ٤٧٧ و٢/ ٥٦٤) موضعا اسمه «دربند» وهو باب الابواب، وقال انه مدينة على بحر الخزر، وهي أكبر من أردبيل ولكنها ليست الموضع المقصود، على ما أظن، ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان ابن خلدون (تاريخ ٥ / ٥٨٣ ط الزين) ذكر بأن صلاح الدين

طالب صاحب الموصل في سنة ٥٨٢ هـ/ ١١٨٦م ان يتنازل له عن شهرزور وولاية «الفرانلي» وما وراء الزاب، وقد سمى ابن خلكان (٦/ ١٧٢) هذه المنطقة «قالى قلا». أقول وهذه - على ما يبدو - هي الولاية التى ضمها صلاح الدين الى كوكبوري. والمعروف ان بني قفجاق كانوا يحكمون شهرزور - كما أسلفنا - وان شهرزور نفسها التى تنازل عنها صاحب الموصل لتكون من ممتلكات صلاح الدين، وقد أعطاها هذا الاخير فيما بعد الى كوكبوري، وعليه فان من المرجح ان المقصود هنا هو اقليم شهرزور.

ف/ بيت النار:

قال ياقوت (بلدان ١/ ٧٨١) انها قرية كبيرة من قرى إربل من جهة الموصل، بينها وبين إربل ثمانية أميال. والظاهر ان الاسرى الذين كان يجرى فكاكهم من أيدي الافرنج بأموال كوكبوري، كانوا يجتمعون في هذه القرية، ويقيمون بها مدة قبل السماح لهم بدخول المدينة (مرآة السبط ٨/ ٦٨٠ - ٦٨٢ وموسوعة البستاني ١/ ٧٧١).

ق/ شَقْلاباذ:

وهي مدينة شقلاوة الحالية. ذكرها ياقوت (بلدان ٣/ ٣٠٨) وضبطها على ما اثبتنا أعلاه، وقال انها قرية كبيرة مليحة في لحف الجبل المطل على إربل، ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة، ينقل عنبها الى إربل طيلة العام، فيكفي أهلها. بينها وبين إربل ثمانية فراسخ.

ك/ قلعة هَرُوْر:

ذكرها ياقوت (بلدان ٤/ ٩٧٠) وقال انها حصن من أعمال إربل، يقع في جبالها من جهة الشمال، وكانت منطقة غنية بمعدن الحديد ومعدن المومياء (وهو نوع من القار - أى الاسفلت). وقد ذكر ابن الشعار (مخطوطة استانبول ٤ ورقة ٢٠٠) بان كوكبوري سجن في هذه القلعة وزيره علي بن شماس الخزرجي.

ل/ القنطرة:

قرية من سواد إربل منها الشاعر عبد الرحمن بن منصور القنطرى (ابن الشعار ج ٣ ورقة ٢٤٥ب).

وخلاصة القول ان إربل – كما يتضح مما تقدم – كانت ولاية واسعة نسبيا، واظنها كانت تشمل في الغالب، ثلاثة من ألوية العراق الحالية وهي إربل وكركوك والسليمانية[٤]. ولعل هذا الاتساع يفسر لنا الثراء الذى كانت عليه إمارة إربل في عهد كوكبوري[٥]، الذى كان ينفق بسخاء منقطع النظير.

٢ – الجهاز الحكومي لولاية إربل:

كان لاربل، ولا شك، حكومة منظمة وفقا لتنظيمات ذلك العصر، وكان لكوكبوري ديوان او دار للسلطنة قائما في قلعتها (مخطوطتنا ورقة ٣٤ب). وكان كوكبوري يلقب بالملك المعظم والسلطان وملك الامراء – راجع ترجمته في موضع آخر من هذا البحث). وهذا بطبيعة الحال يستتبع ان يكون له ما للملوك من موظفين وأتباع، كي تنتظم الادارة ويسود العدل وتجبى الضرائب. ولكي نلم بشكل تلك الادارة، ينبغي لنا ان نتحدث عن المناصب التى كانت معروفة آنذاك. وقبل ولوج الموضوع، يحسن بنا ان نشير الى نقطة مهمة، هي ان ضياع الجزء الأول من «تاريخ إربل» حرمنا من الاطلاع على ما كتبه ابن المستوفي عن المدينة نفسها، كتاريخ انشائها وأخبار حكامها، ومن تولى منصبا اداريا فيها، وذكر أحيائها وأحوالها، مما هو مألوف عادة في تواريخ المدن، مثل تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر. فقد بدأ بتاريخ هاتين المدينتين وخططهما وما الى ذلك من المعلومات الاساسية.

ولذلك فان ما سنذكره عن إربل، يكاد يقتصر على عهد كوكبوري، أو العهود القريبة من عهده، وهو مستقى من المعلومات المتناثرة هنا وهناك، والتي بذلنا جهداً شاقا في جمع شتاتها.

ونقطة ثانية أود الاشارة اليها، هي ان النصارى كان لهم دور غير قليل في حكومة إربل، إذ يحدثنا اليونيني (ذيل المرآة ١/ ١١٧) عن عزل مشرف ديوان إربل المدعو «يعقوب النصراني» وتعيين نصرانيا آخر بدله، هو «المختص»، الأمر الذي يدل على سعة صدر كوكبوري وتسامحه مع النصاري، رغم تدينه الشديد.

أما بالنسبة للحكومة الاربلية نفسها، فيمكننا القول بأنها كانت تتمتع ببعض السمات التي كانت لحكومات العصر العباسي، فقد كان فيها الوزراء وكتاب الديوان والقضاة والمستوفون والحجاب والمحتسبون وامراء الجيش ومستحفظو القلاع، كما كان فيها استاذ للدار وكاتب للطغرة وقد ذكر ابن الشعار (مخ استانبول - ١ ورقة ٧٢ و٢١٣ و٦ ورقة ١١٧ و٩ ورقة ٩٤) بأن محمد بن اصطفان المتوفى في سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م، كان يتولى استاذية الدار لسلطان إربل، وان هاشم بن عبد السلام الاربلي - وكان حيا في سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م - كان يكتب الطغرة لكوكبوري ثم هاجر الى بغداد بعد هجوم المغول على اربل، وتولى هناك مناصب ادارية[1]. وذكر ايضا بأن ابراهيم بن المظفر، ابن أخي ابن المستوفي، كان يتولى التصرف لحاكم إربل، وان أحمد بن علوي الاربلي المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، كان يتولى عملا ما للدولة المظفرية.

وهكذا كانت هناك مناصب كثيرة، لا سيما وان رقعة الولاية كانت، كما أسلفنا واسعة تكاد تشمل ثلاثة الولاية من الوية العراق الحالية (أي إربل وكركوك والسليمانية)، وكان فيها عدد غير قليل من المدن المهمة والقلاع، مثل شهرزور والكرخيني وباصيدا وباكلبا وقلعة سارو وكفر عزا وغيرها. كذلك كان لها علمها الذي رسمت عليه صورة بازي (رسائل ابن الاثير، ص ٢٩٢).

وأقدم اشارة الى وجود منصب حكومي باربل، هو ما ذكره ابن خلكان (٣/ ٢٣٢) من ان القاسم بن المظفر الشهرزوري الاربلي (جد آل الشهرزوري المشهورين) المتوفى بدمشق في سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م كان حاكما (أي قاضيا) بمدينة إربل مدة، وذكر ابن خلكان (١/ ٤٣٨) أيضا، نقلا عن المفقود من «تاريخ إربل» بان الحسين بن علي الطغرائي الشاعر المعروف، والذي قتل في سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م، تولى الوزارة بمدينة إربل مدة، فمن هذين النصين يتضح لنا ان إربل شهدت وجوداً حكوميا منظما في القرن

---

(١) وذكر ابن شاكر الكتبي بأن الطغرائي قد تولى الوزارة باربل (عيون التواريخ، بغداد ١٩٧٧م ج ١٢ ص ٩٣).

الخامس وأوائل القرن السادس الهجري، ولعلها كانت تتمتع بشيء من هذه التنظيمات قبل ذلك بكثير وان أخبارها لم تصل الى أيدينا بعد.

وبغية الاحاطة بشكل الادارة الحكومية التي كانت قائمة باربل، حاولت استقصاء المناصب التي كانت معروفة في عصر المؤلف،(١) واسماء من تولاها لانها هي الوسيلة الوحيدة التي نعرف بواسطتها الحكومة الاربلية. وأقدم فيما يأتي عرضا موجزاً لتلك المناصب:

أ/ وزراء أربل:

عرفت إربل منصب الوزارة، كما تقدم، وسنكتفي هنا بتعداد من تولاها.

١- ذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨ وورقة ١٨٦) ان محمود بن محمد بن فارس الحراني قد تولى الوزارة لكوكبوري وان ابن المستوفي صنف له كتابا. وذكر (المصدر السابق ٦ ورقة ١٨٧ - ١٨٩) بأن محمد بن محمود الحراني المتوفى في سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م باربل كان والده وزيراً لكوكبوري، والجدير بالذكر ان كوكبوري اصطحبه معه من حران.

٢- وذكر ابن الشعار أيضا (المصدر السابق ج ٤ ورقة ٢٠٠ وج ٧ ورقة ٧٠) استيزار علي بن شماس الاربلي لكوكبوري، بعد أن قبض على وزيره محمود بن محمد بن مقلد الحراني، سالف الذكر.

٣- وذكر ابن الشعار كذلك (المصدر السابق ٦ ورقة ١٨ - ٣٨) واليونيني (ذيل المرآة ١/ ١١٢ و٢/ ٢٦٨) بان شرف الدين إبراهيم بن علي بن حرب المعروف بابن الوالي (أو الموالي) الموصلي، تولى بين سنة ٦٢٣ و٦٢٨ هـ (١٢٢٦ - ١٢٣٠م) وزارة إربل، وقد عمل فيه المجد النشابي أبياتا منها.

فرحنا وقلنا تولى الوزير ... وأفلح ديواننا بالوزارة
فما زادنا غير جاويشه ... وفي كتبنا كتبٌ بالاشارة

---

(١) أى عصر ابن المستوفى .

وقد ناب عنه في الوزارة ابنه عبد العزيز، وسيّره كوكبوري غير مرة الى ديوان الخلافة، حيث لقي الاكرام. وولي عبد العزيز هذا فيما بعد وزارة الشام، وفقا لما ذكره ابن الشعار، والجدير بالذكر ان ابراهيم هذا وولده عبد العزيز قد اعتقلهما كوكبوري في سنة ٦٢٨ هـ. (مخ استانبول ٤ ورقة١).

٤- ويبدو ان آخر وزراء كوكبوري، كان ابن المستوفي وفقا لما ذكره ابن الشعار واليونيني (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨ وذيل المرآة ٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩) إذ تولى الوزارة في المحرم من سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م، ولكن ياقوت.(بلدان ١/ ١٨٧) ذكر بأنه كان عند لقائه لابن المستوفي (وكان ذلك بالتأكيد قبل وفاة ياقوت في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م) انه - أي ابن المستوفي - كانت له خلة شبيهة بالوزارة. ولا أدري هل اشتبه على ياقوت منصبه كمستوف (وقد قال ابن خلكان ٣/ ٢٩٧، ان لهذا المنصب منزلة تلو الوزارة)، أم انه كان وزيراً بالفعل، والخطأ وقع من جانب اليونيني؟!.

والظاهر ان منصب الوزير لم يختف بدخول إربل في حظيرة الخلافة في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، إذ يذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨) بأن باتكين نائب الخليفة في إربل، استوزر ابن المستوفي وفوض اليه أمور الحكم، الا انه لم يذكر تاريخ تخلي ابن المستوفي عن هذا المنصب، ولكنه على كل حال، غادر إربل نهائيا في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، متوجها الى الموصل، وفيها توفى بعد ثلاث سنوات.

وفي هذه الفترة ظهر الى الوجود منصب لم تعرفه إربل من قبل، على ما أظن، هو «صدرية ديوان إربل» واظنه بمعنى الوالي، أى ان صاحبه هو الحاكم الفعلي لولاية إربل، نيابة عن الخليفة، وقد سُمّي تاج الدين بن الصلايا حاكمها آنذاك «صدر إربل» وفقا لما ذكر مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ١١٠ و١٣١ و١٤١و ١٤٢ و١٦٨). الا ان اليونيني (ذيل المرآة ١/ ٣١) سماه «المستولي»، وهو تصحيف لكلمه « المتولى » على الأرجح وهذا المنصب كان معروفاً ، فقد ورد في «فوات الكتبى» (٢/ ١٣٤) بان عليا ابن عيسى الاربلي كان رئيسا لديوان «متولى إربل ابن الصلايا» المذكور. ومما يجدر بالذكر ان ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧١ ب) سمى الياس بن عبد الله. «متولي إربل» (ذكر الكتبى فى ن

«الفوات» ٢/ ١٣٥ ان عيسى بن أبي الفتح الاربلي المتوفى باربل في سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م، كان واليا على إربل، اما ابن الفوطي فقد قال في «معجمه» ٣/ ٢٧٤ انه كان حاكما باربل ونواحيها أيام ابن الصلايا، واليه رئاسة البلد).

والغريب ان باتكين الذي تولى حكم إربل عند عودتها الى حظيرة الخلافة، في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، سُمّي «زعيما» (الحوادث الجامعة ص ٤٨) ثم أعقبه في «الزعامة» في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م الامير بهاء الدين ايدمر الاشقر الناصري الذي عُزل عنها بعد سنتين، إذ قُبض عليه وعُين خلفا له الأمير الحلي مكلبا، ولكن هذا بدوره عُزل في السنة التالية لضعف رأيه وسوء تصرفه، ورُتّب عوضه «آقسنقر الناصري». أقول والمعروف أن ابن الصلايا عين صدراً لاربل في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م ، وهذا معناه ان منصب «الزعيم» كان من مناصب الاعوان الى جانب «الصدر»، أو هو المنصب الاعلى و«الصدر» من أعوانه. وأقول لعل باتكين قد جمع بين الصدرية والزعامة. والأخيرة قد تعني قيادة الجيش، بينما تعني «الصدرية» حكومة الولاية. هذا وقد وردت بعض الاخبار عن تعيين موظفين في «صدرية إربل»، من ذلك ان تاج الدين علي بن الدوامي، نُقل في سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م من ديوان عرض الجيش ببغداد الى «صدرية ديوان إربل»، ولكنه لم يطل المكث بها (الحوادث الجامعة ص ٧١)، وان ظهير الدين الحسين بن علي ابن عبد الله المتوفى في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م - وكان أيضا في صدرية ديوان عرض الجيش ببغداد - نُقل الى صدرية ديوان إربل، الا اننا لا نعرف تاريخ هذا النقل (المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٧).

وظهر في هذه الفترة أيضا، منصب آخر هو منصب الملاحظ، فقد ذكر مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٨٧)، بأن أبا منصور معلى بن الدباهي الفخري، قد عُين «ملاحظا» لاربل وأعمالها. لكنني لم أوفق لمعرفة اختصاصات الملاحظ.

ب / مستوفي إربل:

وظيفة المستوفي من الوظائف المهمة. وفيها يقول القلقشندي (صبح ٥/ ٤٦٦) بأن المستوفي هو الذى يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك. وقد أطنب الحريري في «مقاماته» (ص ١٦٦ - ١٦٧) في وصف أهمية هذا

المنصب. وقال ابن خلكان (٣/ ٢٩٧) ان الاستيفاء في المشرق منزلة علية هي تلو الوزارة، كما أسلفنا، وقد انتقل منها ابن المستوفي فعلا الى منصب الوزارة.

ويبدو ان إربل كان لها مستوف منذ أيام أبي الهيجاء الحسين بن الحسن الهذباني، صاحبها. وكان المستوفي هو جد المؤلف، واسمه المبارك بن موهوب، وفقا لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ – ٣٨). وكذلك كان والد المؤلف يتولى هذا المنصب، وهذا هو السبب في تسميته بـ«ابن المستوفي». وكذلك تولاها عمه صفي الدين (ابن خلكان ٣/ ٢٩٧ وكوكبوري لطليمات ص ٢٢٤). ويفهم مما ذكره المؤلف نفسه ان والده كان يلي في سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م منصبا كبيراً لسرفتكين الزيني، ولما حج (أي والده) في تلك السنة تولاه عنه أخوه صفي الدين، وهو عم المؤلف (مخطوطتنا ورقة ٢٠٤أ). ويبدو ان المؤلف قد تولى ذلك المنصب بعد وفاة والده، إذ يحدثنا أكثر من مرة بأنه أوكل إليه أمر محاسبة بعض من تولى أعمالا للدولة من شأنها انفاق الاموال (مخ ورقة ٦٨ب، و٧٤ب)، وانه قام بايصال صلة من كوكبوري الى أحد الوافدين (مخ ورقة ١٢٢أ). وهذه الاعمال – في اعتقادي – هي من صميم مهام المستوفي وفقا للتعريف الذى أشرنا اليه آنفا. أما تاريخ توليه لذلك المنصب فلا نعرفه، الا ان ابن خلكان يذكر بأنه عندما غادر إربل في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م كان المؤلف يشغل منصب «مستوفي الديوان».

ت/ كُتّاب إربل وحجابها ونظارها ومشرفوها وحفاظ قلاعها:

لابد لي من القول بأن المعلومات عن هؤلاء قليلة جداً، الا انني – من خلال الاستقصاء – استطيع ان استخلص شيئا ما عن هؤلاء أقدمه فيما يأتي: –

١) كان لاربل ديوان إنشاء، وقد تولاه في عهد كوكبوري صاحبنا ابن المستوفي لمدة أربعين سنة، دون ان يأخذ عليه أجراً (ابن الشعار – مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ – ٣٨)، وتولاه كذلك أسعد بن ابراهيم الشيباني الاربلي، المعروف بالمجد النشابي الشاعر. وكان ذلك في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م وقد كان برفقة كوكبوري عند زيارته التاريخية لبغداد، وهو الذي ألقى الخطبة باسمه بين يدي الخليفة، ونظم شعراً بهذه المناسبة. غير ان كوكبورى ما لبث ان نقم عليه في السنة التالية (أي سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م) فحبسه في

قلعة الكرخيني، حيث بقي محبوسا الى حين وفاة كوكبوري، وعندما تسلم جيش الخليفة إربل أفرج عنه، فتوجه الى بغداد، فتولى بعض المهام فيها الى أن استولى عليها التتر وقتلوا أهلها. ومنذ ذلك الحين انقطع خبره، ولعله كان من جملة القتلى (ذيل اليونيني ١/ ١١١، و٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩ وفوات الكتبي ١/ ١٠). وروى اليونيني للمجد هذا أبياتا نظمها في جماعة الديوان المختصة بعمل الحساب، عندما حبسهم وزير إربل (وهذا يدعم، ولا شك، ما قلناه بأنه كان لاربل ديوان)، نقتبس منها هذين البيتين:

جماعة ديواننا أصبحوا ... وهم في العذاب لسوء الحساب

فان يرجو الوزير الثواب ... فقتلهم من جزيل الثواب

ويروى الكتبي في «الفوات» بان كوكبوري قد أرسل المجد النشابي بسفارة الى ديوان الخلافة، غير انه لم يذكر تاريخ تلك السفارة ولا موضوعها. وفي سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٢١م، تولى ديوان الانشاء محمد بن جعفر بن محمد القاضي الكفرعزي الاربلي، وفقا لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٧ ورقة ٤٧)، ولعله كان آخر من تولاه لكوكبوري، اذ توفى الاخير في العام التالي. الا انه بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة في تلك السنة، استمر هذا الديوان في الوجود. وممن تولاه فراس الواسطي الذي عُزل منه في سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م (الحوادث الجامعة ص ١٣١). وتولاه أيضا علي بن عيسى الاربلي الشاعر، وهو مؤلف كتاب «كشف الغمة»، وذلك في عهد ابن الصلايا الهاشمي، ثم انتقل الى الخدمة في ديوان الانشاء ببغداد، وفيها توفى في سنة ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢م (معجم ابن الفوطى ١/ ٥٧١ وفوات الكتبى ٢/ ١٣٤ وكشف الظنون ص ٥٣٥).

٢) أما وظيفة «مشرف ديوان إربل» (قال حسين أمين في «العراق في العصر السلجوقي» ص ٢٧٠ ان المشرف هو الذى يعنى بالمحاسبات وضبط الحسابات، وعمله مكمل لعمل ديوان الاستيفاء). وقد تولاها يعقوب النصراني، وبعد عزله أسندت الى «المختص النصراني»، مما حمل المجد النشابي، آنف الذكر، على نظم أبيات بهذه المناسبة (ذيل اليونينى ١/ ١١٧ و٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩) منها:

فرحنا بيعقوب اللعين وحبسه   وقلنا آتانا ما يطيب به القلب
فلما ولي المختص فالشر واحد   إذا مضى كلب أتى بعده كلب

واستمر هذا المنصب في الوجود بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة، إذ ورد في «الحوادث الجامعة» (ص ٤٩ و١٣١ و١٨٤)، ان محمد بن صدقة عُين في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م مشرفا باربل، وفي سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م عُزل ابن غزالة مشرف إربل، وفي سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣م عُين رضي الدين علي بن المخرمي مشرفا بديوان إربل. وذكر ابن الفوطي (معجم ٢/ ٨٢٥) ان عبد الملك بن عبد الرشيد الهمذاني قد تولى الاشراف باربل أيام ابن الصلايا، الا أنه لم يذكر تاريخ ذلك.

وذكر ابن الشعار ان هبة الله بن ابى الحسن المصرى الدمنهورى صار له إشراف الديوان في قلعة إربل، وأنه تولي «ديوان الارتفاع» علما بأنه كان نصرانيا وقد توفى سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م. والجدير بالذكر ان هبة الله هذا كان قد لجأ الى إربل في سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤م بعد ان اعتقل في مصر لانه رفض الدخول في الاسلام، ثم أفرج عنه وفقا لما ذكره ابن الشعار (عقود الجمان، ج ٩ ص ١٢٢). وعلى أي حال فان مهمة «ديوان الارتفاع» هو الاشراف على ناتج الارض واستيفاء الضريبة المستحقة عليه، وممن أشرف على هذا الديوان باربل محمد بن عمر المعروف بابن الحديثي الذي تولى أيضا الاشراف على الوقوف والمواريث (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٨٨).

٣) وهناك وظيفة «الناظر» وهي من الوظائف الادارية التى ذكرها القلقشندى (صبح ٥/ ٤٦٠)، وقال ان الناظر هو من ينظر في الأموال، وينفذ تصرفاتها، ويُرفع اليه حسابها، وهو يختلف باختلاف ما يضاف اليه فيقال ناظر الجيش أو ناظر الاوقاف أو غير ذلك.

وقد كان لاربل في عهد كوكبوري «ناظر» هو محمود بن رالي بن علي الطائي الرقي نزيل إربل. وكان هذا من أهل الادب والفضل، وتوفى في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٤).

٤) وعرفت إربل منصب «الحاجب»، وقد كان يتولاه أحمد بن عبد السيد بن شعبان

الاربلي، وقد توفي في سنة ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣م. خدم باربل مدة، ثم انتقل الى خدمة المغيث بن العادل الايوبي، وخدم بعد ذلك الملك الكامل وتقدم لديه وصار نديمه، وكان شاعراً أيضا (مرآة السبط ٨/ ٦٩٢ وتكملة المنذرى - مخ كمبرج ورقة ١١٧ وابن خلكان ١/ ١٦٦ والوافي ٧/ ٦٢ وشذرات ٥/ ١٤٣)، كما تولى الحجابة لكوكبورى شخص آخر هو شجاع الدين الاربلي الذي لم اهتد الى اسمه الكامل (ابن شداد: الاعلاق الخطيرة - قسم دمشق، ص ٨٦).

٥) وكان هناك منصب «دزدار» أو مستحفظ القلعة. وعند وفاة كوكبوري، كان المسؤول عن قلعة إربل أحد مماليكه المدعو «برتقش»، وكان معه مملوك آخر هو «خالص»، وقد رفضا تسليم القلعة الى جيش الخليفة، الأمر الذي استوجب فتحها عنوة، وتلا ذلك تعيين «كركر الناصرى» بمنصب المستحفظ لها (الحوادث الجامعة ص ٤٥ و١١٠ ومرآة السبط ٨/ ٦٨٠).

والمعروف أن من يتولى أمر القلعة في مدينة ما، يكون عادة هو النائب عن حاكم البلد والقائد لجيوشه، ويبدو ان القلعة كانت مقراً لدواوين الحكومة، كما يتضح من قول ابن الشعار (ج ٩ ورقة ١٢٢). ولقد مر بنا كيف ان زين الدين علي صاحب قلعة الموصل، كان نائبا لملوك الموصل وقائداً عاما لجيوشهم. ولابد ان هذه القاعدة كانت متبعة باربل، ولابد أيضا ان كان لجيش إربل وقواده وضباطه. وقد ذكر ابن خلكان (٣/ ١٦٩) ان عيسى بن سنجر الاربلي، الشاعر المعروف بالحاجرى المتوفى في سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م - وقد تقدم ذكره -، بأنه كان من أهل الجيش، الا انه تحول الى التصوف. لكن ابن خلكان لم يذكر لنا رتبته العسكرية. وهناك مولى كوكبوري، واسمه احمد بن قرطائي التركي الاربلي، المعروف بالامير ركن الدين، وقد توفي في سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧م، وكان من الشعراء أيضا (الوافي ٧/ ٢٩٦ وابن الشعار ١ ورقة ١٦٥) وأخوه محمد المتوفى فى سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، وكان من أمراء إربل وشعرائها كذلك، وقد تحول الى حلب بعد وفاة كوكبوري، فاكرمه ملكها العزيز (معجم ابن الفوطى ٢/ ١٠٣٢ و٤/ ٣٥٣) وابن الشعار ٧ ورقة ٩٤). وهناك محمد بن بدر الكردي أحد أمراء إربل، وقد قدم الى بغداد في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م، وكان من الشجعان (المصدر السابق ١/ ٢٩٨). أقول ان

الذي أرجحه بالنسبة لهؤلاء الامراء، أنهم كانوا قواداً للجيش، فلقد ذكر ابن الاثير (الكامل ١٢/ ٣٢٢) ان عز الدين الحميدي الذي قتل وهو يدافع عن «قلعة سارو» كان من «أمراء» كوكبوري، مما قد يؤيد صحة ما ذهبنا اليه (راجع الفقرة المتعلقة بجيش إربل في موضع آخر من هذا البحث).

ث/ قضاة إربل وأرباب الوظائف القضائية:

ومن الوظائف المهمة التي لا يقوم الحكم بدونها، القضاء. وقد كان لاربل حظ منه، وقد سبق وأشرنا الى أن القاسم بن المظفر الشهرزوري المتوفى في سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م، قد تولى القضاء باربل (ابن خلكان ٣/ ٢٣٢). وقد حفظ لنا التاريخ أسماء بعض من تولى القضاء باربل. ومن هؤلاء جعفر بن محمد الكفرعزي الاربلي، الذى تولى القضاء بها في سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م، واستمر فيه حتى وفاته في سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م (تاريخ ابن الساعي ص ٢٤٣ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٠).

وولي قضاء إربل محمد بن علي الماراني الشافعي المتوفى في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٤) ثم الامير عيسى بن أبي الفتح بن هندي الشيباني المعروف بابن ججني الذى تولى القضاء أيام ابن الصلايا، وتوفى في اربل في سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م وفقا لما ذكره ابن الفوطى (معجم ٣/ ٢٧٤. أقول لا أدرى عما اذا كان هذا هو نفسه الشخص الذي ذكر الكتبي في «الفوات» ٢/ ١٣٥، أنه كان واليا على إربل، لا سيما وانه توفي في سنة ٦٦٤ هـ أيضا). هذا وقد ذكر ابن المستوفي أسماء قضاة آخرين، منهم عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن غياث الذي عاش في القرن السادس الهجري، ومحمد بن عبد الله المهاني الذى عزل عن قضاة إربل في سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م، وعبد الرحمن بن بلال الصفار الذى تولى القضاء في بعض أعمال إربل، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ٢٨ أ و٦٥ أ و٦٩ ب و١٧٨أ). وهناك وظيفة مساعد القاضي باربل وقد تولاها محمد بن علي بن محمد بن الجارود المعروف بالماراني الكفرعزي، ثم تولى القضاء حتى وفاته في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣٢م (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٣٢).

ومن الوظائف ذات الصلة بالقضاء، وظيفة «المحتسب»، لكننا لا نملك معلومات كثيرة عمن تولاها باربل، غير أن ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧٤أ) يذكر ان محمد بن علي بن جامع، كان محتسبا لاربل في عهد أبي الهيجاء، وانه – أي محمد المذكور – هو جد بني محتسب إربل في عصره. ووظيفة أخرى لها علاقه بالقضاء، هي وظيفة «متولي أعمال التركات»، وقد عُرفت هذه الوظيفة باربل أيضا، وقد كان عتيق بن غلي ابن علوي المتوفى في سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م، ممن تولاها (مخطوطتنا ورقة ٢٨أ). وهناك أيضا وظيفة «الشهود»، ولقد ذكر ابن المستوفي بأن محمد بن محمد بن علي بن غياث، والد القاضي عبد الله آنف الذكر، كان من شهود إربل في سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م.

ج/ ديوان المظالم:

وكان في إربل ديوان للمظالم تولاه محمد بن محمود الحراني (ابن وزير إربل آنف الذكر) وقد توفى سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م، وكان كوكبوري قد استصحبه مع والده معه من حران (ابن الشعار ج ٦ ورقة ١٨٧).

ح/ ديوان الوقوف:

كانت ولاية إربل زاخرة بالمدارس والربط ودور العجزة ودار الحديث والبيمارستان وغيرها من المؤسسات العامة التي تحبَس عليها الاوقاف، بغية تامين نفقاتها. ولاشك ان ولاية كهذه، كان لها «ديوان أوقاف» لادارة شؤون تلك المؤسسات والعناية بالاوقاف المحبوسة عليها. ولقدتولى رئاسة هذا الديوان صاحبنا ابن المستوفي، وفقا لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٣). كما تولى هذا الديوان مع الاشراف على المواريث محمد بن عمر المعروف بابن الحديثي، وقد مر ذكره (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٨٨).

غ/ ديوان الأهراء:

عرفت إربل ديوان الأهراء، والأهراء هي مخازن الغلات السلطانية (ابن مماتي: قوانين الدواوين ص ٣٥٠) أي المستودعات التي تخزن فيها الحكومة الحبوب. وممن تولى هذا الديوان في إربل اسحق بن معالي بن شماس الخزرجي الذي كان عالما بالطب والهندسة، وقد ذكر ابن الشعار انه تولي «ديوان الأهراء والتصرف»، وقد بقي في عمله

حتى سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م (ابن الشعار ج ١ ورقة ٢٢٨، ومقدمة احسان عباس لوفيات الاعيان ج ٧ ص ١٤).

د/ وظائف متنوعة أخرى:

وعدا أصحاب الوظائف المار ذكرها، كان هناك العديد من الشخصيات التي استعان بها حكام إربل، ولا سيما كوكبوري بالذات، فكلفوها باداء بعض المهام الرسمية. ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء الذين كان يتخذ من بعضهم أمناء لسره، من ذلك مثلا محمد بن أبي الفخر الكرماني الصوفي المتوفى في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م، إذ صار خاصا باسرار كوكبوري فأخذ ينفذه رسولا الى الاطراف (مخطوطتنا ورقة ١٩٩أ). ومنهم محمد بن عبد السلام الخطيب السنجاري، المدرس باربل، إذ تقدم لدي كوكبوري وصار من مستشاريه، وقد أنفذه رسولا الى بغداد، وتولى القضاء بعدئذ بملطية وبها توفي في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م (معجم ابن الفوطي ١/ ٦٢٢ و٦٢٣). وذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٩ ورقة ٩٤) بأن هاشم بن عبد السلام بن يوسف الاربلي المولود في سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م (غير معروف تاريخ الوفاة) كان يكتب الطغرة لكوكبوري ، وقد بقي حيا حتى سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١م، وبقي في هذه الوظيفة - وهي حمل الختم الرسمي للدولة - حتى زوال امارة إربل. كذلك كان هناك عمال ينوبون عن حاكم إربل في المدن والقلاع التابعة لولايته، ومنها شهرزور والكرخيني وباصيدا وكفرعزا وسارو وقلعة خفتيذكان وغيرها . لكننا لا نملك عن أصحابها أية معلومات، وكل الذي لدينا هو اسم بوزان وولده محمد وكانا من حكام شهرزور، واسم يوسف - وكان يلقب بالشجاع - وهو والي الكرخيني، وقد أثني عليه وعلى همته، علي بن عمار خطيب الكرخيني، في قصيدة كتبها الى كوكبوري (المصدر السابق ٤ ورقة ٢٠٧ ومخطوطتنا ورقة ٢٢٧ب).

هذا ومن الطبيعي ان يكون لحكومة منظمة كحكومة إربل، مؤسسات تعنى بوجوه النشاط الحكومي، مما كان معروفا في زمانها كالشرطة والسجون وما إلى ذلك، الا انني لم أهتد الى أية معلومات تلقي شيئا من الضوء على تلك الوجوه، ماعدا ما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٤٥ ب) من وجود حبس في إربل سماه «حبس القلعة» أو «حبس

الحلبي». وأورد (مخ ورقة ١٧٩أ) إشارة عابرة إلى «بعض من اعتقل باربل»، بل انه هو نفسه اعتقله كوكبوري وفقا لما ذكره ابن الشعار في ترجمته. وفضلا عن ذلك فقد تقدمُ ذكر حبس موظفي ديوان إربل، ممن كانوا يتولون الحساب (راجع ص ١٥٥ مِنْ هذا البحث).

٣- جيش إربل ودوره في الحروب الصليبية:

سبق وبينا انه كان لاربل جيش، وقد وردت الاشارة اليه في سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م. ويبدو أن هذا الجيش قد قوى وتعزز لا سيما بعد ان تولى آل بكتكين حكم إربل، وأخذ يشارك في النزاع الذي كان قائما بين أتابكة الموصل وبني أيوب، فحارب مرة الى جانب هذه الجهة، ومرة الى جانب تلك. وقد استطاع في إحدي المعارك أن يتغلب على جيوش ملك الموصل وحليفه صاحب همذان، الأمر الذي يدل على وجود قوة ضاربة إربلية يحسب لها الحساب. وقد يكون من المفيد ان نقتبس هنا ما قاله بدر الدين لؤلؤ المستبد بالموصل، عن هذا الجيش في معرض كلامه عن محاولة قام بها أحد أعضاء البيت الاتابكي للسيطرة على الموصل في عام ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م، فقال: «فاستضاف اليه عسكراً من إربل ذا وطأة ثقيلة، ومنعة مهولة غير مهيلة». (رسائل ابن الاثير ص ٦٠ – ٦٢ والاتابكة للجميلي ص ٢٢٨).

وقد كان في اربل ديوان للجند تولاه عيسى بن الفضل المعروف بابن البحراني الموصلي في أيام كوكبوري الذي عينه أيضا عارضا للجيش (ابن الشعار ج ٥ ورقة ٢٣٩). وكان في إربل كذلك خزانة للسلاح تولى الاشراف عليها أسعد بن أحمد الاربلي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م (ابن الشعار ج ١٠ ورقة ٢٥٩).

دور جيش إربل في الحروب الصليبية:

على الرغم من بُعْد إربل جغرافيا عن ساحات الحروب الصليبية، فانها ساهمت مساهمة فعالة في قتال الصليبيين. ولقد شارك جيشها في معركة حطين (الروضتين ٢/ ٨٢)، بل يظهر ان إربل شاركت في معارك فلسطين قبل ذلك، إذ يذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٠٤ ب) ان شيخا إربليا كان قد أُسر بالقدس، وكان الافرنج يمتحنون إيمانه

بالتعذيب فلم ينجحوا في التأثير عليه. كذلك يذكر لنا (مخ ورقة ١٣٢أ) مقتل شيخ من أهل قرية من قرى إربل، في معركة حارم التى وقعت في سنة ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م.

أما بالنسبة لآل بكتكين، فقد كان لهم دورهم في قتال الصليبيين منذ أيام زين الدين علي الذي شارك في معركة حارم المذكورة آنفا، وما الى ذلك مما نوهنا عنه في ترجمته (انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة). وان كوكبورى عندما كان حاكما لحوران شارك هو أيضا في حرب الصليبيين. ثم أن أخاه زين الدين يوسف - كما تقدم - قاد بنفسه جيش إربل، بل انه مات في معسكره بالقرب من عكا، في سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م، وكان الي جانبه أخوه كوكبوري الذى كان آنذاك يقود جيش حران. الا أن نشاط كوكبورى في الحروب الصليبية قد توقف إثر توليه إربل بسبب انشغاله في توطيد أركان حكمه الجديد في الولاية الاربيلية. وقد افتقده صلاح الدين وصار يوجه اليه الرسائل التى تشرح تأزم الحال في عكا، ويطلب منه المساعدة، الا ان كوكبوري لم يحرك ساكنا في بادئ الأمر، غير ان سقوط عكا ووصول رسائل أخري من صلاح الدين، جعلاه يستجيب الى نداء صلاح الدين ويشخص بنفسه الى ميدان القتال على رأس جيش إربلي، ويحارب الى جانب صلاح الدين، الى أن تم الصلح بينه وبين ملك الانكليز في سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م (الفتح القسي للعماد ط أوربا ص ٣٥٣ و٣٦٥ -٣٦٨ و٣٧٨ - ٣٧٩ وسيرة ابن شداد ص ٢٣٦ وكوكبورى لطليمات ص ١٧١ - ١٨١).

ويبدو ان دور إربل في قتال الصليبيين قد انتهى بوفاة صلاح الدين، اذ لم نعد نسمع شيئا بعد ذلك عن وجود جيش إربلي في ميادين القتال. ولعل سبب ذلك ان إربل صارت مشغولة بالنزاعات المحلية - كما سنرى - وبظهور الخطر المغولى من الشرق. ولقد قاد كوكبورى في سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م جيوش الخليفة ومعها جيش إربل لتأديب أحد العصاة وفقا لما ذكره ابن الاثير (الكامل ١٢/ ٢٠٠ - ٢٠١). وفي سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م، أسندت قيادة جيوش الخليفة مرة أخرى ومعها جيوش الموصل الى كوكبوري، لمدافعة التتر هذه المرة (عبر الذهبي ٥/ ٦٥ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٨٦). وكذلك أسندت اليه القيادة العامة في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م على الجيوش المولجة بحرب المغول (الحوادث الجامعة ص ٢٧ - ٢٨).



الفصل السابع

علاقات إربل الخارجية

أود أن أبين هنا بأن المقصود ليس بحث العلاقات الدبلوماسية لاربل، بالمعنى المعروف قانونا، لان إربل لم تكن دولة كاملة السيادة من الناحية القانونية، وإنما كانت ولاية من تلك الولايات التى كانت منتشرة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط، وفقا لما أوضحنا آنفا، ولكنها كانت تتمتع بقسط وافر من الاستقلال الذاتي.

وقبل ولوج هذا الموضوع، يحسن بي أن أشير الى الأوضاع السياسية المضطربة التي سادت المنطقة خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، وانتهت بسقوط الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م سواء المنازعات التى كانت قائمة بين خليفة بغداد والسلاطين السلاجقة (أخبار الدولة السلجوقية ص ١٣٤ - ١٣٦ و١٤٠ - ١٤٣ والمنتظم ١٠/ ٢٦ و٣٠ و٥٥ - ٦٢، ومرآة السبط ٨/ ١٨٩ وتاريخ ابن كثير ١٢/ ١٩٦ - ١٩٩ و٢١٠ و٢١٨)، أو بين الخليفة وأمراء الاطراف، كصاحب الحلة مثلا، أو كمحاولة الخليفة استرداد سيادته على الموصل والشام بانتزاعهما من زنكي (مرآة السبط ٨/ ١٠٩ و١١٠ وتاريخ أبن كثير ١٢/ ١٩٠ - ١٩١ و٢٠٣ - ٢٠٦ و٢١٨)، أو النزاع بين السلاجقة أنفسهم (تاريخ ابن كثير ١٢/ ٢٠٣ و٢٣٣) أو بينهم وبين حكام الولايات المتفرقة (المنتظم ١٠/ ١١ - ١٣ وابن خلكان ١/ ٢١٧، وأخبار الدولة السلجوقية ص ١٩٥)، أو النزاع بين هؤلاء الحكام أنفسهم، كذلك الذي وقع بين الاتابكة والايوبيين (المنتظم ١٠/ ١٠٥ و١٠٨ ومرآة السبط ٨/ ٣٣٢ و٣٣٤ - ٣٦٣ و٣٧٦ و٣٨٣ - ٣٨٤ و٤٣٥ و٥٤١)، أو بين أعضاء البيت الأتابكي أنفسهم كالنزاع الذى وقع بين قطب الدين مودود صاحب الموصل ونور الدين زنكي (أتابكة ابن الاثير ص ١٦٨ - ١٧٣)، وذلك الذى وقع بين صاحب الموصل وصاحب سنجار في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م بشان تبعية تل أعفر، وأمثال ذلك (المصدر السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ومرآة السبط ٨/ ٢٨١ و٥٨٠ وتاريخ أبي الفداء ٣/ ١٢٠ - ١٢١).

هذا فضلا عن القتال القائم ضد المغول في الشرق وضد الصليبيين في الغرب. وفوق

ذلك فقد كان الاضطراب يقع أحيانا ضمن الولاية الواحدة، بل وفي داخل عاصمة الخلافة نفسها (أخبار الدولة السلجوقية ص ١٩٣ - ١٩٦ والمنتظم ١٠/ ٥ و٣٤ - ٣٥ و٤٢ و٦٧ و١٠٢ و١١٩ و١٥٨ وكامل ابن الأثير ١١/ ٢٩ و٣٤ و٣٦ ومرآة السبط ٨/ ١٩١ و٢٠٣ - ٢٠٤ وتاريخ أبي الفداء ٣/ ١٥ و١٦). ولقد سبق ونوهنا عند حديثنا عن تاريخ إربل، ببعض تلك المنازعات والحروب التي وقعت وكان لاربل دور فيها. ولعل من المفيد هنا إعطاء نماذج لما كان يحدث في تلك الايام، اذ هي تعكس - على صغر شأن بعضها - حقيقة اضطراب الاحوال، من ذلك مثلا:

أ/ هاجم جلال الدين خوارزمشاه في سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، مدينة دقوقا - وهي تابعة للخليفة - وفتحها بالسيف.

ب/ قام نائب الوزارة ببغداد في سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م بعزل القاضي، الا ان نائب الوزارة نفسه ما لبث ان عُزل واعتقل (الحوادث الجامعة ص ٣٠ - ٣٤). وفي السنة التالية، التجأ أمير الحاج العراقي الى مصر هربا من جور وزير الخليفة، ولكن عزل الوزير ما لبث أن حمل أمير الحاج على العودة الى بغداد (المصدر السابق ص ٤٣). وفي تلك السنة نفسها اختل الأمن في طريق الحجاز الى درجة منعت الحجاج من مواصلة المسير لاداء الفريضة (المصدر السابق ص ٦٠) كما ان أحد أشراف مكة طرد الجيش المصرى منها، غير أن الجيش تمكن من استعادتها بعدئذ (المصدر السابق ص ٤٢).

ت/ وفي سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، قام الكامل ملك مصر بمحاصرة آمد وتجويعها ثم استولى عليها (المصدر السابق ص٤٢). ويبدو ان آمد كانت موضوعا لنزاع مستمر، إذ حوصرت مرة أخرى في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، وعندها تدخل الخليفة وفك الحصار (المصدر السابق ص ٩١).

ث/ وشهدت سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م نزاعا بين الايوبيين على تملك دمشق ومصر، وشكا صاحب مصر الى الخليفة تآمر أخيه عليه، فتدخل الخليفة وأصلح الحال. وقد حصل مثل ذلك في سنتي ٦٣٦ هـ/ ١٢٣٨م و٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠م. وقد استمر النزاع من أجل

دمشق حتى سنة ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥م (المصدر السابق ص ٧٧ - ٧٩ و١١٤ - ١١٧ و١٤٠و٢٠١).

ج/ وفي سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧م، شغب العوام ببغداد مما أدي الى مقتل جماعة من الناس (المصدر السابق ص ١٠٢).

ح/ وفي السنة التالية حصل نزاع بين الأسرة الأرتقية، حكام ماردين أدى إلى مقتل البعض منهم (المصدر السابق ص ١١٦).

خ/ وفي سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م، استولى صاحب اليمن على مكة (المصدر السابق ص ١٢٣)، وعندما كان صاحب سنجار يزور بغداد في السنة نفسها، قام صاحب الموصل بالاستيلاء على بلاده (المصدر السابق ص ١٢١ - ١٢٢).

والآن بعد أن القينا نظرة خاطفة على أحوال المنطقة بصورة عامة، يمكننا ان نستعرض علاقات إربل بالبلدان المجاورة، ونبدأ أولا ببغداد عاصمة الخلافة.

١/ العلاقة بين إربل وبغداد:

ليس بين أيدينا مراجع تشير بوضوح الى حقيقة العلاقة التى كانت قائمة بين إربل وبغداد، الا ان هناك إشارة قد توحي برغبة حاكم إربل في وقت من الاوقات أن يكون تابعا لبغداد. ذلك ان مجاهد الدين قايماز - عندما أراد عزل كوكبوري عن إربل - حرر محضراً وأرسله الى ديوان الخليفة، يفيد بأن كوكبوري غير أهل لتولى الحكم، ويطلب الموافقة على عزله واسناد الحكم الى أخيه الاصغر يوسف (باهر ابن الاثير ص ١٣٦، وابن خلكان ٣/ ٢٤٦ و٢٧٠ وكوكبوري لطليمات ص ٦٩). وتقول الاخبار بأن كوكبوري، عقب عزله توجه الى بغداد، ولعله ذهب اليها يشكو سوء المعاملة التي لقيها من قايماز، واغتصاب الملك منه، الا أنه لم يخرج بنتيجة إيجابية. والجدير بالملاحظة ان المراجع التى ذكرت الحادث لم تنشر الى تاريخ وقوعه (ابن خلكان ٣/ ٢٧١ وكوكبوري لطليمات ص ٦٩).

ومع ذلك، فالظاهر ان إربل كانت في الأعم الأغلب تابعة لاحدى دويلات الاطراف، بل ان ياقوت (بلدان ١/ ١٨٧) عدّها من أعمال الموصل. ولذلك فإن إربل كانت في الغالب

مشمولة بالمواقف التي تقفها الدولة المتبوعة. وخير مثال يوضح هذه الناحية، ما وقع يوم قام أتابك الموصل في سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦م، بدعم موقف السلطان السلجوقي ضُدّ الخليفة، وكان الجيش الاتابكي بقيادة زين الدين علي. صحيح ان زين الدين لم يشترك في ذلك الحدث بصفته «أمير إربل» وانما فعل ذلك باعتباره قائداً للجيش الاتابكي، الا ان الذى لا شك فيه، ان إربل – وهي إقطاع لزين الدين المذكور – كانت في ذلك الحين تدور في فلك الموصل دورانا تاما في السلب والايجاب (باهر ابن الاثير ص ١١٣ – ١١٤ والكامل له ١١/ ١٤١). ويمكننا أن نقول الشيء نفسه بالنسبة لاربل أصبحت تابعة للايوبيين فكانت تدور في فلكهم سلبا أو ايجابا، ولم تتحرر من تبعيتها هذه الا في عهد كوكبوري الذي صار يتبع سياسة التوازن الاقليمي بين الاتابكة من جهة وبين الايوبيين من جهة أخرى، الى أن قطع علاقته أخيراً بالايوبيين أثناء زيارته المشهورة لبغداد في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م، وعندها ربط نفسه بالخليفة ربطا مباشراً (يعتقد كاهن – وفقا لما ذكره في الموسوعة الاسلامية ج ١/ ١١٦٠ – بأن كوكبوري ربط نفسه بالخليفة مباشرة منذ وفاة صلاح الدين. لكننا لا نشاركه هذا الظن، لأن كوكبوري ظل يعترف بالسيادة الاسمية لبني أيوب، وتدل على ذلك العملة المضروبة باربل في عهده، وعليها أسماؤهم. انظر أيضا كامل ابن الاثير ١٢/ ٢٢٥ و٢٦٠ والحوادث الجامعة ص ١٠٥)، فخلع عليه الخليفة، «خلعة السلطنة» وبذلك أصبح نداً للاتابكة أصحاب الموصل، وللأيوبيين حكام مصر والشام على السواء (الحوادث الجامعة ص ١٩).

والظاهر ان كوكبوري كان يمهد منذ حين ليبلغ المنزلة التى أرادها لنفسه، فكان ينتهز الفرص للاعلان عن ولائه واحترامه وتبعيته للخليفة، ويحدثنا ابن المستوفي، كيف ان كوكبوري لما أنشأ دار الحديث باربل واحتاج لمن يحدّث فيها، كتب الى «الديوان العزيز» يلتمسه إنفاذ ابن طبرزد وحنبل، فوصلا في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م، ولما طلب صاحب دمشق الايوبي إنفاذهما اليه لم يلب الطلب الا بعد استئذان «الديوان العزيز» (مخطوطتنا ورقة ٧٠ أ و١٦٢أ)، إمعانا منه في إظهار التقدير والاحترام لمقام الخلافة. وعلاوة على ذلك، فان رسل دار الخلافة كانت تتوارد على كوكبوري باستمرار، وكان بعضهم من ذوي المناصب العالية كقاضي القضاة أو من أصحاب الرئاسة الدينية العليا. فلقد ورد الى

إربل عبد السلام الجيلي المتوفى في سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤م رسولا من الديوان العزيز (المصدر السابق ورقة ١٧٧ ب) ووردها محمد بن الطباخ الواسطي المتوفى في سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م عدة مرات موفداً من الديوان (المصدر السابق ورقة ١٩١أ). وقد أوفد الخليفة في سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م الى إربل رسولين، هما محيي الدين يوسف بن الجوزي، وسعد الدين حسن بن الحاجب، ليصحبا كوكبوري في زيارته الى بغداد (الحوادث الجامعة ص ١٩ - ٢٣). ويظن الدكتور طليمات (كوكبوري ص ٢٣٩ و٢٤٣) بأن مهمتهما كانت بحث قواعد وراثة الحكم بعد وفاة كوكبورى ، لاسيما وانهما عادا في صحبته الى إربل لتحليف أمرائها وأعيانها بتسليم المدينة الى الخليفة بعد وفاة كوكبوري، بل ان كوكبوري نفسه سلم الى الخليفة، أثناء الزيارة، مفاتيح إربل والقلاع التابعة لها، إعلانا منه بتبعيتها الى الخليفة (مرآة السبط ٨/ ٦٨٠ - ٦٨١).

وورد الى إربل أكثر من مرة، الصوفي الشهير عمر السهروردي المتوفى في سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م (مخطوطتنا ورقة ١٨٨أ). كذلك وردها رسولا في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، قاضي القضاة (معجم ابن الفوطي ٢/ ٨٧٣ - ٨٧٤)، ولكننا لا نعرف شيئا عن مهمته. وعلاوة على ذلك فان ابن الساعي (تاريخ ص ٢٨٨) يخبرنا بأن ابن أخي كوكبوري ورد بغداد في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م مع رئيس الشافعية بدمشق ومعه رسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل وطلب الرضا عنه، فقبَّل «العتبة الشريفة بباب النوبي» نيابة عن كوكبوري واعتذاراً عنه، الا انه لم يذكر سبب ذلك الاعتذار (تاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٢). وكان كوكبوري يرسل الرسل الى بغداد، ومن هؤلاء مستشاره محمد بن عبد السلام السنجاري أحد المدرسين باربل (معجم ابن الفوطى ١/ ٦٢٣).

ويبدو ان الخليفة من جانبه كان يعتبر كوكبوري من اتباعه المباشرين، حتى قبل عودة إربل الى حظيرة الخلافة، إذ يقول ابن الاثير (الكامل ١٢/ ٢٠٠ - ٢٠١) ان الخليفة أمر في سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥م كوكبوري بأن يحضر بعساكره، ويكون مقدم الجيوش التي أعدت لتأديب منكلي، وقد تم ذلك بالفعل ونجحت الحملة (كوكبوري لطليمات ص ١٤٤ - ١٤٦). وفضلا عن ذلك فان الخليفة كان يدرك أهمية موقع إربل في الدفاع عن

العاصمة، بل وعن العراق بأسره - وهي التي وقعت في سهولها عدة معارك تاريخية حاسمة - خصوصا وان تسلل التتر المبكر الى العراق، وقع في غالب الأحيان في منطقة إربل. من ذلك مثلا انهم بعد احتلالهم لمراغة في سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م، توجهوا نحو إربل، فاجتمع لحربهم عسكر العراق والموصل، وأسندت قيادة جيوش الخليفة الى كوكبوري، فهاجم المغول، ولكنهم تراجعوا نحو همذان (عبر الذهبي ٥/ ٦٥ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٨٦). وحصل مثل ذلك في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م (راجع ص ١٤٥ من هذا البحث).

هذا وان ابن المستوفي لا يذكر الخليفة وديوان الخلافة الا مقرونين بعبارات التبجيل والدعاء، فيسميهما أحيانا «المواقف المقدسة، أدام الله جلالها» أو «الديوان العزيز، أجلّه الله» أو «أمير المؤمنين المستنصر، أعز الله سلطانه» وهكذا (مخطوطتنا ورقة ٧٠أ و٨٨أ و٩١أ و١٦٢أ و١٧٧ب و٢١٨أ). وهذا يعكس، ولاشك، الروح التي كانت سائدة في ذلك الحين عن تعلق إربل بأعتاب الخلافة. ولكنه على الرغم من ذلك كله، فان العلاقات بين بغداد وإربل لم تكن دائما في وئام وصفاء، حتى بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة، وآية ذلك ان المغول عندما تسربوا في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م الى شهرزور، استنجد كوكبوري بالخليفة فأمده بجيوشه وأسند اليه القيادة العامة، لكن احتكاكا وقع بين جيوش بغداد وجيش إربل، كاد يؤدي الى الفتنة والقتال لولا حكمة قواد الخليفة، ثم ان كوكبوري تظاهر - على حد قول مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٢٧ - ٢٩) - بالمرض وتراجع الى إربل (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٢). وحادث آخر ذو دلالة واضحة على ما أسلفنا، هو اعتقال كوكبوري لكاتب إنشائه وشاعره أسعد بن ابراهيم (المجد النشابي) في السنة المذكورة، بحجة أنه يطالع ديوان الخلافة بأحوال إربل (ذيل اليونيني ١/ ١٢١ - ١٢٣، ومعجم ابن الفوطي ١/ ٥٦١ - حاشية وفوات الكتبي ١/ ١٧).

وعلى كل حال، فان وجود إربل كامارة مستقلة ذاتيا انتهى بموت كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، وعند ذلك قام الخليفة باستعادتها وصارت إقليما من أقاليم الحكومة المركزية. والظاهر ان آل زنكي - ولا سيما عماد الدين زنكي، زوج ابنة كوكبوري - وبنو أيوب، ولا سيما الملك الصالح نجم الدين أيوب، كانوا طامعين باربل أيضا، ولكن الخليفة

فوّت الفرصة عليهم وكان أسرع منهم في السيطرة عليها، مما أسقط في أيدي الطامعين. والمعروف ان البلد فُتح عنوةً - كما أسلفنا - في ٧ شوال من تلك السنة (الحوادث الجامعة ص ٤٤ - ٤٧ ومرآة السبط ٨/ ٦٨٣)، وقد اعتبر ذلك فتحا مبينا احتفل به بضرب الطبول وإعلان الفرح وإقامة الزينات في عاصمة الخلافة، وقال فيه الشعراء قصائد تلائم المناسبة (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٥) مما جعل المؤرخ ابن الطقطقى (الفخرى ١/ ٤٤٦) - مدفوعا بمنافقته للتتر - أن يسخر من ذلك الاحتفال، ويقارن بين فتح جيوش الخليفة لاربل وفتوحات المغول. والذي أذهب اليه بهذا الشأن فان ابن الطقطقي، فضلا عن تملقه للمغول، فانه فضح نفسه وكشف جهله بأهمية إربل وقيمتها العسكرية وموقعها الحربي، وتجاهل مجدها وتقدمها أيام كوكبوري، والا لما سخر من الاحتفال بعودتها الى حظيرة الخلافة. ويكفى أن الاتابكة وبني أيوب قد تسابقوا على تملكها، كما أسلفنا.

٢ - علاقات إربل بالموصل:

كانت إربل، كما سبق وبينا، تُعتبر من أعمال الموصل، وقد بقيت على هذه الحال حتى سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م، عندما تمرد زين الدين يوسف على صاحب الموصل معلنا ولاءه الى صلاح الدين الذى كان نجمه آنذاك في صعود. وقد استمرت هذه التبعية للأيوبيين طيلة حكمة لاربل. ومن الطبيعي ان تمرده على الاتابكة وانضمامه الى خصمهم صلاح الدين، أدى الى قيام عداوة عميقة بين إربل والموصل، بلغت في بعض الأحيان الى حد القتال. فلقد حارب زين الدين يوسف جيوش مسعود بن مودود في سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م، وتغلب عليها في معركة «تَرْجَلّة» وفقا لما ذكره ياقوت (بلدان ١/ ٨٣٦) ويشير ابن شداد (سيرة ص ٥٤) الى حرب أخرى وقعت في السنة التالية وانتصر بها يوسف أيضا.

وهكذا صار يوسف يقف دائما في صفوف أعداء البيت الاتابكي، خلافا لوالده الذي عاش في كنفهم منذ صباه حتى وفاته - بعد أن قارب المائة - وكان مثالا للاخلاص والوفاء لجد هذا البيت ثم لأبنائه وأحفاده من بعده. وقد عرف له هؤلاء إخلاصه وكافأوه

بأن جعلوه الحاكم الفعلي لمملكتهم والقائد العام لجيوشهم ، وأقطعوه أقاليم عديدة لم ينل مثلها أحد من القواد. الا ان ابنه يوسف رأى من مصلحته أن يخلع طاعتهم ويتحالف مع بني أيوب، وينقل ولاءه اليهم.

أما كوكبوري، فقد سلك سياسة مختلفة تمام الاختلاف، فانه - وان آثر ان يستمر في الولاء للايوبيين - أخذ بسياسة التوازن الاقليمي. فهو رغم عدائه للبيت الاتابكي ومحاربته لهم، من ذلك مثلا هجومه على الموصل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م، عندما كان جيشها متوجها الى نصيبين (مفرج ابن واصل ٣/ ١٥٦ وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٥٩٠ ط الزين، كامل ابن الاثير ١٢/ ٧٥، واتابكة الجميلي ص ١٨٠ - ١٨١) لم يعمد الى قطع خط الرجعة على نفسه معهم، لانه كان يدرك بأنه قد يحتاجهم في يوم من الأيام، ويحتاجونه للحد من طموح الايوبيين. بل انه حالفهم في بعض السنين ضد الأيوبيين الذين لهم عليه حق الولاء، من ذلك ما وقع في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م، اذ شخص بنفسه الى الموصل على رأس جيشه لمساندة الاتابكة ضد بني أيوب. وانتهز فرصة هذا الحلف فعزز صلاته بهم، فزوج ابنتيه من ولدين من أولاد نور الدين صاحب الموصل، هما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكي (كامل ابن الاثير ١٢/ ١٨٩ مفرج ابن واصل ٣/ ١٩٤ - ١٩٧ ومرآة السبط ٨/ ٥٤١ واتابكة الجميلي ص ١٨٦). وقد ساعده ذلك في تعزيز استقلاله الذاتي الذي كاد يكون تاما لولا تبعيته الاسمية للخلافة والسلطنة الأيوبية.

ثم عقد حلفا مع عز الدين مسعود الذى تولى حكم الموصل بعد وفاة أبيه في سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م، وظل هذا الحلف قائما حتى وفاة عز الدين المذكور في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م (كامل ابن الاثير ٩/ ٣٢٠ ط الاستقامة وكوكبوري لطليمات ص ١١٠). ولكن كوكبوري «بقي غصة في حلق البيت الأتابكي لا يقدرون على اساغته»، على حد قول ابن الاثير (الكامل ١٢/ ٣٧ وكوكبوري لطليمات ص ٩٧)، خصوصا وانه أخذ يتدخل في منازعتهم الداخلية من ذلك ما وقع في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م، عند وفاة عز الدين مسعود صاحب الموصل آنف الذكر (توهم الدكتور طليمات فذكر ان المتوفى في سنة ٦١٥ هـ/ هو نور الدين أرسلان شاه «كوكبورى ص ١١٧ - ١١٨»، ونسي ما قاله في ص ١٠٩ من أن الأخير توفي في سنة ٦٠٧ هـ)، إذ قام زوج ابنته عماد الدين بالاستيلاء على

العمادية وبعض القلاع التابعة الى الموصل (كامل ابن الاثير ١٢/ ١٢٦ و٢١٩ – ٢٢٦ و٢٩٦ وكوكبوري لطليمات ص ١١٠ – ١١٥)، وتجدد نشاط كوكبوري فناصره بجيش إربل، مما حمل صاحب الموصل على طلب المعونة من الملك الأيوبي. وبذلك تأصلت العداوة بين الملك الاشرف وكوكبوري الى الآخر (أتابكة الجميلي ص ١٩٣ – ١٩٤). وعندما نشب القتال انهزم جيش الموصل، واحتمى قائده بدر الدين لؤلؤ بالموصل، فتبعه كوكبوري واحتل نينوى، غير انه عاد فتركها متراجعا الى ضفة الزاب، ثم تصالحا في السنة التالية (كامل ابن الاثير ٩/ ٣٢١ – ٣٢٢ ط الاستقامة وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٥٩٩ – ٦٠٠ ط الزين وكوكبوري لطليمات ص ١١٧ – ١٢٠ وأتابكة الجميلي ص ١٩٨ – ١٩٩).

وهكذا فان العلاقات بين إربل والموصل – كما رأينا – كانت بين مد وجزر، وقد غلب عليها طابع الخصومة في سنواتها الأخيرة، لا سيما بعد أن تحالفت الموصل مع الملك الأشرف الايوبي، وبعد ان حاول بدر الدين لؤلؤ حرمان أحفاد كوكبوري من التمتع بالسلطة في الموصل، وهو حق شرعي لهم ورثوه عن آبائهم الاتابكة. وقد استمرت تلك الخصومة حتى وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م. وفي السنة التالية توفي حفيده ناصر الدين محمود، فانتهز بدر الدين لؤلؤ الفرصة وتمكن من الحصول على مرسوم من الخليفة بتعيينه واليا على الموصل أصالةً، إذ قد أمن المعارضة بعد أن مات خصمه كوكبوري (الحوادث الجامعة ص ٥٢ وعبر الذهبي ٥/ ١٢٣ وأتابكة الجميلي ص ٢٢٩ و٢٨٢، هذا وقد توهم الدكتور طليمات – انظر كوكبوري ص ١٣١ – ١٣٢ – فظن ان ذلك قد وقع في سنة ٦٢٣ هـ، وبنى على وهمه هذا تحركات قام بها كوكبوري انتقاما لحفيده محمود، الذي شاع – على حد قول طليمات – بأن بدر الدين لؤلؤ قد قتله. أقول يبدو ان الأمر قد التبس على الدكتور طليمات، فخلط بين أحداث سنة ٦٢٣ هـ/ وسنة ٦٣١هـ).

هذا ويذكر لنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤ب) ورود عبد الله بن الحسن الموصلي الشاهد المتوفى في سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م، رسولا الى إربل من الاتابك أرسلان شاه ابن مسعود صاحب الموصل برسالة الى كوكبوري. ولكنه لم يذكر تاريخ القدوم ولا موضوع الرسالة. ولاشك ان هذه الوفادة لم تكن الوحيدة، وأن هناك مراسلات كثيرة تمت

بين حكام البلدين، الا أننا لم نقف عليها، خصوصا وان تنقل العلماء بين إربل والموصل كان مستمراً في كلا الاتجاهين، وكانت العادة أن يكلف الحكام هؤلاء العلماء بحمل الرسائل والقيام باعمال السفارة بين حكام ذلك الزمان.

٢ - علاقات إربل ببني أيوب:

كانت إربل - كما رأينا - تابعة للموصل تدور في فلكها سلبا أو إيجابا، حتى ان ياقوت عدّها من أعمال الموصل. أما ابن الاثير (اتابكية ص ٣٢٤) فانه لم يسمها غير «مدينة إربل» أو «البلد»، اذ قال في معرض كلامه عن مجاهد الدين قايماز، عند توليته لقلعة الموصل في سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م «وكان بيده قبل هذه الولاية» مدينة «إربل وأعمالها، ومعه فيها ولد صغير لزين الدين علي، ولقبه أيضا زين الدين. وكان «البلد» لولد زين الدين اسما لامعنى تحته، ولمجاهد الدين صورة ومعنى». ويبدو ان زين الدين يوسف آنف الذكر، كان يرنو ببصره الى الاستقلال عن الموصل، فانتهز فرصة اعتقال مربيه مجاهد الدين قايماز المذكور آنفا في سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م من قبل عز الدين صاحب الموصل، فامتنع باربل (المصدر السابق ص ٣٣٤ - ٣٣٥)، وكَاتَبَ صلاح الدين وانضوى تحت لوائه، ثم حارب في صفوفه، كما سبق وبينا في ترجمة يوسف هذا. وصار صلاح الدين يرسل الولاة الى شهرزور التابعة لولاية إربل (مخطوطتنا ورقة ١٩٨ ب). وبعد ذلك طلب كوكبوري ولاية إربل لنفسه بعد وفاة أخيه يوسف، ويقول العماد الاصفهاني (الفتح القسي ص ٢١٧ - ٢١٨ ط مصر) بأن كوكبوري قد تعهد بدفع خمسين ألف دينار الى صلاح الدين في كل سنة، لكي يوليه إربل.

وبعد وفاة صلاح الدين في سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م، حاول عز الدين صاحب الموصل أن يسترد الممتلكات التي فقدها لصالح صلاح الدين، غير أن مجاهد الدين قايماز حذره من الاخطار المحيطة بمملكته، ولا سيما خطر كوكبوري حاكم إربل الذي اشتد ساعده (اتابكية ابن الاثير ص ٣٣٨ - ٣٣٩) حتى انه هاجم الموصل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م - كما أسلفنا - تأييداً لموقف العادل الأيوبي في حماية سنجار من خطر صاحب الموصل الذي حاصرها في تلك السنة. وكان هجوم كوكبوري سببا في فك الحصار عنها (مرآة السبط ٨/ ٥٤٥ وكوكبوري لطليمات ص ٩٩ - ١٠٠). وهكذا نمت قوة إربل، وصار يحسب لها الحساب، وأصبح الاتابكة يخشونها ويحتاجونها في كثير من الأحيان.

وفي سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م انقلبت الآية، ذلك ان الملك العادل الأيوبي توجه نحو الشرق، فكره المشارقة مجاورته فاتفقوا ضده (وهم كوكبوري وأصحاب الموصل والجزيرة وماردين وحلب)، ولكن رسول الخليفة توسط بين الطرفين، مما أدى الى التصالح (ذيل الروضتين ص ٦٧ و٧٥). والطريف في هذا الحادث ان الملك العادل حاصر سنجار في تلك السنة، وان صاحبها قطب الدين استنجد بكوكبوري، فأرسل هذا الى العادل – بما له من علاقات الود والمصاهرة – يشفع في أمر سنجار، الا ان العادل رفض شفاعته الأمر الذى حمل كوكبوري على السير بعساكر إربل وشهرزور، وانضم الى جيش الموصل لمحاربة العادل، لكن تدخل الخليفة أدى الى منع القتال وإبقاء سنجار بيد صاحبها (اتابكية ابن الاثير ص ٣٦٠ – ٣٦٦).

وفي سنة ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م قرر صاحب دمشق، وهو الملك الاشرف بن العادل الايوبي – بعد أن أخذ سنجار – أن يسير الى إربل لأخذها من كوكبوري، الا أن الخليفة تدخل مرة أخرى وطلب اليه الرجوع من حيث أتى، فاستجاب للطلب شريطة أن يُخطب له باربل ويُضرب الدينار باسمه. فوافق كوكبوري على ذلك (الحوادث الجامعة ص ١٠٥ وكامل ابن الاثير ١٢/ ٢٢٥ و٢٦٠) والظاهر أن كوكبوري كان قد أسقط اسم السلطان الأيوبي من خطبة الجمعة ومن العملة بعد وفاة صلاح الدين (يقول كاهن في «الموسوعة الاسلامية» بأن كوكبوري قد ربط نفسه منذ وفاة صلاح الدين بالخليفة رأسا، ويقول طليمات في «كوكبوري» ص ١٢، بأن إربل تحولت بوفاة صلاح الدين، من وحدة سياسية تابعة الى وحدة سياسية مستقلا استقلالا كاملا في سياستها الداخلية والخارجية على السواء). وهذا طبيعي بعد أن انفجر الخلاف بين بني أيوب انفسهم، وقد وجد كوكبوري الفرصة سانحة فيما بعد، اذ اغتنم قيام شهاب الدين غازى بالعصيان على الأشرف الايوبي في سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، فأعانه، بل ألف حلفا من المشارقة للوقوف في وجه الاشرف. وحصل مثل ذلك في السنة التالية عندما خاصم الملك المعظم عيسى، صاحب دمشق أخاه الملك الاشرف، فأيده كوكبوري وتحالف معه، وقد استمر هذا الحلف حتى سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ عندما انتهى بالصلح بين الفريقين. والجدير بالذكر أن خوارزمشاه كان قد دخل فيه أيضا (كامل ابن الاثير ١٢/ ٢٢٥ و٢٦٠ و٣٩٦

ومرآة السبط ٨/ ٦٣٢ - ٦٣٤ وذيل الروضتين ص ١٣٠ و١٣١ و١٤٢ وكوكبوري لطليمات ص ١٢٧ - ١٣١).

وفي الحقيقة ان جوهر الخصومة بين كوكبوري والملك الاشرف، هو طمعهما بالموصل. بل ان الأمر بلغ بكوكبوري الى مكاتبة نواب الاشرف في بعض الأحيان، يحرضهم على الخروج عن طاعته، وصار يراسل ملوك الاطراف يثير مخاوفهم منه، وقد نجح بالفعل في ضم بعض قواد الاشرف اليه، ومنهم أحمد بن علي بن المشطوب، وعز الدين محمد بن بدر الحميدي، وكلاهما كردي، وان أولهما من أهل إربل (كوكبوري لطليمات ص ١٢١). كما نجح في تحريض حكام بلاد الروم (تركيا الحالية) وحصن كيفا وآمد وماردين وتأليف حلف معهم، لكن هذا الحلف انفرط بوفاة صاحب بلاد الروم (كامل ابن الاثير ٩/ ٣٢٢ - ٣٢٨ ط الاستقامة وكوكبوري لطليمات ص ١٢٢)، مما حمل كوكبوري على الأخذ بالوسائل السياسية بدلا من استعمال القوة، فحاول مصالحة الملك الاشرف، لكنه رفض وأصر على القتال لحسم النزاع الا ان ظروفا استجدت جعلته يقبل بالصلح (المصدرين السابقين ٩/ ٣٢٤، وص ١٢٤ - ١٢٥).

وفي سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م، تمكن الملك الكامل الأيوبي من تعزيز مركزه، اذ اصبح صاحب مصر والشام، مما جعله يفكر في الاستيلاء على الجزيرة وما وراءها، فخافه حكام تلك المنطقة ودخلوا في طاعته، وعندها رأى كوكبوري ان من المصلحة عقد معاهدة للصداقة معه، فعُقدت (كوكبوري لطليمات ص ١٣٢ - ١٣٣. وقد نقل الدكتور طليمات هذه المعلومات عن كتاب «السلوك» ١/ ٢٣٦، ولدى المراجعة وجدتُ ان رسل كوكبوري وفدوا على الملك الكامل في سنة ٦٢٦ هـ وليس في سنة ٦٢٧ هـ. ولم يذكر المقريزي شيئا عن عقد المعاهدة موضوع البحث، الا انني أخذتُ باستنتاج الاستاذ طليمات، لان ورود الرسل يعني ولاشك إقامة صلات ودية وعقد صداقة).

ولعل من المفيد هنا أن نشير الى ان رسل الايوبيين كانوا يتواردون على إربل. ولقد سبق وأشرنا الى ان صلاح الدين كان يبعث الى كوكبوري بالرسائل التي تنبيء بتطورات الحرب في الديار المقدسة. ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٩ أ) عن عدد

من الرسل الذين وردوا الى إربل، ومنهم ابن المخيلي المصري الذي وردها في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م، الا انه لم يذكر اسم مرسله. ومنهم الوزير المصري المعروف بابن المسيري، الذى ورد إربل مرتين، الاولى في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م، مندوبا عن الملك الكامل، والثانية في سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م مبعوثا من قبل الملك الاشرف (مخطوطتنا ورقة ١١٤ب و١١٥أ، هذا وقد ورد في «صبح الاعشى» ٤/ ٣٦٦ عن إربل، بأن «بها حاكم يُكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية»). ومنهم قاضي السويداء الحراني الذي ورد إربل في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م (المصدر السابق ورقة ٢٢١أ)، ولكنه لم يذكر اسم مرسله، والغالب على الظن أنه أحد الايوبيين. هذا وقد أوفد الملك الظاهر غازى، صاحب حلب كاتب إنشائه الشريف الحسن بن زهرة الحسينى الاسحاقي، النقيب المتوفي في سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، رسولا الى إربل (تكملة ابن الصابوني ص ١٨٨ والحاشية)، الا اننا لا نعرف تاريخ وفادته.

وعلى كل حال فان إربل بقيت – من ناحية الاسم على الأقل – تابعة لبني أيوب، اذ كان من مصلحة حكامها استمرار هذه التبعية الاسمية، خوفا على أنفسهم من حكام الموصل المجاورين. وفضلا عن ذلك، فان الخوف من الايوبيين يكاد يكون معدوما من الناحية العملية، لان مملكة الموصل الواسعة كانت تفصل بين إربل والولايات الايوبية. ولكن كوكبوري كان يتطلع دوما للتمرد على أصهاره الايوبيين (سبق وذكرنا زواج كوكبوري من ربيعة خاتون شقيقة صلاح الدين – راجع الفصل الثالث من هذا البحث)، ولذلك وقف ضدهم في كثير من الأحيان، الى أن جاءت سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م، وفيها قطع صلته نهائيا بهم وربط نفسه بمركز الخلافة رأسا، محققا لنفسه حلما عزيزاً كان يراوده على الدوام، الا وهو ان يكون سلطانا نداً للاتابكة وبني أيوب على السواء.

وقبل ختام هذه الفقرة، أود الاشارة الى ما يعتقده المرحوم العزاوى (مجلة مجمع دمشق ص ٢٢٧) من انه لولا وجود امارة إربل وقوتها لما أذعن الاتابكة لبني أيوب. وإني، وإن كنت لا استطيع تأكيد هذا القول بصورته المطلقة، الا انني أؤيد قيام إربل بدور مهم في حفظ توازن القوى بين الاتابكة وبني أيوب.

٤ - علاقات إربل ببلاد أخرى:

ان وقوع إربل قرب التقاء الحدود العراقية بكل من تركيا وإيران، أعطاها أهمية خاصة منذ القديم، فكانت هي أشبه بالباب بالنسبة للقادمين الى العراق من الشرق والشمال، وان هناك موضعا ليس بعيداً عنها يسمى «دربند» أو«باب الأبواب» حسب التسمية العربية (بلدان ياقوت ١/ ٤٧٧ و٢/ ٥٦٤). وقد كانت ولاية إربل، في العهد الذى نحن بصدد دراسته، تتاخم - أو تقارب على الأقل - دويلات عدة كأذربيجان وإقليم الجبال في الشرق، وأرمينيا في الشمال والموصل والجزيرة في الغرب، فضلا عن عاصمة الخلافة وتوابعها في الجنوب. وقد كان لاذربيجان وإقليم الجبال أهمية خاصة بالنسبة لاربل، اذ يقعان - كما قلنا - الى شرقيها، وان اخطار الغزو الشرقي كانت دائما موضع الاهتمام وسببا في قلق الحكام، لا سيما عندما اشتدت شوكة خوارزمشاه، وما أعقب ذلك من تسرب المغول، خصوصا عندما بدأ خوارزمشاه نفسه يضعف أمام الزحف المغولي، وصار يوجه اهتمامه نحو جيرانه من المسلمين فيغزو بلادهم، مما اضطر كوكبوري في سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م أن يعرض عليه الدخول في طاعته (مرآة السبط ٨/ ٦٦٩ وكوكبوري لطليمات ص ١٣٣ - ١٣٤). وفي السنة التالية تحالفا ضد الايوبيين، كما أسلفنا. وفي سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م راودت خوارزمشاه فكرة الاستيلاء على إربل استيلاء مباشراً، الا ان كوكبوري نجح بدهائه أن يقنعه بالتخلي عن ذلك وتجديد الصلح (المرجعين السابقين ٨/ ٦٦٩ - ٦٧٠، وص ١٣٤).

وعلى كل حال فان حكام إربل، منذ أيام زين الدين علي، كانوا يركزون أنظارهم نحو الشرق، فقد شهدنا كيف كان زين الدين يراقب النزاع على العرش السلجوقي، وكيف تدخل في الوقت المناسب بالقبض على سليمان شاه المنهزم واعتقاله في قلعة الموصل. كذلك شهدنا في سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م تحالف صاحب الموصل وصاحب همذان ضد زين الدين يوسف، فاستصرخ هذا صلاح الدين، ورأينا كيف ان جيش همذان خرب قرى إربل وعبث بها، ولكن زين الدين يوسف تمكن من دحر المغيرين، وقد اتخذ صلاح الدين تلك الغارة ذريعة لغزو الموصل (سيرة ابن شداد ص ٥٤ ومرآة السبط ٨/ ٣٨٣ - ٣٨٤ وكوكبوري لطليمات ص ٥٨ - ٥٩).

أما كوكبوري، فقد سبق وأشرنا الى اتفاقه في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م مع صاحب مراغة على قصد أذربيجان وأخذها من صاحبها. ولكن صاحب اقليم الجبل تدخل في الأمر وحذر كوكبوري من مغبة الهجوم (تاريخ ابن الساعي ص ١٧٥ وكامل ابن الاثير ١٢/ ١٥٦ – ١٥٨ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٤٣). وكذلك في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م نظم كوكبورى حلفا مع سلطان سلاجقة الروم وأخيه صاحب «أرزن روم»، وضمهما الى صاحب الموصل فى حربه ضد الملك العادل الأيوبي الذى كان يحاصر سنجار (كامل ابن الاثير ١٢ / ١٨٩ وكوكبورى لطليمات ص ١٠٦ – ١٠٧ م) ثم تحالفه فى سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م مع بنى أُرتق أصحاب حصن كيفا وماردين ، ضد الملك الأشرف الأيوبى (كامل ابن الأثير ٩/ ٣٢١ ط الاستقامة وطليمات ص ١١٦).

أما بالنسبة لخوارزم شاه، فقد سبق وأشرنا فيما تقدم الى علاقاته باربل، وهي في مجموعها صورة بارزة لعلاقات إربل بالاقاليم الشمالية والشرقية. واستكمالا لهذه الصورة، يحسن بنا أن نشير الى ما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٦ ب) من ان عبد المحسن بن شفا المراغي الحميري، قاضي مراغة ورد إربل عدة مرات، وآخرها في سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م، وقد وردها رسولا. أقول ولابد ان رسالته كانت من صاحب مراغة، إذ هو قاضيها. ويذكر ابن الفوطي (معجم ١/ ٢٠٤) ان عبد الصمد بن عبد الرزاق المراغي، كاتب الانشاء لملكة مراغة، المتوفى في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م، ورد إربل وكتب عنه بها ابن الشعار الموصلي بعض شعره. أقول ولعله ورد إربل موفدا من قبل تلك الملكة. ويذكر ابن المستوفي أيضا (مخ ورقة ١٤٧ ب) قدوم محمد بن أبي طالب الاهري، نائب قاضي تبريز الى إربل في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م أيضا، رسولا من الملك أوزبك صاحب أذربيجان، إلا انه مع الاسف لم يذكر لنا موضوع تلك الرسالة.

والذى يغلب على الظن ان كوكبوري قد أنشأ علاقات مع العديد من حكام زمانه، بل ان سخاءه وبُعْد صيته جعل الآخرين ولاشك يرغبون فى مواصلته. ويذكر لنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢١٥ ب) ان أديبا أندلسيا ورد إربل في سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م يعرّف كوكبوري خبر سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الاسبان واستغاثة أسرى المسلمين هناك به، ليعمل على فكاكهم. فاستجاب كوكبوري للنداء، وفي هذا الدليل الواضح على

أن أخبار كوكبوري كانت قد وصلت الى تلك الأنحاء رغم بُعْد الشقة. وليس غريبا أن تنتشر أخباره على هذا النطاق الواسع، بعد أن توارد عدد غير قليل من الاندلسيين والمغاربة الى إربل في عهده وتمتعهم برعايته وضيافته. ففي الجزء الثاني من «تاريخ إربل» يحدثنا ابن المستوفي عن حوالي ١٦ اندلسياً ومغربيا وردوا إربل، ولو كشفنا بقية الاجزاء لابد وسيتضاعف هذا العدد أكثر من مرة.

وقبل الانتهاء من هذه الفقرة، يحسن بي أن أشير الى خبر وجده ابن المستوفي مكتوبا على حائط أحد المساجد فنقله وهو يشير الى أن جعفر بن المستنصر – من زعماء الاسماعيلية أصحاب ألَموت، على ما اعتقد – قد زار في سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م سرفتكين نائب صاحب إربل (مخ ورقه ١٤٦ ب) ولعل هذا الخبر يلقى ضوءً ضئيلاً على علاقات يمكن أن تكون قد نشأت بين إربل وتلك الطائفة المتطرفة.

الفصل الثامن

الأوضاع الدينية والقومية والاقتصادية في إربل

ليس من السهل العثور على معلومات كافية لدراسة هذه الأوضاع، الا أنه من الضروري لمن يتصدى لامارة إربل أن يقول شيئا عن الاوضاع الدينية والقومية والاقتصادية لسكان تلك الامارة. وقد حاولت جهدي استقصاء ما تيسر لي من المراجع علّني أجد فيها شيئا يلقي بعض الضوء على تلك الأوضاع. وها أنني أدرج في هذا الفصل ماأمكنني أستخلاصه بنتيجة ذلك الأستقصاء وقد أضفت عليه فقرة لم أجد لها موضعا في الفصول السابقة الا وهي «إربل في نظر الشعراء»، جمعت فيها بعض ما قاله الشعراء في إربل.

١ - الحالة الدينية:

سبق وبينت في فصول سابقة، وبشيء من التفصيل، أوضاع المدارس الاربلية - وكلها دينية - وتحدثت عن دار الحديث والربط الصوفية والمساجد، وتكلمت عن احتفال كوكبوري بالمولد النبوي، وعن اكرامه للعلماء واغداقه الأموال عليهم، وتجهيزه الحجاج وعمله السبيل، وارساله الصدقات الى أهل الحرمين الشريفين، وما الى ذلك. وهذا بطبيعة الحال يعكس الازدهار الذي مرت به الحياة الدينية في إربل، والاهتمام الذي كانت تلقاه من لدن حكامها. ولذلك فليس بوسعي ان أضيف شيئا جديداً هنا، الا انني وجدت من المفيد أن أتحدث عن المذهب الذي أظن انه كان سائداً في إربل، وأعني به المذهب الشافعي. وكذلك رأيت أن أخصص زاوية من هذا الفصل للتحدث عن النصارى الذين كانوا يعيشون في منطقة إربل، ويساهمون في حياتها العامة.

أولا: المذهب الشافعي باربل:

كان المذهب الشافعي من أوسع المذاهب الاسلامية انتشاراً في العراق، رغم ان

إقامة الامام الشافعي – رض – في العراق كانت محدودة. ومن العسير جداً الاهتداء الى الأسباب التي أدت الى ذلك الانتشار الواسع ولكن السيد حسين أمين (العراق في العصر السلجوقي ص ٢٧٣) يتحدث عن ازدهار المذهب الشافعي بسبب تشجيع السلاطين السلاجقة ووزيرهم نظام الملك بالذات. وقد ذكر ابن خلكان (٣/ ٢٩٩) حادثا يؤيد هذا الرأى بعض التأييد، ذلك ان شرط الواقف للتدريس في نظامية بغداد مثلا يتطلب ان يكون المدرس شافعي المذهب، حتى بالنسبة لمن يدرس النحو. ولذا فلا غرابة أن أقبل الناس على هذا المذهب. وعلى أي حال فان دراستنا هنا لا تشمل هذا الموضوع. غير ان الشيء الذي يمكن القطع به، هو ان إربل كانت معقلا من معاقل الشافعية، ولا سيما في العهد الذي نحن بصدد دراسته، بل انها لا تزال كذلك حتى اليوم، إذ المعروف عن المناطق الشمالية الشرقية من العراق، بأن أهلها هم من أتباع الامام الشافعي المخلصين (كان القضاء فى مملكة الموصل في العهد الاتابكي – وإربل من ولاياتها – يقوم على المذهب الشافعي، وفقا لما ذكره الجميلي في «الاتابكة» ص ٢٤٥. هذا وقد كانت المدرسة التى بناها نور الدين بن زنكي في الموصل مخصصة للشافعية، وفقا لما ذكره ابن كثير في تاريخه ١٢/ ٢٦٣ وتابعه الجميلي ص ٣١٦، ومثلها المدرسة التى أنشأها نور الدين أرسلان شاه بالموصل أيضا حسبما ذكره ابن الاثير في «الباهر» ص ٢٠١، وتابعه الجميلي ص ٣١٧. وكانت هناك مدرستان أخريان بناهما الاتابكة في الموصل وقد خصصتا للشافعية والحنفية مناصفة، وفقا لما نقله الجميلي في «الاتابكة» ص ٣١٥ – ٣١٦).

ومن المعروف لدينا أن علماء إربل الاوائل كانوا من الشافعية، فخذ مثلا داوود بن محمد الخالدى الاربلي، الذي قصد مرو في سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م، للسماع وطلب العلم، كان شافعيا (طبقات الاسنوى ١/ ١٣٤ ومخطوتنا ورقة ١٢٧أ) وقد ذكر ابن خلكان، بأن كوكبوري بنى مدرسة باربل ورتب فيها فقهاء من الشافعية والحنفية، الا ان الذى ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٦٩ ب) هو ان مدرسة الطين التى أنشأها كوكبوري، أوقفها على فقهاء الشافعية دون غيرهم. وعلى كل حال فان الذي لاشك فيه هو ان أول مدرسة انشئت باربل في سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨م، ولي التدريس فيها الخضر بن نصر بن عقيل،

وكان شـافعيا (طبقات السبكي ٧/ ٨٣ وتاريخ ابن كثير ١٢/ ٢٨٧). وان محمد بن عبد الله المهاني، قاضي إربل المتوفى في سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م - وهو شافعي من العارفين بالمذهب - كـان يدرس في ثلاث مـدارس باربل (مـخطوطتنا ورقـة ٦٩)، ولاشك انه كـان يدرّس الفقه الشافعي. ومن المدرسين المعروفين باربل، عمر بن خلكان المتوفى في سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م - وهو شافعي ايضا - (المصدر السابق ورقة ١٢٧ب وطبقات السبكي ٨/ ٣٠٨ وطبقـات الاسنوى ١/ ٤٩٥)، والحسين بن ابراهيم بن خلكان - وهو شـافـعي كذلك - (مـخطوطتنا ورقـة ١٦٣ ب وطبقـات الاسنوى ١/ ٤٩٥) وأحـمـد بن مـوسى بن يونس بـن منعـة الاربلي، وهو شـافـعي أيضـا (ابن خلكان ١/ ٩٠). ويذكر ابن السـاعي (تاريخ ص ٨) ان مـجاهد الدين قايماز، نائب صـاحب إربل، كان يعرف الفقه الشافعي وانه بنى مدرسة للشافعية في الموصل (ذكر ابن الاثير في «الكامل» ١٢/ ١٠١ ان قايماز كان يعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة!!).

وعلاوة على ما تقدم، فـان قضـاة إربل الذين وردتنا أخبارهم، كانوا شوافع. منهم مثلا جعفر بن محـمد الاربلي المتوفى في سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م، أو في سنة ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م كان عالما بالفقه الشافعي، وقد تولى القضاء باربل حتى وفاته (مخطوطتنا ورقة ٢٣أ و٣١ب و٤٤أ وتاريخ ابن السـاعي ص ٢٤٣ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٠). ومنهم محمد ابن علي الماراني المتوفى في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م وهو من فقهاء الشافعية، وقد تولى القضـاء باربل (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٣٤)، علاوة على محمد بن عبد الله المهاني آنف الذكر. وان تعيين هؤلاء للقضـاء باربل، يستتبع بلا شك القول بأن أكثرية السكان كانوا من الشافعية، وهذه حقيقة واضحة، فان الارابلة بالفعل بأغلبيتهم الساحقة شوافع، فآل الشـهرزوري مثلا كانوا من الشافعية (طبقات الاسنوى ٢/ ٩٦ و٩٧ و٩٩ و١٠١ و١١١)، وبنو خلكان كانوا كذلك، بل ان ابن خلكان المؤرخ الشهير، كان قاضي قضاة الشافعية (ذيل اليونيني ٤/ ١٤٩ وطبقات الاسنوى ١/ ٤٩٥ و٤٩٦ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٤٦)، وبنو عقيل الذين منهم الخضر بن نصر بن عقيل أول مدرس باربل، ونصر بن عقيل، كانوا شوافع (طبقات الاسنوي ١/ ١١٩). واتماما للفائدة سـاذكر فيما يأتي عدداً من الارابلة الذين عرفوا بكونهم من الشافعية.

أ/ المبارك بن طاهر الخزاعي المتوفي في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م شيخ ابن المستوفي، وكان شافعيا متعصبا لمذهبه (مخطوطتنا ورقة ٦ب).

ب/ أميري بن بختيار المتوفي في سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م، وهو ممن سمع عليهم ابن المستوفي، وكان شافعيا (المصدر السابق ورقة ١١أ وطبقات السبكي ٤/ ٥١ط حسينية).

ت/ محمود الخواتيمي الاربلي المتوفي في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م، وقد تفقه على المذهب الشافعي (مخطوطتنا ورقة ٨٣ب).

ث/ المظفر بن عبد الله بن أبي منصور، الشريف العباسي المتوفي في سنة ٦٣٤/ ١٢٣٦م، وقد ولد باربل وكان شافعيا (طبقات السبكي ٥/ ١٦٥ ط حسينية).

ج/ عثمان بن عيسى بن درباس الماراني، الفقيه الشافعي، تفقه في صباه باربل على الخضر بن عقيل (تكملة ابن الصابوني ص ٢٢٩ والحاشية).

ح/ ذكر الاسنوي في «طبقات الشافعية» ١/ ١٢٥ و١٤٣ و١٥٤ عدداً من الارابلة الشوافع، منهم الياس بن جامع الاربلي والحسين بن ابراهيم الاربلي وعبد الله بن حسين الاربلي.

خ/ سلار بن حسن الاربلي المتوفي في سنة ٦٧٠ هـ/ ١٢٧١م، كان من فقهاء الشافعية ومشايخهم (تاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٦٢).

د/ عمر بن أسعد الاربلي المتوفي في سنة ٦٧٥ هـ/ ١٢٧٦م، كان فقيها شافعيا (ذيل اليونيني ٣/ ١٩٣).

ذ/ يحيى بن محمد بن إسماعيل الاربلي الشافعي المتوفى في سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م، تولى القضاء بدمشق وحلب (المصدر السابق ٤/ ١٣٣).

ر/ الحسن بن أحمد بن زفر الاربلي الشافعي، الطبيب المتوفي في سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م، هاجر الى دمشق وأقام فيها مدة طويلة، وألف في التاريخ والسير (مجلة مجمع دمشق – مج ٢٢ لسنة ١٩٤٧ ص ٢٣٤ – ٢٤١)

ز/ طه بن إبراهيم الاربلي الشـــاعـــر، ولد باربل في سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م، وتوفي بالقاهرة في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م، وكان شافعيا (طبقات الاسنوي ١/ ١٥٣).

س/ إسـحق بن هبة الله بن صديق ، قاضي خلاط ومن فقراء الشافعيه ، أقام باربل حتى وفاته (ذيل اليونيني ٢ / ٤٠١) .

هذا ويحسن بي أن أقول بأن بين الارابلة من كان يقلد مذاهب أخرى، فمن هؤلاء مثلا محمد بن أحمد بن عمر الاربلي، المعروف بابن الظهير، وكان حنفياً (شذرات ٥/ ٣٥٩). ولد باربل في سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م وتوفي بدمـــشق في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م ودرّس ببعض مدارس دمشق. بل ان مجاهد الدين قايماز الذى حكم إربل نيابة عن زين الدين علي ثم وصيا على ولده يوسف، كان متفقها على المذهب الحنفي وفقا لما ذكره ابن الاثير (الكامل ١٢/ ١٠١، غير ان ابن الساعي ذكر في تاريخه ص ٨، بأنه كان يعرف الفقه الشافعي، وانه بنى مدرسة للشافعية في الموصل. أقول انني أرجح قول ابن الاثير، لأنه عاصره وعرفه وعايشه في الموصل). كما اننا سبق وذكرنا إربليا آخر كان امام حطيم الحنابلة في الحرم المكي، وان ربيعة خاتون زوجة كوكبوري، بنت في دمشق مدرسة لفقهاء الحنابلة (ابن خلكان ٣/ ٢٧٧). ثم ان أحمد ابن علي الاربلي النحوي المتوفى بدمشق في سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨م، كان حنبليا أيضا، وقد درّس بجامع دمشق (شذرات ٥/ ٢٨٨) وهناك من كان شيعيا، كالعز الاربلي الذي كان يدرّس علوم الأوائل. الا ان المذهب السائد، كما أسلفنا، كان المذهب الشافعي والى جانبه المذهب الحنفي، وهذا واضح مما ذكره ابن خلكان عن المدرسة التي ابتناها كوكبوري ورتب فيها فقهاء من هذين المذهبين.

ثانيا: النصارى في إربل:

سبق وبينا في بداية الفصل الأول من هذا البحث، بأن النصرانية قد تسربت الى اقليم إربل وترسخت قواعدها فيه، حيث أقيمت في سنة ٥٠٠ للميلاد مطرانية كلدانية تضم الموصل وإربل. وتوجد في معهد الدراسات الاسلامية ببغداد مخطوطة تاريخ قديم لكنيسة إربل وابراشيتها في القرن السادس الميلادي، وهو من تاليف مشيحا زخا، نقله

من السريانية الى العربية المطران بطرس عزيز المتوفى في سنة ١٩٣٧م (فهرس مخطوطات المعهد ص ٩ و٢٨). وقد كتب القس بولص شيخو مقالا في مجلة «النجم» الموصلية (عدد ٨ لسنة ١٩٣٦م ص ١٠٤ - ١٠٧ وعدد ٩ ص ١٧٥ - ١٨٠) حول الكتاب المذكور، مما يدل على رسوخ قدم المسيحية في منطقة حدياب. هذا ولاشك ان النصارى قد تمتعوا - بعد دخول الاسلام الى تلك المنطقة - بالحماية التي يضفيها الاسلام على أهل الذمة، الا ان المعلومات المتسيرة لديَّ عن وضع النصارى هناك محدودة جداً، إن لم تكن معدومة، ما خلا إشارات هنا وهناك. والجدير بالذكر أن Fiey كتب فصلا قيما عن إربل ركز فيه على النصارى من أهلها، فتحدث عن نشاطهم وكنائسهم (كتاب آشور النصرانية ١/ ٣٧ - ٩٧). ويمكننا من استقراء تلك الاشارات العابرة، ان نقول بأن النصارى كانوا بخير في العهد الذى نحن بصدد دراسته. وقد ذكر ابن المستوفى (مخ ورقة ٩٥ب) انه رأى إشهاداً مؤرخاً في سنة ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠م، بتقرير قرره الأمير أبو الهيجاء صاحب إربل، لرجل نصراني من أهل إربل. كما سبق لنا أن أشرنا الى أن بعض النصارى قد بلغ وظائف عالية في الحكومة الاربلية، أمثال يعقوب النصراني والمختص النصراني (لعل الاخير هو والد الفخر إسحق بن المختص الاربلى، صاحب المؤرخ ابن خلكان، وكان ينظم الدوبيت - انظر «الوفيات» ٤/ ٨٤) اللذين تعاقبا على إشغال وظيفة «مشرف ديوان إربل» (ذيل اليونيني ١/ ١١٧ و٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩).

والظاهر ان النصارى قد توغلوا في دواوين الحكم توغلا عميقا الى درجة حملت أحد شعراء إربل، وهو طه بن إبراهيم الاربلي، على القول في هجاء إربل (اليونيني - ذيل ٣/ ٣٠٢):

ألاَ أجزى الا له بلَيد سوءٍ تحكَّم فيه عُبَّاد الصليب

وقد ذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٧ ورقة ٧٠ - ٧١) بأن عليا بن النفيس، وكان من أولاد النصارى، استطاع ان يسيطر على حكومة إربل سيطرة تامة، وحكم فيها واستفحل أمره، وظلم الناس ظلما فاحشا، حتى غلب على كوكبوري نفسه الذي انقاد له في جميع ما يأمره وينهاه. وانه حصل عن هذا الطريق على أموال جمة. وقد هجاه الشاعر محمد بن علي بن شماس.

وقد سبق معنا ما قاله ابن الشعار بشأن هبة الله بن ابي الحسن المصري الدمنهوري المتوفي سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م الذي تولى «ديوان الارتفاع» باربل، وصار له ديوان الاشراف بالقلعة، هو نصراني لجأ الى إربل في سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤م بعد ان اعتقل بمصر لرفضه الدخول في الاسلام (عقود الجمان ج ٩ ورقة ١٢٢).

كذلك يمكننا القول بأن النصارى كانوا يتمتعون بحرياتهم الدينية، وكانت لهم كنائسهم، كما كان لديهم من الجرأة والمال ما أطمعهم في سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م في محاولة رشوة سرفكتين الزيني، نائب حاكم إربل، بغية حملة على بناء جامع باصيدا بعيداً عن كنيستهم، فبذلوا له ٥٠٠ دينار، وفقا لما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٠٤ب). والظاهر أن النفوذ النصراني في الحكومة استمر حتى بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة، إذ عُين الخليفة في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ كاتبا لديوان إربل هو ابن عبدان النصراني (الحوادث الجامعة ص ٤٥ - ٥٠ ومجلة مجمع دمشق - مقال العزاوى ص ٦٢).

وعلاوة على ما تقدم فان الوجود النصراني في إربل ومنطقتها - كما يتضح مما أوردناه في النبذة التاريخية التي قدمناها في الفصل الأول من هذا البحث - قد استمر، بل وصارت إربل تتمتع بمركز ديني ممتاز في العهد المغولي (زار الجاثليق «مرمليخا» سلطان المغول في سنة ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥م، ثم عاد عن طريق إربل، فبني في قلعتها بيعة، وعند وفاته عُين بمكانه «ماردنحا الاربلي» وفقا لما ورد في «الحوادث الجامعة» ص ٣٥٤). أقول: ولا يزال باربل جالية نصرانية رأيتها بنفسي في بعض قراها في سنة ١٩٤٤م، يوم تجولتُ في تلك المنطقة بمهمة آثارية. والجدير بالذكر أن المرحوم مصطفي جواد يرى ان التسمية الصحيحه للجاثليق المذكور هى «مكيخا» وليس «مليخا» (مجلة المجمع العراقي ٦/ ٤٥٣).

هذا وقد كان لنصارى إربل مشاركة في الشعر، فقد برز بينهم عدد من الشعراء، نذكر منهم «كيوركيس وردا الاربلي» المسمى بشاعر العذراء. والمعروف انه كان حيا في النصف الأول من القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادى) وله ديوان شعر

باللغة الآرامية، وقد تضمن وصفا لحصار المغول لاربل عام ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٧ م (مجلة «النجم» الموصلية، العدد ٩ لسنة ١٩٢٧م ص ٢٢١ والقس سليمان الصائغ: تاريخ الموصل، ج ٢ ص ١١١، ورفائيل بابو اسحق: تاريخ نصارى العراق، ص ٩٤).

ومنهم الشاعر خميس بن قرادحي، تلميذ كيوركيس آنف الذكر، وقد برز خميس في النصف الثاني من القرن السابع، وله ديوان مخطوط باللغة الآرامية أيضا (سليمان الصائغ، ج ٢ ص ١١١ – ١١٢ ورفائيل بابو اسحق ص ٩٤).

هذا وقد عثرتُ في «المجلة العربية» الصادرة في الرياض على ذكر نصراني إربلي كان له شأن في القرن الماضي، هو «يوسف الاربيلي الدمشقي» الذي كان ناظراً للمدارس الارتودكسية في دمشق، ثم هاجر الى اميركا عام ١٨٧٨م (العدد ١٢٤ لشهر كانون الثاني ١٩٨٨م ص ٣٩ من المجلة)

وعلى كل حال، سأكتفي بهذا القدر، إذ ليس من شأني التوسع في هذا الموضوع.

أما بالنسبة لليهود فيقول الجميلي (أتابكة ص ٢٨٨) بأن إربل عرفت وجود اليهود أيضا، ونوه بأن بنيامين التطيلي قد أشار الى وجود جالية يهودية فيها في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي، مشيراً الى رحلته (النسخة الاسبانية ص ٨٣) الا انني بعد ان راجعتُ النص الذي أشار اليه السيد الجميلي في نسخته الاسبانية وترجمته الانكليزية (انظر ص ٣٤ وهي ص ٥٢ من الأصل)، لم أجد ذكراً للجالية المذكورة. وكل الذي ذكره بنيامين هو وجود إربل كمدينة تبعد عن نينوى أربعين فرسخا لاغير. لكن الذي لاشك فيه هو وجود اليهود باربل في العصر الذي نحن بصدده، حتى ان أحدهم، وهو غالي بن زخريا اليهودي الاربلي، عُين رئيسا للطائفة اليهودية، أي «رأسا لمشية اليهود» في سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م وفقا لما ورد في «الحوادث الجامعة» ص ٢٤٨ (ذكر المرحوم مصطفى جواد في حاشية «معجم ابن الفوطي» ٣/ ١١٢ بأن الصحيح هو «رأس المشيبه وانه تصحف في «الحوادث الجامعة» الى «المشية»، كما تصحف في تاريخ ابن الساعي ص ٢٦٦ الى «المشيئة»)، والجدير بالذكر ان ابن الفوطي ذكر يهودياً إربليا بارزاً هو المعتمديين الدولة، ساوى بن إبراهيم بن أبي الفرج الاربلي الجوهري، كان عارفا

بالجواهر، وله اتصالات بالوزراء والاكابر، وكانت له أيضا معاملات تجارية ببغداد، كان حيا في سنة ٧١٠ هـ (مجلة المجمع العراقي ٩/ ٧٣).

٢ - الأوضاع القومية في إربل:

الظاهر ان منطقة إربل - وإن كان الاكراد يعدونّها ضمن ما يسمونه «كردستان» (قبل الفراغ من كتابة هذا البحث أعلنت الحكومة العراقية في ١١/ ٣/ ١٩٧٤ م منحها الحكم الذاتي لاكراد العراق، جاعلة إربل عاصمة للادارة الكردية، وفقا لما ذكرته الصحف البريطانية الصادرة يوم ١٣/ ٣/ ١٩٧٤م، ولا سيما صحف «تايمس» و«غارديان» و«ديلي تلغراف») - الا انها لم تكن في يوم من الأيام ذات طابع قومي موحد، رغم الذي قاله ياقوت الحموي من ان سكان رساتيق إربل وفلاحيها كانوا من الأكراد، وان الاكراد كانوا ينتشرون في الجبال القريبة من شهرزور، وانهم كانوا يقطعون الطرق ويغتصبون الأموال، الى أخر ما قاله من ذم لهم، لاتقبله منه (بلدان ١/ ١٨٧ و٣/ ٢٤٠). نقول بأننا نعتقد بأن المنطقة كانت خليطا من قوميات عدة، وان ياقوت نفسه قال عن سكان مدينة إربل، انهم اكراد استعربوا. وهنا يحق لنا التساؤل، كيف استعرب هؤلاء السكان لو لم يخالطوا العرب مخالطة واسعة النطاق ويعايشوهم، ويمتزجوا بهم بالمواطنة والمصاهرة والتعامل، وما الى ذلك من أسباب الامتزاج؟!!.

هذا ولدّينا إشارات واضحة تدل على وجود ذلك الاختلاط، منها أن العماد الاصفهاني (الفتح القسي ص ١٠٠) أشاد في ثنايا مدحه لكوكبوري وشجاعته، بجيش كوكبوري الذى كان يتألف من «فرسان العرب وشجعان الاكراد وفتاك التركمان» **(ولقد استغربت قول الدكتور طليمات - كوكبوري ص ١٩٦ - : وليس من شك في ان مظفر الدين اصطنع جيشه الذى حارب به الصليبيين من هؤلاء الاكراد!!» ولا ادرى كيف سمح لنفسه ان يقول عبارة «وليس من شك» دون الاستناد الى مرجع معتمد؟!!) ممن كانوا معه في معركة حصن الاكراد. وذكر ابن الاثير (الكامل ١١/ ١٩٥) انه وقعت في سنة ٥٨١** هـ/ ١١٨٥م فتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وشهرزور (والاخيرة من توابع إربل) واستعر القتل بين الفريقين، الا ان قايماز تدارك الفتنة،

فعالجها ببذل المال. وذكر أمين زكي (تاريخ الكرد ص ١٦٧ - ١٦٨) ان فتنة وقعت باربل في سنة ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م ضد المغول بتأييد من العرب والاكراد، الأمر الذي يدل على وجود العرب والاكراد معا بأعداد مهمة، ليتسنى لهم القيام بفتنة ضد محتل غاشم كالمغول.

والظاهر ان هذا الاختلاط قد استمر حتى العصور المتأخرة، فان الرحالة الانكليزى Rich الذى زار إربل في تشرين الاول من سنة ١٨٢٦م، رأى بنفسه مضارب قبيلة عربية، هي «حرب»، خارج قلعة إربل، في حين ان أهل المدينة كانوا من الترك والاكراد (الرحلة ٢/ ١٥). كذلك ذكر القنصل القرنسي «بلاس» وجود قبيلة «طي» العربية بجوار إربل في سنة ١٨٥١م، وان شيخها قد تعهد له بحماية عماله الذين كانوا يعملون في التنقيب عن الآثار (مجلة «النجم» عدد ١٣ لسنة ١٩٥٣م ص ١٣٠). أما في الوقت الحاضر، فان المرحوم العزاوي يخبرنا - وهو الحجة في موضوع قبائل العراق إذ له مؤلفات عدة عن هذه القبائل - بأن بعض القبائل العربية لا تزال تقيم في مواطن عديدة من لواء إربل، كما ان الترك يقطنون عدداً غير قليل من قرى هذا اللواء (مجلة مجمع دمشق ص ٢٣٠).

وللوقوف على المدى الذى استعربت اليه إربل، رأيت من المفيد تخصيص فقرة بعنوان «الوجود العربي باربل»، وهدفي من ذلك علمي بحت لا صلة له بأي مطلب سياسي.

الوجود العربي باربل:

لقد سبق ونوهنا في الفصل الاول من هذا البحث، بأن إربل مدينة آشورية الاصل، والآشوريون، كما هو معروف، من أصل سامي. ولكن الحروب والغزوات - على ما يبدو - قد غيرت الصفة السكانية للمدينة رغم بقاء أقليات نصرانية في القرى التابعة لها، وهي في الأعم الاغلب أقليات آشورية أو آرامية الاصل. أما المدينة فالظاهر ان الاكراد قد تسربوا اليها من الجبال المجاورة، مما حمل ياقوت (بلدان ١/ ١٨٧) على القول بأن أكثر أهلها من الاكراد وقد استعربوا، وهذا معناه ان ياقوت، لدى زيارته لاربل التي تمت قبل سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م، وهي سنة وفاته، وجد أهلها عربا في لغتهم على الأقل. وهذا

طبيعي جداً اذا ما تذكرنا بأن اللغة العربية - بفضل القرآن الكريم - كانت قد طغت في كل بقعة بلغها الاسلام، من الهند الى الاندلس، وأصبحت لغة التخاطب والتفاهم، فضلا عن كونها لغة الدين والعلم والادارة والادب. ويخبرنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٦أ) بأن السلطان محمد بن تكش، صاحب خوارزم كان يقول الشعر باللغة العربية، وان الخوارزميين الذين وردوا الى إربل، كانوا على حظ كبير من معرفة العربية (مخ ورقة ١٩٥أ) ولذلك فلم يكن بوسع إربل أن تشذ عن بقية الاقاليم الاسلامية وتتخلف عنها، لا سيما وانها قريبة من عاصمة الخلافة بغداد، علاوة على قربها من الموصل عاصمة الاقليم الشمالي.

ان «تاريخ إربل» لابن المستوفي، يؤيد هذه الحقيقة بالدرجة الاولى، اذ يذكر لنا العديد من الارابلة الذين هم من أصل عربي، في حين ان الذين صرح ابن المستوفي بأنهم من الاكراد، كانوا قلة قليلة. وعلاوة على ذلك فان الذين تولوا المسؤولية في إربل كانوا في الغالب من العرب ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن المستوفي اللخمي. صحيح ان الامارة نفسها لم يتولها أحد من العرب، إذ المعروف ان حكام إربل من آل ابي الهيجاء كانوا من الاكراد، وان آل بكتكين كانوا من التركمان. ولكن ذلك لا يغير من الواقع بأن قبائل عربية، أو عوائل عربية على الأقل، كانت قد استوطنت إربل منذ عهد بعيد، وربما عقب الفتح الاسلامي، وصار يتردد في نسبة أفرادها أسماء تلك القبائل، وهذا واضح من أسماء بعض الشخصيات التي سنأتي على ذكرها. ويجدر بي هنا ان أشير الى خطأ وقع فيه بعض إخواننا الاكراد، اذ ظنوا بأن كل من قطن إربل كان كرديا، وهذا ما وقع فيه السيد جمال بابان حينما نشر في جريدة «التآخي» البغدادية (عدد ٦٩٥ بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٧١م) نبذة عن ابن المستوفي، بصفته من «أعلام الكرد» وفي هذا افتئات على التاريخ لان ابن المستوفي باجماع المؤرخين كان لخميا من سلالة النعمان بن المنذر، وان أصل عائلته من الموصل، وما الى ذلك مما فصلناه في دراستنا عن ابن المستوفي في موضع آخر من هذا البحث، فليراجع هناك.

هذا وقد رأيت من المفيد أن أشير الى بعض الشخصيات العربية التي برزت في إربل ايضاحا لما ذهبت اليه:

أ/ الشيبانيون – ومنهم أسعد بن إبراهيم الشيباني الاربلي، النشابي الشاعر، وقد تولى كتابة الانشاء باربل. وذكر اليونيني (ذيل ١/ ١١١ – ١٢٣) بأنه شيباني، وقيل انه انصاري. ومن بني شيبان أيضا، القاسم بن المظفر الشهرزوري قاضي إربل المتوفي في سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م (أنساب السمعاني ١/ ١٥٢ وابن خلكان ٣/ ٢٣٢). ومنهم كذلك الامير عيسى بن أبي الفتح بن هندي الشيباني الاربلي، الذي كان حاكما باربل وتوفي بها في سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥م (معجم ابن الفوطي ٣/ ٢٧٤). ومنهم علي بن أبي القاسم الشيباني الاربلي المتوفى في سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م، وكان من أهل النحو والشعر (مخطوطتنا ورقة ١١٧أ وبغية السيوطي ٢/ ١٨٤). والعباس بن بزوان الشيباني الاربلي، من رجال الحديث والشعر (مخطوطتنا ورقة ١١٧أ وبغية السيوطي ٢/ ١٨٤). والعباس بن بزوان الشيباني الاربلي، من رجال الحديث ومن زملاء ابن المستوفي (مخطوطتنا ورقة ٢٢٧أ).

ب/ النخعيون – ومنهم محمد بن أبي المظفر بن نصر بن عقيل النخعي الاربلي المتوفى في سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م، وهو من أهل الادب والحديث (تكملة ابن الصابوني ص ٢٦٣). وينتمي محمد هذا الى عائلة كبيرة باربل، منها الخضر بن نصر بن عقيل، أول من تولى التدريس باربل، وابن أخيه الذي أعقبه بعد وفاته.

ت/ الطائيون – ومنهم محمود بن رالي الطائي الرقي، نزل إربل وولي النظر بها لكوكبوري، وتوفي في سنة ٦٢٩ هـ/ ١٢٣١م (تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٤). وعثمان بن موسى بن عبد الله الطائي الاربلي، إمام حطيم الحنابلة بالحرم المكي، وقد أقام بمكة زهاء ٥٠ سنة، وبها توفى في سنة ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥م (ذيل ابن رجب ٢/ ٢٨٦ ط الفقي).

ث/ الخزرج – ومنهم عمر بن شماس الخزرجي، من الأدباء وقد ترجم له ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧ب)، وأخوه علي الذى تولى الوزارة في حكومة إربل (ابن الشعار – مخ استانبول ٤ ورقة ٢٠٠). ومنهم الحسن بن شماس الخزرجي، وهو من الشعراء والكتاب، وقد ذكره ابن الفوطي (معجم ١/ ٧٩) ومحمد بن علي بن شماس بن هبة الله الاربلي، وقد ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ٧٠).

ج/ الخزاعيون، ومنهم عبد اللطيف بن المبارك الخزاعي الاربلي المتوفى في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م، وقد سمع عليه المنذري (تكملة ٣/ ٤٠) لدى وروده الى مصر. والمبارك ابن طاهر الخزاعي، شيخ ابن المستوفي وولده عبد الله (مخطوطة ورقة ٦ أ - ٩ أ و١٨٤أ). ومنهم إسحق بن ابراهيم بن محمد الخزاعي الاربلي الذى ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ١ ورقة ٢٤٤).

ح/ الأنصار - ومنهم عز الدين الحسن بن علي بن أبي الهيجاء الانصاري الاربلي الاديب، وقد ذكره ابن الفوطي (معجم ١/ ٨٤)، الا انه لم يذكر شيئا عن حياته.

خ/ القزاريون - ومنهم عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر القزاري الاربلي المتوفي في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م، وكان أديبا شاعراً (معجم ابن الفوطي ١/ ٢١٩).

د/ الأمويون - ومنهم الشاعر خشترين بن تليل الاربلي المتوفى في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢ م، وقد ذكر اليونيني (ذيل ٢/ ٢٢٨) بأنه من بني مروان بن الحكم.

ذ/ العقيليون - ومنهم سليمان بن جبريل العقيلي الاربلي الذى ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٢ ورقة ٤٧).

وعلاوة على هؤلاء، فان مواطنين من مدن وأقطار أخرى توطنوا إربل، فمثلا محمد بن أحمد بن عمر الاربلي، المعروف بابن الظهير، أصل عائلته من مراكش، الا انه ولد باربل فى سنة ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م (علماء بغداد للفاسي ص ١٧٦) وان علياً بن محمد الواسطي، المعروف بابن الحداد، أقام باربل وبها توفي في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م، وقد أحدق الواسطيون بجنازته، وفقا لما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣٥ب)، الأمر الذي يدل على وجود جالية واسطية كانت تقيم باربل. وهناك مبشر بن محمد المصري، المعروف بابن القصطلاني، وقد أقام باربل مدة في وقت كان فيها مصري آخر هو محمد بن رزقيني (المصدر السابق ورقة ١٣٦ب). وهناك واعظ من غرناطة هو يحيى بن أحمد الحسني الاندلسي، ورد إربل في سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢م، وعقد مجالس الوعظ بها، فكان له قبول عظيم من العامة. وقد أعجبته إربل، وعندما أذن وقت رحيله أوعز الي العامة بان يطلبوا الى كوكبوري استبقاءه، فاستجاب لهم (المصدر السابق ورقة ١٦١أ). ولقد سقنا هذه

الأمـثلة لندلل على ان إربل كـانت تزخـر بالغـرباء من العـرب، عـلاوة على سـاكنهـا المستعربين.

ومن الواضح ان اللغة العربيـة كانت هي اللغـة السائدة، إذ لولا سـيادتهـا وإجـراء التفـاهم بهـا، لما كـان من الممكن لهؤلاء الغرباء أن يتفـاهـموا مع السكان، بلغـة القاء المواعظ بها وحصول «القبول العظيم» لهم لدى العامـة، كمـا وقع للواعظ الغرناطي آنف الذكر. ومن الجدير بالذكر ان إربل استقبلت عُدداً غيـر قليل من الوعـاظ، ولاشك انهم كانوا يلقون مـواعظهم باللغة العـربيـة. وفي مقـدمـة هؤلاء الوعـاظ يأتي أحـمد الغـزالي المتوفي في سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م، وهو أخو أبي حامد الغزالي (مخطوطتنا ورقة ١ب). ومنهم الحسين الأواني المتوفي في سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م (المصدر السابق ورقة ٧٧ب)، وأوانا التي يُنسب اليها هي من قرى بغداد. ومنهم محمد بن أحمد القزويني المتوفى في سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، وكـان واعظا أيضـاً، وحـصل له قـبـول عظيم باربل (المصـدر السـابق ٧٧ب). وهنا يمكننا أن نضيف إلى مـا تقدم، القول بأنه لو لم تكن اللغة العربية راسخـة الأسـاس باربل، لما تشـجع هذا العـدد الكبيـر من الأدباء والمحدثين والمؤرخين والوعـاظ – الذين ضـمـهم كـتاب ابن المستوفي – على زيارة إربل، ولوقف حـاجز اللغة حجر عثرة في سبيلهم، وفوق ذلك لما كان بالامكان ان يبرز من أبناء إربل نفسها أدباء وشعراء من طراز عال، أمثال محمد بن يوسف البحراني، وعيسى الحاجري، وأسعد بن ابراهيم النشابي، وغيرهم ممن أسلفنا ذكرهم. ومالنا نذهب بعيداً وعندنا ابن المستوفي نفسه الذي كان من الشعراء المعدودين، فقد ذكر له حـاجي خليفة «ديوان شعر» في «كشف الظنون»، بل هو معدود من كبار النقاد، فقد سمح لنفسه بالتصدى لشرح شعر عمـلاقين من عمـالقة الشعر العربي، أبي تمام والمتنبي، وفي هذا مـا يكفي لادراك علو منزلته في اللغة والأدب.

٣ – الحياة الاقتصادية والشؤون المالية لاربل:

انه من العسير حقا الحصول على معلومات وافية لرسم صورة الحياة الاقتصادية في إمارة إربل، ومعرفة مواردها المالية، وذلك لعدم تيسر المراجع الباحثة في هذا الموضوع.

ولكنني آثرت أن أتعرض بايجاز لهذه الناحية بدلا من إغفالها، على أمل أن يقوم غيرى من ذوي الاختصاص، بمحاولات أخرى ويكون أحسن حظا مني في العثور على المعلومات المطلوبة. وعلى أي حال، فقد كان لاربل زراعتها، وان سهولها معروفة منذ القدم بخصبها، وان قطنها كان يعتبر من أجود الاقطان، وكذا الذرة (الموسوعة الاسلامية ٢/ ٥٢٣ ط ١٩٢٧م). وان الري فيها كان يعتمد على القنوات المحفورة في باطن الأرض منذ العهد الآشوري، وقد أشار ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩ أ) الى قناة منها كانت تسقي بستانا نضراً من بساتينها. وهناك إشارات الى أن بعض تلك القني كانت تدخل الى المدينة لسقاية دار السلطنة وبعض المساجد. وعلاوة على ذلك فان إقليم إربل فيه جبال كثيرة تغطيها الاشجار المثمرة وأشجار الأخشاب. وقد ذكر ياقوت (بلدان ٣/ ٢٠٨) ان الفواكه كانت ترد اليها من تلك المناطق الجبلية (موسوعة البستاني ١/ ٧٧). ولابد انها كانت تعتمد أيضا على الأخشاب الواردة منها، في تشييد مبانيها وصنع الاثاث، وللحصول على الاحطاب والفحم، مما هو قائم حتى الآن. وفضلا عن ذلك فان المنطقة المنتجة للنفط(١)، وقد كان معروفا في تلك العصور، تقع بالقرب من الكرخيني، وهو كركوك الحالية، وقد كانت من توابع إربل. ولابد ان حكومة إربل والسكان قد حصلوا على فوائد جمة من هذا المعدن الثمين. ثم ان ياقوت (بلدان ٤/ ٩٧٠) ذكر ان حصن هَرُور التابع لاربل، كان غنيا بمعدن الحديد وبمعدن «الموميا» وهو ما يسمى بالانكليزية PISSASPHALT وهي مادة تخرج من العيون كالقار والنفط.

هذا وقد كان لاربل تجارها الذين يجوبون الآفاق، وهناك إشارات متفرقة عنهم. ومن هؤلاء التجار، مبارك بن الحسن الشعار الاربلي، الذي كان يعمل الشعر ويبيعه، ثم صار تاجراً يضرب الأرض في طلب الرزق (مخطوطتنا ورقة ١٥٥أ)، ويوسف بن محمد البحراني، وهو والد محمد شيخ ابن المستوفي، وكان تاجراً يتردد من إربل الى البحرين،

---

(١) ذكر ياقوت في بلدانه ٢/ ٣٩٣ وجود عين عظيمة للنفط في خانقين. كذلك من المعروف ان الخليفة الناصر ارسل الى صلاح الدين أحمالا من النفط العراقي وبعض النفاطين لاستخدامهم في حربه ضد الصليبيين.

ويقيم بها لاجل تحصيل اللؤلؤ من المغاصات (ابن خلكان ٤/ ١٠٣ وتاريخ أبي الفداء ٣/ ٧٧). ويذكر اليونيني (ذيل ٤/ ١٢١) تاجراً إربليا آخر هو القاسم بن أبي بكر الاربلي المقرئ، ويقول أنه كان من أعيان التجار، فكان يتردد على مصر وبلاد العجم وخوارزم.

والجدير بالذكر ان ياقوت أشار الى أهمية بعض المراكز التابعة لاربل بالنسبة للقوافل، فعند حديثه عن تل هفتون (حبتون) ذكر انها تقع على طريق القوافل بين إربل وأذربيجان (معجم البلدان، ج ٢ ص ٤٥)، مما يدل على انتظام سير القوافل التجارية بين المنطقتين. كما أشار الى بعض الصناعات الاربلية، فقد ذكر عند حديثه عن حزة بأنها اشتهرت بالنصافي وهي ثياب قطنية تصنع من القطن المحلي (معجم البلدان ج٢، ص ٢٥٦). هذا وقد ذكر ابن المجاور ان مسافري خراسان يشترون جلود النعال من رستاق الموصل وسواد إربل وتُدبغ بمكة (تاريخ المستبصر، ج١، ص١٣)، وهى إشارة واضحة الى النشاط التجاري للمنطقة.

والظاهر ان إربل عرفت حياة اقتصادية مزدهرة، فكانت فيها الاسواق والخانات والقيساريات، ومنها سوق الصفارين وخان الصفارين، وسوق الخراطين، وموضع للفحامين الذين سُميت باسمهم إحدى أبواب سور المدينة (مخطوطتنا ورقة ٥٦ أ و٧٥ب و١٠٤أ و١١٩أ). وعلاوة على ذلك عرفت إربل بعض الصناعات كالخراطة وعمل النشاب، وقد عُرف به أحد شعرائها، وهو المجد النشابي الذي نوهنا بذكره أكثر من مرة، وصناعة الموازين، وقد عُرف بها الياس بن عمر بن جعفر الاربلي (المصدر السابق ورقة ١٧٤ب) وعمر بن محمود بن علي الاربلي الموازيني، وقد ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ٢٢٠). والذي لاشك فيه ان إربل عرفت صناعات وحرفا أخرى، لكن المراجع التي بين أيدينا لم تشر اليها.

ويكفى للدلالة على مدى الازدهار الاقتصادى الذى شهدته إربل، أن نتذكر بأن كوكبوري قد تعهد لصلاح الدين بأن يدفع اليه خمسين ألف دينار فى السنة مقابل توليته حكم إربل، وانه كان ينفق في كل عام مبالغ طائلة منها:

١٠٠,٠٠٠ دينار على فكاك الأسرى في كل سنة (مرآة السبط ٨/ ٦٨٠).

٣٠٠,٠٠٠ دينار على الاحتفال بالمولد النبوي في كل سنة (راجع ص ٧٠ من هذا الكتاب).

٣٠,٠٠٠ دينار على السبيل الذى يرافق الحجاج وصدقات الحرمين في كل سنة (مرآة السبط ٨/ ٦٨٠)

٢٠٠,٠٠٠ دينار على الخانقاه الخاصة بالصوفية في كل سنة (المصدر السابق ٨/ ٦٨٠).

١٠٠,٠٠٠ دينار على نفقات دار المضيف في كل سنة (المصدر السابق ٨/ ٦٨٠)

هذا علاوة على نفقات المدارس ودار الحديث والملاجئ، ونفقات الواردين الى إربل والهدايا المعطاة اليهم، والتبرعات الطارئة (مثال ذلك ان كوكبوري أرسل ٤٠٠٠ دينار لأكمال جامع كان بني بدمشق - مرآة السبط ٨/ ٥١٠)، فضلا عن نفقات الدولة وتجهيز الجيش وما الى ذلك. ومن الطبيعي ان هذه النفقات كلها كانت من حصيلة الضرائب التى تجبيها الدولة، وليس بوسع الدولة، أي دولة، أن تجبي مثل تلك الضرائب لو لم يكن السكان بخير وفى حال ميسور، ولديهم فضلة كبيرة فى أموالهم يؤدون عنها الضرائب المفروضة. والحق أن مجرد إقبال الغرباء على الاقامة باربل وسكناها لدليل كاف على تيسر الاعمال وتوفر الأموال بكثرة كانت تغريهم على القدوم والاستيطان.

ومما له علاقة وثيقة بالحياة الاقتصادية النقد، وها انني هنا القي نظرة عجلى على هذا الموضوع تماما للفائدة:

ضرب النقد في إربل:

كان ضرب النقد في بلد ما دليلا على أهميته، ومظهراً آخر من مظاهر تمتعه بالحكم الذاتي أو الاستقلال، خصوصا اذا حملت العملة اسم حاكم ذلك البلد الى جانب اسم الخليفة والسلطان المسيطر على جهاز الحكم. وقد كان لاربل هذا الامتياز منذ أيام كوكبوري على ما أعتقد، لانني لم أعثر على ذكر لأية عملة ضربت في عهد من سبقه من

حكام إربل. ان أقدم نقد معروف ضُرب باربل، يرجع تاريخ ضربه الى سنة ٥٨٧ هـ/ ١١٩١م، وهو فلس من النحاس يحمل اسم كوكبوري الى جانب اسم الخليفة العباسيُ الناصر، واسم صلاح الدين (لين بول - كتالوغ العملات التركمانية في المتحف البريطاني ص ٢٣٢ - ٢٣٣ و٢٣٨ وكتالوغ المتحف العثماني بالفرنسية اعداد اسماعيل غالب أدهم - ص ١٤٤ - و١٦٥). ولعل من المفيد أن أدرج هنا معلومات عن بعض العملات الاربلية التي أمكن العثور عليها، لانها تعكس أحيانا التطور السياسي لدولة إربل، وعلاقاتها بالجهات الاخرى صاحبة السيادة العليا:

أ/ يوجد فلس نحاسي مضروب باربل في سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م، وهو يحمل اسم كوكبوري الى جانب اسم الخليفة الناصر. والملاحظ سقوط اسم صلاح الدين منه. إذ قد توفي في السنة السابقة. ويبدو ان كوكبوري لم يكترث بخلفاء صلاح الدين. وتوجد نماذج من هذا الفلس ومطابقة له، ضُروبت في السنوات ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م و٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م و٦٠٧هـ/ ١٢١٠م و٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م (لين بول - المصدر السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٧ واسماعيل أدهم - المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣).

ب/ والظاهر ان الدينار قد ضُرب باربل أيضا، فهناك دينار ذهب مضروب بها في سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١م، وعليه اسم كوكبوري الى جانب اسم الخليفة الناصر، واسم الملك الكامل محمد (يقول المرحوم العزاوي - مجلة مجمع دمشق ص ٥٢٩ - ان كوكبوري استمر يذكر أسماء الملوك الايوبيين في نقوده حتى سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩م، انظر أدهم - المصدر السابق ص ١٤١)، ويخبرنا المرحوم ناصر النقشبندي (كتالوغ الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ص ٥٣) بأن الدينار ضُرب كذلك باربل في عهد الخليفة المستنصر، الذى حكم بين ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م و٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م.

ت/ وعلاوة على الدينار والفلس، فان الدرهم قد ضُرب باربل أيضا، وأقدم درهم مضروب باربل أمكن العثور عليه، يرجع الى سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م، وهو يحمل اسم الخليفة المستعصم فقط. ولقد عُثر على دراهم مماثلة ضربت في السنوات ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦م و٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م و٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥م، وكلها باسم المستعصم (كتالوغ موزه همايون ص ٢٧٦ - ٢٧٧).

والجدير بالذكر أن زامباور يذكر في كتابه عن دور الضرب الاسلامية (١/ ٤٠) بين المدن التي ضُربت فيها العملة الاسلامية، كلا من إربل وشهرزور. كما ان ابن الشعار ذكر ان عثمان بن إبراهيم بن علي الاربلي المتوفي سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م كان يتولى الاشراف على دار الضرب باربل (عقود الجمان ج٤، ورقة ١٤٥)، مما يؤيد ما ذكره زامباور في هذا الشأن.

كذلك يحسن بي أن أشير قبل إنهاء هذه الفقرة، الى خبرين ذكرهما ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧٢أ) وابن شداد (الاعلاق ص ٨٦)، مفادهما ان كوكبوري قد وصل أحد المحدثين، وقد زار إربل في سنة ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨م، بدنانير مصرية، وان كوكبوري أيضا بعث لاكمال بناء جامع بدمشق بثلاثة آلاف دينار أتابكية. فلعل في هذين الخبرين ما يلقي الضوء على تداول العملات الاسلامية فى مختلف أقطار العالم الاسلامي، بصرف النظر عن أمكنة ضربها (يرجى ملاحظة ما ذكره السبط في مرآته ٨/ ٥١٠ من ان المبلغ المرسل الى دمشق هو ٤٠٠٠ دينار).

٥ - إربل في نظر الشعراء:

وإربل شأنها شأن كثير من المدن حظيت باهتمام الشعراء، فمنهم من مدحها، ومنهم من ذمها، ومنهم من جمع بين المدح والذم، ولقد روى لنا ياقوت (بلدان ١/ ١٨٧) بعض شعر نوشروان البغدادي الضرير، المعروف بشيطان العراق، ذكره الصفدي في «نكت الهميان» ص ١٢٢ وسماه «انوشروان»، وقال هو الشاعر الضرير المعروف بشيطان العراق، وانه سافر الى بلاد الجزيرة وما والاها، ومدح الملوك والاكابر. والغالب على شعره الخلاعة والمجون والهزل والفحش. وعاد الى بغداد في سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م، ومدح المستضيء. ومن شعره قصيدة يهجو بها إربل - وهي التي ذكرنا أبياتا منها فيما بعد -، ثم انه بعد ذلك اعتذر من هجائها ومدح الرئيس مجد الدين داوود بن محمد. وذكر الصفدي بأن القصيدة طويلة، وقد ساق بعضها فى «تاريخه الكبير» في ترجمة انوشروان المذكور. أقول ولعله يقصد بذلك كتابه «الوافي بالوفيات»، الا انني لم استطع التحقق من ذلك لان الجزء الذى فيه ترجمة نوشروان المذكور لم يصدر بعد، وقد ذم إربل بقصيدة طويلة، نقتطف منها هذه الأبيات:

تباً لشيطاني ومــا سوّلا ... لأنه انـــــزلني إربلا

نزلتها في يوم نحس فما ... شككتُ أنيّ نازل كربلا

وقلتُ ما أخطأ الذى مثَّلا ... باربل إذ قال بيت الخلا

ثم نقل عنه ياقوت قصيدة أخرى، يعتذر فيها من هجائه هذا، ويمدح الرئيس مجد الدين داود بن محمد، وهي قصيدة طويلة أيضا، نقتطف منها بعض أبياتها:

قد تاب شيطاني وقد قال لي: ... لاعدتُ أهجو بعدها إربـــلا

كيف وقد عاينتُ في صدرها ... صدراً رئيساً سيداً مـقبـلا

مولايَ مجد الدين يا مـاجداً ... شرّفه اللـه وقــد خـــوّلا

عبدك نوشروان في شعــره ... مـــازال للطيبـــة مستعجلا

لولاك مازارت رُبى إربـــل ... أشعــاره قــطّ ولا عـــوّلا

ولو تلقّاك بها لــم يقـــل: ... تباً لشيطـــاني ومـــا سوّلا

وهذا ليس بغريب أن يصدر من شاعر غريب عن إربل، لا تربطه بها أية آصرة، ولكن الغريب أن يهجوها شاعر من أبنائها، هو طه بن إبراهيم الهذباني الاربلي، المولود بها في سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م، والمتوفى بالقاهرة في سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م، فقد مدح ابن المستوفي، ولكنه ذم إربل بقصيدة ذكرها اليونيني (ذيل ٣/ ٣٠٣) مطلعها:

ألاَ قفْ بالأُجيرع والكثيبِ ... وناد نحوه هل من مجيبِ

وفيها يقول:

يجاك (كذا) من بلد خبيث ... فلستَ تطيــب إلا للغريـــبِ

أ إربل لاسقاك الله غيثـــا ... فقد أقفرتِ من رجــل لبيـــبِ

أرى العزّاء قد مُلئــت لئاما ... وقد ضاقت على الشيخ الوهـوبِ

فما في مالكيها من معــينِ ... على صرف الزمان ولا الخطوبِ

ولا في قاطنيها أريحيٌّ ... ولا في ساكنيها مـن طـروبِ

ألاَ أجزى الاله بليد سوءٍ ... تحكَّم فيه عَبـاد الصـليبِ

ولئن عق إربلي مدينته، فان موصليا زارها في سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م، وهو محمد بن منصور بن دبيس الموصلي، قد مدحها بابيات منها (مخطوطتنا ورقة ٢٣٠ب).

حييتِ إربل من دارٍ ومن وطـنٍ ... ولا تعدَّاكِ صوبُ العارض الهتنِ

وطاب منك نسيم الريح في السحر ... الأعلي لانك مأوى الالف والسكنِ

وكيف لا أخلص الود الصحيح لمغنا ... ك الانيس - رعاك الله - من وطنِ

وفي مغانيك مياد القـوام لـه ... لَحْظٌ يغلّ سيوف الهند واليمنِ

كما أن أديبا إربليا، هو جبريل بن محمد بن منعة الاربلي (مخطوطتنا ورقة ٢٥أ) مدحها بقوله.

يا ربع إربلَ أنت نعم الـدار ... دم عامراً تنمي بك الأعمارُ

فلقد أنار بك الربيع وفـوّقت ... منك الربوع بزهرها الامطارُ

وكسا القطار ربك وشي ملابسٍ ... ضاعت بأرج نسيمها الاقطارُ

وعندما عادت إربل الى حظيرة الخلافة في سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، نظم القاضي القاسم بن أبي الحديد المدائني(١) قصيدة بالمناسبة، جاء فيها (الحوادث الجامعة ص ٤٧).

ما فتح إربل عن بخت لذي دعةٍ ... ولا اتفاقا كبعض النصر والظفرِ

لكنه كان قصد القادرين وأفعال ... المطيعين عن قصدٍ وعن فكرِ

---

(١) ويسمى «أحمد» ولقبه موفق الدين (ابن خلكان ط احسان عباس ج ٥ ص ٣٩٢ والفوات ط احسان عباس ج ١/ ١٥٤ والوافي ج ٨، ص ٢٢٥

وقال أخوه عبد الحميد الكاتب(١) قصيدة بالمناسبة، وقد أشار فيها الى استيزار وزير الخليفة أيضا (المصدر السابق ص ٤٧ - ٤٨ وابن خلكان ٥/ ٢٧ ومعجم ابن الفوطي ١/ ١٩٠) جاء فيها:

يا يوم سابع عشر شوال الذي　　رُزق السعادة أولاً وأخيرا

هنُئتَ فيه بفتح إربل مثلما　　هنُئتَ فيه وقد جلستَ وزيرا

وممن ذكر إربل في شعره سعد (توهم العزاوى «فسماه أسعد» انظر عباس العزاوى - مجلة مجمع دمشق ص ٢٢٥ - بينما ترجم له ابن خلكان - ٢/ ١٠٩ - باسم «سعد») بن علي الحضيرى الشاعر، المتوفى في سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م. فقد أقام باربل مدة في عهد قايماز، ثم اشتاق الى أهله بالحظيرة (ابن خلكان ٣/ ٢٤٧) فقال:

ألاَ مَنْ لصبٍّ قليل العزاء　　غريب يحنُّ إلى المنزلِ

ينادى باربل أحبابه　　وأنيَّ الحظيرة من إربلِ

هذا وقد روى ياقوت (بلدان ١/ ٧٨١) ان عبد الرحمن بن المستخفّ، أنشده لنفسه وقد ذكر قرية بيت النار، من قرى إربل - هذين البيتين في ذم اربل:

إربل دار الفسْق حقا فلا　　يعتمدُ العاقلُ تعزيزها

لو لم تكن دار فُسوقٍ لَمَا　　أصبح بيت النارُ دْهليزها

وعبد الرحمن هذا رثاه ابن المستوفي بأبيات سنذكرها - إن شاء الله - ضمن ما نقتبسه من شعره.

---

(١) انظر ترجمته علاوة على المراجع الواردة أعلاه في الفوات ! ! حسان عباس ج ٢ ص ٢٥٩ وروضات الخوانساري ص ٤٢٢

القسم الثاني

الفصل الأول - حياة ابن المستوفي

١- اسمه ونسبه :

هو " أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب (سماه ابن الشعار – مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ ب و٢٣ أ – مرة "ميمون" ومرة "موهوب" ، وقد أخذنا بالتسمية الاخيرة لورودها في "وفيات ابن خلكان" ولان ابن المستوفي نفسه كتبها بخط يده في خاتمة "ديوان القطامي" التي نسخها – انظر أعلام الزركلي ٦ مقابل ص ١٥٢، نموذج ٨٩٨) بن غنيمة بن غالب ، المستوفي أبوه " . وهذا النسب كتبه ابن المستوفي بخط يده في ختام " ديوان شعر القطامي " ، وفقا لما نقله الزركلي مصوراً (أنظر الحاشية السابقة) ، وهو يتفق مع النسب الذي ذكره ابن خلكان (٢٩٤/٣) ، وابن الشعار اللذين زادا فيه " اللخمي الاربلي " ، وكان جده ، الرئيس أبو البركات المبارك بن موهوب من الموصل ، ومن أبناء رؤسائها ، ومن ذرية النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، ملك الحيرة ، وقد انتقل هو وأولاده في أيام أبي الهيجاء الحسين بن الحسن موسى بن جلويه الكردي الهذباني ، صاحب إربل ، فتولى له الاستيفاء في ديوانه (ابن الشعار – مخ استانبول ٦ ورقة ٢٣ أ) ، ولقبه شرف الدين .

وقال ابن الشعار " وهم أهل بيت معروف بالجلالة والرئاسة والاصالة ، وان كل واحد منهم ، وهو وأبوه وجده وجد أبيه وعمه وأخواه ، كل يعرف بالمستوفي . والصاحب أبو البركات – أي المؤلف – واسطة عقد البيت ، به كملت سيادتهم ، واليه انتهت رئاستهم ، وزين عترته وعزّ أسرته (المصدر السابق) . ولكن ابن الشعار لم يصعد النسب فيوصله الى النعمان ، كما جرت عادة المؤرخين ، بل اكتفى بالقول بأنه " من ذرية النعمان بن المنذر بن ماء السماء " . والمؤسف ان ابن المستوفي نفسه – في الجزء الذي بين أيدينا من تاريخ إربل – لم يتعرض لنفسه أو يترجم لاحد من أهل بيته ؛ ولعله قد ترجم لبعضهم في الاجزاء التي لاتزال مفقودة من تاريخه .

وعلى أي حال ، فان ابن المستوفي عربي لخمي بشهادة مؤرخين جليلين عرفاه حق

المعرفة ، ولقياه شخصيا ، هما ابن الشعار الذى عايشه ولازمه مدة غير قصيرة ، وابن خلكان مواطنه وأحد المعجبين به ، وقد سمع منه كثيراً ، وسمع بقراءته على المشايخ الواردين الى إربل ، وذلك خلافا لما توهمه السيد أمين زكي ، مؤلف " تـاريخ الكـرد " (ص ٣٥١ - ٣٥٢) فظنه " كرديا " ، بل وصار يعاتبه لانه وغيره مـن المؤلفين الاكراد (كذا) كتبوا مؤلفاتهم بغير لغتهم القومية ، وتابعه في هذا الوهم السيد جمال بابان ، عندما ذكر ابن المستوفى في عداد " أعلام الكرد "، في زاوية كان ينشرها في جريدة " التآخي " البغدادية .

أما سبب نسبته الى " المستوفي " ، فهي واضحة لاتحتاج الى تبيان .

وهناك شيء واحد لم يتناوله المؤرخون بهذا الصدد ، هو السبب الذى حمل جد المؤلف على هجرة الموصل والاقامة باربل .

٢- أسرته :

سبق وان أشرنا الى جده الرئيس المبارك الذي هاجر من الموصل الى إربل ، وتوليه الاستيفاء فيها ، وكما قال ابن الشعار ، فان أباه وجده وجد أبيه وعمه وأخويه ، كل واحد منهم كان يعرف بـ " المستوفي " ويبدو ان هؤلاء كلهم قد تولوا هذا المنصب ، غير ان ابن خلكان قد ذكر ان أباه وعمه فقط ، علاوة على المؤلف نفسه ، هم الذين تولوا الاستيفاء باربل .

ولقد أشار المؤلف عابرة الى كل من والده وعمه وأحد أخويه ، فذكر ان والده كان يتولى عملا رسميا ، وانه عند سفره للحج في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦م ، نـاب عنـه عمه (مخ ورقة ٢٠٤ ب) . وذكر قيام والـده ببنـاء قبة فـي أحد مساجد إربل ، ليقيم فيها بعض القـادمين مـن العلماء (مخ ورقة ٤٤ أ و٤٦ ب و١٧٢ ب) ، وقد نقل الصفدى (الوافى ١٤٣/١) عن ابن المستوفي ، قوله بان محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي ، ورد إربل ومدح والده ، فاتخذه مؤدبا لولده ، أقول ان هذا مما يدل على مكانة والده الذي كان يقصده الشعراء ، وينظمون فى مدحه ، كذلك ذكر ابن المستوفي عمه في عدد من المناسبات ، منها روايته عنه بعض الاخبار ، ونقله بعض

المعلومات من تعاليقه (مخ ورقة ٣٢ أ و٤٥ أو١٤٠ أ و١٧٤ ب) ، وقد ذكر ابن خلكان عمه هذا ، وهو على بن المبارك ، ولقبه " صفي الدين " وقد كان من أهل العلم والفضل ، إذ ترجم كتاب " نصيحة الملوك " تصنيف الامام الغزالي ، من اللغة الفارسية الى اللغة العربية (ابن خلكان ٣ / ٢٩٨ وكشف الظنون ص ١٩٢٦ و١٩٥٨ وبركلمان ١/٤٢٣ حاشية ٣ . وقد ذكر الاخير نقلا عن "Vol. III, No. 1875 -7 Pertsch" وجود نسخه من الكتاب المذكور في مكتبة غوتا . كذلك توجد نسخة من " التبر المسبوك في نصيحة الملوك " في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وفقا لما ذكرته " مجلة مجمع دمشق " مج ٤٨ – نيسان ١٩٧٣ ص ٣٢٦) ، الأمر الذي يدل على سعة ثقافته وعلو كعبه .

والظاهر انه كان ممن يقتنون الكتب ، إذ أشار المؤلف الى بعض مقتنياته منها (مخ ورقة ١٤٠ أ) .

وذكر ابن المستوفى أخاه أبا السعادات محمد بن أحمد ، ولم يذكر عنه شيئا سوى انه توفي في سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩ م ، وانه تلقى كتاب تعزية من حماد ابن محمد البوازيجي ، مشفوعة بمقطوعة شعرية بالمناسبة ، الأمر الذي يدل على انه كان قد برز بين رجال زمانه حتى استحق كتاب تعزية من شخص كبير كحماد البوازيجي ، الذي كان يغشاه الاكابر ويتردد عليه كوكبوري نفسه (مخ ورقة ١٢٠ ب – ١٢١ أ) ، أما أخوه الآخر الذى نوه بذكره ابن الشعار (مخ استانبول ١ ورقة ٧٢) فلا نعرف شيئا عنه سوى أن اسمه " المظفر بن أحمد " ، وان له ولداً اسمه " إبراهيم " ، وقد كان من الادباء الذين تولوا بعض الوظائف الرسمية باربل .

٢- مولده ونشأته :

ولد المبارك بن أحمد في النصف من شوال من سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م ، بقلعة إربل، وفقا لما ذكره ابن خلكان وتابعه السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) ، والغريب ان ابن الشعار لم يذكر شيئا عن ولادته ، رغم الترجمة الضافية التى كتبها له ، وقد استغرقت ٢١ ورقة . ثم ان الفرصة لم تسنح للمؤلف كي يذكر شيئا عن ولادته في كتابه " تاريخ إربل " ولعله

قد فعل في الاجزاء الضائعة ، أسوة بما كان يفعله بعض المؤرخين في زمانه (ذكر ابن خلكان ٢ / ٩٢ – مثلا ان ولادته كانت بالمدرسة المظفرية باربل ، وقال مثل ذلك المنذرى – انظر " المنذرى " لبشار معروف ص ٢٤) ، وعلى كل حال فان المبارك كان إربلى المولد والنشأة .

أما الاخبار عن صباه فقليلة ، الا ان ابن الشعار يقول : بأنه منذ أكمل العشر من السنين ، استظهر القرآن المبين ، وأغري بنظم القريض ، حتى صار له فيه الباع العريض ، ثم سمع الكثير من الاحاديث النبوية ، وقرأ العلوم الادبية . وجالس العلماء وحاضر الفقهاء وأحسن اليهم ، وأحرز علوم الآداب وأفانينها ، وأحكم اصول الفضائل وأتقن قوانينها ، وصار أوحد زمانه ، مبرزاً على نظرائه وأقرانه ، ثم انه أعلم أهل زمانه بعلمي المعانى والبيان بمعرفة الاشعار النادرة ، والامثال السائرة والرسائل ، والتبحر في فنون الفضائل ، والاطلاع علي التواريخ وسير المتقدمين ، وعلم التصرف مما يتعلق بفن المساحة والاشغال الديوانية الخ ...

ويتضح مما تقدم ، ان المبارك بن أحمد قد درس منذ صباه كل ماتيسر له من العلوم، سواء أكانت أدبية أودينية أوديوانية ، وقد ذكر هو نفسه ، بأنه كان يرافق والده الى المسجد لسماع المشايخ ومناظراتهم (مخ ورقة ٢٩ ب و٤٤ أ) . ويبدو ان الجو العائلي الذى عاش فيه ، والبيئة التي وجد نفسه فيها ، قد يسرا له سبل التعلم ، بل والتقدم ، إذ كان في متناول يده – كما أسلفنا – تعاليق عمه صفي الدين ، الذي لابد وانه كان يملك مكتبة خاصة ، فقد كان – كما قال ابن الشعار ، وأيده ابن خلكان – من بيت كبير فيه جماعة من الرؤساء والادباء . فأسرة هذا شأنها ، لابد وانها تبذل عناية خاصه بتربية أبنائها ، لاسيما وانها كانت تعدهم للخدمات السلطانية ، وتولي المناصب العليا في الدولة، وهذا يتطلب الثقافة الواسعة والعلم الغزير . ولقد ساعد على تحقيق هذه الغاية ، وجود أساتذة كبار باربل ، مما أتاح للمؤلف فرصة التتلمذ عليهم – كما سنرى – في الفصل الآتى إن شاء الله – علاوة على وجود عدد من المدارس باربل (راجع الفصل الخامس من القسم الاول من هذا الكتاب) .

٤- رحلاته :

ليس لدينا معلومات واضحة عن أسفار ابن المستوفى ، إذ لم يتعرض لها من ترجم له على الاطلاق ، ولم يذكروا سوى سفرته الاخيرة - أوعلى الاصح هجرته - الى الموصل في سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦ م . ولكنني باستقراء ماورد في تاريخه ، تمكنت من العثور على مايشير الى سفره الى الموصل غير تلك المرة وهذا طبيعي جداً ، إذ هو من عائلة موصلية الاصل ، ولابد أن كان له أقارب فيها ، ولعله سافر اليها بدافع صلة الرحم . ثم ان إربل كانت تابعة الى الموصل يوم ولد ابن المستوفي ، وظلت تابعة لها حتى بلوغه سن السابعة عشرة . ومن الطبيعي أن تهفو اليها قلوب أهل إربل ، باعتبارها العاصمة لملكتهم الاتابكية . وفضلا عن ذلك ، فان الموصل كانت غنية باهل العلم . وقد ذكر ابن خلكان (٤/٣٦٥) بأن ابن المستوفي اشتغل على العالم النحوي مكي بن ريان الماكسيني في الموصل (توفي مكى في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) .

وان ابن المستوفي نفسه ذكر صراحة (مخ ورقة ٥ ب و٦٧ ب و٨٢ ب و٨٧ب ، و١٢١ب و١٢٢ أ و١٥٢ أ) سماعه بالموصل على كل من علي بن محمد الجزري ، وابراهيم بن البرني ، ورؤيته لعثمان بن جلدك بها ، وسماعه مع ابن طهير في عدة مواضع بالموصل ، وكذلك سماعه مع أحمد بن القاسم الاسكندري القيسي بالموصل على عدة مشايخ ، الا انه لم يذكر تاريخ ذلك . لكنه ذكر في موضعين (مخ ورقة ١٤ ب و١٦٨ ب) من كتابه وجوده في الموصل مرتين ، الاولى في ذي الحجة من سنة ٥٩٦ هـ/١١٩٩ م ، حيث قرأ على عبد الله بن الحسن الموصلي الشاهد . والثانية في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، إذ رأى فيها الحسن بن محمد بن أبي حروبة الشيباني ، ولا شيء غير هذا (فيما يتعلق بوجود ابن المستوفى بالموصل ، راجع أيضا " امارة الموصل " للرويشدي ص ٧ و١٦٠و١٩٦) .

ويصرح ابن المستوفى بأنه كان موجوداً في شهرزور ، يوم زارها ابراهيم السنهورى لمقابلة كوكبورى (مخ ورقة ١٢٢ ب) الا انه لم يذكر تاريخ تلك الزيارة . ووجود ابن المستوفي في شهرزور أمر طبيعى جداً ، .

لانها كانت من أعمال إربل ، ثم ان كونه " مستوفي الديوان " وكاتب الانشاء يستلزم تنقله بين أنحاء الولاية الاربلية ، ومرافقة أميرها في أغلب الاحيان ، وعلى قدر علمي لم يسافر ابن المستوفى الى أى مكان آخر غير الموصل وشهرزور . وهنا يصح التساؤل ، عما اذا كان المؤلف قد زار بغداد واجتمع الى علمائها ، أو انه حج الى بيت الله الحرام، ومر ببغداد في طريقه الى الحجاز وعند عودته منها ، خصوصا وقد جرت عادة العلماء أن ينتهزوا فرصة حجهم فيعرّجوا على أكبر عدد من المدن ، بل انهم كثيراً ماكانوا ينحرفون عن الطريق القصير المعتاد لتحقيق هذا الغرض ، وهدفهم الاول من ذلك هو الاجتماع الى أهل العلم وأرباب الحديث ، والرواية عنهم . وقد حدثنا ابن المستوفي عن عدد من هؤلاء ، والذي استطيع تاكيده بهذا الصدد ان " تاريخ إربل " خال من أى اشارة قد توحي بسفر المؤلف الى غير المدينتين سالفتي الذكر ، أو انه قد أدى فريضة الحج أسوة بوالده . وهذا أمر غريب جداً ان يحصل من رجل بحاثة مؤرخ محدث أديب كابن المستوفى .

٥- وظائفه :

يبدو ان ابن المستوفي ، بما كان يتمتع به من ثقافة واسعة متنوعة شملت معارف زمانه كلها أو أكثرها ، قد أهلّته لتولّى الوظائف السلطانية المهمة على اختلاف أنواعها . وقد لخص ابن الشعار ذلك بقوله " خدم السلطان الملك المعظم ، مظفر الدين أبا سعيد كوكبوري .. في ديواني الوقوف والاستيفاء ، وكتب له الانشاد أربعين سنة ، لم يتناول على ذلك اجراً أو جراية ، كما استمرت عادة المتصرفين في الولايات ، على انه لم يسلم ويرجو السلامة منه والخلاص ، فلم يتهيأ له ذلك ، ثم اعتقله فى السجن وقيده بقيد ثقيل، وأخذ منه سبعة آلاف دينار مصادرة ، استدان بعضها ، والباقي استأصله من مغل أملاكه ، البساتين والافناء المعروفة التى كانت بمدينة إربل ، والافما أحرز درهما ولاديناراً ، ولم يلتمس من أحد رشوة ، شرف نفس ونزاهة ولما قبض الملك المعظم وزيره أبا اسحق إبراهيم بن علي بن الموالي الموصلي ، ورأى نصيحة الصاحب أبي البركات – أيده الله تعالى – وكفايته بالامور السلطانية ، ونهوضه بأدوات المملكة ، فوض اليه أمر

وزارته ، واستقل بمنصب الوزارة ، وهو في داره لذلك غير مجيب الى مادعي اليه ، وذلك في المحرم سنة ٦٢٩ هـ / تشرين الاول ١٢٣١ م . فاستبشر الناس بيمن طلعته ، وقُضيت حوائجهم وأشغالهم ، وأمنت أحوالهم في الديوان ، ولما توفي الملك المعظم - رض - وجاءت الدولة المستنصرية - ثبتها الله وأيدها - وتولى الامير باتكين بن عبد الله، ندبه لوزارته ألخ ... " وقد استعفى - كما سنرى - . ويتضح مما تقدم أن ابن المستوفي تولى أربع وظائف كبيرة ، على الاقل ، هي : -

أ / النظر في ديوان الوقوف ب / ديوان الاستيفاء

ت / كتابة الانشاء ث / الوزارة .

الا أن الذهبي (عبر ٥/١٥٥ سماه " وزير إربل وقاضيها (والجدير بالذكر ان هذه العبارة وردت في " الشذرات " ٥/١٨٦ ، وهو ينقل كثيراً عن " عبر الذهبي " وزير إربل وفاضلها ومؤرخها ، وأظن ان محقق " العبر " أو الناسخ قد صحف " فاضلها " الى "قاضيها ") ومؤرخها " . وإن صح ذلك ، فوصف المؤلف بالقاضي ، أمر انفرد به الذهبي ، ولم أجد له سنداً في أي مرجع أخر ، أما صاحب " الحوادث الجامعة " (ص ١٣٥) ، فقال انه " تولى ديوان إربل " دون تخصيص ، ولعله يقصد ديوان الاستيفاء ، إذ كان المستوفي وفقا لوصف الحريري في " المقامات " (ص ١٦٦ - ١٦٧) ، " هو يد السلطان وقطب الديوان ، وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال ، واليه المآل في السلم والهرج ، وعليه المدار في الدخل والخرج ، وبه مناط الضر والنفع ، وفي يده رباط الاعطاء والمنع ... " (نقل حسين امين في " العراق في العصر السلجوقي" ص ٣٦٤ ، نص مرسوم بتعيين مستوف في سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧م ، وفيه إيضاح لمهام هذه الوظيفة وبيان أهميتها وهو منقول عن الفارسية عن " تاريخ وزراء السلاطين العظام " تصنيف عباس إقبال) ، وذكر ابن خلكان (٣ / ٢٩٤ - ٢٩٨) ، انه عندما غادر إربل في سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م ، كان ابن المستوفي هو " مستوفي الديوان " ، وان الاستيفاء في المشرق منزلة علية ، وهي تلو الوزارة . ثم وصف براعة المؤلف في علم " الديوان " وحسابه وضبط قوانينه (أنظر ايضا بغية السيوطي ٢/٢٧٢) .

وعرّف القلقشندي (صبح ٥/٤٦٦) المستوفي بأنه هو الذي يضبط الديوان ، وينبه على مافيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك ، أقول ويبدو انه كان لكل مدينة مستوفيها ، إذ يذكر ابن المستوفي ٠ مخ ورقة ٩٢ أ و١٢٦ ب)

انه كان لكل من البوازيج ومازندر ان مستوفيها ، والظاهر ان من مهام هذه الوظيفة أيضا ، القيام بمحاسبة من يتولى عملا للسلطان وله صبغة مالية . ويحدثنا ابن المستوفي نفسه (مخ ورقة ٦٨ب و٧٤ب و١٤٩ أ)عن توليه محاسبة بعض هؤلاء ، كما انه كان يتولى إيصال صلات السلطان الى أربابها ، وقد قام بذلك ابن المستوفي فعلا (مخ ورقة ١٢٢ أ) . ويبدو ان المؤلف لم ينس كونه مسؤولا عن الصرف والانفاق ، فقد حمل كوكبوري على رد طلب ابراهيم السنهوري المصري ، عندما أراد الاخير أن يكتب له كوكبوري الى بغداد لتجهيزه بكتب قيمتها ٥٠٠ دينار (مخ ورقة ١٢٢ ب).

أما الوزارة فقد تولاها ابن المستوفي في المحرم من سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، وفقًا لما ذكره ابن الشعار وابن خلكان . وتوليه لهذا المنصب الكبير متفق عليه من قبل جميع المؤرخين (سماه الذهبي وابن العماد - كما مر معنا - " وزير إربل " وفعل مثل ذلك اليونيني في ذيله ١ / ٧٥ و٢/٣٦٨ و٣٦٩ و٤٨٠ و٤/١٥٣) ، والجدير بالملاحظة ان ابن خلكان (٣/٢٩٧) قال انه كان وزيراً في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ، ثم عاد وذكر بانه تولاها في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م . أقول ولعل منشأ هذا الخلاف ، ان الوزير إبراهيم بن علي الموصلي قبض عليه في سنة ٦٢٨ هـ ، واستوزر كوكبوري بعده ابن المستوفى (ذيل اليونيني ٢/٣٦٨ - ٣٦٩) ، والظاهر ان الاخير لم يقبل الوزارة إلا في المحرم من سنة ٦٢٩ هـ ، وعلى هذا الاساس يكون كلا التاريخين صحيحا ، كذلك جميع المؤرخين قد أجمعوا على أنه ، عندما تولى الوزارة ، كان حسن السيرة ، وقد ذكروا انه بطل عن العمل وقعد في بيته بعد وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، وعودة إربل الى حظيرة الخلافة ، وان الناس استمروا يلازمون خدمته حتى سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦ م ، عندما هاجر من إربل تحت وطأة الهجمات التترية - وليس استيلاء الصليبيين على إربل ، كما توهم الاستاذ الزركلي في " الأعلام "٦/١٤٦ - ، غير ان ابن الشعار ،

وهو في اعتقادي ، كان أقرب الى ابن المستوفي من أي شخص آخر ، قد زاد هذا الوضع إيضاحا بقوله ، ان الامير باتكين ، حاكم إربل من قبل الخليفة ، قد ندب ابن المستوفي الى خدمته "وعرض عليه الوزارة ، وأن يكون نائبه في الاشغال الديوانية ، وحكمه في الأمر والنهي ، وألقى اليه مقاليد الامور ، واعتمد عليه ، وقرر له جاريا سنيا يصل اليه كل شهرٍ ، فاستعفى من ذلك ، وامتنع امتناعا شديداً ، واحتج بأنه شيخ كبير عاجز عن العمل ، فأعفاه عن الولاية . فكان يستدعيه الى مجلسه ويسأله عن أشياء من العلم ، ويحاضره ويجالسه ، ويقبل عليه ويكرمه ويجد به أنسا الخ .. " .

ولكن ابن المستوفي – فوق توليه المناصب العالية – احتل مكانة عالية في نفوس معاصريه ، لما كان يتصف به من حسن الخلق ورحابة الصدر ، ولذا كان أصحاب الحاجات يلوذون به ، ليقدمهم الى الملك ، وفي كتابنا (مخ ورقة ٢١٩ ب) ذكر لاديب من اصفهان ، التمس في قصيدة من نظمه ، أن يزكيه المؤلف لدى السلطان ، كي يفوز ببغيته ، بل ان الملك المحسن بن صلاح الدين الايوبي ، صاحب دمشق ، كتب الى ابن المستوفي يلتمس إنفاذ المحدثين الشهيرين ، ابن طبرزد وحنبل الى دمشق (مخ ورقة ٧٠ أ) . وهذا يدل ولاشك على منزلته ، حتى لدى الملوك .

هذا ويجدر بي أن أذكر ، بان ابن المستوفى كان يلقب بـ " الصاحب " .

ولقد كرر ابن الشعار هذا اللقب في مواضع كثيرة من كتابه ، فظلاً عن الترجمة ، وفيها سماه " الوزير الصاحب " . والصاحب هو من ألقاب الوزراء ، الا أنه مختص بأرباب الاقلام منهم ، وأول من تلقب به الصاحب بن عباد (طبقات الاسنوي ٦٠٦/٢ – ثبت الاصطلاحات ، وقاموس دوزى وقاموس لين) .

٦– تدينه وأخلاقه :

أجمع المؤرخون على ان ابن المستوفي كان رئيسا جليل القدر ، كثير التواضع ، واسع الكرم ، قد جمع الفضائل (ابن خلكان ٢٩٤/٣ – ٢٩٨) .

ولقد بالغ ابن الشعار كثيراً في وصفه حين قال : " شمس إربل وبدرها ، وعالمها البارع وصدرها ، وفخر أماثلها وجمال أفاضلها ، لم تر الدنيا له نظيراً ، ولاسمحت

بمثله جليلا ولاخطيراً . بقية الاكارم الاجواد ، وأحد الاعيان الامجاد ، الاريحيي المفضال ، وولي الانعام والافضال ، ذو الفضل الكامل ، والجود الشامل ، والمحاسن الوافرة ، والمفاخر المتكاثرة ، والعقل الرصين والدين المتين ، المهذب الاخلاق ، الطّيب الاعراق ، الرفيع الشان ، الموصوف بكل لسان ، طوار مصره المشار اليه في عصره ، اكرم الناس طباعا ، واطولهم في المكرمات باعا . ربعه مقصد الوافدين ، وجنابه كعبة القاصدين ، فهو من اسداء المعروف ، وسعة الأنفاق ، ماسارت به الامثال في أقطار الآفاق . فلو ان الكرم تاج لكان درته ، أوكان المجد محيًا لكان غرته . فقد ألبسه الله من المكارم جلبابا ضافيا ، وأحيا به ربع الفضل بعد أن كان طامسا عافيا ألخ .. " (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨) . وذكر ابن الشعار في موضع آخر ، انه في عهد باتكين الذي عرض عليه الوزارة ، استمر " ناصحا للمسلمين ، مشفقا على الفقراء والمساكين ، ناظراً في أمور الرعية والاجناد ، عادلا في سيرته " ، وهذا قليل من كثير مما ذكره ابن الشعار ، أما ياقوت الحموي (بلدان ١/١٨٧) الذى لقيه شخصيا ، فقد قال عنـــه بأنه " متحقق بالادب ، محب لاهله ، مفضل عليهم ، وله دين واتصال بالسلطان الخ .. " .

وإنني ، بعد أن درست كتـابه " تاريخ إربل " اتفق وماقاله المؤرخون عنه ، إذ يلمس القارئ في ثنايا الكتاب ، وبكل وضوح ، تدين الرجل وسمو أخلاقه فيجده رجلا تقيا ذا حياء ، يخاف الله ويلتمس البركة بسماع الحديث ، ويؤمن بفوائد الدعاء ، ويستغفر الله ، عندما يضطر الي ذكر شئ ما قد يوحي بما يمس العقيدة ، ويتجنب الاجتماع بمن في عقيدته شبهة (مثل ظريف الباقداري ، الذي يقول بالحروف والاصوات - مخ ورقة ١٧١ أ) ، وعلى العكس فانه يلتمس البركة لدى المشايخ ، ويقوم بزيارتهم أحياءً ، ويتفقدهم اذا مرضوا ، وكان يسعى للسماع عليهم ، كما انه يتبرك بزيارة قبور الصالحين وينقل في كتابه ، بعض النصوص والاحاديث عنهم ، لمجرد البركة لاغير (مخ ورقة ٢ب و٥أ وب و٦ب و١١ب و١٢٦ أ و١٣٩ب و١٧٢ أ و١٧٥ب و١٧٦ ب) .

وكان يترفع عن ذكر مايسمعه من قبيح الاخبار عن بعض الناس ، بل يضرب صفحا عن ذكر الراوي لها ، خلافا لعادته في النقل ، إذ جرى على ذكر مصادره الافي هذه

الحالات ، حرصا منه على الستر ، ولم يكتف بذلك ، بل يطلب لهؤلاء الناس – الذين تروى عنهم أخبار قبيحة – ولنفسه الرحمة والغفران ، فيقول مثلا : " كان يحكي عن نفسه ، ما الله ساتر بأمثاله وغافرها ، ثم أقلع عن ذلك (مخ ورقة ١١٩ ب) ، أو يقول : " تحدث الناس في دينه بما لايسع ذكره – عفا الله عنه " - (مخ ورقة ١٠٠ أ) ، أو كقوله . " تحدث الناس في قلة دينه وسوء معتقده ، ومايتجاهر به من أشياء ، نعوذ بالله منها ونستغفره عنها " (مخ ورقة ١٠٣ ب) ، وقد روى عن عمه أخباراً تتعلق بقضيب البان ، فقال : " وذكر عنه أحوالا أضربتُ عن ذكرها " (مخ ورقة ١٧٤ ب) . وفي حالة أخرى قال : " حُدِّثتُ عنه بأشياء أضربتُ عن ذكرها لقبحها – غفر الله لنا وله برحمته – " (مخ ورقة ١٥١ ب) . ولقد امتنع عن زيارة سيدة مقرئة وردت الى إربل ، لان ابن أختها حدثه بواقعة كانت بينهما في طريق الحج (مخ ورقة ١١٨ أ) ، الا انه – أى المؤلف – لم يذكر لنا ماهية تلك الواقعة ، تمسكا منه بالمبدأ الذي سار عليه .

ومن كرم أخلاقه كان يحاول ان لايصف احداً بما قد يجرح شعوره لو أتيحت له فرصة الاطلاع على ماكتبه عنه ، إلا في حالات قليلة اقتضاها السياق ى هذا نقيض ابن الشعار (مخ استانبول ٣ ورقة ١٥٦) الذى وصف مثلا الحسين بن عبد الله بن رواحة بسوء الاخلاق ، في حين جاءت ترجمته في " تاريخ إربل "خالية من هذا الوصف ، رغم كون كلا المؤلفين لقيا ابن رواحة في آن واحد باربل ، ولابد انهما لاحظا سوء أخلاقه سوية ، وقد اكتفى ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٦ أ) بالقول ان كوكبورى قد أكرم ابن رواحة هذا ، في حين قال عنه ابن الشعار ، إمعانا في إهانته ، انه " جاء مجتديا نو اله – أي نوال كوكبوري – طالبا رفده ، شأن الذين يردون إربل للاستجداء " . ومثل آخر أسوقه بهذا الصدد ، هو ان ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ٢٣٧) عندما ترجم لعيسي بن عبد الله الحميري ، قال انه وصل إربل " للاستجداء " ، بينما ترفع ابن المستوفي عن ذكر ذلك ، بل قال عنه انه " ذكى لطيف الاخلاق . فاضل " (مخ ورقة ٢١١ ب) . وقد اتبع هذا المسلك حتى في الامور العلمية ، من ذلك مثلا ، انه أشار الي معنى بعض الكلمات الواردة في مقطوعة شعرية وقال إن كان هدف الشاعر القول

كذا وكذا ، فهو مخطئ ، وإن أراد بقوله كذا وكذا فهو مصيب ، ولا أظنه إلا قصد الثاني - مخ ورقة ١٨٣أ) . وعندما كان يتولى محاسبة أناس ظهر النقص في الأموال التي أوكلت اليهم ، لايذكرهم بأي كلمة جارحة ، وكانوا كثيراً مايحصلون على إسقاط مابقي في ذمتهم (مخ ورقة ٦٨ ب و٧٤ ب و١٤٩ أ) ، خصوصا وان أكثر هؤلاء كانوا من أهل الدين والتصوف ممن لايحسنون ضبط الحساب .

أما تواضعه ، فيمكن ملاحظته من ضربه صفحاً - في غالب الاحيان - عن إثبات الشعر الذي قيل في مدحه ، ولقد مدحه عيسى بن عبد الله الحميري ، أنف الذكر ، بشعر فلم يثبته في كتابه ، ولولا أن رواه ابن الشعار في ترجمة عيسى هذا ، لما كنا عرفناه . وفعل مثل ذلك بالشعر الذي مدحه به عبد الله بن أسعد الواسطي (مخ ورقة ٢٢٨ أ) الا ان ابن الشعار (مخ استانبول ٣ ورقة ١٤٨) أثبته في كتابه . وكذلك مدحه عبد القادر بن بهاء الحراني بقصيدة طويلة ، ذكرها ابن الشعار (المصدر السابق ٤ ورقة ٢١) ولكن ابن المستوفي الذي ترجم لعبد القادر هذا ، لم يثبت من تلك القصيدة بيتا واحدا (مخ ورقة ١٥٢ أ) ، واذا شذَّ وأثبت شيئا من ذلك ، فانه لاينبه اليه ، فيفوت على القارئ الانتباه الى كون ذلك الشعر مدحا للمؤلف (مخ ورقة ٦٨ب و١٠٨ ب و١١٧ ب و٣٦ ب و ٢١٥ أ و ٢٢١ب) ، بل انه يستميح القارئ عذراً عن إيراد مثل هذا الشعر ، وقد قال مرة : " إنني أثبتُ هذه القصيدة - وكانت في مدحه - جمعاء لانني لم أجد له - أي للشاعر - غيرها " (مخ ورقة ١٠٩ أ) .

ولقد كان ابن المستوفي مؤدبا يراعي القواعد المتعارفة ، فقد لاحظ ان ابراهيم الغساني المصري ، كان يتردد على باب الوزير علي بن شماس الاربلي طلبا للنوال ، ولكنه لم يقم للوزير عند دخوله ، خلافا للعادة الجارية ، فعاتبه واستغرب التناقض في سلوكه ، بأن يقف أياما على باب الوزير ثم يبخل عليه بالوقوف تعبيراً عن الاحترام (مخ ورقة ١٢٢ ب) . وبلغ به الأدب الى درجة انه ترجم لابن الشعار (مخ ورقة ١٨١ أ)، وكان في خدمته وفقا لما ذكره ابن خلكان (٢٩٦/٣) ، بل انه لم يصرح بوجود تلك الخدمة مكتفيا بوصف دأب ابن الشعار على جمع الشعر وأخبار الشعراء ، وذكر

مصنفاته ، وان أدبه حمله على عدم التصريح باسمه أوباسماء افراد عائلته إذا جاء ذكر تلك الاسـماء في معـرض الثناء ، مكتفيا بذكر كلمة " فلان " (مخ ورقة ١٢١ أ و١٤٠ ب) .

ولكنه في الوقت نفسه ، لم يكن يتسامح فيما له مساس بالعلم ، فنراه مثلا يثور على السنهوري المصري ، أنف الذكر (مخ ورقة ١٢٣ أ) ، عندما زعم بأن ابن دريد ذكر في " الجمهرة " بأن الياس – ع – لم يكن نبيا . فرد عليه رداً علياً مورداً الآية الكريمة التي تؤكد كون الياس من المرسلين ، ودافع عن ابن دريد ، ثم تحدى السنهوري بأن يكتب مازعمه حتى يتم الرجوع الى الكتاب وأصحاب العلاقة الذين روى عنهم ذلك الزعم ، ويأتي بالدليل المكتوب منهم . فكتب السنهوري ما طلب منه ، الا انه لم يوف بوعده ، بل صار يتجنب الاجتماع بابن المستوفي في زياراته التالية لاربل .

ومن الطريف أن المؤلف (مخ ورقة ١٩٩ ب) اكتشف ان أحد العباسيين ، كان يكذب عليه في انتحال شعر ليس من نظمه ، وقد طلب هذا العباس الى المؤلف أن يرى سيئا مما يكتبه في " تاريخ إربل " ، فأبى عليه ذلك ، ولعله أراد ان يعاقبه على كذبته .

٧- مذهبه الديني :

ليس بالامكان القطع بالمذهب الديني الذي كان يقلده ابن المستوفي ، إذ لم اجد له ذكراً في كتب طبقات أصحاب المذاهب المعروفة ، كالشافعية والحنفية والحنابلة ، ولكن المعروف ، كما سبق وبينا في القسم الاول من هذا الكتاب ، ان المذهب الشافعي كان هو المذهب السائد باربل . وذكرنا ان المدارس التي أنشئت بها ، كانت للشافعية (مخ ورقة ٦٤ ب) ، ماعدا مدرسة واحدة أوقفها كوكبوري على فقهاء المذهبين ، الشافعي والحنفي ، وان قضاة إربل ومدرسيها ، كانوا من الشوافع أيضا (مخ ورقة ٣١ ب وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠) وهذا قد يحملنا على الاعتقاد بأن ابن المستوفي كان شافعيا ، لاسيما وان أحد شيوخه ، وهو المبارك بن طاهر الخزاعي ، كان شافعيا متعصبا (مخ ورقة ٦ ب) كما ان أميري بن بختيار ، الذي سمع عليه ابن المستوفي ، كان شافعيا متعصبا (مخ ورقة ٦ ب) ، كما أن أميرى بن يختبار الذى سمع عليه ابن

المستوفى كان شافعيا هو الآخر (مخ ورقة ١١ أ وطبقات السبكى ٥١/٤ ط حسينية) ، ومن الجدير بالملاحظة ، ان المؤلف (مخ ورقة ١٦٣ ب) قال عن الحسين بن خلكان أنه " عارف بالمذهب معرفة تامة"، دون ان يخصص أى مذهب يعني ، وحيث أنّ الحسين هذا كان شافعيا ، فمن المسلّم به ان ابن المستوفي لم ير ضرورة لتسميته بالمذهب الشافعي ، لأنه كان المذهب السائد . وهذا قد يعزز الاعتقاد بأن المؤلف كان شافعيا ، إذ جرت العادة على ان أتباع مذهب معين عندما يشيرون الى مذهبهم ، لايسمونه باسمه ، وانما يكتفون بالاشارة اليه علي أنه " المذهب " ، الا انــه ليـس بالامكـان الجزم بشيء (انظر أيضا مخ ورقة ١٦٢ أ) .

وقد يتبادر الى الذهن ان يكون ابن المستوفي حنفيا ، الا انني لا أرى ذلك ، لانه عندما وصف (مخ ورقة ١٣٩ أ) الرشيد الدمشقي ، قال عنه . " كان حنفيا إماما مقدما في (مذهبهم) أثني عليه بعض الحنفية .. " أقول لو كان ابن المستوفي حنفيا لما قال : " في مذهبهم " . هذا وليست هناك أية إشارة قد تحمل على الظن بكونه حنبليا أو مالكيا ، وإنما هناك إشارة قد تحملنا علي القول بكونه شيعيا ، إذ وصفه ابن الشعار بأنه " الخالص في ولاء العترة النبوية ، المذعن بمحبة السادة العلوية " ، وذكر له قصيدة يمدح فيها آل البيت الكرام - رض - ، ويذم معاوية (رض) ذما شديداً ، الى درجة حملت أحد قراء كتاب ابن الشعار ، على استنكار ذلك ، متهما ابن المستوفي بالتجاسر على أحد أصحاب الرسول - ص - وذم كاتب وحيه (مخ استانبول ٦ورقة ٢٦ أ - والحاشية) ، لكن ذلك الظن لايقوى على الصمود أمام قرائن أقوى تنفى ماقد يُستخلص من قول ابن الشعار ومن القصيدة المذكورة ، منها ان صاحب " الذريعة " - وهو من كتب الشيعة - (٥ / ٢٧٨) ، قال عن " تاريخ إربل " انه " لبعض العامة " ، والعامة عند الشيعة ، كما هو معروف هم المسلمون من أهل المذاهب الاخرى ، وفضلا عن ذلك ، فان أغا بزرك الطهراني لم يذكر ابن المستوفي في كتابه " الأنوار الساطعة " الذي أرخ فيه لأعيان الشيعة من أهل المائة السابعة ، وعلاوة على ذلك فان " تاريخ إربل " فـى عمـومه

لأيستدل منه ان مؤلفه كان شيعيا ، لأن الحديث الذى رواه – وهو كثير – كان كله مسنداً الى أئمة من أهل السنة ، ثم ان المؤلف جرى على ابداء كامل الاحترام والتقدير للصحابه مثل عمر بن الخطاب – رض – وأبدى مثل ذلك تجاه أئمة المذاهب السنية ، كالامام الشافعي – رح – كلما جاء ذكر واحد من هؤلاء ، بل انه قال (مخ ورقة ١٣٣ أ) بصدد كتاب " مختصر في أصول الدين على مذاهب أهل السنة والجماعة " ، قال " كثَّرهم الله – عز وجل – " .

هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى ، فان المؤلف اعتاد أن يقول ، عند ذكر الامام علي وآل بيته " كرم الله وجهه ورضي عنهم " (مخ ورقة أ و ب و ٥٤ ب) ، خلافا لما اعتاد عليه الشيعة والتزموا به من القول " عليهم السلام " . وفضلا عن ذلك ، فانه ليس بين الاشخاص الذين ترجم لهم أحد من الشيعة ، سوى ابن فطيرا (مخ ورقة ٢٠٤ ب) ، ومع ذلك فانه لم يصرح عن كونه شيعيا ، ولكنه قال عن بعض المترجمين ، مخ ورقة ٢٣ أ و٩٢ أ) ان أحدهم كان يميل الى التشيع وان الآخر " فيه تشيع " ، دون أن يذكر مذهبهما الاصلي . والذى أميل اليه ان ابن المستوفي كان يميل الى مايسميه " الصحيح من التشيع " ، إذ وصف عليا ابن محمد بن محمود الكفرعزي ، أخا قاضي إربل ، بأنه كان شافعيا " مائلا الى الصحيح من التشيع (مخ ورقة ٣١ ب) وهذا يحمل على الظن أنه كان نفسه من هذه الفئة ، لاسيما وأنه روى عددا من الأحاديث والأقوال في حب آل البيت – رض – (مخ ورقة ٨ ب و٢٣ أ و٢٧ أو ٣٣ أ و ب و ١٠٥ أ و١١٢ أ و ١١٣ أ و١٢٥ أ) ، هذا علاوة على ماذكره ابن الشعار عن تعلقه بحب العترة النبوية ، وقصيدته التي أشرنا اليها آنفا .

ولكن ابن المستوفي – على مايظهر من خلال كتابه " تاريخ اربل " ، لايرتاح على أى حال ، الى المغالاة في المذاهب ، ولقد قال (مخ ورقة ٦ ب) عن شيخه الخزاعي آنف الذكر أنه " كان شافعيا كثير العصبية لمذهبه ، يكره الرأى والقياس ، ويميل الى النص والنقل " ، وقال (مخ ورقة ٣٤ أ) عن أحد الاشراف العباسيين انه " حنبلي شديد المغالاة في مذهبه " . وقال عن الفخر ابن تيمية (مخ ورقة ٣٤ ب) أنه " مغال في

معتقده ، قائم على حفظ مذهبه " . وقال (مخ ورقه ٦٧ ب) عن ابن البرنى أنه حنبلى المذهب من المغالين فيه وقال (مخ ورقة ١٦١ ب) عن خالد النابلسي انه " كان مغاليا في مذهب أهل السنة " . ووصف عمر الدرزيجاني (مخ ورقة ١٧٢ ب) بأنه " حنبلى المذهب، مغال في السنة " ، وأخيراً قال (مخ ورقة ٥٤ ب) عن عبد القادر الرهاوي بأنه " حنبلي المذهب ، الا انه لم يكن غاليا فيه " . وبناء على هذا ، فان هذه الاشارات ، وإن كان ابن المستوفي قد نقلها نقل مؤرخ ، الا انها توحيٰ ، ولاشك ، بأن المؤلف لم يكن يرتاح للتطرف ، وإلا لما كان هناك داع لذكر ماذكر عن المغالاة . بل ان مجرد وصفه لشيخه الخزاعي بالعصبية لمذهبه وكرهه للرأي والقياس ، وميله الى النص والنقل ، يدل علي أنه كان يعارض تلك الاتجاهات ، إذ كان بامكانه ، لو لم يكن هذا موقفه ، أن يستعمل عبارات أخف شدة ، كأن يقول عنه انه " يعارض " الرأى والقياس ... وانه " كثير التعلق " بمذهبه ... وما الى ذلك من عبارات خفيفة اللهجة .

٨- هجرته الى الموصل ووفاته فيها :

لقد سبق وبينا آنفا بأن ابن المستوفي هاجر من إربل على اثر هجوم التتر عليها ، في شوال من سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٦ م ، واحتلالهم لربضها ، وقتلهم السكان الآمنين ، وسبيهم لمن سلم من القتل ، وتخريبهم للمباني والاسواق ، وإحراقهم الدور ونهبهم للاموال والممتلكات ، وحصارهم للقلعة التي التجأ اليها ابن المستوفي ، فيمن التجأ (وقد روى له ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ٣٢ ب - قصيدة يرثي بها إربل) . وقد أنتهز فرصة تراجع التتر بعد فشل الحصار الذي ضربوه حول القلعة ، فارتحل مع المهاجرين الى الموصل . فسمع به الامير لؤلؤ بن عبد الله البدرى ، حاكم الموصل ، فانتدب اليه جمالا وبغالا لحمل متاعه ، وعندما دخل الموصل ، استقبله الامير بالاكرام الوافر والتبجيل والحرمة التامة ، وأنزله في دار هيئت له ، ورتب له جاريا ، ومال اليه بكليته - على حد قول ابن الشعار - ولم يكن يصبر عنه ، وقصد رؤساء الموصل زيارته ، واستبشروا بقدومه ، وكل كان يتمنى لقاءه .

الا ان عيشه قد تنكد ، وتبدل فرحه ترحا ، وسروره حزنا ، بسبب قبض الامير لؤلؤ

المذكور (لم يفصح ابن الشعار عما يقصده بكلمة " قبض " ، وهل هو يريد اعتقاله أو موته ، فان كانت الاولى فلم أجد في كتب التاريخ مايشير الى اعتقال لؤلؤ البدري بين سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، وهى سنة ورود ابن المستوفي الى الموصل ، وسنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م وهي سنة وفاته ، كما سنرى ، أما وفاة لؤلؤ فقد تأخرت الى مابعد سقوط بغداد على يد المغول في عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (١) مما ضاعف آلامه وزاد في همومه ، ونكد عيشه ، وقد ظل على هذه الحال الى أن اخترمته يد المنون في يوم الأحد ، الخامس من المحرم من سنة ٦٣٧ هـ / آب ١٢٣٩ م (لم يذكر ابن الشعار " مخ استانبول ٦ ورقة ٢٤ أ " تاريخ الوفاة ، وقد ترك موضعه بياضا . اما التاريخ الذى ذكرناه في المتن فهو منقول عن ابن خلكان) . وقد دفن بالمقبرة السابلة ، خارج باب الجصاصة بالموصل ، ولقد كانت وفاته صدمة كبيرة لابن الشعار ، مما حمله على القول: " فلم يبرح ذا هموم زائدة وغموم متوافرة الى أن ناداه الحي القيوم ، وفاجأه الأجل المحتوم ، وأصابته عين الكمال ، واخترمته ريب المنون ، ولم ينفعه يومئذ لامال ولابنون ، فيا لله ، أى نجم للفضائل هوى ، وغصن للمكارم ذوى ، فلقد تهدم ركن السماحة ، وفل شبا الفصاحة ، وميلت اليراع أسفا عليه قدودها ، ولطمت الدوى كآبة عليه خدودها ، وبكت عيون الآداب وشقت جيوبها فسقى الله صفيحة منهمر الشآبيب وألبسه من رضوانه أفخر الجلاليب ، وأحسن منقلبه ومثواه ، ونقع جسده ورواه ، وحشره مع أحبابه الميامين الغرر ، فلقد مض محمود الخلائق ، مشكور الطرائق ، جميل العواقب ، جم المناقب ، قد أخذ حزنه من كل قلب بسهم ، وأيتم فقده كل ذى أدب وفهم ، وعاد روض الفضل ذاويا ، ورسم الجود دارسا خاويا ، فلقد مضى لي معه أوقات مذهبات ، كانت للاتراح مذهبات ، أدرنا فيها كؤوس المذاكرة ، وفتقنا نواجح المحاورة ، وجاذبنا أهداب المناقشة ، وأجلنا في ميادينها خيل المحادثة ، وتذاكرنا غرراً من أصناف الفوائد ، مالو كنَّ حليا كانت في

(١) بشأن حياة بدر الدين لؤلؤ راجع " امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ " تأليف سوادى بن عبد الرويشدى ، بغداد ١٩٧١ م ، علما بأن وفاة لؤلؤ وقعت في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م (ابن خلكان ١/ ١٦٦ وعبر الذهبي ٥/ ٢٤٠)

نحور الحسان الخرائد ، فوا أسفي على ذلك الزمن النضر ، الذي كان بقربه فرصة العمر ، والعيش الأنيق ، والوقت الرفيق ، فكأنه كان خط ماشق ، أو استراق نظرة من عاشق " (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٠ - ٢١) .

وقد رثاه يوسف النفيس الاربلي ، الشاعر المعروف بشيطان الشام ، بقوله :

أبا البركات لو درت المنايا بأنك فرد عصرك لم تصبكا

كفى الاسلام رزء فقد شخص عليه بأعين الثقلين يبكى

وقال ابن خلكان (٣ / ٢٩٨) الذى روى هذين البيتين " كان - يرحمه الله تعالى - من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد - أي إربل - مثله في فضائله ورئاسته " .

والجدير بالذكر ، ان الذين ترجموا لابن المستوفي ذكروا وفاته في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ، ماعدا ابن كثير (تاريخ ١٣ / ١٣٩) فقد انفرد بجعلها في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م . ويغلب على الظن ان وفاة ابن المستوفي التبس تاريخها لدى ابن كثير بتاريخ وفاة كوكبوري ، الذي توفي في السنة المذكورة ، وتوهم المرحوم مصطفي جواد (معجم ابن الفوطي ١ / ٧٩ - حاشية ٣) فذكر ان وفاة ابن المستوفي وقعت في سنة ٦٣٧ هـ ، وفقا لما ورد في " الحوادث الجامعة " أو في سنة ٦٢٨ هـ (كذا) وفقا لما ذكره ابن خلكان . أقول في الواقع ان ابن خلكان أرخ الوفاة في سنة ٦٣٧ هـ ولكنه أشار في الفقرة الاخيرة من ترجمة ابن المستوفي ، الى تاريخ وفاة الشاعر يوسف بن النفيس الاربلي (ولد الشاعر باربل في سنة ٥٨٦ هـ - ابن خلكان ٣ / ٢٩٨) الذى رثى ابن المستوفي بالبيتين اللذين نقلناهما آنفا ، وقد توفى هذا في سنة ٦٣٨ هـ ، فظن الاستاذ جواد أن هذا التاريخ هو تاريخ وفاة ابن المستوفي (راجع ابن خلكان ٣ / ٢٩٨ والحوادث الجامعة ص ١٣٥ وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٥٥ وشذرات ابن العماد ١٨٦/٥ ومرآة اليافعي ٤ / ٩٥ والتعريف بالمؤرخين للعزاوي ص ٦٠ وكوكبوري لطليمات ص ٢٢٤) .

٩- عقب ابن المستوفي :

لم أجد في المراجع التي ترجمت لابن المستوفي ذكراً لعقبه ، وقد استقصيت كتب التراجم التي تناولت ذكر الارابلة ، فلم أوفق بشيء . الا ان ابن الفوطي (معجم ٤ / ٧١٨) ذكر شخصا هو " قطب الدين أبو علي مزيد بن يوسف بن أبي البركات الاربلي الفقيه " غير انه لم يذكر تاريخ وفاته ، أو شيئا عن حياته ، مما قد يفيد في تحقيق نسبه ، ومعرفة عما اذا كان مزيد المذكور حفيداً لابي البركات المبارك بن أحمد بن المستوفي ، أم لا .

هذا وقد ترجم ابن الشعار (مخ استانبول ١ / ٧٢) لابي إسحق إبراهيم بن المظفر بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب المستوفي الاربلي ، المولود في سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م . وهو ابن أخي المؤلف . وقد قال عنه بأنه من بيت جليل في الرئاسة باربل ، وانه حفظ القرآن الكريم وجملة من الشعر ، وكان يتولى التصرف لأمير بلده ، وفيـــه ذكاء وروى شيئا من شعره ، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته ، واكتفى بالقول بأنه شاب .



الفصل الثاني
دراسة ابن المستوفي وشيوخه

١- دراسته :

لقد سبق وذكرنا في الفصل السابق ، بأن ابن المستوفي بكرٌ به أهله في طلب العلم حتى استظهر الكتاب العزيز وهو ابن عشر سنوات (يبدو ان هذا تقليد في عائلة المؤلف ، حيث ان ابن اخيه حفظ القرآن الكريم أيضا وجملة من الشعر – وفقا لما ذكره ابن الشعار ، مخ استانبول ١ / ٧٢) ، وأغري بنظم الشعر وسماع الحديث وقراءة العلوم الادبية . كذلك أشرنا الى مجالسته للعلماء (نقل الفوطي – معجم ١ / ٥٧٦ – عن الجزء الضائع من " تاريخ إربل " بان ابن المستوفي لقي في سنة ٥٨٢ هـ / ١٨٦ م ، أي عندما بلغ سن الثامنة عشرة ، الحسن بن سعيد بن عبد الله الشاتاني الاديب ، المتوفى في سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ، وانه كان شاعراً يحفظ جل أشعاره) ، وملازمته لهم حتى برز بينهم وصار يشار اليه بالبنان ، وعلاوة علي ذلك فان بيته كان بيت فضل وعلم – ولاسيما بوجود عمه صفي الدين – فانتفع بوجوده في مثل تلك البيئة العلمية الرائعة ، الا ان ذلك كله لايؤدي الى النتيجة المرجوة مالم يقترن بدراسة منتظمة تتحدد فيها مسؤولية الطالب والاستاذ ، ويتميز موضوع الدرس وتبين حدوده ، ولذلك فان ابن المستوفي ، شأنه شأن أبناء الكبراء من أهل زمانه ، كان له أساتذته ومدرسوه ، ممن سنتعرض لذكرهم في موضع آخر من هذا الفصل ، إن شاء الله .

وهنا يحسن بي أن أشير الى ماذكره الصفدي (الوافي ١ / ١٤٣) نقلا عن الجزء المفقود من " تاريخ إربل" ، قول ابن المستوفي بأن محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي ، هو مؤدبه ، وانه ورد إربل ومدح أباه فاتخذه مؤدبا له ، وانه أقام باربل مدة . وأهمية هذه الاشارة ، كونها منقولة عن خط ابن المستوفي نفسه ، وانه سمى الفرضي هذا " مؤدبي " (أنظر مجلة مجمع دمشق – مقال العزاوي ص ٢٢٤) ، والتأديب ، كما هو معروف ، كان للاطفال ، وليس للبالغين الذين كان مدرسوهم يسمون " شيوخا أو أساتذة " . هذا ولم أستطع الاهتداء الى معرفة أي شخص آخر ممن تولى

تأديب ابن المستوفي في صباه ، ولعل محمد بن يوسف البحراني الاربلي ، المتوفى في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، كان أحد هؤلاء المؤدبين ، لانه مات وابن المستوفي لم يتجاوز سن الحادية والعشرين ، فلربما تتلمذ عليه في صباه . وقدحاولتُ في هذا الفصل ، أن استقصي – على قدر الامكان – أسماء هؤلاء الشيوخ ، على أنني لا أطمع في كتابة " مشيخة " لابن المستوفي ، والمشيخة – كما هو معروف – هي معجم الشيوخ الذين درس عليهم أحد العلماء أو الذين أجازوه أو الذين سمع عليهم ، لان ذلك أكبر من أن أقوم به فى دراستي هذه ، لاسيما وان بعض المشيخات بلغت العشرين مجلداً ، كمشيخة ابن الساعي (كشف الظنون ص ١٦٩٧) ، بينما اشتملت مشيخة ابن النجار على ٣٠٠٠ شيخ و٤٠٠ امرأة (معجم ابن الفوطي ١ / ١٣٥ – ١٣٦ حاشية) ، وتضمن معجم شيوخ الذهبي ١٣٠٠ شيخ (الوافي ٢ / ١٦٤) ، وان معجم شيوخ السلفي ، من الاصفهانيين فقط بلغ ٦٠٠ (معجم السفر – مقتطفات نشرها الدكتور إحسان عباس ص ٦) ، فى حين ان مشيخة ابن الفوطي (المعجم ١ مقدمة ص ٤٥) احتوت على ٥٠٠ شيخ ، بل ان ابن المستوفى - مخ ورقة ١١٨ أ و١٦٧ أ) نقل عن أسحق بن محمد المصرى الهمزاني قوله بأن عدد شيوخه قد بلغ الالف ، وقال مثل ذلك عن عدد شيوخ إسماعيل بن عبد الله الانماطي (مخ ورقة ٧٢ ب) .

وانني ، ولاشك ، لو تصديت لاحصاء شيوخ ابن المستوفي ، لبلغوا المئات عداً ، إذ كان حريصا جداً على السماع من المشايخ الواردين الى إربل ، "فانه كان يعتمد القراءة بنفسه " ، كما يقول ابن خلكان وانه لم يصل الى إربل أحد الفضلاء ، إلا وبادر الى زيارته وحمل اليه مايليق بحاله ، ويقرّب الى قلبه بكل طريق ، وخصوصا أرباب الادب ، فقد كانت سوقهم لديه نافقة " (ابن خلكان ٣ / ٢٩٤ – ٢٩٨ وموسوعة البستاني ١ / ٦٨٨) . وهذا واضح كل الوضوح مما تجده في " تاريخ إربل " نفسه ، فلم يكن المؤلف يضيع الفرصة إلا نادراً ، وكان حريصا على مقابلة كل وارد الى إربل ، سواءٌ علت منزلته أوصغرت ، أكان شيخا أوشابا (قرأ على القطيعي "كتاب البخارى " وكان شابا ، كما سمع الحديث من المطهر النو زكاتى ، وكان شابا فقيراً لايملك غير أجزاء الحديث ،

وروى الشعر عن العباس بن بزوان ، وهو فقير لايملك طعام ليلة - مخطوطتنا ورقة ٢٩ أ و ٥٥ ب و٢٢٧ أ) ، أكان حراً أو رقيقا ، أكان رجلا أو امرأة ، أكان قارئا أومحدثا ، أكان مؤرخا أو أديبا ، فالكل عنده سواء ، ولكل مكانته فى عالم المعرفة ، بل انه كان يسمع حتى من الذين لايرتاح لاخلاقهم (مثل ابن المشتري الذي قال عنه " في أخلاقه زعارة " - مخ ورقة ١١٣ ب) ، وان نظرة عجلى على أسماء الذين اتصل بهم - ممن أنا ذاكرهم بعد - تعطي فكرة أكثر وضوحا عما ذهبت اليه .

٢- مدرسوه وشيوخه

ولغرض الوقوف على الثقافة التى نالها ابن المستوفي ، أرى من المناسب التحدث عن مدرسيه وأساتذته ، ولكن بصورة موجزة ، ومنهم .

أ / الفرضي البغدادي :

سبق وتقدم ذكر مؤدبه الأول ، محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي . وأضيف هنا بأن الفرضي ، عقب مغادرته لاربل التحق بخدمة الملكين الايوبيين المغيث والقاهر ، ولدي العادل . وقد توفى بالقاهرة في سنة ٦٠٢ هـ / ١٣٠٥ م (الوافي ١ / ١٤٣) ، كذلك ترجم له ابن الشعار ، وأضاف على نسبة " الاربلى "

ب / البحراني الاربلي :

هو محمد بن يوسف بن محمد بن قائد ، الملقب بموفق الدين الاربلي الشاعر . كان إماما مقدما في علم العربية ، ومن العارفين الحاذقين بالعروض ونقد الشعر ، والمشهورين بمعرفة جيده من رديئة ، اشتغل بعلوم الأوائل وحل " كتاب اقليدس " . وقد كان شيخ مؤلفنا الذى اشتغل عليه بعلوم الشعر ، وبه تخرج ، وقد سماه " شيخنا " (مخ ورقة ١٠٩ ب) ، وقال السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) أنه قرأ عليه عيه القرآن والادب ، وقد رحل البحراني الى شهرزور ، ثم الى دمشق حيث مدح صلاح الدين . وله قصيدة في مدح زين الدين يوسف ، صاحب إربل (ذكر اليافعي في مرآته ٣ / ٤٣١ بأن القصيدة في مدح " أبي المظفر " صاحب إربل . ولا أدري من يعني ، ولعله ، أراد مظفر الدين كوكبوري) وهي طويلة - كما يقول أبو الفداء - اقتبس منها هذه الأبيات :

ربَّ دار بالحمى طال بلاهـا | عكف الركب عليهـا فبـكاها
كان لي فيها زمان وانقضـي | فسقى الله زمـاني وسـقاها
قل لجيـر ان مواثيقهـمُ | كلما أحكمتهـا رثت قـواها
كنت مشغوفا بكم إذ كنتـمُ | شجراً لايبلغ الطيـر ذر اها
واذا ماطمـع أغـرى بكـم | عرض البأس لنفسـي فثناها
فصبابـات الـهوى أولها | طمع النفس وهـذا منتهاهـا
لاتظنـوا بـي اليكم رجعـة | كشف التجريب عن عيني عماها
أن زين الدين أو لانـي يـداً | لم تدع لى رغبة فيما سـواها

وكان والد البحراني تاجراً يتردد الى البحرين ، لتحصيل اللالئ من المغاصات ، وقد توفي الشاعر في سنة ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م (أبن خلكان ٤ / ١٠٢ ، وتاريخ أبى الفداء ٣ / ٧٧ ومرأة اليافعى ٣ / ٤٣١ وبغية السيوطى ١ /٢٨٦) .

ت / الماكسيني :

هو مكي بن ريان الماكسيني الموصلى النحوى الضرير . درس ببغداد وأخذ العربية عن أبى محمد بن الخشاب والكمال الانباري ، كما أخذ عن يحيى بن سعدون القرطبي الكثير من القراءات واللغات ، فدرس وأقرا الناس ، وسافر الى الشام وانتفع به كثيرون ، وقد ذكر ابن خلكان (٤ / ٣٦٥) بأن ابن المستوفي اشتغل عليه بالموصل ، وسماه ابن سعيد (الغصون ص ٨٣) باستاذ ابن المستوفي ، وقد نعتـه ابن المسـتوفي نفسه بـ "شيخنا" (مخ ورقة ١٤٨ ب و١٨٣ ب) . وقد ذكر السيوطى (بغية ٢ / ٢٧٢) بأن المؤلف قد قرأ عليه القرآن والأدب ، توفي الماكسيني بالموصل فى سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (تكملة المنذري ٣ / ١٨٠ ومعجم الادباء ٧ / ١٧٦ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٠٠ ونكت الصفدي ص ٢٩٦ وانباه الرواة ٣ / ٣٢٠ وتاريخ ابن الساعي ص ٢١٦ وذيل الروضتين ص ٥٨ ومسالك الابصار ٤ / ٢ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٤٦ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥١٩ و٥٣٩ و٣ / ٤٠ وطبقات الجزرى ٢ / ٣٠٩ وشذرات ٥/١١ وبغية السيوطى ٢ / ٢٩٩ وتكملة ابن الصابوني ص ٢٦٣ وفهرس مخطوطات الموصل ص ١٢ ومخطوطتنا ورقة ٢٥ أ و١٤٨ب و١٨٣ ب) .

ث / الخزاعي :

هو المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي المقرئ ، المتوفي باربل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ، كان من الزهاد ، وقد انقطع لتعليم القرآن الكريم ،كما انه سمع الحديث ، وله إجازات كثيرة . وقد أثنى عليه كثيراً ابن المستوفي وترجم له (مخ ورقة ٦ - ٩) . وقد ذكره في عدة مواضع من " تاريخ إربل " . وكان يسميه دائما " شيخنا " (مخ ورقة ٦ أ و٩أ و٧٢ أ و٧٤ب و٨٤ أ و١٣٧ ب) .وروى عنه بعض الحديث والشعر ، الا انه لم يذكر الموضوع الذي درسه على الخزاعي هذا ، ولعله قرأ عليه القرآن ، إذ كان مقرئا منقطعا لتعليمه (تكملة المنذري٣ / ٣٩) . وقد دعا الله ابن المستوفي مرة (مخ ورقة ٦ ب) ، ان يعيد عليه بركة " أدب " الخزاعي ، ومعنى هذا انه قد أدبه . ولا أظنه يعني انه درس عليه الأدب ، إذ ليس للأدب بركة على ما اعتقد .

ج / صاعد الواسطي :

هو الشيخ صاعد بن علي الواسطي الواعظ . ولد في سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢م ، وقد سمع الحديث ببغداد على الأئمة المعروفين ، ثم خرج منها بعد سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وأقام باربل وصار له بها قبول ،وحدث بها كثيراً . وقد قرأ عليه باربل المؤرخ ابن الدبيثي . كما نقل عنه ابن المستوفى أحاديث وأخباراً في مواضع عدة ، وكان يسميه " شيخنا "(مخ ورقة ٥٩ ب و١٣٨ أ) ، وسمع منه أيضا (مخ ورقة ٧٧ ب و ٨١ أ و١٣٨ أ) ، الا أنه لم يذكر ماذا درس عليه ، توفي صاعد في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (المختصر المحتاج ٢ / ١١٣ ، ومخطوطة ابن الشعار ٢ ورقة ١٧٤ ومخطوطتنا ورقة ٣ أ و١٣ أ وب و١٨ أ ، ٣٤ أ و٤٤ أو ٧٧ب و ٨١ أ و١١٣ ب و١٥١ ب و ١٦١ أ و١٩٤ ب) .

ح / أميرى بن بختيار الاشنهي :

فقيه زاهد من أهل التصوف ، أقام باربل حتى وفاته بها في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م . وقد أثنى عليه ابن المستوفي ، وروى عنه بعض الحديث ، وسماه " شيخنا " (مخ ورقة ١٢٣ ب و٢٠٢ أ) وترجم له . كان لقبه " القطب " (تكملة المنذري ٤

/ ٢٧٥ وطبقات السبكي ٨ / ١٣٢ ومخطوطتنا ورقة ١١ - ١٢ ب و١٥٠ أ) .

خ / عبد اللطيف السُّهْرَوردى :

هو من أولاد عبد القاهر السهروردي ، وكان عبد القاهر من كبار مشايخ الصوفية المشهورين ببغداد ، وقد اتصل عبد اللطيف هذا بصلاح الدين ، فقدّمه وولاه قضاء كل بلد افتتحه بالساحل ، علاوة على الامامة والخطابة (مرآة السبط ٨ / ٣٩٥) . وقبل وفاته سكن إربل ، وبها لقي حظوة كبيرة لدى كوكبوري ، وكان يعقد مجالس السماع فيحضرها كوكبوري وكبار رجال الدولة والعلماء . وقد قرأ عليه ابن المستوفي كتابا من تصنيفه ، وسمع عليه الحديث ، وأجاز له . وكان يسميه أيضا " شيخنا " (مخ ٤٢ ب و٤٣ب و٦٧ب و١١٨ أ و١٦٨ ب) . توفي باربل في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (تاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٧٧ ومخطوطتنا ورقة ٧٦ - ٧٧ وتكملة المنذري ٤ / ٦٦ وطبقات السبكي ٨ / ٣١٢ وطبقات الاسنوي ٢ / ٦٦ ولسان الميزان ٤ / ٥٤) .

د/ نصر الله الهيتى :

هو نصر الله بن سلامة الهيتي المقرئ . شيخ صالح محدث ، حدث ببغداد والموصل وأثنى عليه ابن المستوفي وسمع عليه ، وقد قال بأنه أخذ عنه كثيراً من أجزائه ، وسماه " شيخنا " (مخ ورقة ٣٨ أ و٧٧ ب) ، توفى الهيتي في سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م (تكملة المنذري ٢/٣٥٢ ومعجم ابن الفوطى ١ / ٥٤٦ ومخطوطتنا ورقة ٣٨ - ٣٨ ب و ١٧١ ب) .

ذ/الحسين الضرير :

هو الحسين بن أبي صالح بن فناخسرو الضرير التكريتي ، من أهل بغداد . كان من المحدثين البارزين في زمانه ، وقد حدث بالموصل وإربل ، وخصوصا بصحيح البخاري . وقد قرأ عليه ابن المستوفي الكتاب المذكور في منزله - أي منزل ابن المستوفي باربل - في مجالس ، آخرها في مستهل ربيع الآخر من سنة ٦١٤ هـ / آب ١٢١٧ م ، بحضور جماعة من أهل الحديث ، أثبت أسماءهم في النسخة المحفوظة لديه (مخ ورقة ٩٠ أ وقد أشار ابن الفوطي ، معجم ١/٥٠٧ و٢/٨٤١ ، و٣/٥٨٠ - الى هذا السماع) . توفي

الحسين هذا بالموصل في سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (مخطوطتنا ورقة ٩٠ أ - ٩٠ ب والمختصر المحتاج ٢ / ٤٧) .

٣- من أجاز الابن المستوفي أو من قرأ عليهم :

ذكر ابن المستوفي في ثنايا تاريخه - وبصورة عارضة - أسماء من أجازوه ومن قرأ عليهم ، وفيما يأتي ذكر لبعض من استطعنا استقصاء ذكره . والجدير بالذكر انه ذكر (مخ ورقة ٣٢ب) قراءته على شخص اسمه ابوالبركات محمد بن عمر القزاز ، وهو شخص لم أهتد الى معرفة هويته .

أ / ابن الجوزي :

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي ، المعروف بابن الجوزي ، المؤرخ المشهور ومصنف كتاب : المنتظم " وعدد من الكتب الاخرى . وهو من فقهاء الحنابلة البارزين ، وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٢ أ) انه أجاز له الرواية من تاريخه (وهو المنتظم) . وقد توفي ابن الجوزي في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م (المختصر المحتاج ٢ / ٢٠٥ وتكملة المنذري ٢ / ٢٩١ ومرآة السبط ٨ / ٤٨١ وذيل الروضتين ص ٢١ وعبر الذهبي ٤ / ٢٩٧ والتذكرة له ٤ / ١٣٤٢ ونجوم ابن تغري ٦ / ١٧٤ وطبقات الجزري ١ / ٣٧٥ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٨ وشذرات ٤ / ٣٢٩ والرسالة المستطرفة ص ٣٩) .

ب / العماد الاصفهاني :

هو محمد بن حامد الاصفهاني ، الكاتب المعروف وصاحب المؤلفات الشهيرة ، ومنها " خريدة القصر " و"الفتح القسي" ، وقد كان كاتبا لصلاح الدين . وذكرابن المستوفي بأنه أجازه الرواية من كتاب لم يذكر اسمه (مخ ورقة ٢ب) . توفي العماد في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م معجم الأدباء ٧ / ٨١ والمختصر المحتاج ١ / ١٢٢ وكامل ابن الاثير ١٢ / ٧١ وتاريخ ابن الساعي ص ٦١ وابن خلكان ٤/٢٢٣ ومعجم ابن الفوطي ٢/٨٤٥ وتكملة ابن الصابوني ص ٢٢٥ والوافي ١ / ١٣٢ ، وطبقات السبكي ٤ / ٩٧ ط حسينية، وتكملة المنذري ٢ / ٢٨٨ والروضتين ١ / ١٤٢) .

ت/الزرزاري :

هو أحمد بن عثمان الكردى الزرزاري ، من أهل إربل . كان من الائمة الزاهدين وأهل العلم والورع . سمع الحديث وبرز في القراءات ، وصنف فيها أكثر من كتاب ، وقد حدث بالموصل وإربل ، وسمع عليه ابن المستوفي ، وسأله أن يجيزه ، فأجازه (مخ ورقة ٤ ب) . توفي الزرزاري باربل في سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م (مخطوطتنا ورقة ٤ – ٦ تكملة المنذري ١ / ٤٢٦) .

ث / علي بن عثمان :

هو علي بن عثمان اليُوهْرِزى المعروف بابن القاضي ، وكان من المتصوفة . زار إربل في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م أو في السنة التي بعدها ، وحدّث بها ، وأجاز لابن المستوفي جميع مايجوز له روايته عنه (مخ ١٤ ب) ، ويقول ابن المستوفي انه سمع عليه أحد الاجزاء من روايته ، ثم رآه شيخا مغفلا فترك الرواية عنه (مخ ورقة ١٣ ب) . هذا ولم أهتد الى تاريخ وفاة علي هذا ، ولا الى أى ذكر له في المراجع المتيسرة ، عدا ترجمته في مخطوطتنا (ورقة ١٣ ب – ١٤ ب)

ج / القاضي المراغي :

هو عبد المحسن بن شفا الحميري ، قاضي مراغة . ورد إربل عدة مرات ، وحدّث بها . وقد قرأ عليه ابن المستوفي في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م بعض الحديث (مخ ورقة ٢٦ ب – ٢٧ ب) . الا انني لم أهتد الى تاريخ وفاة المراغي هذا ، كما انه ليس له ذكر في المراجع المتيسرة .

ح / عبد العزيز الجيلي :

هو عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلى ، ووالده هو الصوفي الكبير المعروف . سمع عبد العزيز الحديث ورواه ، وحدث باربل ، وقد قرأ عليه ابن المستوفى (مخ ورقة ٣٣ أ و٣٤ أ) . الا انني لم أهتد الى تاريخ وفاته ، وقد ذكر ابن الدبيثي انه ؛ ولد في سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م (مخطوطة كمبرج ورقة ٦٢) .

خ / قاضي بيلقان :

هو خداذاذ بن أبي القاسم بن خداذاذ البيلقاني ، قاضي بيلقان . كان فقيهاً زاهداً ، وقد ورد إربل عدة مرات ، ولقيه ابن المستوفي في سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ، وأخذ عنه وقرأ عليه (مخ ورقة ٣٦ ب – ٣٧ ب) . الا انني لم أهتد الى تاريخ وفاته . ترجم له ابن الفوطي (معجم ٣ / ٥٢٥) وسماه " هبة الله بن ابي القاسم بن هبة الله " .

د/ محمد الواسطي :

هو محمد بن محمد الواسطي الشاعر ، وقد أجاز لابن المستوفي رواية أشعار رواها هو بدوره عن الزاهد محمد بن البستي (مخ ورقة ٤٤ ب) . هذا ولم أهتد الى ترجمة الواسطي الشاعر في المراجع المتيسرة .

ذ / الرهاوي :

هو عبد القادر بن عبد الله الرهاوي ، من أئمة الحديث ، وقد ولي التحديث بدار الحديث المظفرية في الموصل . رحل في طلب الحديث ، وبرز فيه وسمع عليه ابن المستوفي ، وأجاز له . توفي الرهاوي في سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م (مخ ورقة ٥٤ ب – ٥٥أ وتكملة المنذري ٤ / ١٦٠ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٣٨٧ وذيل الروضتين ص ٩٠ وشذرات ٥/٥٠ ومرآة اليافعي ٤ / ٢٢ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٦٩ وطبقات ابن رجب ٢ / ٨٢ ونجوم ابن تغرى ٦ / ٢١٤ وبلدان ياقوت ٢ / ٨٧٧ والرسالة المستطرفة ص ١٠٤) .

ر/ الخرّاط :

هو أحمد بن المظفر الخّراط المتزهد ، ويبدو انه إربلي ، قرأ عليه ابن المستوفي بعض الأجزاء (مخ ورقة ٦٥ أ) . ولكنني لم أهتد الى شيء من أخباره في المراجع المتيسرة .

ز/ ابن طبرزذ :

هو عمر بن محمد البغدادى الدارقزى ، المعروف بابن طبرزذ المحدث المشهور . وقد أشار ابن المستوفي على كوكبوري باستقدامه من بغداد ، ليسمع الحديث في دار

الحديث المظفرية باربل . وقد قرأ عليه أبن المستوفي . توفي ابن طبرزذ في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م (مخ ورقة ٦٩ب -٧١أ و٩٤ أ و ب وابن خلكان ٣ / ١٢٥ وذيل الروضتين ص ٧٠ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١١٤ وتكملة المنذري ٣ / ٣٣٤ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٦١ وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٢ وشذرات ٥ / ٢٦ ونجوم ابن تغرى ٦ / ٦٠٧ وعبر الذهبى ٥ / ٢٤ وميزان الاعتدال له ٣ / ٢٢٣ ولسان الميزان ٤ / ٣٢٩) .

س / ابن الاخضر :

هو الحافظ عبد العزيز بن محمود ، المعروف بابن الاخضر الجُنابّذي البغدادي . سمع الحديث ، وصنف الكتب ، وكانت له حلقة بجامع القصر ببغداد يقرأ فيها الحديث ، أثنى عليه المؤرخون وأهل الحديث ، وسماه الذهبى " محدث العراق " وسمع عليه عدد من المشاهير ، كابن الدبيثي وابن النجار . ولكل من ياقوت الحموي والمنذري منه إجازة .وقد ذكره ابن المستوفي ، وذكر مكاتبته له وسماه " شيخنا " (مخ ورقة ٥٤ أ) . توفي ابن الاخضر في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٥ م (تاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٦٣ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٢٦ وذيل الروضتين ص ٨٨ وتكملة المنذري ٤ / ١٣٥ وعبر الذهبى ٥ / ٣٨ والتذكرة له ٤ / ١٣٨٣ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٦٨ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ١٢٢ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٧٩ ونجوم ابن تغرى ٦ / ٢١١ وشذرات ٥ / ٤٦ وبلدان ياقوت ٢ / ١٢١) .

ش / ابن البرني :

هو إبراهيم بن المظفر الحربي الواعظ ،من أهل بغداد . أقام بالموصل وتولي مشيخة دار الحديث المهاجرية بها . وقد زار إربل . فلقي تكريما من كوكبوري الذي حضر مجلس وعظه بالقلعة . وذكر ابن المستوفي انه سمع عليه باربل والموصل توفي ابن البرني في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخطوطتنا ورقة ٦٧ أ - ٦٨ أ والمختصر المحتاج ١ / ٢٣٦ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٤٩ والوافي ٦ / ١٤٧ ومشتبه الذهبي ص ٣١ و١٠٠ والعبر له ٥ / ٨٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٠٩ وشذرات ٥ / ٩٩ ، ولسان الميزان ١ / ١١١ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ١ ورقة ٢٦) .

ص / ابن الاثير :

هو علي بن محمد الجزري الشيباني ، المعروف بابن الاثير المؤرخ الشهير ومصنف " الكامل " وغيره . كان إماما في الحديث والتاريخ والأنساب ، وقد ذكر ابن المستوفي قراءته عليه بالموصل (مخ ورقة ٥ ب) . توفي ابن الاثير في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م (ابن خلكان ٣ / ٣٣ وعبر الذهبي ٥ / ١٢٠ وطبقات الاسنوى ١ / ١٣٢)

ض / حنبل الرصافي :

هو حنبل بن عبد الله البغدادي الحنبلي ، وراوي : مسند أحمد بن حنبل " وهو أيضا ممن أشار ابن المستوفي على كوكبوري باستقدامه من بغداد ليسمع الحديث باربل ، وقد وردها صحبة ابن طبرزذ أنف الذكر . وقد قرأ عليه ابن المستوفي ، توفي حنبل في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م (مخطوطتنا ورقة ٧٠ ب و٧١ أ - ب وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٢ والمختصر المحتاج ٢ / ٥٤ وتكملة المنذري ٣ / ١٩٤ وتاريخ ابن الساعي ص ٢٤٥ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٨٤ ومرآة السبط ٨ / ٥٣٦ وذيل الروضتين ص ٦٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٠ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠) .

ط/ القزويني :

هو محمد بن أحمد بن إسماعيل القزويني، من الرحالين الذين وردوا إربل عدة مرات، وقد نقل عنه ابن المستوفي بعض الحديث والاخبار ، وقرأ عليه كتابا من تأليفه عن حياة " الخضر والياس " ، بدار الحديث باربل بحضور كوكبوري نفسه . توفي القزويني في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (مخطوطتنا ورقة ٧٧ ب - ٧٩ ب والمختصر المحتاج اليه - المستدرك ٢ / ٢٣٧ وتكملة المنذري ٤/ ٢٧٠ وميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ٤٦٤) .

ظ / الخطيب الطوسي :

هو عبد المحسن بن عبد الله الطوسي ، خطيب الموصل ، وهو من بيت الحديث والخطابة بالموصل . قرأ عليه ابن المستوفي وأجاز له غيره مرة . توفي عبد المحسن في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخطوطتنا ورقة ٨١ ب - ٨٢ أ وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٩٨ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٤ ورقة ٤٥ ولسان الميزان ٤ / ٥٦) .

أبو الفتح الجصاص :

هو محمد بن عيسى الجصاص البغدادي ، من أهل الحديث ، ورد إربل وقرأ عليه ابن المستوفي ، توفي الجصاص في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م (مخطوطتنا ورقة ٨٥ أ - ب والمختصر المحتاج ١ / ١٠٤ وتكملة المنذري ٤ / ١٠٥ وتاريخ ابن المكرم - مخ كمبرج ورقة ٢٦) .

غ / ابو الفضل الطبري :

هـو منصور بن أبي الحسن ، المعروف بالدِّيْنِّي المخزومي . ورد إربل وأسمع الحديث بها ، وقد كتب اجازة لابن المستوفي . توفي منصور هذا في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م (مخطوطتنا ورقة ٨٧ أ - ب ومعجم ابن الفوطي ١ / ٣٦٥ وتكملة المنزري ٢ / ١٦٠ وطبقات السبكي ٧ / ٣٠٥ ونجوم ابن تغري ٦ / ١٥٤ ولسان الميزان ٦ / ٩٢ وشذرات ٤ / ٣٢١) .

ف / عمر السُّهْرَوردي :

هو عمر بن محمد السهروردي البغدادي ، الصوفي المعروف ، وصاحب المنزلة العالية لدى الخلفاء ، ومصنف العديد من الكتب . ورد إربل غير مرة رسولا من ديوان الخلافة . وقد قرأ عليه ابن المستوفي ، توفي السهروردي في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م (مخطوطتنا ورقة ٨٨ - ٨٩ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٥ ورقة ١٥٤ وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ١١٧ والحوادث الجامعة ص ٧٤ وابن خلكان ٣ / ١١٩ وذيل الروضتين ص ١٦٣ وبلدان ياقوت ٣ / ٢٠٤ وطبقات السبكي ٨ / ٣٣٨ وعبر الذهبي ٥ / ١٢٩ والتذكرة له ٤ / ١٤٥٨ ، وطبقات الاسنوي ٢ / ٦٣ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٨٣ ومرآة اليافعي ٤ / ٧٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٤٣ وشذرات ٥ / ١٥٣) .

ق / مسمار التيار :

هو مسمار بن عمر النيار البغدادي ، المقرئ الحائك . سمع الحديث ، وورد إربل وحدث بها . وقد قرأ عليه ابن المستوفي . ولقيه ياقوت الحموي بالموصل وروى عنه . توفي مسمار في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ٩١ أ - ب ومعجم ابن

الفوطي ١ / ٥٣٧ وبلدان ياقوت ٢ / ٥٥١ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤٠٣ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٥٤) .

ك / المقرئ الشهر ستاني :

هو إسماعيل بن إبراهيم الشهرستاني البغدادي ، من أهل الحديث . ورد إربل وحدث بها ، وقرأ عليه ابن المستوفي ، توفي الشهرستاني في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م (مخطوطتنا ورقة ١٠٥ ب - ١٠٦ أ والمختصر المحتاج ١ / ٢٣٨ وعلماء بغداد للفاسي ص ٣٢) .

ل / عبد الوهاب البغدادي :

هو عبد الوهاب بن هبة الله ، المعروف بابن حبّة البغدادي ، من أهل الحديث المعروفين . وقد توفي بحران في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م . وقد أجاز لابن المستوفي (مخطوطتنا ١٠٨ أ وتاريخ ابن النجار - مخ كمبرج ورقة ٢٢١ وتكملة المنذري ١ / ٣٠٨ ومشتبه الذهبي ص ٢١٣ والعبر له ٤ / ٢٦١ وشذرات ٤ / ٢٩٣ و٥/١٨٦)

م / ابن عساكر :

هو علي بن القاسم الدمشقي ، المعروف بابن عساكر ، حفيد مؤرخ دمشق المشهور . من أهل الحديث الراحلين فيه . ورد إربل وحدّث بها ، وقرأ عليه ابن المستوفي ، فأجاز له وروى عنه (مخ ورقة ١١٢ أ و١٢٨ ب) . توفي علي هذا في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ١١١ ب - ١١٢ ب وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٤٧ وذيل الروضتين ص ١٢٠ - ١٢١ وتكملة المنذري ٤ / ٣٨٤ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ١٢٤ ومعجم ابن الفوطي ٢ / ٧٨٧ وعبر الذهبي ٥ / ٦٢ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٨٥ وطبقات السبكي ٨ / ٢٩٦ ومرآة اليافعي ٤ / ٣٥ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٤٦ وشذرات ٥ / ٦٩) .

ن / راجية بنت عبد الله :

وقيل اسمها رومية أيضا ، وهي جارية أرمنية الاصل أعتقها عبد اللطيف السهروردى آنف الذكر ، وكانت أم ولده . وقد سمعت الحديث مع مولاها ، وقدمت معه الى إربل ، فقرأ عليها ابن المستوفي . وقد توفيت باربل في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخطوطتنا ورقة ١١٣ أ) .

هـ / ابن المشتري :

هو عبد الرحمن بن المبارك الحلي ، المعروف بابن المشتري ، من محدثي بغداد ، زار إربل ونزل بأحد ربطها ، وقرأ عليه ابن المستوفي وروى عنه . توفي عبد الرحمن هذا في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخطوطتنا ورقة ١١٣ أ - ١١٤ ب ، وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٤٥ ومشتبه الذهبي ص ٤٨٣) .

و / ابن بُصْلا :

هو عبد الحميد بن أبي المكارم البندنيجي ، المعروف بابن بصلا . قدم إربل عدة مرات ، وحدّث بها ، وكان له رسم من كوكبوري . وقد قرأ عليه ابن المستوفي وروى عنه . توفي عبد الحميد هذا في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م ، (مخطوطتنا ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ ب وتكملة المنذري - مخ كمبرج ورقة ١١٦) .

لا / الواعظ الغزنوي :

هو أحمد بن علي الغزنوي الواعظ . روى الحديث ببغداد ، وأجاز لابن المستوفي ، وروى عنه . توفي الغزنوي في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م (مخطوطتنا ورقة ١٢٨ ب - ١٢٩ ب والمختصر المحتاج ١ / ٢٠٠ ومشتبه الذهبي ٣٦٣ ولسان الميزان ١ / ٢٣٢) .

ى / ابن التانرايا :

هو عبد الرحمن بن علي البغدادي ، المعروف بابن التانرايا . ورد إربل عدة مرات ، وصنف كتابا في سيرة ملكها . وقد أجاز لابن المستوفي . توفي عبد الرحمن هذا في سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م (مخطوطتنا ورقة ١٥٦ - ١٥٧ وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٤٠ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٧٣ ط الفقي وشذرات ٥ / ١١٩) .

أا / الرُّوذْرَاوَرِي :

هو محمد بن أحمد الهذباني . قدم إربل في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، وقرأ عليه ابن المستوفي . الا انني لم أهتد الى تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ١٦٤ ب) .

أب / الكاشغرى :

هو إبراهيم بن عثمان الكاشغري ، من أهل الحديث ، ولي مشيخة المدرسة

المستنصرية ببغداد ، وورد إربل ، ولم يلقه ابن المستوفي ، الا انه أجاز لابن المستوفي الذي روى عنه بعض الحديث والاخبار ، روايةً عن بدل بن أبي المعمر التبريزي ، توفي الكاشغري في سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م ، (مخطوطتنا ١٦٧ أ - ١٦٨ ب وجواهر القرشي ١ / ٤٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٨٥ ومرآة اليافعي ٤ / ١١٢ ولسان الميزان ١ / ٧٩ والوافي ٦ / ٥٥ وشذرات ٥ / ٢٣٠) .

أت / أبو عبد الله الواسطي :

هو محمد بن حسان بن أحمد الواسطي ، ورد إربل في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، وسمع عليه ابن المستوفي ، وأجاز له إجازة شاملة . لكنني لم أهتد الى تاريخ وفاته . (مخطوطتنا ورقة ١٧٤ أ) .

أث / الهذباني :

هو أحمد بن محمد الهذباني الاربلي ، المجاور بالحرم المكي ، وقد عاد الى إربل وقرأ عليه ابن المستوفي . الا انني لم أهتد الى تاريخ عودته لاربل ولا الى تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ١٧٥ ب) .

أج / السيبي :

هو عثمان بن إبراهيم السيبي الخباز ، من أهل الحديث ، قدم إربل وحدّث بها ، وأجاز لابن المستوفي إجازة شاملة ، توفي عثمان هذا في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (مخطوطتنا ورقة ١٧٦ ب وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ١٢٢ وتاريخ ابن النجار - مخ كمبرج ورقة ٣٧ وتكملة المنذرى ٤ / ٦٩) .

أح / الأثري :

هو عبد الكريم بن منصور الأثري الموصلي ، من أهل الحديث ، ورد إربل ، الا انه لم يلق ابن المستوفي - رغم انه رآه - وانما أجازه (مخ ورقة ٢٢٥ أ) . توفي الأثري هذا في سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م (مخطوطتنا ورقة ٢٢٤ أ - ٢٢٦ ب وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٥ ورقة ١٩٨ وتكملة ابن الصابوني ص ١٤ ، ومشتبه الذهبي ص ٣ وشذرات ٥ / ٢٠٨) .

أخ / أبو محمد الموصلي :

هو عبد الله بن الحسن النخعي الموصلي ، من الشهود العدول وكُتّاب الشروط بالموصل . سمع الحديث ودرس القراءات . ورد إربل رسولا من صاحب الموصل ، وقد قرأ عليه ابن المستوفي بالموصل في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، توفي عبد الله هذا في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (مخطوطتنا ورقة ١٤ ب – ١٧ ب وعقود ابن الشعار – مخ استانبول ٣ ورقة ١٤٤ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٤٨٥) .

أد / القطيعي :

هو محمد بن أحمد القطيعي البغدادي ، من أهل الحديث والتاريخ ، وقد ذيّل على " تاريخ بغداد " تصنيف إبن السمعاني . ورد إربل وقرأ عليه ابن المستوفي " كتاب البخاري " توفي القطيعي في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، (مخطوطتنا ورقة ٥٥ ب – ٥٦ أ والمختصر المحتاج ١ / ١٩ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٢ وبلدان ياقوت ٤ / ١٤٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٩ ولسان الميزان ٥ / ٤٦ ، والوافي ٢ / ١٣٠ ومرآة اليافعي ٤ / ٨٦ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٩٨ وشذرات ٥ / ١٦٢) .

أذ / أبو الفرج الواسطي :

هو محمد بن عبد الرحمن الواسطي ، من أهل الحديث . كان يتردد علي إربل ليحظى بنوال كوكبوري . وقد قرأ عليه ابن المستوفي بعض الحديث . توفي محمد هذا في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م (مخطوطتنا ورقة ٥٨ أ – ٥٩ ب والمختصر المحتاج ١ / ٦٨ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥٢٠) .

أر / المؤدب الموصلي :

هو علي بن منصور بن مكارم ، المؤدب الموصلي ، من أهل الحديث . ورد إربل في سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م ، وقرأ عليه ابن المستوفي وترجم له ، الا أنه لم يذكر تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ٧٤ أ – ب) ، كما انني لم أهتد اليها في المراجع المتيسرة .

أز / ابن خُليفان :

هو علي بن أحمد الهاشمي العباسي البغدادي . قدم إربل وحدّث بها ، وقرأ عليه ابن

المستوفي . توفي ابن خليفان في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (مخطوطتنا ورقة ٧٥ ب - ٧٦ أ وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ١٢٨ وتاريخ ابن النجار - مخ كمبرج ورقة ٥٧٥ وتكملة المنذري ٤ / ٢٩ وميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ١١٤ ولسان الميزان ٤ / ١٩٨) .

أس / ابن السراج :

هو الخضر بن علي الاربلي الصوفي ، نزيل مكة وشيخ الصوفية بها . كان من أهل الحديث ، وقد أجاز لابن الدبيثي ، كما أجاز لابن المستوفي من مكة المكرمة . وكان كوكبوري يشركه في توزيع الصدقات المرسلة الى الحرمين ، توفي ابن السراج في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م (مخطوطتنا ورقة ٨٤ ب - ٨٥ أ والمختصر المحتاج ٢ / ٥٦ وتكملة المنذري ٣ / ٣٦٦ ومعجم ابن الفوطي ٣ / ١٦٧ والعقد الثمين للفاسي ٤ / ٣١٧) .

أش / سبط الهمذاني :

هو محمد عبد الرشيد الهمذاني ، سبط أبي العلاء الهمذاني . كان من أهل الحديث ، وورد إربل عدة مرات وحدّث بها ، وآخرها في سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م . قرأ عليه ابن المستوفي وترجم له ، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته ، وقد بقي حيا حتي سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (مخطوطتنا ورقة ٩١ب - ٩٢أ والمختصر المحتاج ١ / ٨٠) .

٤- سماعات ابن المستوفي :

ان الشيوخ الذين سمع منهم ابن المستوفي ، أو روى عنهم الحديث والاخبار ، عددهم ضخم جداً . ولذلك فليس بوسعي أن أورد أسماءهم جميعا ، وسأكتفي هنا بذكر البارزين منهم ، ممن لم يسبق لي أن ذكرتهم بين شيوخه أوبين الذين أجازوه . الا انني سوف أذكر - إن شاء الله - في آخر هذه الفقرة ، مواضع سماعه على جميع هؤلاء ، لعل بعض القراء يهمهم معرفتهم . وأود أن أذكر بهذه المناسبة ، بأن ابن المستوفي - رغم حرصه على إيراد أسماء من يروى عنهم - فانه في بعض الاحيان - وفي حالات قليلة تمكنتُ من حصرها بحوالي ٢٠ مرة في الكتاب كله - يشير إليهم إشارات غامضة . فيقول مثلا " سمعت بعض أصحابنا يذكر " ، أويقول " حدثني الثقة الصدوق " ، أو

"أخبرني بذلك الثقة " ، أو " أخبرني من أثق به " أو" أخبرني بذلك جماعة من أهل دقوقا" ، أو " حدثني بعض مشايخنا " ، أو " سمعته من غير واحد " ، أو " ذكر انه " ، أو " كما نُقل اليّ " ، أو " حُدثتُ انه " ، أو " وقفني أهل دقوقا على ... " ، أو " ذكر جماعة " ، أو " حدثني بعض أهل مراغة " ، أو " حدثني غيره انه .. " أو يقول : " فيما قيل لي " ، أو "نقل ليّ " ، أو " بلغنا انه " ، أو " سمعت من يذكر انه " ، أو " حدثني من ذكر ان ... " ، أو " حُدثتُ عنه انه " (مخطوطتنا ورقة ١ب و ٣٩ أ و ٥٠ أ و ٧٦ ب و٨٧ أ و٩٠ أو ١٠٠ ب و ١٠٦ ب و ١١٢ ب - ١١٣ ب و١١٥ أ - ١١٦ أ و١١٨ أ ، و١٢٢ أ و١٢٩ أ و١٣٥ أ و ١٥٥ ب و ١٨٦ أ) . وفيما عدا ذلك فانه يورد أسماء الرواة بكل دقة ، وها انني ذاكر أشهر من سمع منهم ابن المستوفي ، أو روى عنهم :

أ / بدل التبريزي :

هو بدل بن محمود التبريزي ، من أهل الحديث الراحلين في طلبه . قدم إربل وحدّث بها ، وتولى مشيخة دار الحديث فيها ، وروى عنه ابن المستوفي كثيراً (مخ ورقة ١١أ،٣٢ أ و٦١ أ و٨٢ ب و ٨٧ب و١٠٤ ب و١٢٢ أ و ١٣٠ أ ، ١٦٧ ب و١٦٨ أ و ١٩٤ ب و ٢٠٢ أ و ٢٢٩ أ و ٢٣٠ أ) . وقد ترك إربل عندما هاجمها التتر في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م وسافر الى حلب ، وبها توفي في سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م (مخطوطتنا ورقة ٦١ أ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٦ والتذكرة له ٤ / ١٤٢٤ ونجوم ابن تغري ٦ / ٣١٤ وشذارات ٥/ ١٨٠) .

ب / كوكبوري :

هو مظفر الدين كوكبوري ، صاحب إربل ، وقد مرت ترجمته في القسم الأول من هذه الدراسة . ويكفي أن أقول هنا بأن ابن المستوفي قد روى عنه بعض الاخبار (مخ ورقة ٢٧ ب و ٤٥ أ و ب و ٥٥ أ و ١٧٤ ب و ٢٢٩أ) .

ت / الخزرجي :

هو علي بن شماس الخزرجي ، كاتب الانشاء باربل ، وأحد وزراء حكومتها ، وقد تقدم ذكره في القسم الاول من هذه الدراسة . توفي في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م . وقد

روى عنه ابن المستوفي (مخطوطتنا ورقة ٢٩ ب و ٣١ أ وعقود ابن الشعار – مخ استانبول ٤ ورقة ٢٠٠ ومعجم ابن الفوطي ٢ / ١١٥٩) .

ث / ابن شحانة :

هو عبد الرحمن بن عمر الحراني ، كان محدثا ومؤرخا ، صنف كتابا في تاريخ حرّان ، ورد إربل وروى عنه ابن المستوفي ، وكان يكاتبه . توفي ابن شحانة هذا في سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (مخطوطتنا ورقة ٣٥ ب و ٤٢ أ و ٧٣ ب ، و٩٥ب و١٠٣ ب و١٤٢ ب و١٤٣ أ و١٤٥ أ وب و١٥٥ أ و ١٦٥ أ – ١٦٦ ب وعقود ابن الشعار – مخ استانبول ٣ ورقة ٢٤٥ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤٣٢ وطبقات ابن رجب ٢ / ٢٤٠ ط الفقي ، وشذرات ٥ / ٢٢٠) .

ج / ابن الدُّبيثي :

هو محمد بن سعيد الواسطي ، المؤرخ المعروف الذى ذيّل على " تاريخ بغداد " تصنيف ابن السمعاني ، ورد إربل وقد روى عنه ابن المستوفي كثيراً ، ونقل من كتابه (مخ ورقة ٤٤ب و ٥١ أ و٥٦ أ و٧٠ أ و ٧١ ب و ٧٣ أ ، و٧٥ ب و٧٦ أ و ٧٨ أ و ٨٣ أ و٨٤ ب و ٨٥ أ و ٨٨ ب و٨٩ ب و ٩١ أ و ٩٦ أ و١٢٥ أ ، و١٣٥ أ و١٣٨ أ و ١٦٩ أ و ١٧٧ أ و ب) . توفي ابن الدبيثي في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ، (مخطوطتنا ورقة ٨٩ ب – ٩٠ أ وعقود ابن الشعار – مخ استانبول ٧ ورقة ٦٤ وابن خلكان ٤ / ٢٨ والحوادث الجامعة ص ١٣٥ وأدباء ياقوت ٦ / ٣٦٥ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤١٤ والعبر له ٥ / ١٠٤ ومرآة اليافعي ٤ / ٩٥ وطبقات السبكى ٨ / ٦١ والوافي ٣ / ١٠٢ وطبقات الجزري ٢ / ١٤٥ وشذرات ٥ / ١٨٥ وفوات الكتبي ١ / ٣٤ وطبقات الاسنوي ١ / ٥٤١ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٠٥ ونجوم ابن تغري ٦ / ٣١٧) .

ح / على بن المبارك المستوفي :

هو عم المؤلف ، الملقب صفي الدين الذي تقدم ذكره فى موضع آخر من هذا القسم . وقد روى عنه ابن المستوفي أكثر من مرة ، ونقل من تعليقاته (مخطوطتنا ورقة ٣٣ أ و٤٥ أ و١٧٤ ب) . الاانني لم أهتد الى تاريخ وفاته .

خ / الخواتيمي :

هو محمود بن علي الصائغ الاربلي ، من الفقهاء والنحويين ، الذين روى عنهم ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٩ ب و ٣٩ ب و ٤٠ أ و ٥٠ ب و٨٤ أ) وأظهر مايدل على احترامه له . توفي محمود هذا في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخطوطتنا ورقة ٨٣ أب – ٨٤ أ وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٩) .

د / ابن الشّعار :

هو المبارك بن أبي بكر بن حمدان الموصلي ، المؤرخ المعروف ، الذي صنف " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " بعشرة مجلدات ، وقد ورد إربل وخدم ابن المستوفي وتتلمذ عليه ست سنوات . وقد روى عنه ابن المستوفي كثيراً من الاخبار (مخ ورقة ٥٣ أ و ٩٢ أ و ب ١٨١ ب و١٨٢ أ و ١٩٢ أ و ٢١٠ ب ،و٢١١ أ و ٢٢٤ب ٢٢٦ أ و ب) . توفي ابن الشعار في سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م (مخطوطتنا ورقة ١٨١ وذيل اليونيني ١ / ٣٣ وعبر الذهبي ٥ / ٢١٩ وشذرات ٥ / ٢٦٦ والتعريف بالمؤرخين للعزاوي ص ٣٥) . أما مصنفه عن الشعراء فلايزال مخطوطا في المكتبة السليمانية باستانبول .

ذ / الاسكندري :

هو أحمد بن أبي القاسم القيسي الاسكندري ، نزيل الموصل . كان فقيها مقرئا محدثا يجمع الشعر ، زامل ابن المستوفي في السماع ، وروى عنه كثيراً . توفي الاسكندري في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م (مخطوطتنا ورقة ٤٤ ب و٦٨ أ ، و٨٢ أ و ٨٥ ب و ٩٠ ب و١٠٣ أ و ٩٥ أ و ١٥٢ أ و١٧٤ ب و١٩٩ أ و ٢٠٤ أ) .

ر / ابن الأصفر :

هو أحمد بن سلمان البغدادي ، من أهل الحديث . ورد إربل وحدّث بها ، وقد سمع عليه ابن المستوفي (مخ ورقة ١٠٥ أ) . توفي ابن الأصفر في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ١٠٤ ب – ١٠٥ ب والمختصر المحتاج ١ / ١٨٢ وتكملة المنذري ٤ / ٤٢٤ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٤٠٠ و٤٦٣) .

س / أحمد بن شجاع :

هو أحمد بن شجاع بن منعة الاربلي ، من طلبة العلم المنقطعين . وقد نقل عنه ابن المستوفي بعض الشعر والاخبار وله بعض المؤلفات . توفي أحمد هذا في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (مخطوطتنا ورقة ٤٥ ب و١٠٣ ب و١٧١ ب و١٧٢ أ و ب و ١٧٤ ب - وترجم له المؤلف في ورقة ١٠٩ ب - ١١٠ب) .

ش / ابن نقطة :

هو محمد بن عبد الغني البغدادي ، المحدث المعروف ومصنف " المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال " . ورد إربل وحدّث بها ، وروى عنه ابن المستوفي توفي ابن نقطة في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (مخطوطتنا ورقة ١١٨ أ - ب وابن خلكان ٤ / ٢٦ ومشتبه الذهبي ص ٥٦١ والتذكرة له ٤ / ١٤١٢ والعبر له ٥ / ١١٧ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٣ وشذرات ٥ / ١٣٣ وبهجة الاسرار للشنطوفي ص ١٢ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٨٢ ومرآة اليافعي ٤ / ٦٨ والوافي ٣ / ٢٦٧) .

ص / ياقوت الحموي :

هو ياقوت بن عبد الله البغدادي ، المؤرخ والبلداني المعروف ، زار إربل ولقي ابن المستوفي ، وأطلعه على كتابه " معجم الادباء " وناقشه في بعض ما أورد في مقدمته ، وروى عنه ابن المستوفي بعض شعره . توفي ياقوت في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (مخطوطتنا ورقة ١٥٧ - ١٦٠ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٩ ورقة ١٧٠ وابن خلكان ٥ / ١٧٨ وعبر الذهبي ٥ / ١٠٦ ومرآة اليافعي ٤ / ٥٩ ولسان الميزان ٦ / ٢٣٩ وشذرات ٥ / ١٢١) .

ض / القومساني :

هو عبد الغفار بن محمد القومساني الأعلمي الصوفي . كان يروي " كتاب الشهاب " للقضاعي . وقد سمع عليه ابن المستوفي في المدرسة المظفرية باربل في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م (مخطوطتنا ورقة ١٦٢ أ وتاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٦٩ وجواهر القرشي ١ / ٣٢٢ و٢ / ٣٢٣ ، وبلدان ياقوت ، مادة " قومسان ") .

ط / ابن المكرم الصوفي :

هو محمد بن هبة الله بن المكرم البغدادي الضرير ، من أهل الحديث الراحلين فيه . ورد إربل وحدّث بها ، وقد سمع عليه كثيرون ، ومنهم ابن المستوفي وابن خلكان وغيرهما (مخطوطتنا ورقة ٢٠٠ ب و٢٠١ أ وابن خلكان ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٣ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٤٦٥ و٤٦٦ و٢/٧١٣ و١٦٨/٣) . توفي ابن المكرم في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (مخطوطتنا ورقة ٢٠٠ أ - ٢٠١ أ والمختصر المحتاج ١ / ١٥٨ ومشتبه الذهبي ص ٥٠٠ والعبر له ٥ / ٨٥ والوافي ٥ / ١٥٥ ، ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٦٠ وشذرات ٥ / ٩٦) .

كذلك سمع ابن المستوفي من ابن أخيه علي بن المكرم المتوفى في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (مخطوطتنا ورقة ٢٠١ أ - ٢٠٢ أ ومشتبه الذهبي ص ٥٠٠) .

ظ / أبو الروح الاندلسي :

هو عيسى بن عبد الله الحميري الاندلسي ، من أهل قرطبة . زار إربل في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م وقد روى عنه ابن المستوفي كثيراً من أشعار أهل الاندلس (مخ ورقة ٢١١ ب - ٢١٥ أ) توفي الحميرى هذا في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (مخطوطتنا ورقة ٢١١ أ - ٢١٥ أ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٥ ورقة ٢٣٧ ونفح الطيب ٢ / ٨٧٧) .

هذا والجدير بالذكر ان ابن المستوفي روى عن عدد من الاندلسيين والمغاربة (انظر مثلا مخطوطتنا ورقة ٢١٥ ب - ٢١٧ أ و ٢٣٠ أ و ب) .

هؤلاء هم أشهر الذين سمع عليهم ابن المستوفي أو روى عنهم ، الا أن هناك عشرات غيرهم من مختلف الفئات ، وقد وردوا الى إربل من سائر أنحاء العالم الاسلامي ، مشرقا ومغربا ولمن أراد المزيد فبوسعه مراجعة مخطوطتنا (ورقة ١ب و ٢ب و ٣أ و ٥ب و ٧أ - ٨ب و ١١أ وب و ١٤ ب - ١٥ ب و ١٦ ب و ١٧ ب ، و١٨ أ و ب و ٢١ ب و ٢٢ب ٠ ٢٤ أ و ٢٦ ب - ٢٧ ب و ٢٩ أ - ٣٣ أ و ٣٤ أ و ٣٥ ب - ٣٩ أ و ٤١ أ - ٤٢ أ و ٤٣ أ و ٤٤ أ - ٤٧ أ و ٥٠ ب و ٥١ أ و ٥٢ أ - ٥٣ أ و ٥٤ أ و٥٥ أ ، ٥٧ أ و ٥٨ أ و ٥٩ أ وب و ٦١ أ وب و٦٧ أ و ٧٢ أ - ٧٣ أ و ٧٥ ب و ٧٨ ب و ٨٠ أ وب و٩٤ أ و ب و ٩٩ب - ١٠١ أ

و ١٠٢ ب – ١٠٤ ب و ١٠٥ ب و ١٠٦ أ و ١٠٧ ب و ١٠٨ ب و ١١١ أ و ١١٢ ب و ١١٥ أ و ب و ١١٦ ب – ١١٧ ب و ١١٩ أ – ١٢٠ أ و ١٢١ ب ١٢٤ أ و ١٢٦ أ و ١٣١ ب و ١٣٤ أ و ب ١٣٥ ب – ١٣٧ أ و ١٣٨ ب – ١٤٠ ب – ١٤١ ب و ١٤٢ ب و ١٤٣ أ ، و ١٤٤ أ و ١٤٦ ب – ١٤٩ ب و ١٥٠ ب و ١٥١ أ و ١٥٢ أ – ١٥٥ ب و ١٦٠ أ – ١٦١ أ و ١٦٢ أ و ١٦٣ أ و ب و ١٦٥ ب – ١٦٦ ب و ١٦٩ أ – ١٧٢ أ و ١٧٤ أ و ١٧٥ أ و ب و ١٧٧ ب ، و ١٧٩ أ – ١٨١ أ و ١٨٢ ب – ١٨٦ أ و ١٨٧ أ – ١٨٨ ب و ١٩١ أ و ١٩٢أ – ١٩٦ ب و ١٩٧ ب – ٢٠٠ أ و ٢٠٢ أ – ٢٠٣ ب و ٢٠٤ ب و ٢٠٦ أ – ٢١٠ أ و ٢١١ أ و ٢١٧ ب – ٢١٨ ب، و ٢٢١ أ – ٢٢٤ أ و ٢٢٧ أ – ٢٢٩ ب و ٢٣١ أ) .

٥- مصادر ثقافية أخرى :

لم تقتصر ثقافة ابن المستوفي على ماكسبه من معلومات عن شيوخه وأساتذته ، أو على ماسمعه من الواردين الى إربل ، بل انه كان دائبا على القراءة ومراجعة الكتب وكل مصدر يقع بين يديه ، سواءٍ أكان كتابا أو حاشية أوتعليقا ، بل وحتي الخطوط المكتوبة على الحيطان ، وكان ينسخ بيده بعض الكتب التي تعجبه ، فالمعروف انه نسخ " ديوان القطامي " و " معاني شعر أبي تمام " للآمدي (اعلام الزركلي – اللوحتان رقم ٨٩٧ – و ٨٩٨ والحركة النقدية للروابدي ص ٥٤٣) ، وقد نسخ الاول في سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م عندما كانْ عمره ١٨ عاما ، ونسخ الثاني في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م عندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وفقا لما ذكره هو في كتابه " النظام " (١ / ٦١٣) . وبهذه الوسيلة استطاع ابن المستوفي أن يحصل على معلومات كثيرة جداً ،نوه عنها في الجزء الذي بين أيدينا من " تاريخ إربل " .

وحيث ان هذه المادة تؤلف جزء مهما من مصادره ، فسوف نرجيء الحديث عنها الى القسم المتعلق بتلك المصادر .

ويكفي هنا أن نقول بأن المؤلف أشار الى أكثر من ١٥٠ مرجعا في جزء واحد فقط من تاريخه ، وهو واحد من مؤلفاته الكثيرة ، مما يدل على سعة اطلاعه ، وهو بلاشك قد

قرأ بعض هذه الكتب ، أو راجعها على الاقل ، وهي تختلف في مواضيعها الى درجة انها شملت أغلب العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصره .

٦- زملاء المؤلف :

ولكي تتم الصورة عن دراسة ابن المستوفي ، رأيت من المفيد ذكر بعض زملائه في الدراسة والسماع ، ممن استطعت الاهتداء الى أسمائهم :

أ / أحمد بن شجاع بن منعة الابلي – وقد تقدم ذكره – كان ممن أخذ النحو عن محمد بن يوسف البحراني ، شيخ ابن المستوفي (مخطوطتنا ورقة ١٠٩ ب) ، وهذا يستتبع ، بطبيعة الحال ، أن يكون زميلا للمؤلف ، لاسيما وكلاهما إربلي .

ب / عمر بن بدر بن سعيد الحنفي الموصلي ، وكان معيداً في إحدى مدارس الموصل . وقد سمع مع ابن المستوفي على المحدث ابن طبرزذ (المصدر السابق ورقة ١١٢ب) . ولعمر هذا كتاب بعنوان " المغني عن الحفظ والكتاب " ، وقد صنف أبو اسحق الجويني الأثري كتابا في نقده سماه " جنة المرتاب " طبع في بيروت في عام ١٩٨٧ م .

ت / محمد بن عبد الغني ابن نقطه – وقد تقدم ذكره – سمع مع ابن المستوفي علي الشيخ عبد اللطيف السهروردي في إربل نفسها (المصدر السابق ورقة ١١٨ أ) .

ث / موهوب بن سعيد بن المبارك البغدادي ، المعروف بابن الجّمال . ورد إربل في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م ، وسمع مع ابن المستوفي علي عبد الرحمن بن المبارك ، المعروف بابن المشتري (المصدر السابق ورقة ١٣٤ ب) .

ج / عبد الرحمن بن محمود الاربلي ، الذي سمع مع المؤلف على نصر الله بن سلامة الهيتي ، وعلى المبارك بن طاهر الخزاعي ، شيخ ابن المستوفي ، وقد مر ذكره (المصدر السابق ١٧١ ب) .

ح / أحمد بن الحسن بن طهير الموصلي ، وقد سمع مع ابن المستوفي في عدة مواضع بالموصل (المصدر السابق ورقة ١٢١ ب) .

خ / العباس بن بزوان الشيباني الاربلي – وكان فقير الحال لايملك عشاء ليلة . وقد سمع الحديث مع ابن المستوفي (المصدر السابق ورقة ٢٢٧ أ) .

د/ ذكر ابن المستوفي (المصدر السابق ورقة ٩٠ ب) انه عُقد مجلس في داره يوم الجمعة التاسع من ربيع الاول سنة ٦١٤ هـ / حزيران ١٢١٧ م لسماع الشيخ الحسين ابن أبي صالح التكريتي – وقد تقدم ذكره – ، وحضر السماع معه كل من :

(١) أحمد بن ابي القاسم القيسي (ذكر المؤلف انه وأحمد هذا سمعا سويه بالموصل على عدة مشايخ – المصدر السابق ورقة ١٥٢ أ) .

(٢) بشير بن إبراهيم

(٣) سعد الله بن عثمان الجمال

(٤) أحمد بن أحمد ، المعروف بحميدة .

(٥) عبد الرحمن بن عثمان البزاز .

(٦) ريحان بن عبد الله الحبشي (فتي الشيخ الحسين التكريتي) .

ذ/ وقد ذكر ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) انه سمع بقراءة ابن المستوفي على المشايخ الواردين الى إربل شيئا كثيراً ، فان ابن المستوفي كان يعتمد القراءة بنفسه . وعلى هذا الأساس يكون ابن خلكان من جملة زملاء المؤلف في السماع .

ر / ونوه ابن الفوطي (معجم ١ / ٥٠٧ و٢/١ ٨٤ و٣/١ ٨١) ببعض القراءات التي قام بها ابن المستوفي – وهي التي أشار اليها ابن خلكان (انظر فقرة ذ – السابقة) – فذكر ان كلّا من :

(١) عمر بن سليمان بن محمد الهكاري

(٢) أحمد بن داود بن بلال الاربلي

(٣) محمد بن عمر بن على الحديثي المحدث .

سمعوا " صحيح البخارى " على الحسين بن أبي صالح التكريتي ، آنف الذكر ، بقراءة الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي في مجالس آخرها في ربيع الآخر سنة ٦١٤ هـ / تموز ١٢١٧ م . (يبدو ان هذه المجالس قد تلت تلك التي أشرنا اليها في الفقرة – د – اعلاه) .

ز / ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٧٦ ب – ٧٧ أ) انه قرأ كتاب " معاني الحقيقة " تصنيف عبد اللطيف السهروردي ، على المصنف ، في مجلس حضره فقهاء البلد ومعهم كوكبوري . أقول ولابد أن العدد كان كبيراً بالنظر لاهمية المناسبة وهي حضور كوكبُوري . وعلى أي حال فان كوكبوري يمكن اعتباره زميلا لابن المستوفي في السماع .

الفصل الثالث
مكانة ابن المستوفي العلمية

وصف ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) ابن المستوفي بأنه كان " عارفا بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه ، وأسماء رجاله ، وجميع مايتعلق به ، وكان إماما فيه . وكان ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي ، وعلم البيان ، و أشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعا في علم الديوان وحسابه ، وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم . " علاوة على الشعر الذي كان له ديوان فيه ، وقد " أجاد فيه " – على حد قول ابن خلكان – ، ثم قال في ختام ترجمته . " ولولا خوف الاطالة ، لذكرتُ كثيراً من وقائعه وأخباره ، وماجرياته وتفاصيل أحواله ، وما مُدح به . ولقد كان – رحمه الله تعالى – من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت ، في ذلك البلد ، مثله في فضائله ورئاسته " . وقال ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) عن إربل " ودخلتها فلم أر فيها من يُنسب الى فضل ، غير أبي البركات المبارك بن أحمد ... يعرف بالمستوفى ، فانه متحقق بالادب ، محب لاهله ، مفضل عليهم " .

أما ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ – ١٩) فقد قال عنه : " فقد ألبسه الله من المكارم جلبابا صافيا ، وأحيا به ربّع الفضل بعد أن كان طامسا عافيا ، فانه منذ أكمل العشر من السنين ، استظهر القرآن المبين ، وأغري بنظم القريض ، حتى صار له فيه الباع العريض . ثم سمع الكثير من الاحاديث النبوية ، وقرأ العلوم الادبية ، وجالس العلماء ، وحاضر الفقهاء وأفضل عليهم ، وأحسن اليهم ، وأحوز علوم الأداب وأفانينها ، وأحكام أصول الفضائل وأتقن قوانينها ، وصار أوحد زمانه ، مبرزاً على نظرائه وأقرانه، ثم انه أعلم أهل هذا الزمان ، بعلمي المعاني والبيان ، ومعرفة الاشعار النادرة ، والأمثال السائرة والرسائل ، والتبحر في فنون الفضائل ، والاطلاع على التواريخ وسير المتقدمين ، وعلم التصرف ، ومما يتعلق بفن المساحة والاشغال الديوانية ، مما فاق به كل بليغ في بيانه ، وعالم في فنه واتقانه "

ثم قال ابن الشعار في موضع آخر مبديا أسفه على وفاته . " فلقد تهدم ركن

السماحة ، وفَلّ شبا الفصاحة . ومليّت اليراع أسفا عليه قدودها ، ولطمت الدوى كآنة عليه خدودها ، وبكت عيون الآداب وشقت عليه جيوبها .. قد أخذ حزنه من كل قلب بسهم، وأيتم فقده كل ذي أدب وفهم " .ثم وصف ملازمته له ، فقال : " مضى لي معه أوقات مذهبات كانت للاتراح مُذهبات ، أدرنا فيها كؤوس المذاكرة ، وفتقنا نواجح المحاورة ، وجاذبنا أهداب المناقشة ، وأجَلْنا في ميادينها خيل المحادثة ، وتذاكرنا غرراً من أصناف الفوائد ، مالو كنّ حليا كانت في نحور الحسان الخرائد .. " .

ووصفه السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) فقال : " كان إماما في الحديث ، ماهراً في فنون الادب من النحو واللغة والعروض ، والقوافي ، وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأمثالها ، بارعا في علم الديوان وحسابه ، وضبط قوانينه " . ويبدو انه نقل هذا عن " وفيات ابن خلكان " . وقال مثل ذلك البستاني (موسوعة ١ / ٦٨٨) . ولقد أجمع مترجمو ابن المستوفي على إطراء علمه وأدبه وسعة اطلاعه وعلو مكانته العلمية . وفي ظني ان خير وسيلة لمعرفة طول باعه في هذه الميادين هي إلقاء نظرة على أسماء مؤلفاته ، مما سندرجه في آخر هذا الفصل - إن شاء الله - . أما الآن فلنلق نظرة على الفنون التي برز فيها ابن المستوفي ، وهي :

١ - الحديث :

سبق ونوهنا بما قاله ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) عن ابن المستوفي ، من أنه كان عارفا بالحديث وعلومه وأسماء رجاله ، وجميع مايتعلق به ، وانه كان إماما فيه . وتابعه في ذلك السيوطي . وذكر ابن الشعار سماع المؤلف لكثير من الحديث النبوي ، وقال ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) عنه : " وقد سمع الحديث الكثير ممن قدم عليهم إربل " . ووصفه ابن كثير (تاريخ ١٢ / ١٣٩) بأنه كان إماما في علوم كثيرة كالحديث وأسماء الرجال ، وذكر ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) سماع ابن المستوفي من مشايخ الحديث البارزين أقول ، ان " تاريخ إربل " في الحقيقة ، أو الجزء الذي بين أيدينا منه على الاقل ، يكاد يكون خاصا بالمحدثين ، وان اهتمام المؤلف بهم واضح جداً ، فكان يحرص على السماع منهم - وفقا لما أسلفنا في الفصل السابق - إذ رأينا كيف كان ابن المستوفي

يُقبل بحماس على السماع ، حتى من الشباب كالقطيعي وزكريا الجيلي الذي قرأ عليه من كتاب كان معه (مخ ورقة ٥٥ ب و ٥٦ أ) . ولقد روى في الجزء الثاني من " تاريخ إربل " وحده ، مايزيد على سبعين حديثا ، حرص كل الحرص على روايتها بأسانيدها . بل انه لم يكتف بمجرد الرواية ، إذ كان يبحث ويدقق للتحقق من صحة مايروى له . فقد روى له أحدهم حديثا ، سمعه من الرسول - ﷺ - في منامه ، فدأب ابن المستوفي على مراجعة كتب الحديث يطلبه ، حتى كاد ييأس من العثور عليه ، لكنه وجده في أحد الكتب وفي تعليق لعمه صفي الدين . الا انه لم يكتف بما وُفّق إليه ، بل حرص على سماع الحديث المذكور من مشايخ الحديث المعتمدين ، ومن طرق عدة (مخطوطتنا ورقة ٣١ ب - ٣٢ أ) .

وكان هذا دأبه في عدة أحاديث أخرى ، من ذلك مثلا حديث " انما الأعمال بالنيات "، فقد رواه في ستة مواضع عن شيوخ مختلفين ، ولم يكن في ذلك هدفه التبرك وحده ، بل وحرصه على الفوز بالسند الصحيح (مخطوطتنا ورقة ٣٦ أ و ٤١ ب و ٧٢ ب و ٩٨ ب و ١٣٠ ب و ١٨٥ ب) . ومثل ذلك حديث معارضة الرسول - ﷺ - في تزويج بني هشام بن المغيرة ابنتهم من الامام علي - رض - ، فقد رواه المؤلف عن أكثر من طريق ، ولم يكتف بذلك ، فعلق عليه قائلا : " هذا الحديث صحيح ، أخرجه الائمة في كتبهم عاليا ونازلا ". ثم أشار الى سند روايات كل من البخاري ومسلم وأبي داود ، وفاخر بأنه سمع هذا الحديث باسناد عال ، فقال : " فباعتبار هذا الاسناد ، كأني سمعته من البخاري ومسلم وابي داود السجستاني " (مخطوطتنا ورقة ٦١ ب - ٦٢ب) . وحديث " الحلال بيّن والحرام بيّن " ، فانه يرويه بسندين (مخ ورقة ٦٢ ب و ٩٤ أ) ويعلق عليه قائلا : " أخرجه الأئمة في كتبهم من طرق كثيرة " ثم يتناول الطريق الذي أخرجه به مسلم ويقول مفاخراً : " فباعتبار هذا الاسناد ، كأني سمعته من مسلم " . ويتحدث (مخ ورقة ٥١ أ و ب) عن سماعه " كتاب الشهاب " للقضاعي ، من محمد بن أحمد الارموي ، بسند عال عن مؤلفه ، ويقول : " وهذا سند عال يعز وجوده بل يستحيل " . وفعل مثل ذلك في رواية حديث هوازن ولجوئها الى الرسول - ﷺ - من أجل إطلاق أسراها ،

فرواه بطرق عدة ، وفاخر بأنه وقع له "سباعيا " ثم قال : " كأنى سمعته من أبي داود وأبي عبد الرحمن النسائي " (مخ ورقة ٦٣ أ – ٦٤ ب) . وقال مثل ذلك عن حديث " ياعمير مافعل النغير ؟ " (مخ ورقة ٦٤ ب) . وقال عن حديث آخر ، بأنه وقع له من غير طريق (مخ ورقة ٨٨ أ) .

والامثلة علي عنايته بالسند كثيرة ، من ذلك مثلا ان الواعظ الغزنوي أجازه رواية حديث عنه ، ولكنه لم يكتف بذلك ، بل عزز تلك الاجازة برواية الحديث نفسه عن طريق شخص آخر رواه عن الغزنوي المذكور (مخ ورقة ١٢٩ ب) . وروى حديث " آتي يوم القيامة ، فاستفتح " في موضعين بسندين مختلفين (مخ ورقة ٧٢ أ و ١٤٢ ب) . وكذلك روى حديث " صفة النبي – ﷺ – " في موضعين أيضا وبسندين مختلفين (مخ ورقة ٥٧ ب و ١٧٥ ب) . وكما قلنا ، فان المؤلف لايكتفي برواية الحديث ، وانما يشير الى درجة صحته ، ويشرح ماغمض من معناه . من ذلك مثلا ، حديث عمير مولى آبي اللحم الذي ضربه سيده ، لأنه أطعم اللحم بدون إذنه ، وقول الرسول – ﷺ – " الأجر بينكما " . فقد قال المؤلف : " أنه حديث صحيح " ، ثم شرح معاني الكلمات الواردة فيه ، وعلاوة علـى ذلك فانه كثيراً مايبدى رأيه في ضبط بعض الالفاظ . مخ ورقة ٧١ أ و١٦٨ أ و٢٠٠ ب) .

ولقد وجدتُ ، بعد مراجعة كتب الحديث ، ان مايقوله ابن المستوفى عن درجة صحة الاحاديث التي يرويها ، وضبطها كان صحيحا ، وكذلك الأمر بالنسبة لما يقوله عن مظان وجودها في المراجع المعروفة ، الأمر الذي يدل على علم واسع واحاطة تامة بهذا الموضوع . والحقيقة ان كوكبوري عرف هذه المزية في ابن المستوفي ، إذ استشاره فيمن يستقدم للتحديث بدار الحديث المظفرية باربل ، وهو الذي أشار عليه باستدعاء ابن طبرزد وحنبل (مخ ورقة ٧٠ أ ، و١٦٢ أ) . وقد حرص على أن يتم السماع عليهما في مجلس واحد وفي آن واحد (مخ ورقة ٧٠ ب) ، وهذه من المناسبات القليلة التي يتوافر فيها شيخان في مجلس واحد ، ويكونان قد رويا حديثا واحداً عن أشياخهما فيرويانه سوية للسامعين عليهما .

. ثم ان ابن المستوفي ، قد أبدى معرفة ممتازة في هذا الحقل ، إذ استطاع أن يكشف الاضطراب الذي يقع فيه رواة الحديث ، فقد ذكر لنا ان أحدهم قرأ بعض مسموعات أبي الوقت ، وكان فيها موضع مضطرب الاسناد ، فركب المتن على غير رجاله ، وانه خلط في جزء من " كتاب النسائي " (مخ ورقة ٨٧ أ) . بل ويبدى رأيه في بعض رجال الحديث كأبن الدبيثي الذي قال فيه انه " لم يكن قديم الرواية " (مخ ورقة ٨٩ ب) على علو شأن ابن الدبيثي وسمو منزلته ، حتى ان ابن النجار قال عنه انه " من الحفاظ المكثرين " (طبقات السبكي ٨ / ٦٢) . هذا وقد بلغ من إقباله على الحديث وحرصه فيه ، انه كان يقرأ كتبا بكاملها - كما مر معنا - ، ولقد قرأ مثلا " صحيح البخاري " كله على الحسين التكريتي الضرير ، بروايته عن الرواي الشهير عبد الاول السجزي ، وقد تم ذلك في داره (أى دار ابن المستوفي) مع جماعة ، وقد احتفظ بالنسخة المدون عليها السماع (مخ ورقة ٩٠ أ) . وقرأ " كتاب الشهاب " للقضاعي ، على محمد بن أحمد الاموى (مخ ورقة ٥١ أ) .

ومن الجدير بالملاحظة ، بان تخلّق ابن المستوفي بأخلاق المحدثين جعله حريصا على إيراد السند ، حتى في رواية الشعر أو الكتب ، بل كان يحرص أيضا على ذكر تاريخ الرواية ، مما سنتعرض له عند تناولنا أسلوبه في تدوين الوقائع ، إن شاء الله ، قال الربداويّ (ص ٥٣٩) : " أما طريق رواية (ديوان أبي تمام) ، فقد تحدث عنها ابن المستوفي ووصفها بدقة علي طريقة المحدثين " ، من ذلك مثلا انه يأتي بسند قراءته للديوان على محمد بن عيسى الجصاص في سنة ٦٠٩ هـ بمنزله باربل ، ويستمر في ذلك السند الى أن يصل به الى أبي تمام نفسه . هذا ويتضح من الأحاديث التي رواها المؤلف ، انه كان دقيقا في النقل ، أمينا في الرواية (نقل ابن المستوفي سند حديث عن " مستدرك الحاكم " ، ولدى المراجعة وجدتُه مطابقا للسند الوارد في النسخه المطبوعة من الكتاب المذكور - مخطوطتنا ورقة ٤٢ ب والمستدرك ١ / ٤٢١) ، إذ ان معظم ماروا ه جاء مطابقا في المتن والسند لما ورد في الكتب المعتمدة ، على الرغم من كون كتابه ، في الاساس ، ليس كتاب حديث ، وانما رُويت الأحاديث فيه للبركة أحيانا (مخ ورقة ١٧٥ب)،

وهي في الغالب تروى على انها مكملة للمعلومات الواردة في التراجم ، الأمر الذي أدى الى تكرار رواية الحديث أكثر من مرة ، تبعا لوروده في كل ترجمة من تراجم رواته ، أوتبعا لتعدد المناسبات (مخ ورقة ٣١ ب - ٣٣ أ و٣٦ أ و٤١ ب و ٧٢ ب و ٩٨ ب ، و١٣٠ ب و ١٨٥ ب) .

ومن الملاحظ أيضا ، ان الأسانيد التي يروي بها المؤلف بعض الاحاديث كانت فريدة في بابها ، من ذلك مثلا روايته لحديث " يامعشر من آمن .... " عن جابر وابن عباس بسندين لاوجود لهما في كتب الحديث التي تناولت هذا الحديث (مخ ورقة ٣٢ ب) ، مما يجعل لكتابنا أهمية خاصة حتي في علم الحديث ، بل ان روايته للحديث المذكور عن برزة ، تختلف من حيث السند عن روايته الاخرى عن برزة نفسه (مخ ورقة ٣٢ أ و٣٣ أ) ، وقد انفردت الرواية الاخيرة بسند لا وجود له في كتب الحديث المعروفة . وروى أيضا حديث ؛ إنما الأعمال بالنيات ... " بسند يكاد ينفرد به ، عن يحيى بن سعيد (مخ ورقة ٣٦ أ و ٧٢ ب) ، وكذلك رواه عن عبد الله بن المبارك (مخ ورقة ٤١ ب و ١٣٠ ب و ١٨٥ ب) . وانفرد ابن المستوفى في رواية حديث " بُعثتُ بجوامع الكلم ... " عن أبي هريرة ، بسلسلة سند تختلف عن جميع السلاسل المسندة الي أبي هريرة (مخ ورقة ٥٩ أ) . وجاء في روايته لحديث " الحلال بيّن ... " برجال لم يرد ذكرهم في أسانيد كتب الحديث (مخ ٦٢ ب و ٩٤ أ) . وفعل مثل ذلك في حديث " آتي باب الجنة .... " (مخ ورقة ٧٢ أ و١٤٢ ب) ، أما روايته للحديث الواحد من طرق عدة ، كحديث " ان بني هشام بن المغيرة .. " (مخ ورقة ٦٢ أ - ب) والأحاديث التي تقدم ذكرها ، هي خدمة كبيرة قام المؤلف بتقديمها لطلبة الحديث ، يضاف اليها السلاسل الجديدة من الاسانيد التي تُغني - على قلتها - كتب الحديث . وفضلا عن ذلك ، فان ابن المستوفي لايتردد عن إبداء ملاحظاته على كتب الحديث ، عند الحاجة ، فنراه مثلا (مخ ورقة ١٧٨ أ) يتحدث عن كتاب " شرح أحاديث المهذب " فيقول ان المؤلف " لم يف بما ذكره من شرحها ، وهى مجردة من إسناد " .

ان اهتمام ابن المستوفي بالحديث ، ورسوخ قدمه في علومه وحرصه على الاكثار من

روايته ، كل ذلك جعلني أتوقع ان يكون له مصنف أو أكثر في هذا الموضوع ، الا انني لم أجد لذلك ذكراً ، ولعله قد صنف شيئا فيه وضاع . ولكنني من ناحية أخرى ، كما سبق وبينتُ - يمكنني أن أعتبر هذا الجزء من " تاريخ إربل " خاصا بالمحدثين ، لانهم هم الفئة الغالبة بين أصحاب التراجم فيه ، وقد أشرك معهم الزهاد والعدول ، وفقا لما أشار اليه في المقدمة .

٢- ابن المستوفي اللغوي الأديب :

سبق وبينا ان مترجمي ابن المستوفي ، أشاروا الى إحاطته بفنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم المعاني والبيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وانه كان أعلم أهل زمانه بعلمي المعاني والبيان ومعرفة الأشعار النادرة والأمثال السائرة ، وما الى ذلك . والذي لاشك فيه ، ان مجموعة مصنفاته تدل على باع طويل في هذه الفنون . ومالنا نذهب بعيداً ، وبين أيدينا " تاريخ إربل " ، وهو سجل واضح على سعة ثقافة مؤلفه وعمق اطلاعه في مختلف ميادين المعرفة ؟ !! فبوسع القارئ أن يلمس لمس اليد ، بأن المؤلف لم يتخل - خلال الكتاب - عن كونه أديبا نحويا لغويا شاعراً ، وأبرز مظهر للكتاب انه جاء مشحونا بحوالي ٢٥٠٠ بيت من الشعر ، في حين اننا لانجد في كتب التراجم الأخرى - اللهم الا الكتب الخاصة بتراجم الشعراء - مثل هذا المقدار الضخم من الشعر . وهكذا حفظ لنا المؤلف ثروة أدبية ضخمة من أن تكون عرضة للضياع .

ولقد سلّم بعض معاصريه بعلو قدره ، وكفاءته ، حتى ان أحد المترجَمين طلب الى ابن المستوفي أن يمتحنه (مخ ورقة ٢٢٠ أ) ، وهذا اعتراف منه بفضله وطول باعه ، فقال له :

على انني حاشاي لستُ بشاعرٍ وإن كان شعري بالمناقب لايزري
فعندي فنون الفضل إن شئتَ فامتحنْ فبعض خفايا الشيء يظهر بالسَّبْرِ

وذكر البغدادي ، صاحب " خزانة الادب " (١ / ١٩) في حديثه عن المصادر التي يُرجع اليها لمعرفة شروح الشواهد اللغوية ، وقد عدّد بعضا منها ، أقول ذكر بينها

" شرح أبيات المفصل " لابن المستوفي . بل ان مجرد وجود ترجمة للمؤلف في " بغية الوعاة " (٢ / ٢٧٢) ، وهو كتاب مخصص النحويين ، دليل ثابت على انه معدود بين النحويين ويكفيه فخراً اشتغاله على واحد من أئمتهم ، هو مكي بن ريان الماكسيني (ابن خلكان ٤ / ٣٦٥) . هذا ولعل من المفيد أن نشير الى بعض ماورد في " تاريخ إربل " بهذا الصدد ، من ذلك مثلا انه روى (مخ ورقة ١٨ ب) ،

كنْ في احتمالك للأذى　　　كالأرض تحطُّ وتُشكرُ
وبقدر مايُلقى عليها　　　من سماد تزهرُ

قال المؤلف : " عطف (تشكر) مرفوعا على (تحط) مجزوما ، ويجوز أن يكون " . أقول وهذا صحيح ، إذ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى · (وإن تبدوا مافي أنفسكم او تخفوه يحاسبْكم به الله ، فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاء) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة . ثم قال المؤلف : " قال (السمَّاد) بكسر السين ، وهو بفتحها " ، وهذا صحيح أيضا ، إذ جاء في " لسان العرب " بفتح السين . وروى كذلك (مخ ورقة ١٨ ب) " فالتوث بالتدريخ أصبح أطلسا بين الأنام " ، وقال : " أنشده (فالتوث) بالثاء المثلثة اخيراً ، وهو بالتاء المثناة " ، وهذا صحيح أيضا ، فقد ورد في " لسان العرب " انه بالتاء المثناة . وروى في موضع آخر (مخ ورقة ٨٣ أ) :

فوجدت مضمون العلو　　　م جميعها ترك الفضول

وقال : " إن اراد بالفضول ، ماتستعمله العامة ، فاستعماله خطأ . وان إراد به فضول المعيشة ، والزيادة على الحاجة ، فهو استعمال صحيح ، وما أظنه – إن شاء الله – أراد إلا ذلك ، لانه عقبه بقوله (والزهد في الدنيا ") . وروى (مخ ورقة ٦٨ ب – ٦٩ أ) هذا البيت :

لذاكر ناشر نعماك فابق لنا　　　ماغرد الورق في أيك وفي غرب

وقال : " اظنه اعتقد ان الأيك اسم لشجر " . ثم استشهد بآية قرآنية على ان " الأيك الشجر الكثير الملتف " . أقول وبالفعل فان ماجاء في معاجم اللغة يؤيد ماذهب اليه ابن المستوفى .

وروى أيضا (مخ ورقة ١١٠ أ) قول أحدهم : " وهذه الليالي يصوم ، ولاشيء عنده سوى الأبيضين المودين بالحين " ، وانتقد قوله : " يصوم الليالي " ، وإنما تُصام الأيام، وان " الأبيضين هما الماء واللبن ، ويعيش عليهما كثير من الناس . وانتقده كذلك على بعض الأخطاء الاملائية الواردة في مقطوعة شعرية ذكرها . كذلك انتقد أحد منشديه (مخ ورقة ١٥١ أ) لانه أنشد المنادى المضاف بالرفع ، وقرأ " جون " بضم الجيم وهو بفتحها ، كما في معاجم اللغة . وروى أحدهم (مخ ورقة ٢٠٤ أ) شعرا قرأ فيه " الزمرد" بفتح الزاي والدال المهملة ، فنبه ابن المستوفي الى ذلك . وقد جاء في " لسان العرب " انه بضم الزاي وبالذال المعجمة . وانتقد آخر (مخ ورقة ١٣٠ أ) لأنه رفع المفعول به ، فنبه الى خطأه ، في الحقيقة كان المؤلف يلاحظ حتى الأخطاء الاملائية وفقا لما أسلفنا (مخ ورقة ١١٧ أ) .

ونقد المؤلف (مخ ورقة ١٦٨ أ) أحد الرواة لانه لم يضبط كلمة " حرم " ، فأورد الوجه الصحيح واحتمالاته المختلفة بما يتفق والقاموس . وعلاوة على ذلك ، فقد حرص ابن المستوفي على أن يضبط بالشكل بعض الكلمات الغريبة (مخ ورقة ٢١١ ب و ٢١٧ أ و ٢٢٢ أ) . أما بالنسبة لذوقه الأدبي ، فانه يستمتع برواية الشعر الذي يعجبه ، ولايكتم إعجابه . من ذلك مثلا قوله (مخ ورقة ١٨٩ أ) عقب إيراده مقطوعة شعرية تنتهي ببيت أوله " فطوبىٰ لمن كان السعيد بقربها ... " ، فقال : " وأقول: طوبى لمن نقل من هذا اللفظ شيئا " . وكان لايرى بأسا في إيراد الشعر البذئ ،مادام سياق الكلام يقتضي إيراده (مخ ورقة ١١٧ أ و ١٢٠ أ ، و٢٠٩ ب و٢١٠ أ) .

واشار (مخ ورقة ٢٥ أ) الي قصيدة رُويت له بأنها كانت في الاصل في مدح " قايماز " ، وان الشاعر سماه " قاماز " ولم يقل " قيماز " ، كأنه من اللغة التي لايجوز استعمالها إلا على مافعلت العرب !!! ثم كشف عن تحايل الشاعر بتحويله القصيدة الى مدح شخص آخر اسمه " الياس " وقرأ أحدهم أمامه شعراً (مخ ورقة ٥٢ أ) ، استعمل فيه كلمة " بادر " و " ياست " ، فقال عن الاولى : " كذا انشدنا ، وصوابه (مبدرا) يكون من (بَدَر) اذا عجِّل " . وقال عن الثانية بأن ابن الجو اليقي – وهو نحوي –

تناول قولهم " ياست ؛ في كتابه المسمي " مايلحن به العامة " فصلا يغني عن ذكره هنا وعلق (مخ ورقة ٥٦ ب) على البيت المشهور :

انا من أهوى ومن أهوى أنا　　نحـــن روح وحوإنا بدنا

فقال : " أراد (بدنان) فأسقط النون كحال من قال (تبكي عليك نجوم الليل والقمرا) ، أراد . القمران) فأسقط النون " ، ولاحظ ان أحدهم (مخ ورقة ٥٨ ب) استعمل " ماطل " رباعيا بدلا من " مطل " عند التردد في تسديد الديون . وقال معلقا على عبارة " أقدر له لحما " الواردة في حديث نبوي (مخ ورقة ٧٠ ب – ٧١ أ) شارحا معناها بقوله : " أقدر له ، أي طبخ ، ويقال قدر واقتدر ، أي طبخ وأطبخ ، واقتدروا ، أي طبخوا في القدر ، ويقال أتقدرون أم تشوون ؟ " . وعلق (مخ ورقة ٨٠ ب) على قطعة نثرية كتبها الحيص بيص الشاعر ، وردت فيها عبارة " جاعلي وسيلة " ، فقال : " الذي أورده (جاعلي وسيلة) فعلا ، والصحيح (جاعلي) اسما " . وأثبت قصيدة (مخ ورقة ١٠٩ أ – ب) أنشدها أحد المترجمين ، وقال : " وكان إعرابها صحيحا ، لم يخطئ في موضع منه " . ولكن انتقد هذا الشاعر – كما انتقد آخرين غيره لانه كتب " الألف " ياء في غير موضعها ، وبالعكس . كما كتب بالظاء ما يجب كتابته بالضاد ، علاوة على خطأه في رفع المجرور . ومدّ أحدهم المقصور ، واستعمل كلمة " مشكا " بمعني " شاكا " وخفف أخر مايجب تشديده ، واستعمل غيره كلمة " مخيفة " بدلا من " خائفة " ، ومع ذلك حاول ابن المستوفى أن يجد لهذا الاخير مخرجا ، فقال : " وربما عضده التأويل " (مخ ورقة ٢٥ أ و ١١٧ أ و١٣٨ ب و١٤٥ ب و١٤٨ ب – ١٤٩ أ و١٥٧ أ و ١٥٩ أ و ١٦٣ أ و ٢٠٢ ب و ٢١٥ أ) . وهذه من شيمة ، لأنه كان يميل الي أن يجد عذراً مقبولا في مثل هذه الحالات . وذكر ان أحدهم (مخ ورقة ١١٦ ب) كان يحفظ شيئا من أبيات عويص الاعراب ، مايلقيه على أهل هذه الصناعة ، أي صناعة النحو ، وانه أنشده بيتا من تلك العويصات . ثم بادر المؤلف الى شرح المراد بذلك البيت . ولاحظ (مخ ورقة ١٥٠ أ – ب) ان أحد المترجمين أنشده بيتا ختمه بقوله : " وفراق الاحباب شيئا شنيعا " وقال ان الناس أنشدوا هذا البيت بنصب الكلمتين الأخيرتين ، وأكد قائلا : " ولايحتمل

نصب (شنيعا) على الحال من (شيء) . لأنه أكثر النكرات ، ولا يصح معه المعنى إلا اذا رُفع " . واعترض (مخ ورقة ١٦٦ أ) على استعمال (بالمسك) بدلا من (كالمسك) على سبيل التشبيه في البيت الآتي :

قد رقمت في خدها أرقما بالمسك في مُذهب ثوبٍ طسيمْ

كذلك اعترض (مخ ورقة ١٨٣ ب) على ضبط كلمة (ألال) بفتح الهمزة ، لأن الذي عليه الجمهور هو بكسرها ، وانه قرأ ذلك علي شيخه مكي بن ريان الماكسيني . أقول ولدى مراجعتي " لسان العرب " وجدت ان الكلمة وردت بالفتح والكسر على السواء ، ويبدو ان الماكسيني يميل الى كسرها ، ثم انه علق (مخ ورقة ١٨٦ أ) على إنشاد أحد المترجَمين ، بأنه نصب الفاعل وانه كان كثير اللحن . ولاحظ على أحدهم (مخ ورقة ١٩٣ ب) انه قرأ (القُلَب) جمع قليب ، بفتح اللام ، وهو بضمها . ولاحظ على آخر (مخ ورقة ١٩٩ أ) بأنه " كان إذا أنشد لايكاد يقيم إعرابا ، ويلحن في مواضع لايكاد أحد يلحن فيها " .

وتجلت معرفة ابن المستوفي بالعروض في شرحه الأبيات التي تضمنت طرفا منه (مخ ورقة ٢٢٤ أ) ، كما تجلت قوة ذاكرته وحفظه بشكل بارز . من ذلك مثلا انه عندما رُوي له بيت النابغة الذبياني (مخ ورقة ٤٣ أ) الذي أوله " هذا الثناء لئن بلغت معتبة " ، بادر الى تصحيحه ، حيث انه ورد في الاصل " فان " بدلا من " لئن " . أقول ومافي الديوان (ص ٢١٤) يؤيد ماقاله ابن المستوفي .

٣- ابن المستوفي الناقد :

لاشك ان أبرز صفة يمكن لقارئ تاريخ إربل " أن ينسبها لابن المستوفي - بعد وصفه بالمؤرخ - هي كونه ناقداً إدبيا حاضر الذهن ، قوي الذاكرة ، واسع المعرفة وهذه الصفات واضحة وضوح الشمس في ثنايا الكتاب . والحق أن من يتصدى لشرح أشعار عملاقي الشعر العربي ، أبي تمام والمتنبي ، ينبغي أن يكون عملاقا هو نفسه ، ذا حاسة نقدية قوية ، وذوق أدبي رفيع . وأود بهذه المناسبة ، أن أعترف للقارئ الكريم، بأنني لست أهلا لاعطاء هذا الموضوع حقه ، لكنني سوف أحاول تسجيل النواحي التي

بدا لي فيها ابن المستوفي ناقداً واترك لأهل الاختصاص تقدير مكانته بين النقاد .

ولقد عرف المؤرخون لابن المستوفي قدرته على النقد ، فقد نقل اليونيني (ذيل ١ / ٧٥) نقداً لابن المستوفي بحق علي بن محمد بن الرضا الحسيني ، المعروف بـ " أبن دميرخان " المتوفى في سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م ، ذلك انه في بعض شعره الذي ادعاه لنفسه ، أغار على أبيات حفظها في المكتب ، وقد ذكر اليونيني تلك الأبيات . ونقل ابن خلكان (١ / ١٩٠ - ١٩٢) قصة تأليف ابن دحيَة - عند وصوله الي إربل - كتابه " التنوير في مولد السراج المنير " الذي صنفه للملك كوكبوري ، وفي آخره قصيدة بمدح الملك المذكور ، مطلعها :

لو لا الوشاة وهُمُ أعداؤنا ما وهموا

وذكر ان ابن دحية قرأ الكتاب والقصيدة على كوكبوري في سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م، ثم ان ابن خلكان نفسه ، سمع الكتاب - والقصيدة فيه - على كوكبوري في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، الا انه اكتشف - بعدئذ - ان القصيدة هي لابن مَمَّاتي ، وقد نظمها في مدح الملك الكامل الأيوبي . وأضاف ابن خلكان على ذلك قوله ، بأن ابن المستوفي ذكر تلك القصيدة في " تاريخ إربل " ، وذكر انه سأل ابن دحية عن معنى بعض أبياتها ، فلم يحر جوابا . فقال له ابن المستوفي ، لعل المقصود كذا وكذا ، واستشهد على ذلك بأبيات لبعض الشعراء في المعنى ، فتبسم ابن دحية وقال : " هذا أردتُ " . ويتضح من هذه القصة عمق إحساس ابن المستوفي بحقيقة مايُروى أمامه ، الا ان أدبه يمنعه في بعض الأحيان من مجابهة الرواة أو منتحلي الشعر ، بالحقيقة المرة .

وعلى كل حال ، فان من المفيد أن نتناول أمثلة حية من " تاريخ إربل " نفسه ، تجلت فيها حاسة ابن المستوفي الحادة في النقد ، إذ انها خير وسيلة للتعرف على مكانته كناقد :

أ / قدرة المؤلف على التمييز بين الشعر الأصيل والمنتحل ، ونسبته الصحيحة :

حبا الله ابن المستوفي بحاسة حادة وذاكرة قوية ، فكان يستطيع بواسطتهما التمييز

بين الشعر الأصيل والمنتحل ، كما كان بوسعه أن يرجع نسبة مايرُوى له الى قائله الحقيقي . و"تاريخ إربل" شاهد حق على ذلك (مخ ورقة ١٦١ ب) . فقد ذكرمثلا (مخ ورقة ٢١ أ) ان عمر بن شماس الخزرجي صنف كتابا " جمع فيه أوصافا مختلفة في كل فن ، مستجادة الالفاظ والمعاني " ، الا انه أتبعها بقوله : " وفي نسبته أشعاره الى قائلها خلل " . وأنشده (مخ ورقة ١٥٣ ب) أحدهم شعراً ، وكان يلحن فيه ، فارتاب ابن المستوفي في أن يكون بعض ذلك الشعر له . والحق ان المؤلف لم يقتصر في هذا المسلك على الشعر وحده ، وانما كان هذا ديدنه في كل شيء . فلقد أشار (مخ ورقة ٤٠ أ) الى مقدمة كتاب رآه تناولت كثيراً من الخطبة التي قدمها الحريري أمام مقاماته .

هذا وقد أنشده أحد المترجَمين (مخ ورقة ٩٢ ب) شعراً ادعاه لنفسه ، لكن المؤلف اكتشف فوراً انه لغيره ، واستند في ذلك الى رواية ابن الشعار ، وهو حجة فيما يقول بهذا الصدد . وروى له (مخ ورقة ٩٤ ب) أحدهم بيتين من الشعر على انهما لابن أبي الدنيا ، فبادر ابن المستوفي الى القول ، بأنهما لعمر بن الخطاب – رض – وان ابن أبي الدنيا لم يكن سوى الرواي للبيتين . وبالفعل فان ابن رشيق رواهما للخليفة عمر (العمدة ١ / ٢٠) . وشخص آخر أنشده شعراً (مخ ورقة ١٠٧ ب) ، غير ان المؤلف شكَّ في أن يكون له ، فكرر عليه القول باليمين ، هل انه له ؟ فكان الجواب بالايجاب ، ولكن ابن المستوفي لم يقتنع ، فقال : " والله اعلم " . ويبدو ان الحق مع ابن المستوفي لان الشخص المذكور ، روى له بيتين من الشعر على أنهما للامام الشافعي – رح – في حين نسبهما ابن خلكان (٦ / ٩٠) لاسحق بن ابراهيم ، قاضي السلامية ، ثم انهما غير موجودين في " ديوان الشافعي " .

وروى له أحد المترجَمين (مخ ورقة ١٠٧ ب – ١٠٨ أ) مقطوعة شعرية على أنها لمحمد بن عبد الله العلوي ، ثم وجد المؤلف رواية أخرى تتعلق بتلك المقطوعة مع قصة ، فذكرها باختصار ونبّه الى ان الغرض هو " الجمع بين نسبتي الأبيات المذكورة " . وعندما روى له (مخ ورقة ١١٧ أ – ب) أحدهم شعراً وزعم انه لشخص يعرفه المؤلف ، فما كان من ابن المستوفي إلا أن راجع ذلك الشخص للتحقق من صحة مانُسب اليه .

فنفى هذا أن يكون ذلك الشعر من نظمه ، وعندها جابَهَ المؤلف الراوى بالحقيقة ، فلم يحر جوابا . وقد فعل الشيء نفسه مع شخص آخر (مخ ورقة ١٨٠ ب) في حالة مشابهة . وأنشده بعض المترجَمين أشعاراً لم يسموا قائليها (مخ ورقة ١١٩ ب و ١٤٠ أ و ١٦٠ ب) ، ولكنه تمكن أن يجد القائلين لتلك الأشعار وسمّى كل واحد منهم . وعندما أنشده أحدهم (مخ ورقة ١٣٠ أ) مقطوعة من أربعة ابيات ، على أنها له ، رأى ابن المستوفى ان البيتين الثالث والرابع ليسا منها " لنفورهما عن ملائمة الأول والثاني " .

وساور المؤلف الشك (مخ ورقة ١٣٧ أ - ب) في أمر أحد المترجَمين ، الذى أنشده بعض الشعر ، فسأله عما اذا كان من نظمه فأيد ذلك باليمين . ولذلك طلب اليه أن ينشده مقطوعة أخرى ، فأنشده أبياتا زاعما انها له ، وانه قد نظمها منذ ١٢ سنة ، في حين ان تلك الأبيات منسوبة الى الامام الشافعي - رح - وفقا لما ذكره ابن المستوفي ، وفي الواقع فانني وجدتها في ديوانه (ص ٢٩) . والغريب أن هذا الرجل ، كان يصر على أن يذكر في نسبه " الشريف الحسني العباسي " ، رغم الانكار عليه ، إذ كيف يمكن الجمع بين أن يكون المرء شريفا حسنيا وعباسيا في آن واحد !! . وقرأ عليه أحدهم (مخ ورقة ١٦٩ ب) قصيدة فيها البيت الآتي :

ارضَ لمن غاب عنك غيبته   فذاك ذنب عقابه فيه

فبادر ابن المستوفى الى القول أنه " مضمَّن " ، وبالفعل فان البيت رواه العماد الاصفهاني (الخريدة - عراق ١ / ٢٣٦) للحسن بن أحمد بن جكينا ، بينما رواه ابن خلكان وأبو الفداء (وفيات ٥ / ١٢٠ وتاريخ ٣ / ٤٣) لابن التلميذ الطبيب . وروى له آخر (مخ ورقة ١٧٩ ب) ان أحد نزلاء دار المضيف باربل ، كتب شعراً الى صاحبه بصدد المطر الذي يعيق لقاء المحبين ، وجواب صاحبه اليه . فبادر ابن المستوفى الى ذكر القائل الحقيقي لتلك الأبيات ، كما كشف عن شخصية صاحب الجواب . ويؤيد ابن المستوفى في صحة نسبة هذه المقطوعة ، ابن الشعار (مخ استانبول ٤ ورقة ٢٠٨ - ٢١٠) .

ووصف المؤلف شعر أحد المترجَمين (مخ ورقة ١٨٦ أ) بانه شعر ردئ لفظا ومعنىً ،

مسترق أكثره ، الا ان اسم الشاعر الذي أُسترق المعنى منه ساقط من مخطوطتنا . وأنشده أحدهم (مخ ورقة ١٩٨ ب) بيتين من الشعر زاعما بأن العماد الأصفهاني جهد نفسه في أن ينظم مثلهما ، فما استطاع . فساور ابن المستوفي الشك في أمر هذا المدعي ، فقال بأنه لايظن بأن البيتين المذكورين من نظم المنشد ، لاسيما وانه استنشده غيرهما فأبي . ولاحظ المؤلف بأن أحد العباسيين (مخ ورقة ١٩٩ ب) – وقد أنشده بيتين وكان يلحن في الانشاد – ادعى بأنهما له ، فكرر عليه ابن المستوفي القول يستثبته عما اذا كانا من نظمه ، لعله يرجع عن ادعائه . فأصرّ المذكور على ذلك ، بل انه زاد في مزاعمه قائلا بأنه عملهما ارتجالا في الليلة الفائته . وقد أكد المؤلف بأن البيتين هما أقدم من مولد ذلك العباسي بكثير . والجدير بالذكر انني وجدت ابن خلكان (١ / ١٥٤ ط احسان عباس) يرويهما لمجهول . وأنشده أحد الاشخاص مقطوعه سعرية لحن فيها مرة واحدة (مخ ورقة ٢٠٩ ب) ، ولكن حدس ابن المستوفي حمله على الظن بانها منتحلة ، وبالفعل فانني وجدتها في "نفح الطيب " (٢ / ٢٦٢) منسوبة الى محمد بن عبد الله الفراء الخطيب . كذلك أنشده أحد المترجَمين (مخ ورقة ٢١٨ ب – ٢٢٠ب) عدة مقطوعات طويلة ، وزيادة في التأكيد أعيدت قراءتها عليه مرة أخرى ، على انها له . الا ان المؤلف اكتشف بأنها منتحلة من شعر شاعر آخر (مخ ورقة ٢٢٠ أ و ب) . وأنشده فقيه واسطي ، اسمه ابن رشادة ، عدة مقطوعات (مخ ورقة ٢٢٨ ب – ٢٢٩ أ) ولكن ابن المستوفي لم ترتح نفسه الى كون المذكور هو الناظم لها ، فقال : " أنا أشك فيما أنشده ابن رشادة جميعه " ، لاسيما وانه كان قد سمع كوكبوري يردد – فيما مضى – أحد الأبيات الوارد في تلك المقطوعات .

ب / مقدرته على التمييز بين الجيد والضعيف ، وبين الصحيح والمغلوط من الشعر :

لقد أبدى ابن المستوفي كفاءة عالية في الكشف عن عيوب مايُروى أمامه من الشعر وهـا انني أسجل هنا طرفا مما ورد في " تاريخ إربل " . فقد روى أحدهم (مخ ورقة ١٤ ب) بيتا مغلوطا ، فما كان منه إلا أن نبه عليه وأثبته بشكله الصحيح . ثم انه نقل

شعراً ، وكان ضعيفا (مخ ورقة ٢٩ أ) ، فعلق عليه بقوله : " وهذا شعر من لاينبغي له الشعر ، وانما كتبته على عادة أصحاب التواريخ ، إذ المؤرخ ليس يختار ، وإنما هو حاك ماوقع اليه " . وقال عن مقطوعة (مخ ورقة ١٠١ ب) أخرى : " وهذا شعر يجب أن يطرح ، وإنما أكتب مثله على عادة المؤرخين " . ولكن المؤلف لم يقتصر في هذا المسلك على الشعر وحده ، بل كان ديدنه في كل مايُروى له . وقد أثبت (مخ ورقة ٦١ أ) ، قطعة نثرية رآها عند أحد المترجَمين ، فأعجبته فقال : " وهذا لفظ حسن ، ومعنى لطيف ، وتوصّل الى الغرض دقيق " .

هذا وقد أنشده أحدهم شعراً (مخ ورقة ٨٢ أ و٢١٨ ب) ولم يبلغ المستوى الذي يريده ،فقال عنه: " فيه نظر " ، وشاعر آخر ، أنشده (مخ ورقة ٨٤ أ) بيتا ناقص الوزن ، فقال عنه : " كذا أنشد البيت الاول ، على ماهو عليه " . ولاحظ مثل ذلك في حالة أخرى (مخ ورقة ١١٧ ب) غير ان الشاعر أصرّ على كون البيت موزونا . وقال المؤلف شيئا مماثلا في حالات أخرى (مخ ورقة ١٣٥ ب و ١٥٠ ب) . وقد فاضل بين شعر لأحد المترجَمين (مخ ورقة ١٠٢ أ) رآه في مرجعين مختلفين . وقد أنشده أحد الاشخاص (مخ ورقة ١١١ أ) بيتا هو :

بل أرجّي الزمان بالعيش والب ... شـر أليف العُقار مادمت حيا

فنبه الي أنه نقله من خطه على تلك الصورة ، علاوة على إنشاده إياه ، وقال : " وأشبه أن يكون (بالعصر واليسر) " ، وتحدث اليه أحدهم (مخ ورقة ١٥٩أ – ب) ، بأنه أخذ على شارحي بيت المتنبي ، في قوله :

له فضلة عن جسمه في اهابه ... تجيء على صدر رحيب وتذهبُ

لأنهم ذهبوا الى القول بأنه وصف صدر الحصان بالسعة ، بينما هو يرى أن المقصود هنا هو الذنب ، فتصدى له ابن المستوفي ، فرد عليه قائلا بأن ذلك " خلاف ماعندهم ، وهو انهم لايصفون الذنب بالسبوغ الى هذه الغاية " ، وذكّره بقول امرئ القيس : " بضاف فويق الأرض ليس باعزل " ، فجعله فويق الأرض ليكون أبلغ في الوصف ، فمدحوه بهذا ، كما عابوا عليه قوله ·

لهـا ذنـب مثل ذيـل العـروس تسـد به فرجهـا مـن دبر

ولكن محدثه لم يحر جوابا (والبيتان في " ديوان امرئ القيس " ص ٢٣ و١٦٤) .

هذا وقد صحح المؤلف رواية بيت من الشعر (مخ ورقة ١٧٥ أ) لنبوّه عن السياق ، وفعل مثل ذلك (مخ ورقة ١٧٦ ب) عندما استعمل الشاعر كلمة غير ملائمة لسياق المعنى . واقترح في مناسبة أخرى استعمال عبارة " على الخَلْق " بدلا من " على الأرض " لأنها أولى (مخ ورقة ١٨٣ أ ، وانظر أيضا مخ ورقة ١٨٨ ب و٢٢٢ أ) . وعندما أنشده أحد المترجَمين شعراً لم يعجبه (مخ ورقة ١٧٩ أ) لم يتمالك نفسه من القول : " وهذا شعر ردئ جداً ، رحم الله قائله " ، وقال مثل ذلك في حالة مشابهة أخرى (مخ ورقة ١٨٦ أ). وكان المؤلف ينبه على مايجده نابيا ، فنبه مرة (مخ ورقة ١٨٩ أ) الى ان أحدهم أنشده بيتين يتطابق عجزهما تطابقا تاما ويتلو الواحد منهما الآخر . كذلك نبه (مخ ورقة ٢٠٥ ب و ٢٠٦ أ) الى أبيات انها يُغنَّى بها ، وصحح شطراً ورد فيها ، مؤكداً بأن ذلك أجـود . كما انه نبّه (مخ ورقة ٢١٥ ب) الى " معاضلة " وقعت في إحدى المقطوعات .

وقـال مرة (مخ ورقة ٢٢٧ ب) عن بيت أنشده إياه أحد المترجمين بأنه " فاسد المعنى " ، وهو :

سـرى بأنفـاس مقلتي قـمرٌ منقـوط حـد العذار مشكول

وقال (مخ ورقة ٢٢٨ أ) عن مقطوعة لم تعجبه : " وهذا شعر ترك إثباته أولى ولكنه أثبته اتباعا لمبدأه كمؤرخ – وإنْ لم يقل ذلك – وأنشده (مخ ورقة ٢٣٠ أ) أحد المغاربة شعراً غثا ، فقال : " وهذا شعر ينبغي أن يطرح ، ولكنني كتبتُه لغرابة نسب قائله ، وبُعْد منزله " .

ت / قدرته على كشف التشابه في المعنى بين مايرُوى له وبين الشعر المراد محاكاته (السرقات الشعرية) :

وهنا أيضا ساعدت ابن المستوفي ، ذاكرته القوية وسعة حفظه على أن يكشف المعاني التي أراد منشدوه محاكاتها . فلقد روى له (مخ ورقة ٢٤ أ) أحدهم شعراً جاء فيه :

تبـــارك من كســا خديك ورداً   تبــدّى تحـــت ريحان العذارِ

وصالك جنتـــي وهواك ديني   ووجهـــك قبلتي وجفاك ناري

فقال ان الشاعر أخذ المعنى من شعر وجده المؤلف في " ديوان الوأواء الدمشقي" وبالفعل لدى مراجعتي للديوان (ص ٢٣٨) وجدتُ الشعر الذي أشار اليه ابن المستوفي وهو :

تبارك من كسا خديك ورداً   تطلّع من فروع الياسمينِ

وصالك جنتي وجفاك ناري   ووجهك قبلتي وهواك ديني

وعندما أنشده أحدهم (مخ ورقة ٢٤ ب) شعراً ورد فيه :

يامن يسلّم طرفه من سحره   سلّمْ فؤاد محبّه من هجرهِ

نراه يبادر الى القول بأن ذلك مأخوذ من قول خالد الكاتب ، وهو :

يامن يسلّم خصره من ردفه   سلّمْ فؤاد محبه من طرفهِ

وقال مثل ذلك عن شعر رُوي له في الصفحة نفسها ، وقال انه سلك فيه مسلك الحيص بيص في أشعاره .

وقد روى له (مخ ورقة ١٤٠ أ) أحد المترجَمين – دون ان يُسمي القائل – مقطوعة شعرية ، فبادر المؤلف الى الكشف عن اسم قائلها ، كما انه فاضَلَ بينها وبين مقطوعة مماثلة في اللفظ والمعنى . وكتب له أحد المترجَمين (مخ ورقة ١٤١ أ – ب) مقطوعة شعرية ، ضمنّها بيتا لغيره ، فنبّه الى ذلك ابن المستوفي ، وقال ان البيت المضمَّن هو للعباس بن الأحنف ، وبالفعل فان ابن خلكان (٢ / ٢٣٠) ذكر البيت للعباس المذكور . الا ان المؤلف لم يكتف بما فعل ، بل جاء بمقطوعة أقدم عهداً ، ورد فيها أيضا البيت المضمَّن المذكور آنفا .

وكان ابن المستوفي ، عندما يجد شيئا يتطلب الاستيضاح ، لا يتردد عن الاستفسار من صاحب العلاقة ، وها ان أحد زملائه ينشده (مخ ورقة ١٥٢ أ) شعراً ويشير الى وجود مناسبة بينه وبين قول قاله الأصمعي بصدد بيت لامرئ القيس ويبدو ان المؤلف لم

يتفق معه في الرأي ، وحاول الاستيضاح من زميله عنه ، فما أجاب ، وهذا الزميل نفسه ، أنشده (مخ ورقة ١٥٢ ب) بيتين هما :

ومليح الدلال معتدل القا   مة في وجنتيه ماء ونارُ
شدَّ زنارة على أهيف الخصر   ، فياليتني له زنارُ

فبادر ابن المستوفي الى القول بأن صاحبه قد اقتبس المعنى من أبيات للشاعر الوأواء الدمشقي ، ولم يكتف بذلك بل ذهب بعيداً في تاريخ الادب ، فربط ذلك بشعر قاله مدرك الشيباني . ولقد وجدتُ بالفعل في " ديوان الوأواء الدمشقي " (ص ١٠٢) قوله :

شدَّ زناره على هَيفَ الخصر   وشدَّ القلوب بالزنارِ

أما قول مدرك ، فهو – كما في " معجم الادباء " (١٥٢/٧) – البيت الآتي :

ياليتني كنت له زنارا   يديرني في الخصر كيف دارا

وعندما أنشده شاعر موصلي (مخ ورقة ١٦ ب – ١٧ أ) بيتا هو :

أغلا القرطاس أم قد أصبحتْ   بعد سُعدى أحبلُ الوصل جذ اذا ؟!

بادر ابن المستوفى الى القول ، بأن المعنى مأخوذ من قول ابن الرومى .

ترى حرمت كتب الاخلاء بيننا   أبِنْ لي أم القرطاس أصبح غاليا ؟!

وكشف أيضا (مخ ورقة ١٧ أ) في بيت للشاعر المذكور تشابها مع شعر لجرير ، وأنشده (مخ ورقة ١٨ أ) عمر بن شماس الخزرجي ، بيتين هما :

يميناً بمن طاف الحجيج ببيتهِ   وعقدهُمُ الاحرام من بعد حلّهِ
لقد شدت هذا من حلال فلاتقل :   بنى مسجدا لله من غير حلّهِ

فما كان من ابن المستوفى إلا أن قال ، بأن الشاعر أراد الاشارة الى قول القائل :

بنى مسجداً لله من غير حلهِ   فكان بحمد الله غير موفقِ
كمطعمة الرمان من كسب فرجها   فديتك لاتزني ولاتتصدقي

وعندما أنشده أحدهم (مخ ورقة ٥٦ ب) شعراً لمجنون ليلى ، الذى ورد فيه قوله :

ثم ارتجعتُ وقلتُ روحي روحها   فاذا هممتُ بقتلها لم أقدرِ

تبادر الي ذهن المؤلف في الحال قول الحلاج (ديوانه ص ٩٣) المشهور ، وهو :

أنا من أهوى ومـــن أهـــوى أنا　　　نحـــن روح وحوانا بـــدنا ... ألخ

ثم أنشده أحد المترجَمين (مخ ورقة ١٣٥ ب) شعراً ورد فيه ٠

إن زارني فبفضـــله أوزرتـــهُ　　　فلفضلـه ، والفضل فى الحالين لهْ

بادر ابن المستوفى فوراً الى إيراد مقطوعتين في المعنى ذاته . وأنشده آخر (مخ ورقة ١٥٣ ب – ١٥٤ أ) بيتين هما :

هيولى حياتي حل عقد نطاقـــه　　　ولثم محيـــاه ورشـــف حمياهُ

فأنّي أطيق الصبر عـــنه وانـــه　　　محال بقاء الشـــئ بعـــد هيولاهُ

فرأى ابن المستوفى وجه التشابه بينهما وبين بيتين آخرين هما :

هيولى حياتي قربكم ودنوكـــم　　　ووجـــه صبيـــح منكـــم أتجلاهُ

فإنْ أنتمُ بنتم قضيـــتُ لانـــه　　　محـــال بقاء الشيء بعد هيولاهُ

وأنشد الشخص المذكور نفسه ، بيتين آخرين هما :

قد حار بطليمـــوس في أمـــره　　　وضـــاقت الأرض بـــابر قلسِ

لما رأى بدر الدجـــى قـــد غـدت　　　أنـــواره تطلـــع بالاطلـــسِ

فقال المؤلف بأن المعنى مأخوذ من قول للموفق النصبيني ، وهو .

قد ظل بطليمـــوس مـــع ثالـسٍ　　　في هيـــئة الكـــل وابراقلسِ

إن كـــان ماقـــالوه حقـــا فمـــا　　　بال هلال التمّ في الاطلسِ ؟ !!

وكشف (مخ ورقة ١٦٠ ب) عن تشابه في المعنى ، بين شعر أنشده إياه أحدهم ، وبين شعر كان يحفظه لاحد الشعراء ، وأنشده أحد المترجَمين (مخ ورقة ١٦٥ أ) شعرا لكثّير عزة ، ورد فيه قوله :

حلت بساحتك الوفود مـــن الورى　　　فكـــأنما كانـــوا على ميعادِ

قال المؤلف بأن الشطر الثاني مأخوذ من قول الأسود بن يعفر ، وهو :

جرت الرياح على محل ديـــارهم　　　فكـــأنما كانوا على ميعادِ

ولدى مراجعة " المفضليات " (ص ٤٤٩) ، وجدتُ بالفعل هذا البيت للأسود بن يعفر سالف الذكر (انظر أيضا " الجمان " لابن ناقيا – الكويت) ص ٣٠٨ .

وقبل ختام هذه الفقرة ، يحسن بي أن أشير الى ان الدكتور محمد الربداوي قد تناول في كتابه المسمى " الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام " (ص ٥٣٥ - ٥٥٠) ، ابن المستوفى كناقد ، وتعرض لشرح المنهج الذي اتبعه في كتابه " النظام " فمما ذكره السيد الربداوي (ص ٥٤٠) ان ابن المستوفي اعتمد على عديد من الكتب في تأليف " النظام " ، منها سبعة شروح تتعلق بشعر أبي تمام وحده . وقال (ص ٥٣٨) : " وقد كان اطلاعه على الشروح الكثيرة معوانا له على اصطفاء أحسنها وأثبتها على محك النقد ، وقد كان فكره الثاقب يساعده على تمييز الفروق الدقيقة بين الشروح التي وضعتها القرون السابقة بين يديه فكان بهذا قد جمع بين دقة الرواية وحصافة الدراية ، فجاء كتابه ممثلا لقمة شرح شعريهما (أى شعر أبي تمام والمتنبي) ، وخلاصة لما قيل في نقديهما " . ثم قال (ص ٥٤١) . " لنقرأ شرح أية قصيدة فيه فنجده يّبر بما وعد به من جمع الشروح المتصلة بهذا البيت من تلك القصيدة عارضا هذه الشروح تارة ، معلّقا عليها تارة أخرى ، فهو إذاً ليس من الذين يقبلون الشرح بعُجزه وبجُره ، وإنما يُعمل فيه ثاقب فكره ، فيقبل مايقبل ، وينفي ماينفي ، ويعدِّل في الشرح ، وقد يخالفه ، وينتقد الشاعر " . ومما ذكره الربداوى (ص ٥٤٧ - ٥٤٩) ان ابن المستوفي ذكر مايدل على انه اطلع على كتب أخرى غير تلك الشروح التي أشرنا اليها ، مما له علاقة بشعر أبي تمام . ثم قال (ص ٥٤٩ - ٥٥٠) بأن ابن المستوفي كان يتتبع الكثير من استعارات أبي تمام المغرقة في البعد ، ويشير الى قبحها . كذلك أرى من المفيد هنا ان اقتبس ماقاله الدكتور محمد عبده عزام ، عن ابن المستوفي ، بعد ان اطلع على الكتاب المذكور (أي النظام) وذلك في مقدمة " شرح ديوان أبي تمام " للتبريزي (مقدمة ١ / ٤١ - ٤٣) ، فقال أن " أول مايمتاز به (كتاب النظام) هذا ، انه جامع لاقوال كل شراح أبي تمام ، منذ بدأ الصولي شرحه الى ابن المستوفي في القرن السابع الهجري، وكذلك فعل في المتنبى . ثم ان ابن المستوفي عالم محقق ، ينسب كل قول الى قائله ، بحيث إذا رجعنا مثلا الى قول التبريزي في كتابه وجدناه مطابقا له ، أو إذا رجعنا لما ينسبه الى المرزوقي في كتابه ، وجدناه مطابقا كذلك ، وهكذا ، ولقد بهرنا هذا الرجل

حقا وملأنا اعجابا ، لدقته وأمانته العلمية ، وكذلك لنقده الصائب في أكثر الاحيان ، وتعقيباته على بعض من يورد لهم في كتابه ... " .

ثم أشار الاستاذ عزام الى دقته وأمانته في النقل عن المصادر التي اعتمدها في شرحه ، حتى بلغت به " دقته العلمية انه كان أحيانا ينقل بعض الهوامش الغامضة ، يوردها كما وجدها ، وينبّه على انه لم يفهمها ... " وأخيراً يقول : " وأكثر من ذلك نراه عندما يشرح بيتا من الأبيات ، ويجد ان غيره قد تقدمه بمثل ماقال ، لايتأخر أن يعلن هذا في صراحة علمية محببة فيقول : (كتبتُه ولم أنظر – علم الله تعالى – ماذكره أبو العلاء إلا بعد فراغي منه) " .

٤- ابن المستوفي الشاعر :

أجمع كل من ترجم لابن المستوفي على أنه كان شاعراً ، وان الذين وصفوه بهذه الصفة كانوا يعنون مايقولون بدون شك ، ويكفي ابن المستوفي فخراً ، أن يشهد له بالشاعرية كل من ياقوت الحموي وابن الشعار – وهو مؤرخ الشعراءِ وابن خلكان . فان ياقوت مثلا ، عندما لقيه باربل ، سمع منه بعض شعره إنشاداً ، كما ان ابن المستوفي كتب له عدة قطع منه بخط يده ، وروى ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) له هذين البيتين ، وقد رواهما ابن الشعار أيضا ، وهما :

تذكرنيك الريـــح مـــرت عليلة   على الروض مطلولا وقد وضح الفجرُ
ومابعـدت دار ولاشـــطَّ منزل   إذا نحـــــن أدنتنا الأمانيُ والذكرُ

وقال ابن خلكان (٣ / ٢٩٤ – ٢٩٨) بأن له " ديوان شعر أجاد فيه " . وروى له عدة مقطوعات ، منها :

لاتَخْدَعنْك ســــمرة غرارة   ما الحســـن إلا للبيـــاض وجنسـِـه
فالرمح يقتل بعض من غيره   والســـيف يقتـــل كلـــه من نفسـِه

وقد روى ابن الشعار هذين البيتين أيضا ، ووجدتهما في مخطوطة بالمتحف البريطاني برقم Add 9556 ، وهي مجموعة شعرية (ورقة ١٦) وهما لابن المستوفي ، وقال جامع المجموعة ان أصل المعنى لحرملة الدمشقي . ومن شعره الذي رواه كل من ابن خلكان وابن الشعار ، هذان البيتان .

ياليلة حتى الصباح سهرتهــا قابلتُ فيهــا بدرها باخيــهِ
سمع الزمان بها فكانت ليــلة عذب العتــاب بها لمجتذبيــهِ

ومن شعره أيضا :

رعى الله ليلات تقضّت بقربكمْ قصاراً وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايه بعــده لمســامرٍ من النــاس إلا قال قلبي آها

وروى ابـن خلكــان ، ان ابن المسـتوفى خـرج ذات ليلة من ليـالي سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م، فوثب عليه أحد الاشخاص وطعنه بسكين ، فتلقى الضربة بعضده فجرحته جرحا بليغا ، فاحضر الجراح فخاطها ومرخها وقمطها باللفائف ، فأوحى الحادث لابن المستوفي بأبيات كتبها الى كوكبوري يصف فيه الحال . وقد روى الأبيات ابن الشعار أيضا وهى :

يا أيها الملك الــذى ســطواتــه من فعلهـــا يتعجب المريخُ
آيات جودك محــكم تــنزيلها لاناســخ فيها ولا منسـوخُ
أشكو اليك وما بليــتَ بمثلــها شــنعاء ذِكْرُ حديثها تــاريخُ
هي ليلة فيها ولدتُ وشــاهــدي فيما ادعيت القمــا والتمريخُ

وذكر ابن خلكان كذلك ، بأن ابن المستوفي قال في نومه هذين البيتين :

وبتنا جميعا وبــات الغيــور يعــض يــديه علينا حـنق
نود غرامــا لــو أنا نبــاع سواد الدجى بسـواد الحدق

أما ابن الشعار ، فانه ترجم له في كتابه " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ، وذلك وحده دليل كاف على حشر ابن المستوفي في زمرة الشعراء ، كما انه وصفه في تلك الترجمة بالشاعر " المصنف ، راصف در المنظوم وزبرجده ، وصائغ لجين المنثور وعسجده ، ذو القريحة المتوقد لهيبها ، والفكرة الخالص من الغش ذهبها " ، وأشار الى ملازمته له ، وتطارحهما الاناشيد . كذلك أشار - عند الكلام على مؤلفاته - الى رسائله وأشعاره . ثم قال ، بعد أن فرغ من سرد وقائع ترجمته : " وسأجلو عليك طرفا من

عرائس أبكاره ، لتجني غرائس أفكاره ، من منظومة البديع مايربي حسنا علي زهر الربيع ، ويزري بجواهر العقود ولآليها ، ويفوق النجوم في إشراقها وتلألئيها ، حاكه طبعه الشريف ، وصقله ذهنه اللطيف ، فجاء مدبجا معبراً مفوفا منوراً " ثم روى له مقطوعات كثيرة ، لايتسع المقام لنقلها ، وسنكتفي هنا بأن نقتطف منها قوله في مدح كوكبوري ، عند وصوله الى إربل في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ٢٤) والقصيدة دليل على تفتق قريحته الشعرية في وقت مبكر من حياته إذ كان عمره يوم نظمها ٢٢ عاما فقط ، هي :

رأى دار ليلى بين أكثبة الحمى　　فعاجله داعي الهوى ان يسلّما

وظن به الواشون صبراً عن الهوى　　وكان الذى ظنوه غيبا مرجّما

تباريح شوق لاتزال تعوده　　فتذكره ذاك الهوى المتقدما

والقصيدة طويلة ، وفيها يقول :

شددتَ قوى الاسلام لما تواهنت　　وشيدتَ من ركنيه لما تهدما

فان تك أرضيت النبي محمداً بفعلك،　　ما أسخطت عيسى بن مريما

جزيت عن الاسلام خيراً فانه　　متى بتَ تحميه فلن يتهضما

وله في مدح أهل البيت - رض - قصيدة جاء فيها :

ماعلى الركب لو أنا خوا المطايا　　قبل ان يزمعوا بليل مُضيّا

واذا ماتحمّلوا بعض شوقي　　تؤزرها للبين تهوى هويّاً

أيها السائق المجد أنِخْها　　أنيقاً ضُمراً تخال قسيّا

وهى طويلة أيضا . وله كذلك :

في كل يوم فرقة ووداع　　وبكل أرض حنة ونزاعُ

ماهذه ، ياقلب ، أول صبوة　　ألقتكَ في أهوالها الاطماعُ

وهى طويلة ، وله أيضا :

وذى ثروة يبغي المحامد والعلا　　وليس بأهل للعلا والمحامدِ

أعنّفه عمداً ليحفظ ماله　　وأبذل من مالي طريفي وتالدي

وله أيضا :

ياجيرة نقضوا عهودهــــم　　　خنتـــم فمـــا أدريِ بمـــن أثقُ
أنتم هوايِ وفيكـــم تلفـــي　　　كالمـــاء فيه الـــريِ والشــَرَقُ

وله من قصيدة طويلة ، مطلعها :

وفي أدمعي يوم بانوا بوعـــــــده　　　فأجـــريته حتـــى غرقـــت بمدهِ
ولو لم يخالطـــه دم غـــــــال لونه　　　لما مال ساقي العيس عن قصد وردهِ
يغار ضياء البدر من حسن وجهــــه　　　ويخجـــل عطف الغصن من لين قدهِ

وله أيضا :

يارب كم أوليتنـــي نعمـــــــةً　　　وســـيلتي فيهـــا افتقـــاري إليكْ
أقعدني عن شكري إحسانها　　　انـــي لا أحصـــي ثناءً عليـــكْ

وله في مدح باتكين ، أمير إربل :

له كفان كالبحـــرين ماء لذا　　　لكـــل واحـــدة مـــزاجُ
فيمنى للمنى عذب فـــرات　　　ويســـرى للـــردى ملـــح أجاجُ

وله يرثي إربل :

حيا الحيا وطنا باربل دارسا　　　أخنـــت عليـــه حـوادث الايامِ
أقوت مرابعه وأوحش أنســـه　　　وخلـــت مراتعـــه مـــن الأرامِ

وله أيضا :

أنستُ بأحداث الزمــــان فلم أكن　　　لتوحشـــني مـــذ فاجأتنـــي النوائبُ
وقارعني من حسن صبري بؤسها　　　فما لأن لي في كفـــه قـــط جـــــانبُ
ولم انتفع منها بشــــــيء أفدتُه　　　سوى قولهم " قد أحكمتني التجاربُ "

وقال يمدح شخصا لم يذكر اسمه :

أيها المــــاجد الـــذي غادرَتْني　　　غرُّ أفضــــاله مـــــلاء حياضـي
بتوالي نعمى تزاحـــــم أخرى　　　كزحام الســــــهام في الأغراضِ
أنت من جواهر المكارم مخلـــوق　　　وباقـــي الأنـــام من الأعراضِ

وله في مدح بدر الدين لؤلؤ ، أو الامير باتكين :

غدا الملك السلطان أمناً لخائف ... وعوناً للمهــوف وغيثاً لآملِ

كنّوه أبا كل الفضائل حاميــاً ... لهــا وهـو رب كل الفضائلِ

وروى ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) هذين البيتين :

يارب قد عظمت جنايـة عينـه ... وعتــا بما أبـداه من أنوارهِ

فاشف السقام المستكن بطرفه ... واسـتر محاسن وجهه بعذارهِ

أما عن تقدير شاعريته ، فانني أقر معترفا بعدم أهليتي للحكم في هذا الموضوع ، فضلا عن ان موضوع دراستي لايتسع لتناوله إلا بالقدر الذى أشرت اليه ، وكما أسلفت فان الذين أرخوا لابن المستوفي أثنوا على شاعريته ، ومن هؤلاء ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) فـقـد قـال عنه بأن له " يد طولى في النظم والنثر " . كـمـا ان أكـثـر هؤلاء المؤرخين حرصوا على إيراد شيء من شعره ، من ذلك ان مصنف " الحوادث الجامعة " (ص ١٣٥) قال عنه بأن له " شعر حسن منه قوله في جواب كتاب " نقتطف منه هذين البيتين :

وافي كتابك يامولاي مشتملا ... علي ريــاض معان نشرها أرجُ

فكان أحسن من سحر تقلبه ... أجفان ظبي مراض حشوها غنجُ

كما ان السخاوى روى له قصيدة فى كتابه " ارتياح الاكباد " (مخ چيستر بيتي بدبلن رقم ٣٤٦٣ ، ورقة ٢٣٣ - ٢٣٤) ، منها .

أحبابنا ولعت أيدي الشباب بنا ... وماعـــدتنا علـى كره عوادينا

تقطعت بينــنا أسباب ألفتنا ... وأقســـم القرب حقا لايو اتينا

والظاهر ان بعض أبيات ابن المستوفى قد نالت شهرة واسعة ، كبيتي " الرقمتين " المشهورين ، وهما :

رأت قمــر الزمان فاذكرتنى ... بعالــي وصلها بالرقمتــين

كلانا ناظـــر قمـــراً ولكن ... رأيتُ بعينهـــا ورأت بعينــي

وقد تصدى أحد الادباء لشرح البيتين في كتيب خاص - كما سنرى عند الكلام على

مـؤلفـات ابن المسـتـوفـى إن شـاء الله . هذا وأرجـو ان أوفق في يوم من الايام أو يوفق غـيـري الى جـمع شـعـر ابن المسـتـوفي ، وتحـقـيـقـه ، مـادام ديوانه لايزال في عداد المفقودات، وهو الديوان الذي ذكره ابن خلكان وحاجي خليفة . هذا وقد عده ابن الشعار من شـعـراء زمانه ، فترجم له ترجمة ضـافية في كتابه " عقود الجمان في شـعـراء هذا الزمان " أي شعراء القرن السابع للهجرة .

٥- ابن المستوفي المؤرخ :

ان الذي يهـمنا في هـذا الكِتاب هو ابن المسـتـوفي " المؤرخ " ، وبالنظر لأهـمـيـة هذا الموضـوع فسـنتناوله بشيء من التفصـيل في القسم الثالث من دراسـتنا هذه ، إن شـاء الله ، وذلك عند الكلام على " تاريخ إربل " . وهنا ينبغي أن نذكر بأن ابن المسـتوفي قد صـنف كتابا آخر في التاريخ ، هو " تاريخ معرفة الدول " ، الذى لم يصـل الينا منه شيء ، على قدر علمي .

٦- مجلس ابن المستوفي :

مما تقدم يمكننا القول بأن ابن المستوفي كان مثالا للرجل المثقف في عصره ، إذ أخـذ من كل العلوم المعـروفـة في زمـانه بطرف . فكان فـضـلا عن اسـتظهـاره القرآن الكريم، واتقانه الحديث وفنونه ، واحاطته بعلوم اللغة ،

ولاسـيـمـا المعـاني والبيان ، وبروزه في النظم والنثـر ، كان حـافـظا للاشـعـار النادرة والامـثـال السـائرة ، وعـالما بـأيام العـرب ووقـائعـهـم ، ضـابطا لعلوم المسـاحـة والحساب والاشغال الديوانية ، " مما فاق به كل بليغ فى بيانه ، وعالم في فنه واتقانه " - على حد قـول ابن الشـعـار - . وكـان الى جـانب ذلك مـحـبـا لاهل العلم ، يكثـر من مـجالسـتـهـم ، ويتـواضـع لهم ، ويكرم وفـادتهـم ، كـريم النفس ظاهـر البـشـر والكيـاسـة ، واسـع المروءة ، يشـوب جـده في الخلوات بهـزل ألذ مـن الغناء ، وأسـرع في العـرق من جـرى الصـهـبـاء - على مـاذكـر ابن الشـعـار - وقـد حـبـبـه ذلك ، ولاشك ، الى قلوب النـاس فـاقـبلوا عليـه ، لاسيما وانه دأب على زيارة الفضـلاء ممن يردون إربل ، وكان يحمل اليهم مايليق بحـالهم، ويقرّب قلوبهم بكل طريق ، وخـصـوصـا أرباب الأدب ، فقد كانت لديه سوقهم نافقة (ابن خلكان ٣ / ٢٩٧) .

ويبدو ان داره كانت مفتوحة للقاصدين ، فقد ذكر ابن الشعار ، انه لما قصد إربل في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، عمد اليها ، فقال : " فقصدت منزله المعمور لاشاهده ، فابتهجت برؤيته وأنست بمجاورته ، فألفيته ظاهر البشر والكياسة ، صادق الظن والفراسة " ، مما شجعه على الاقامة باربل ، حيث قضى ستة أعوام فى صحبته " في أرغد عيش وأهناه ، وأطيب زمان وأسناه .. " وقال أيضا : " فوا أسفي على ذلك الزمان النضر ، الذى كان بقربه فرصة العمر ، والعيش الأنيق ، والوقت الرفيق .. " وقد وصفه في موضع آخر يقول : " ربعه مقصد الوافدين ، وجنابه كعبة القاصدين " . أما ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) فقد قال عن بيته انه " كان مجمع الفضلاء " . وبالفعل فان اليونيني (ذيل ١ / ١١١ - ١٢٣) يحدثنا ان المجد النشابي الشاعر - وقد مر ذكره في القسم الاول من هذه الدراسة - ، أهدى الى ابن المستوفي في بعض الليالي تفاحا مخضبا وسفرجلا ، على يد غلام جميل الصورة ، فوصل اليه وكان عنده جماعة ، منهم الحسام عيسى ابن سنجر الحاجري - وهو شاعر إربلي أيضا ، وقد تقدم ذكره في القسم الاول - فعمل كل واحد من الحاضرين في ذلك شعراً ، وعمل الحاجرى هذه الابيات :

أهدى لنا المجد تفاحا وأحمره ... من خد من حمل التفاح مسترقُ
وللسفرجل من أعلاه رائحة ... يضوع منها لمهديه ثنى عبقُ
فظلتُ أعجبُ من حالين كيف حوى ... وصف الغلام ووصف السيد الطبقُ

وشاعر إربلي آخر خلد ذكر مجلس ابن المستوفي ، ذلكم هو طه بن إبراهيم الاربلي ، وكان قد حضر ليلة في جماعة عند ابن المستوفي ، في دكة بستان داره ، فجاء الغيث فقام ابن المستوفي مسرعا والجماعة معه فدخلوا الدار ، فعمل طه المذكور هذين البيتين بديهة (ذيل اليونيني ٣ / ٣٠٣) :

دخولٌ لاقبال الشتاء مبارك ... عليك ابن موهوب الى آخر الدهرِ
ففرٌ من القطر المسلّم عشيةً ... فلم تر بحراً فرٌ من القطرِ

وعلاوة على ذلك ، فان ابن المستوفي نفسه أشار الى مجلسه ، والى ماكان يدور فيه ، من ذلك مثلا :

أ / انه تم في منزله سماع جماعة لـ " صحيح البخاري " كله في عدة مجالس ، على الحسين التكريتي الضرير ، في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، كذلك سمع هؤلاء في بعض تلك المجالس أخباراً ومقطوعات شعرية من الشيخ التكريتي المذكور (مخطوطتنا ورقة ٩٠ أ - ب) .

ب / زار إربل القاضي ابن عثمان المصري ، وهو من أهل الادب والحديث ، ومن رجال الدولة البارزين ، فاجتمع ابن عثمان في منزل ابن المستوفي ، بابن دحية ، وهو أيضا من الشخصيات البارزة في زمانه ، ومن المؤلفين المعروفين . وقد تذاكر الاثنان " وأطالا الحديث " (مخ ورقة ١٤٣ أ) .

ت / وفي سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، سمع ابن المستوفي بعض الحديث في منزله ، من عبد الغفور بن بدل التبريزي المحدث (مخ ورقة ١٤٧ أ) . وفي تلك السنة أيضا سمع في منزله من خالد النابلسي - وهو لغوي من أهل الحديث - حيث روى عنه بعض المقطوعات الشعرية (مخ ورقة ١٦١ ب) وسمع في سنة ٦٠٩ هـ " ديوان أبي تمام " بكامله عن محمد بن عيسى الجصاص في منزله باربل ، وفقا لما ذكره الربداوي (الحركة النقدية ، ص ٥٣٩) نقلا عن " النظام " .

ومن هذه الاشارات العابرة ، يمكننا الاستدلال على نوعية مجلس ابن المستوفي ، الذى كان - ولاشك - ندوة حية تجرى فيها المناقشات ، ويتم خلالها السماع وتبادل الآراء والافكار ، ولعل هذه الندوة كانت تقليداً في بيت آل المستوفي ، وان المبارك قد ورثها عن آبائه وأجداده ، ويغلب على ظني ان الندوة كانت موجودة ، وانها كانت المؤثر الاول فى مجرى حياته ، إذ كان يستمع - وهو صغير - الى ماكان يدور فيها ، مما أثار في نفسه الرغبة في التعلم ، والسعي لبلوغ المنزلة الرفيعة التي كانت لبعض روادها .

٧- مصنفات ابن المستوفي :

لم يكن ابن المستوفي مجرد قارئ للكتب ، أو دارس للعلوم ، أو مطلع على الفنون ، يستمتع بها ويزين مجلسه بالحديث عنها ، وانما كان علامة بحاثة ، يكرس غالب وقته للدرس والتحصيل ، وجمع المعلومات من أى مصدر تصل إليه يداه ، فيحيلها الى كتب رائعة نافعة ، تتناول مختلف الحقول . والظاهر انه لم يتقاعد عن عمله هذا ، حتى آخر لحظة من حياته ، فلقد ذكر ابن الشعار انه عندما رفض تولي وزارة إربل عقب وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م استمر في منزله " ملازما مطالعة الكتب والنسخ والتأليف ، الى أن هجم التتار على إربل " ، مما اضطره على الهجرة الى الموصل ، حيث قضى ثلاث سنوات قبل وفاته فيها في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ، الا انه ليس من المعروف عما إذا كان قد واصل التأليف خلال وجوده بالموصل ، إذ انه نقل معه امتعته اليها ، وقد بعث اليه حاكم الموصل بالجمال والبغال لنقلها ، وفقا لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٠ أ) ، وكان ضمن تلك الامتعة ، ولاشك ، عدد كبير من الكتب التي بينها الكثير من الكتب النفيسة (إذ ذكر ابن خلكان ٣ / ٢٩٧ - ٢٩٨ بأن ابن المستوفي كان يقتني الكثير من الكتب النفيسة) . وعلى أي حال ، فان ابن المستوفي قد صنف كثيراً من الكتب ، وقد ذكرها من ترجم له ، ولا سيما ابن الشعار ، فانه ذكر له ستة عشر كتابا باسمائها (أشار ياقوت في بلدانه ١ / ١٨٧ الى انه ألف كتبا ، دون أن يسمي منها شيئا) ، وختم قائمة مصنفاته بقوله : " الى غير ذلك من المؤلفات والرسائل والاشعار " ، الأمر الذي يدل على ان ابن المستوفي قد صنف غيرها أيضا ، وبالفعل ذكر له مؤلفون آخرون كتبا لم يسمها ابن الشعار ، وسأبدأ بذكر الكتب الستة عشر آنفة الذكر ، ثم اتبعها بغيرها من الكتب التي تمكنت من الاهتداء اليها ، وهي :

أ / تاريخ إربل (نباهة البلد الخامل بمن ورد عليه من الأماثل) ، وهو يتضمن أسماء من وقع الى المؤلف ، ممن ورد إربل وولاياتها ، من الملوك والأمراء والزهاد والعلماء والشعراء والكتاب ، وهذا الكتاب هو موضوع القسم الثالث من دراستنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب / كتاب الأمثال والأضداد ، في سرقات الشعراء ، ويتضمن صدره ضروب السرقات المحمودة والمذمومة ، وأسمائها ، وهو مبوب أبوابا في فنون الشعر .

ت / كتاب في صناعة البديع .

ث / كتاب نبّه فيه على مواضع من كتاب " الأنيس والجليس " وهو مأأغفله المعافي بن زكريا الجريري النهر واني فيه .

ج / كتاب " حاجة الكاتب والشاعر " ، فيه ضرورة الشعر وشيء من علم العروض والقوافي .

ح / كتاب " الممتع والمؤنس " ، ذكر فيه من صدر دولة بني العباس ، من مشهوري الشعراء الى زمانه ، ابتداءً منهم ببشار بن برد الى استاذه أبي عبيد الله البحراني .

خ / كتاب " إثبات المحصل من نسبة أبيات المفصل " ، ذكر فيه قائل الأبيات المستشهد بها ، وبيان معانيها وتفسير غريبها . ثم تكلم على نحوها ، وشرح قصصها وأمثالها ، ونبه على أسماء قائليها وأنسابهم ، وأورد فيه جملا من كلام النحويين ، فجاء الكتاب كأجود شيء صنفه - على حد تعبير ابن الشعار - وقد ذكر هذا الكتاب كل من ابن خلكان والسيوطي وابن العماد وحاجي خليفة واسماعيل البغدادي (بغية الوعاة ٢ / ٢٧٢ وشذرات ٥ / ١٨٦ وكشف الظنون ٦ / ٤٠ ط أوروبا وهدية العارفين ٢ / ٣) ، علاوة على ذِكْره من قبل ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢١ ب) توجد من نسخة مخطوطة في مكتبة آق حصار بتركيا . د / كتاب " سر الصنيعة " ، وهو مجلد لطيف ، صنفه للوزير ولي الدين أبي الثناء محمود بن محمد بن فارس الحراني ، وزير الملك المعظم مظفر الدين باربل ، وضمنه ذكر من أسدى صنيعة أوفعل مكرمة من الأجواد والأسخياء وذكر هذا الكتاب - علاوة على ابن الشعار - كل من ابن العماد وحاجي خليفة واسماعيل البغدادي (المراجع السابقة على التوالي ٥ / ١٨٦ و٣ / ٥٩٥ و٢ / ٣) .

ذ/ كتاب " موجبات الصبوة وعزائم السلوة " وهو يتضمن نبذاً من أمور

العشق وأسبابه وأصنافه ، وأشعاراً في الصبابة ومايجرى مجراها . وهو مرتب على ترتيب كتاب " الزهرة " لابي بكر محمد بن داوود بن خلف الاصبهاني .

ر / كتاب " تاريخ معرفة الدول " .

ز / كتاب " شرح شعرأبي الطيب المتنبي "

س / كتاب " شرح أبي تمام الطائي "

ان أغلب من ترجم لابن المستوفي عد هذين الكتابين كتابا واحداً وسموه " شرح المشكل من ديواني أبي تمام والمتنبي " ، وسماه بعضهم " النظام " ، وقد ذكر ابن خلكان مثلا ان المؤلف صنف " شرح ديوان المتنبي وأبي تمام" في عشر مجلدات ، وقال مثل ذلك السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) انظر " شذرات ابن العماد " (٥ / ١٨٦) وكشف الظنون (ص ٧٧١ و٨١١) حيث ورد ذكره مرتين ، و " هدية البغدادي " (٢/٢) و"فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية "(٢ / ٦٩) . هذا وسنتحدث عن هذا الكتاب مرة أخرى في ختام هذه الفقرة ، إن شاء الله .

ش / " كتاب الخيل " وهو ما استدركه ابن المستوفي على كتاب أبي محمد الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود .

ص/ كتاب " جامع الأوراق " ، وهو يتضمن أشعاراً وحكايات وأخباراً وأمثالا وفوائد .

ض / كتاب " قناعة الناظر وكفاية المحاضر " ، فيه نبذ من مليح الأشعار ومختارها ، وهو مرتب أبوابا .

ط/ كتاب " مشارق الأنوار في مطالع العذار " (هذا آخر الكتب التي ذكرها ابن الشعار) .

ظ/ كتاب " أبوقماش " ، ذكره ابن خلكان ، وقال انه جمع فيه أدبا كثيراً ونوادر وغيرها ، أقول وليس واضحا عما إذا كان هذا الكتاب هو نفسه كتاب " جامع الاوراق " الذى أسلفنا ذكره . (انظر أيضا شذرات ٥ / ١٨٦ وكشف الظنون ١ / ١٤٧ ط اوربا وهدية البغدادى ٢ / ٣) .

ع / ديوان ابن المستوفي ، ذكره كل من ابن خلكان وابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) وحاجي خليفة (٣ / ٢٤٩ ط اوربا) وهدية البغدادي (٢ / ٣) .

غ / وأضاف بروكلمان (ملحق ١ / ١٣٦) على ذلك قوله ان لابن المستوفي " **ثالث القمرين في شرح بيتي الرقمتين** " ، المطبوع بمصر في سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م . ولدى مراجعة الكتاب المذكور ، اتضح لي بأن مؤلفه هو عبد الرحيم السيوطي الجرجاوي ، وان البيتين اللذين شرحاهما لابن المستوفي ، وليس كما اشتهر بين الناس على انهما للقاضي عياض (انظر ص ٢ - ٥ من الشرح المذكور) . أما البيتان فقد تقدم ذكرهما (ص ٢٨٧ من هذا الكتاب) . وعليه فان بروكلمان قد وقع في الوهم . (١)

والجدير بالذكر ان حاجي خليفة (كشف ص ٦٣٥) ذكر " حدق المقلتين في شرح بيتي الرقمتين " لاحمد بن محمد بن علي البجائي المتوفى في سنة ٨٤١ هـ ، بينما ذكر بروكلمان (ملحق ٢ / ٧٠٢) كتاب " حدقة المقلتين في شرح بيتي الرقمتين " لاحمد بن محمد بن علي زِغْلان المتوفى في سنة ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م ، وان مخطوطته موجودة في باريس برقم ٣٢٤٢ (انظر أيضا " معجم كحالة ٢ / ١٠٢) وهناك لعبد الغني بن اسماعيل النابلسي الدمشقي المتوفي سنة ١١٤٣ هـ " رسالة في معنى بيتي رأت السماء وذكرتني " ولكنني لم أطلع عليها (المنحة الوهبية في رد الوهابية " طبعة استانبول ١٩٧٣ - الصفحات غير مرقمة) .

ويبدو ان بروكلمان توهم ايضا (ملحق ١ / ١٣٦) عندما ذكر بأن كتاب " النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام " ، قد نشره محمد عبده عزام بالقاهرة في سنة ١٩٣٥ م. ولقد حاولتُ الاهتداء الى هذا الكتاب بطبعته المزعومة فلم أوفق ، مما اضطرني الى الاتصال بالاستاذ عزام ، فكتبتُ اليه مستفسراً عن حقيقة الامر ، وقد أجابني مشكوراً بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٧٢ م ، وقال بانه لم ينشر الكتاب المذكور ، الا انه نقل كثيراً أثناء تحقيقه لكتاب " شرح التبريزي لديوان أبي تمام " ، الذي طبع بين سنة

---

(١) وهناك ضمن مخطوطات مكتبة (بني جامع) باستانبول ، مخطوطة برقم ١١٨٠ بعنوان " رسالة بيتي الرقمتين " تأليف سري الدين محمد بن إبراهيم الوردي المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ (انظر طه محسن : مجموعات مخطوطات في مكتبات استانبول ، الكويت ص ٣٩) .

١٩٥١ و١٩٦٥ م ، وان بروكلمان كان واهما حينما ظن بأنه قد نشره . والموجود من " النظام " جزآن مصوران في مكتبة جامعة القاهرة .

وقد ورد في " فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية " (٢ / ٦٩) ذكر نسخة مصورة من الجزء الاول من " النظام " في مجلدين ، وهما برقم ١٠٥٤٠ و ١٠٥٩٢ ز . ولدى زيارتي لاستانبول في صيف ١٩٧٠ م وجدتُ نسخة خطية من الجزء الثاني منه ، وهي من أوقاف السلطان أحمد خان بن الغازي السلطان محمد خان ، من سلاطين بني عثمان ، والنسخه محفوظة في المكتبة السليمانية ، وهى بحالة جيدة . وعدد أوراقها ٢٧٣ ورقة من قياس ٣٥ ×٢٥ سم ، مكتوبة بخط نسخي جميل مشكول . وقد تم الفراغ من نسخها في ١١ شعبان من سنة ٦٧٨ هـ / كانون الثاني ١٢٨٠ م ، نقلا عن نسخة الأصل – وهي بخط المؤلف – أما الناسخ فهو محمد بن إسماعيل بن حسن بن أبي الحسين بن على الهِرَقْلي ، وفي ختام النسخة تعليقات لبعض من تملكها أو قرأها ، ويبدو ان لها جزءً ثالثا ، إذ ذكر ذلك الناسخ في آخر هذا الجزء ، وهذا طبيعي لأن الأصل كان بعشر مجلدات ، وفقا لما ذكر المؤرخون (انظر ص ٢٩٣ الفقرتين ز ، س من هذا البحث) . والاسلوب الذي اتبعه المؤلف فيه ، هو أن يورد بيتا أو أكثر من شعر كل من المتنبي وأبي تمام ، ثم يتناولها بالشرح والتعليق (المخطوطة من كتب " بني جامع " وهي برقم ١٠١٥ ، وبصدد وصف الكتاب وأهميته يمكن مراجعة ماكتبه الاستاذ عزام في مقدمته ١ / ٣٩ – ٤٣ لشرح التبريزى المذكور في المتن) وهكذا ، والغريب ان حاجي خليفة ذكر بأن ابن المستوفي قد شرح ديوان المتنبي بعشر مجلدات وسماه " النظام" ، ثم عاد وذكر بأنه شرح ديوان أبي تمام في عشر مجلدات أيضا (كشف ٢ / ٧٧١ و٨١١) ولم يسمه، مما قد يحمل على الاعتقاد بوجود كتابين مختلفين ، في حين انهما كتاب واحد ، كما رأينا آنفا .

هذا وفي دار الكتب المصرية مخطوطة (انظر فهرس مخطوطات الدار – رقم ٥٤٦ أدب) لديوان شعر القطامي وهي بخط ابن المستوفي ، وقد فرغ من كتابتها في ١٦ ربيع الأول من سنة ٥٨٢ هـ / اب ١١٨٦ م ، وهى مكتوبة بخط جميل مشكول دقيق

الضبط . وقد تم طبع الديوان في بيروت في سنة ١٩٦٠ م ، بتحقيق الاستاذين إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، وقد ذكرا انهما اعتمدا نسخة من الديوان منقولة عن نسخة ابن المستوفي (انظر المقدمة ص ١٧) . والجدير بالذكر ، انه غير معروف عما إذا كان ابن المستوفي هو الذي جمع الديوان المذكور ، أم انه كان مجرد ناسخ له . هذا وقد ذكر الربذاوي (الحركة النقدية ص ٥٤٣) ان لابن المستوفي نقــل كتابا آخرا بخطــه هـ " مـعاني شـعر أبي تمام " للآمدي ، لان المؤلف لم يكن يكتفي بالاطلاع على المؤلفات الأخرى وقراءتها ، وإنما يعمد الى نسخ بعضها لنفسه ، كهذا الكتاب الذى نسخه في سنة ٥٨٩ هـ .

ف / وهناك كتاب آخر هو " **كتاب أحكام النحو** " نسبه البغدادي الى ابن المستوفي (هدية العارفين ٢ / ٣) . ويبدو – على كل حال – بأن أهم مصنفات ابن المستوفي هو كتابه " تاريخ إربل " الذي انفرد به ، في حين أن بقية المواضيع التي عالجها قد شاركه في معالجتها غيره من المصنفين . هذا وقد خصصنا القسم الثالث من هذه الدراسة للكتاب المذكور .

٨ – تلاميذ ابن المستوفي :

يبدو ان ابن المستوفي ، مع علمه الواسع وتضلعه في مختلف الفنون ، ومع رحابة صدره وانفتاح مجلسه للشارد والوارد ، وكلفه بالعلم والادب ، أقول مع هذا كله فانه – على الأرجح – لم يتسع له الوقت فيتخذ تلاميذة وطلابا يتعهدهم بالتدريس والتعليم . وذلك في ظني ، لسبب بسيط جداً ، هو انه كان كثير المشاغل ،كبير المسؤولية . فكما سبق وبينا انه كتب الانشاء لكوكبوري مدة أربعين سنة ، وتولى العديد من الوظائف ، كالاستيفاء ، وفيه مسؤولية كبيرة ، ثم الوزارة التي تشمل إدارة الدولة كلها . وإذا أضفنا الى ذلك إقباله على أهل العلم وتفقده إياهم ، وأخذه عنهم ، وعمله الدائب في جمع المواد لمصنفاته الكثيرة ، التي – على مايظهر – انه بدأها وهو في الثامنة عشرة من عمره يوم كتب " ديوان القطامي " بخط يده . نقول إذا أخذنا هذه الامور بنظر الاعتبار ، أدركنا مدى ضيق وقته وحقيقة استغراقه في العمل الجاد في الليل والنهار .

ولذا فلا غرابة ان لايكون له طلاب يواظبون على الاختلاف اليه ، ولكن ابن الفوطي ذكر وجود تلامذة له منهم كمال الدين محمد بن عثمان بن أبي غالب الجزري الأديب وكان كاتبا سديداً ، وقال انه من تلامذة شرف الدين أبي البركات " (مجلة المجمع العراقي ٩ / ١٥٦) .

الا ان ذلك لايعني مطلقا بأن ابن المستوفي لم يكن من أهل العطاء ، فلقد سبق والقينا نظرة على مصنفاته الكثيرة ، وهي بحد ذاتها عطاء سخي ، ورأينا كيف كان مجلسه ندوة لاهل العلم والفضل ، ولابد انه كان يفيض خلال تلك الندوة على جاسائه وزواره بما أتاه الله من علم وأدب ، ويشنف أسماعهم بأناشيد من شعره . ولاشك ان خير من يصف ذلك هو ابن الشعار ، الذي يقول عن ابن المستوفي : " ثم شاهدتُ من افضاله وفضله ، وسعة صدره وغزاره عقله ، وإحسانه الى الانام ، ماحبّب اليَّ السكني بها (أي باربل) والمقام . فعند ذلك استوطنتُ كنفه الرحب ، ووردتُ منهل بره العذب . فصحبته ستة أعوام في أرغد عيش وأهناه ، وأطيب زمان وأسناه ، وأوفي سرور وأكمله ، وأتم نعيم وأجمله . وكم أخذنا في الاناشيد وتجاذبنا طرقها ، وتذاكرنا فنون الملح وبدائع أصنافها " . هكذا كانت مجالس ابن المستوفي ، إنشاداً للشعر وتجاذبا لاطراف الحديث ، وتذاكراً لفنون الملح وأصنافها . ولابد ان الحاضرين كانوا ينتفعون بما كان يجري فيها مثلما انتفع ابن الشعار الذى قضى ست سنوات من عمره في ملازمة ابن المستوفي ، وقد سماها " فرصة العمر " (ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ٢١ أ و٢٣ أ) . ولابد ان ابن الشعار قد قابل الكثيرين من الأدباء في مجلس أستاذه ابن المستوفي، مما ساعده ولاشك على تصنيف موسوعته " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " .

وذكر ابن خلكان (٣ / ٢٩٤ - ٢٩٨) بأن ابن المستوفي ، عندما تقاعد عن العمل اثر وفاة كوكبوري ، ولزم بيته ، كان الناس يلازمون خدمته الى ان ترك إربل ، وقد استغرق ذلك أربع سنوات . والذى أرجحه ، هو ان هذه الفترة أتاحت الفرصة لابن المستوفي ليكون أكثر اتصالا بأهل العلم وطلبته ، ولعله تمكن من التفرغ ، أكثر من

السابق ، لعقد مجلسه حيث تتم المناقشة وتبادل الأفكار ، الأمر الذي أدى بدوره - على ما أظن - الى ازدياد إقبال الزوار عليه ، وأغلب الظن أن كان بين هؤلاء عدد من الشبان المتطلعين للعلم والمتعطشين للنهل من منابعه .

ولكننا على كل حال ، لانعرف كثيراً عن أسماء رواد مجلس ابن المستوفي ومن كان يلازمه . ولقد تقدم ذكر حضور الشاعرين طه بن إبراهيم الاربلي والحسام عيسى الحاجرى ذلك المجلس ، ونظمهما الشعر فيما كان يعرض لهما من أغراض ، الا اننا لانستطيع أن نعدهما من تلاميذ ابن المستوفي ، إذ كانا في عداد الزملاء والأقران . ولكن بوسعنا القول ، بكل اطمئنان ، بأن ابن الشعار كان واحداً من تلامذته ، لاسيما وقد اعترف صراحة بأن سكناه باربل مدة ست سنوات كاملة ، ما كان إلا لغرض ملازمة ابن المستوفي ، وان من يقرأ الترجمة التى كتبها ابن الشعار لابن المستوفي فى كتابه " عقود الجمان " ، وقد اقتبسنا فقرات منها تقدم ، ليشعر بالاحترام والاكبار اللذين يكنهما ابن الشعار لاستاذه . ولقد ذكر ابن خلكان بوضوح ان ابن الشعار هذا ، كان في خدمة ابن المستوفي في سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م وانه سيَّر على يده ديناراً الى الشاعر عبد الرحمن البوازيجي ، يوم وصل الشاعر الى إربل ، إذ كان في خدمته (ابن خلكان ٣ / ٢٩٦) . ثم ان ابن الشعار اعتمد كثيراً على " تاريخ إربل " في مؤلفه آنف الذكر (التعريف بالمؤرخين للعزاوي ص ٦٠) ، وقد روى فيه عن ابن المستوفي مباشرة في مواضع كثيرة . و" عقود الجمان " في ظني ، من أمهات الكتب التي أرخت للشعراء الذين عاشوا في القرن السادس والذين أدركوا القرن السابع الهجرى (مخ استانبول ١ ورقة ٢ و ٤) ، بل انه موسوعة تتألف من عشرة اجزاء ، مجموع صفحاتها تقرب من ٥٠٠٠ صفحة (ان الموجود منه هو ثمانية اجزاء مخطوطة فقط ، وقد رأيتها في المكتبة السليمانية باستانبول ، ونقلت عنها) . واني أميل الى القول بأن ابن المستوفي قد اطلع على هذا الكتاب بعد هجرته الى الموصل ، حيث قضى ثلاث سنوات قبل أن يتوفى بها ، ولعله أبدى بعض الملاحظات والاقتراحات والتوجيهات ، مما ساعد تلميذه ابن الشعار على إخراج هذا السفر العظيم . (١)

---

(١) انظر بحثنا عن ابن الشعار وكتابه في " مجلة كلية الاداب " بجامعة الملك سعود لسنة ١٩٧٩ م العدد السادس ص ٢١٧ - ٣١٢ .

وشخص آخر يمكننا ان نعده من تلاميذ ابن المستوفي أيضا ، هو ابن خلكان الذي ، فضلا عن الاعجاب الذي كان يكنه لابن المستوفي ، فانه قد ذكر صراحة سماعه منه ، إذ قال : " وسمعتُ منه كثيراً ، وسمعتُ بقراءته على المشايخ الواردين على إربل شيئا كثيراً ، فانه كان يعتمد القراءة بنفسه " (وفيات ٣ / ٢٩٤) . والحق ان ابن خلكان عاش باربل منذ ولادته حتى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، يوم كان ابن المستوفي في أوج حياته ، قبيل توليه الوزارة ، ولعله لقيه في مناسبات كثيرة ، وانتفع به بأشياء اكثر من مجرد السماع .

لقد كان ابن المستوفي - كما أسلفنا - من أئمة الحديث العارفين بعلومه وأسماء رجاله ، وجميع مايتعلق به . ولا شك ان شهرته هذه ، قد بلغت بعض المحدثين من أهل عصره ولاسيما الذين وردوا إربل ، وأتيحت لهم فرصة التعرف عليه . وقد جرت عادة العصر أن يستجيز أهل الحديث من يلقونه من الشيوخ ، أو يكتبوا إليهم في طلب الاجازة ولم يشذ ابن المستوفي عن هذه العادة ، فاستجاز عدداً من الشيوخ ، كما انه هو بدوره قد أجاز لغيره . الا انني مع الاسف الشديد ، لم أقف على أسماء من أجازهم ابن المستوفي ، اللهم الاماذكر بشار معروف (المنذري ص ١١ ، ١١٤) من ان الحافظ عبد العظيم المنذري ، المحدث المصري المعروف ومؤلف " التكملة في وفيات النقلة " ، قد أخذ الاجازات من مختلف البلدان ، ومنها إربل إذ كتب له الاجازة ابن المستوفي (توهم السيد بشار فسماه " أبا الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب " ، وهذا هو اسم والده . وذكر بأن المنذري قد ترجم له في " التكملة " برقم ٢٩٠٨ ، لكنني لم أتمكن من الاطلاع على تلك الترجمة) . وهذا بلاريب ، مدعاة فخر لابن المستوفي ، أن يستجيزه محدث كبير كالمنذري ، فيكتب له من القاهرة طالبا إجازته . وهذا في الوقت نفسه ، دليل على سعة الشهرة التي نالها ابن المستوفي .

كذلك ذكر السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) بأن ابن المستوفي قد أجاز لابي نصر الشيرازى ، ولم يسمه . وأبو نصر هذا هو محمد بن هبة الله المعروف بابن مَميل ، المولود في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ، والمتوفى في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م ، وهو من

أهل الحديث ، وقد روى عنه أكابر المحدثين كالمنذري والبرزالي . وولي قضاء القدس والشـام ، كما ولي التدريس بالشام أيضا (طبقات السبكي ٨ / ١٠٦ والوافي ٥ / ١٥٧) . وكون ابن المستوفي أجاز لابي نصر الشيرازي – وهو أكبر منه سنا ، إذ وُلد المستوفي في سنة ٥٦٤ هـ ، فخر عظيم واعتراف بعلو مكانة ابن المستوفي في الحديث. والجدير بالذكر ان الفاسي مؤرخ مكة المعروف قد سمع " تاريخ إربل " عن أبي هريرة ابن الحافظ الذهبي (وهو المؤرخ المشهور) عن أبي نصر الشيرازي (هذا الذى نحن بصدده) عن مؤلفه ابن المستوفي (العقد الثمين جـ ١ ص ٢٢) .

٩– الشعر الذى قيل في ابن المستوفي :

كان ابن المستوفي ، كأية شخصية بارزة تولت مراكز رسمية عالية ، وتصدرت في ميادين المعرفة ، أقول كان عرضة للمدح والقدح . وكانت الوسيلة المعروفة في عصره ، للتعبير عن ذلك هي الشعر ، إذ كان يقوم ببعض الدور الذي تقوم به الصحافة في أيامنا هذه . ولقد كان نصيبه منه غير قليل . ولذلك لابد لمن يترجم له أن يتناول الشعر الذى قيل فيه ، فانه جزء متمم لترجمته ، لايمكن الاستغناء عنه . ولقد حاولت استقصاء هذا الشعر ، فعثرت على كمية غير قليلة أكثرها في مدحـه ، ولم أجد في ذمـه غير بيت واحد هو أقرب للمفاكهة منه الى الذم والهجاء ، وقد نظمه صديقه المجد النشابي ، سالف الذكر (ذيل اليونيني ١ / ١١٢) ، وهو

ان المبارك فيه توقف ولجاجه   صديقه أنت مالم تعرض اليه بحاجه

أما الباقي فكله مدح وثناء . وقد حوى " تاريخ إربل " عدداً من المقطوعات في مدحه، والغريب ان ابن المستوفي لم ينبه القارئ الى ذلك ، تواضعا منه وكرم أخلاق . فمن ذلك ما كتبه اليه علي بن ملاعب الموصلي (مخ ورقة ٦٨ ب) .

مولاي اني ومن قام الدليل بـه   بين البـرية من عجم ومـن عربِ
لذاكر ناشر نعماك فابـق لنا   ماغرد الـورق في أيك وفـي غَرَبِ

وبدلا من أن يذكر لنا المؤلف مناسبة نظم هذين البيتين ، نراه ينتقد الشطر الاخير منهما ، ويكشف خطأ الشاعر ، لأنه ظن بأن الأيك هو نوع من الشجر ، ثم يأتي بالدليل على خطأه من الكتاب العزيز .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ذلك ان المؤلف قد عاد فرقداً الكناني الاسكندري ، الذي مرض أثناء زيارته لاربل ، فكتب فرقد اليه هذين البيتين (مخ ورقة ١٠٣ أ) :

أبا الفضلات قد أصبحتُ فرداً مريضاً مملقاً وحيداً غريبا

وجاهك أبتغي في دفع بؤسي وإصلاح ويكون أيضاً طبيبا

وهذا أحد الاشراف العباسيين يتناول ابن المستوفي قصيدة في مدحه ، فلا ينبه الى ذلك ، وإنما يعتذر للقارئ ، لأنه أثبت القصيدة في " تاريخ إربل " ، إذ لم يجد للشريف المذكور غيرها ، فيثبته (مخ ورقة ١٠٨ ب - ٢٠٩ أ) ، ومنها :

لو دعي ماجد فطنٌ مالقس قطّ حكمته

فاق مَعْنا بالسخا كرما أخجلت السحب راحته

ومنها : نجل موهوب سليل حجى ليس غير الحمد بغيته

سار سر العلم فيه كما سار في الآفاق سيرته

وكتب اليه زائر بغدادي (مخ ورقة ١١٧ ب) مقطوعة ، ورد فيها :

فقتَ الورى برجاحة وملاحة وصباحة تجلو الظلام ورونقِ

وَرِثتَ جوداً كان أبائك الغر الكرام الاتقياء الحذَّقِ

حزتَ المكارم منهمُ وورثتَها فاسعد بها فلأنت خير موفقِ

وزار إربل ابن القصطلاني المصري ، فكتب الى ابن المستوفي شعراً (مخ ورقة ١٣٦ ب - ١٣٧ أ) جاء فيه :

أبا الفضلات كنتُ بأرض مصر سمعتُ بذكرك العطر النسيمِ

وقد وافيتُ أخبر ماروى لي الورى عن بر نائلك الجسيمِ

ومن نظم ابن القصطلاني المذكور أيضا :

أتيتك فاستنشدتني متفضلا ومثلي من يخشي ومثلك يُرهبُ

فكن قابلا عذر أمرئٍ متلدد له الهمَّ مرعى والمدامع مشربُ

يحنّ إلى مصر باربل ضلّةً وأين من المشتاق عنقاء مغرب "

وكتب اليه زميله في السماع أحمد القيسي الاسكندري (مخ ورقة ١٥٢ أ) هذين البيتين :

ياشرف الدين الذي ذكره | قد شاع في المشرق والمغربِ
ومن إذا ناداه مستصرخٌ | أجابه الصامت كالخُلّبِ

وكتب إليه أديب بغدادي قصيدة ، أكثرها في النسيب ، ثم ختمها بمدحه (مخ ورقة ١٧٠ ب) ، فقال :

مولايَ ، مالي والنسيب ونظم أوصـ | ـاف الحبيبي مغزّلا ومشببا
ويهزني شدو الحداة بذكرهم | فكأنني غصن تميل به الصبا
ماذاك إلا أنني لك عاشق | وأقول ذاك على الزمان تعربا
أولا فما نجد وماسِقْط اللوى | لولا هواك ، وما العقيق وماقبا ؟

وكتب إليه أديب اسكندري (مخ ورقة ١٧١ أ) يقول ·

ياوزيراً به الوزارة تزهى | واليه الأمور تنمَى وتُنهى
وعليه معوّل الناس طراً | ولديه عين النوائب مَرها

وقدم إربل صدقة الكتبي من بغداد ، لبيع الكتب فيها ، فكتب الى ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧٧ ب - ١٧٨ أ) يقول :

عبدك جاءك مسترفداً | زاداً الى الموصل يكفيهِ
وكنتَ أنعمتَ بانجازه | والوعد أحرى بك تُوفيهِ

وكتب اليه أديب موصلي (مخ ورقة ١٨٨ ب) زار إربل ·

جاء الشتاء وعند كلٍ بلغةٌ | إلاّىَ عندي صبيةٌ أطفالُ
آمالهم بعرى علاك منوطةٌ | ياخير من نيطت به الآمالُ

وأديب موصلي آخر كتب إليه (مخ ورقة ١٩٨ أ - ب) مقطوعة جاء فيها :

قد أمكن الجاه فاصنع ماتقرّ به | عين المعالى فيمسي الشكر معروفا
وأجعل زكاة العلا والمجد محتسبا | منه أغاثة من وافاك ملهوفا

ومنها : ثم انتهز فرصة الامكان ، ان لها | بعد التمكن تزييلا وتحريفا

لازلتَ للمجد أهلا ما أتـى ومضـى وجه الجديدين مبسوطا ومكفوفا

وانشده شاعر اندلسي (مخ ورقة ٢١٥ أ وابن الشعار ج ٥ ورقة ٢٣٧) أبياتا منها :

سلام لساعات التلاقي من الهوى محـلا وأيـام الشباب من العمرِ

أخص بها معنى الكمـال وشخصـه وسبّاق غايات الفضائل والفخرِ

أبا البركـات الألمعـي الذي غـدا له شرف يربي على الشمس والبدرِ

وقال أيضا : ياماجداً ملأ الزمان فضيلة وسـيادة تختـال تحـت سعودِ

انـي رجـوتك للزمـان فـانه زمـنٌ ألـحَّ علـىَّ بالتنكيـدِ

وعدمـتُ صـبري فادركنـي إنني ياكعـبة الآمـال حلـف فقيدِ

وشاعر اندلسي آخر زار إربل (مخ ورقة ٢١٥ ب) ، وأنشد ابنَ المستوفي أبياتا

منها : ياماجـداً يجـلي بغـرُة وجهـهِ سَدفَ الخطوب على القلوب فتنجلي

ومعـوُداً قبـض اليميـن وبسطها اسـتداء عـارفة وجلوة مشكلِ

ومنها . كانـت لعبـدك في لقائك بشرة يرجـو إدامتهـا مع المستقبلِ

وعليك بعد اللـه ، معتـمدي بها ونداك يمحـو كل خطب معضلِ

وهذا أديب اصفهاني زار إربل ، ونظم قصيدة طويلة (مخ ورقة ٢١٩ أ - ب) يعرج

فيها علي مدح ابن المستوفي جاء فيها :

فأيهـما أنـدى وأوسع نائـلا نـدى شـرف للدين أم لجة البحرِ

أبي البركات المرتجى - دام ظلـه - أخي الكرم ، ابن الجود في العسر واليسرِ

مبـارك وجـهٍ يمنـه متهـللٌ وموهـوب مالٍ في الورى دائمُ القطرِ

تعـلّك فاسـتوفى نصـاب كمـاله وأحسـن واستولى على نُوَب الدهرِ

هـو الصـدر للاسلام والظهر للهـُدى فبـورك من صدر وبورك من ظهرِ

وكتب إليه فقيه موصلي (مخ ورقة ٢٢١ ب - ٢٢٢أ) عدة مقطوعات منها :

أهـلُك اللـه للمكـارم والسـؤ دد والحمـد والعطـاء المكمَّـلْ

وحماكم كمـا حمـى الله الرسـل وأعطـاك كـل أمـر مـسهَّلْ

وقال أيضا: وحياة رأسك ، وهو مثل المصحفِ عنـدي ، ولـولا حقه لم أحلفِ

إني علـى عـزم المسـير صبيحـة الـ ... اثنـين بعـد غـدٍ بغيـر توقفِ

وعلاوة على هذه المقطوعات ، فان ابن الشعار روى عدداً من القصائد في مدح ابن المستوفي ، ومنها قصيدة (مخ استانبول ٣ ورقة ٢٩٥) لعبد العزيز بن عثمان الاربلي نظمها بمناسبة عيد الأضحى ، وقد جاء فيها :

أبا البركات العيد وافـاك مقبـلا ... لبعـد ، فكـن ياسعد البر قائلا

أتاك أناس للتهانـي فصادفـوا ... مـن اسـمك فالا فيه للخَلْق شاملا

فولوا وجاء الدهـر في اثر سعيهم ... يقيـم لهـم عذراً ويخضع سائلا

ومدحه عبد القادر بن بهاء الحراني (ابن الشعار – مخ استنبول ٤ ورقة ٢١) بقصيدة طويلة ، مطلعها :

الدمعُ يظهـر ما أحـنّ وأضمـرُ ... والسُّـقم يهتـك فيَّ الذي ما أسـترُ

ومنها : لاتخذلنّي ياعذول فـان لـي المـ ... ـولـى أبا البـركات أضحـى ينصـرُ

الماجد الحَبر الجـواد ومـن غـدت ... عنـه أحـاديث المكـارم تُسـطرُ

مازال مـن جـدوى يـديه مـوردٌ ... عـذبٌ لمـن يرجـو نـداه ومصدرُ

وكتب اليه محمد بن الحسن بن جامع الأربلي (المصدر السابق ٧ ورقة ١٢٤) قصيدة مطلعها :

شـكوتُ الذي لاقيتُ من نُوَب الدهرِ ... ومـا نالنـي بعـد الثـراء من الفقرِ

ومنها : الى شرف الديـن الوزيـر فانه ... قديـرٌ على إصراف عسـرك باليسرِ

أبي البركات الأريحي الـذي سـما ... بمعـروفه قـدراً علـى الأنجم الزُهرِ

هو الصاحـب المغرى بتفـريق مـاله ... على الطارق الملهوف في اليسر والعسرِ

ومدحه ابن رشادة الواسطي (المصدر السابق ٣ ورقة ١٤٨) بقصيدة جاء فيها :

أبا البركات الصاحب الندب ذا النُهـى ... رضيـع اللها نجل الكرام الاطايبِ

نداء محـب يعـرف الرتبـة التـي لكـم في الورى ، لا كالجهـول بواجبِ

أقِلْ عثرتي فالوقت قد مـضَّ عـضهُ ... وأنشبنـي في معضلات المصائبِ

ومن الشعر الموجه الى ابن المستوفي ، ماكتبه علي بن عثمان الاربلي اليه ، وكان قد

كُلّف بتولي بيمارستان إربل ، وفقا لما ذكر اليونيني (ذيل ٢ / ٤٨٠) ، من قبل شخص اسمه العلاء :

يأيهــا المولــى الــــوز ـــر ذي الرعـــاية والعنـاية
ان العــــلاء أضلُّـــــني بالقـــول عن طـرق الهـدايه
لألـــي لمارســــتانكم وأقـــوم فيــه بالكفـــايه
انـــي لمحتـــاج اليـــه متـــى أجبــت الـى الولايـه

كذلك روى اليونيني (ذيل ٣ / ٣٠٣) قصيدة مدحه بها طه بن إبراهيم الاربلى ، الذى كان قد هجا إربل ، كما أسلفنا ، ومنها ·

مولاىَ دعـوة بائـــس عن عليـــةٍ لطفـــان بالاطــلاق نار غيـاله
قعـــد الزمـــان به فقام بحمـــله نحــو ابـــن موهـوب عزى آماله
أى رب ابق في المنــازل واستجب منـــي دعـــائي بالنـــبيّ وآلــه
أولانـــي الافـــراح أي صنيعـــة أولـــى وأردفهـــا يخالــص ماله

وشاعر إربلي آخر مدح ابن المستوفي ، هو سليمان بن بليمان الاربلى (المصدر السابق ٤ / ٣٢٧) ، فقال ·

ياشرف الديـــن الـــذى لـــم يزل بمجـده المنصـــوب فـــي رفـعِ
والكامل الخير الـــذي لـــم يـــزل يصـــــدق فيـــه خبـــر السـمعِ

وقال فيه أيضا .

ومازالت الركبـــان تخـــبر عنكـــمُ أحـــاديث كالمسـك الذكي بلا مينِ
الى أن تلاقينا فكان الـــذى وعـــتْ من القول أذني دون مأبصرتْ عيني

وروى ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ١٣٧) ماكتبه علي بن يوسف البوهرزي الى ابن المستوفي ، وهو ·

وحق فضلك يامولاي مانتقصـــت يوما عهودك في خفض ولا بمالي (كذابالاصل)
ولاتغيرتُ عن ذاك الـــولاء لكـــم ولا خــــلا منكــــمُ قلبي ولابـالي
وكيف أنسى أياديك التي سـلفت ، إن كـــان ذاك فـــلابلّغتُ آمالـــى

وكذلك روى ابن الشعار (المصدر السابق ٣ ورقة ٢٩٦) تهنئة شعرية بعيد الأضحى مقدمة الى ابن المستوفي ، كما روى قصيدة (المصدر السابق ١ ورقة ٢١٤) نظمها أحمد بن ملاعب بن علي في ابن المستوفي ، وهي

أبا شرف الاسلام قد مسني الضر ... فلا جلد من بعد هذا ولا صبر

أجرني فقد أضحى الزمان معاندي ... وحسبي بلاءً منه أيسره الفقرُ

وماذا احتيالي قد بليتُ بأربع ... بها جسدي مضنىً وقد نفد العمرُ

وحيدٌ ومعيولٌ وطول بطالةٍ ... دهاني تماديها وقد خانني الدهرُ

وكم لي أسلّي النفس عما أصابني ... على مضض مني اذا هاج بي الفكرُ

أقول اصبري بالله يانفس وأعلمي ... بأن ابن موهوب لنا في الورى ذخرُ

أنيس كبير عالم سيد معا ... كريم حليم صائم قائم حَبْرُ

له عزمات في النوال متى دنا ... أخو عثرة مغناه حلّ به اليسرُ

فلو حاتم في الجود باق بعصره ... لكان له عبداً لديه ولافخرُ

ولو ان كسرى عاش فينا بعد له لبان ... له من عدله أنه كفرُ

ومنها · فخذها عروسا طفلة فجهازها ... مديحك والاحسان منك لها المَهْرُ

وعش وأبق في عيش رغيد ورفعةٍ ... مدى الدهر مالاح السما وبدا البدرُ

وقد زار أحد الواسطيين إربل (مخ ورقة ١٤٠ أ) وكتب الى ابن المستوفي الأبيات الآتي ذكرها ، غير ان ابن المستوفي اكتشف انها مسروقة من شعر إبراهيم بن هلال الصابي ، وهي :

لما وضعتُ صحيفتي ... في بطن كف رسولها

قبّلتها لتمسها ... يمناك عند وصولها

وتود عيني أنها ... كانت خلال فصولها

لأرى بها من وجهك الميمون غابة سولها

ونقل الينا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤٠ ب - ١٤١ أ) رسالة كتبها اليه أحد مترجِّميه واسمه " سبط ابن هداب " ، وقد جاء فيها " صبّح الله - تعالى - الخدمة

بسعادة عالية العماد ، وسيادة راسيه الاوتاد ، ونعمة وارية الزناد ، وثروة دائمة الى الآباد ، وعدل ناشر في البلاد ، وعمر مستمر الى التناد ، وعافية شاملة للقلوب والاجساد ، وعاقبة محمود الاصدار والايراد ·

صباحا باقبال السعادة مؤذنا   وبالجاه والأمر المنفذ مقرنا ... ألخ "

كذلك تلقى ابن المستوفى (مخ ورقة ١٢٠ ب - ١٢١ ب) رسالة تعزية من الشيخ حماد البوازيجي ، بمناسبة وفاة أخيه صدَّرها بمقطوعة شعرية ، جاء فيها :

تعزونني أم اعزيكمُ   بمن كان عضوين لي في الجسدْ
أتته المنية مغتالةً   فنقَّص ممن أحب العددْ

أما ابن خلكان (٢٩٦/٣ - ٢٩٧) فقد روى قصة ارسال ابن المستوفي ديناراً مثلوما الى الشاعر عبد الرحمن البوازيجي ، الذى ظن بأن الرسول قد قرض منه قطعة ، فكتب اليه هذه الأبيات ·

يا أيها المولى الوزير ومن به   في الجود حقا تُضرب الأمثالُ
أرسلتَ بدر التمّ عند كماله   حُسنا فوافي العبدَ وهو هلالُ
ماغاله النقصان إلا أنه   بلغ الكمال ، كذلك الآجالُ

فأعجب ابن المستوفي بهذا المعنى ، وأجاز الشاعر وأحسن اليه .

ولابد لى في ختام هذه الفقرة من إيراد البيتين اللذين رواهما ابن خلكان ، وهما للشاعر يوسف بن النفيس المعروف بشيطان الشام ، وقد نظمهما في رثاء ابن المستوفي :

أبا البركات لو درت المنايا   بأنك فرد عصرك لم تصبكا
كفي الاسلام رزءً فقد شخصٍ   عليه بأعين الثقلين يُبكى

وهناك قصيدة طويلة نظمها الشاعر محمد بن احمد بن سعيد الأزدي ، المعروف بابن الدينة ، مدح فيها ابن المستوفى (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٥٠ أ) ، الا أن المجال لايتسع لذكرها .

كما ان خير ما اختتم به هذا الفصل عن حياة ابن المستوفي ، هو ماقاله ابن خلكان

في ختام ترجمته له ، إذ قال : " ولولا خوف الاطالة ، لذكرت كثيراً من وقائعه وأخباره وماجرياته وتفاصيل أحواله ، ومامُدح به . ولقد كان - رحمه الله تعالى - من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد مثله في فضله ورئاسته " . ولكنني أعود فاستدرك ، قبل فوات الأوان ، فأقول بأن ما قدمتُ عن مدح الناس لابن المستوفي وتعداد فضائله ، لايعني بشكل من الاشكال ، انه كان بريئا من الاعداء . في الحقيقة انه تعرض في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، لمحاولة اغتيال ، استهدفت حياته ، وهو خارج من المسجد ليلا ، الا انه نجا منها ، وقد تمكن الجاني من اصابته بجروح بليغة في ذراعه . ولكن الدوافع وراء تلك المحاولة الاثيمة لم يتعرض لذكرها أحد ممن ترجم له . وقد سجل ابن المستوفي الحادث بابيات لطيفة نظمها ، وبعث بها الى كوكبوري في تلك الليلة ، وقد سبق لنا ايرادها في موضع آخر من هذه الدراسة (أنظر ص ٢٨٤ وابن خلكان ٣ / ٢٩٦) .

القسم الثالث
ابن المستوفي المؤرخ ، وكتابه :
" تاريخ إربل "

في اعتقادي ان دراسة " تاريخ إربل " بحد ذاتها ، ووصف مزايا هذا الكتاب ، يغنيان عن تكريس فصل خاص لابن المستوفي وتثمينه كمؤرخ . لاننا لو فعلنا ذلك ، لكنا قد كررنا القول نفسه في موضعين بدون مبرر ، وفي ذلك ما فيه من إضاعة للوقت وإسراف في الورق . وسنتناول في دراستنا هنا ، أولا وصف الكتاب وموضعه بين كتب التاريخ ، ثم وصف الاسلوب الذي اتبعه ابن المستوفي فيه ، والمادة التي ضمنها إياه ، وأخيراً أهمية هذا الكتاب ، ولاسيما مكانته كمصدر للمؤرخين الذين نقلوا عنه . كما سنخصص شطراً من هذه الدراسة لبعض الفوائد العامة التي يمكن استخلاصها من قراءة " تاريخ إربل " ، إن شاء الله .

الفصل الأول - تاريخ اربل
وصفه وموضعه بين كتب التاريخ

١- تمهيد :

من الحقائق المسلّم بها بأن التاريخ عند العرب المسلمين ، في عمومه كان وليداً لعلم الحديث ، إذ المعروف أن أهل الحديث قد شعروا بالحاجة الى تصنيف كتب الطبقات كي يتعرفوا على رواة الحديث ويلموا بتواريخ ولاداتهم ووفياتهم ، لغرض ضبط سلاسل أسانيد الحديث والتأكد من معاصرة رجال السند بعضهم لبعض ، وتبيان إمكان لقاء المشايخ ، لمعرفة الصادق من المحدثين وتمييزهم عن الكاذبين منهم . وقد شعر هؤلاء المصنفون بضرورة تقسيم تلك الطبقات وفقا لاماكن سكنى رجالها ، وفي " طبقات ابن سعد " مثال واضح لهذا الاتجاه ، إذ أضاف في طبقاته أقساما خاصة بالكوفيين والبصريين ، ذكر فيها الصحابة الذين كان لهم بعض العلاقة بهاتين المدينتين (التاريخ - لروزنتال الاصل ص ٨٣ ، ترجمة ص ١٣٤) . وكان ذلك بداية لما عُرف بالتقسيم المحلي أو الاقليمي - الذي يزعم روزنتال بأنه كان يتعلق بالمفاخرات المحلية والاقليمية . كما



القسم الثالث
ابن المستوفي المؤرخ ، وكتابه :
" تاريخ إربل "

في اعتقادي ان دراسة " تاريخ إربل " بحد ذاتها ، ووصف مزايا هذا الكتاب ، يغنيان عن تكريس فصل خاص لابن المستوفي وتثمينه كمؤرخ ، لاننا لو فعلنا ذلك ، لكنا قد كررنا القول نفسه في موضعين بدون مبرر ، وفي ذلك ما فيه من إضاعة للوقت وإسراف في الورق . وسنتناول في دراستنا هنا ، أولا وصف الكتاب وموضعه بين كتب التاريخ ، ثم وصف الاسلوب الذي اتبعه ابن المستوفي فيه ، والمادة التى ضمنها إياه ، وأخيراً أهمية هذا الكتاب ، ولاسيما مكانته كمصدر للمؤرخين الذين نقلوا عنه . كما سنخصص شطراً من هذه الدراسة لبعض الفوائد العامة التي يمكن استخلاصها من قراءة " تاريخ إربل " ، إن شاء الله .

الفصل الأول - تاريخ اربل
وصفه وموضعه بين كتب التاريخ

١- تمهيد :

من الحقائق المسلّم بها بأن التاريخ عند العرب المسلمين ، في عمومه كان وليداً لعلم الحديث ، إذ المعروف أن أهل الحديث قد شعروا بالحاجة الى تصنيف كتب الطبقات كي يتعرفوا على رواة الحديث ويلموا بتواريخ ولاداتهم ووفياتهم ، لغرض ضبط سلاسل أسانيد الحديث والتأكد من معاصرة رجال السند بعضهم لبعض ، وتبيان إمكان لقاء المشايخ ، لمعرفة الصادق من المحدثين وتمييزهم عن الكاذبين منهم . وقد شعر هؤلاء المصنفون بضرورة تقسيم تلك الطبقات وفقا لاماكن سكنى رجالها ، وفي " طبقات ابن سعد " مثال واضح لهذا الاتجاه ، إذ أضاف في طبقاته أقساما خاصة بالكوفيين والبصريين ، ذكر فيها الصحابة الذين كان لهم بعض العلاقة بهاتين المدينتين (التاريخ - لروزنتال الاصل ص ٨٣ ، ترجمة ص ١٣٤) . وكان ذلك بداية لما عُرف بالتقسيم المحلي أو الاقليمي - الذي يزعم روزنتال بأنه كان يتعلق بالمفاخرات المحلية والاقليمية . كما

يظن بأنه كان مساعداً في تبرير الأعراف السائدة في محل ما ، وضرب مثلا لتلك الأعراف بكتب طبقات فقهاء مختلف المذاهب (المصدر السابق – اصل ص ٨٤ ، وترجمة ص ١٣٤) .

وذهب روزنتال الى أبعد من ذلك ، فزعم بأن التاريخ المحلي هو " وليد الشعور بالقومية ، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ باقليمه واعتزازه بوطنه ثم قال :- " ومع ان كثيراً من التواريخ المحلية في الاسلام نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية ، غير ان المفاخر الاقليمية كانت وراء مباحث العلماء "(المصدر السابق – اصل ص ١٣٠ وترجمة ص ٢٠٦) . أقول وهذا أمر يصعب قبوله ، لاسيما وهناك عدد من المؤرخين كتبوا تواريخ مدن هي ليست مدنهم ، ولاصلة لها باقليمهم . فلنأخذ مثلا ابن النجار – وهو بغدادي – قد صنف " كتاب الدرة الثمينة في تاريخ المدينة " (كشف الظنون ص ٧٣٩) ، فلو كان شعور العلماء إقليميا ، لما رأيناه يصنف مثل هذا الكتاب ، ولاكتفى بكتابه عن تاريخ بغداد (وهو بعنوان " التاريخ المجدد لمدينة السلام ، وأخبار فضلائها الأعلام ، ومن وردها من علماء الأنام " ، توجد بعض أجزائه في ظاهرية دمشق وفي باريس – انظر " تكملة المنذرى " ١/٤٦ – حاشية . وفي مكتبة جامعة كمبرج مخطوطة لاحد أجزائه منقولة عن مخطوطة الظاهرية . والجدير بالذكر أن للمقريزى (١) كتابا بعنوان المقفي في تراجم أهل مصر والواردين عليها " ، مرتب على حروف المعجم ، ومنه نسخة مخطوطة في ليدن – (انظر " فهرس المخطوطات المصورة – الجامعة العربية – ٢ / ٢٨٩) . ويمكننا أن نسوق أمثلة أخرى ندحض بها هذه الدعوة الاقليمية المزعومة ، منها " ذيل تاريخ بغداد " الذى صنفه ابن الدبيثي – وهو واسطي – علما بأن له كتابا في تاريخ واسط (كشف الظنون ص ٣٠٩) كما ان الفاسي – وهو مكي مغربي الاصل –

---

(١) لقد اهتم المقريزى ببلدان غير مصر وصنف عنها عددا من الكتب منها ، " الالمام بأخبار الحبشة من ملوك الاسلام " و"الطرفة الغريبة في أخبار حضر موت العجيبة " و" الاشارة والاعلام ببناء الكعبة البيت الحرام " (انظر:" اعلام الزركلي ١/١٧٢" و"معجم المؤلفين " لكحالة ٢ / ١١ وهدية العارفين ١ / ١٢٧ .

كتب " العقد الثمين وفيه تراجم للمكيين ولمن ورد مكة (طبع الكتاب بالقاهرة في سنة ١٩٥٩) ، ولم يكتف به بل صنف " المنتخب المختار في علماء بغداد " (وهو مطبوع ببغداد في سنة ١٩٣٨) . هذا وللسخاوى - وهو مصري - كتاب بعنوان " تاريخ المدنيين" (الضوء للسخاوى ٨ / ١٧) . فلو كان الدافع وراء تصنيف التواريخ المحلية هو الشعور الاقليمي ، لما اهتم أولئك المؤرخين بالترجمة لمن يزور مدنهم ، ولاقتصروا على ترجمة البارزين من أبنائها فقط ، ولما كلفوا أنفسهم مشقة تصنيف تواريخ مدن أخرى . وعلى أي حال ، فان أقدم كتب التاريخ المحلي الموجودة ، هو " تاريخ واسط " لبحشل (التاريخ - روزنتال ، أصل ص ٨٣ و ١٤٤ وترجمة ص ١٢٠ و٢٢٨) وقد حقق السيد كوركيس عواد قطعة منه ، وطبعت ببغداد في سنة ١٩٦٧ م .

هذا وقد عرف العرب أنواعا أخرى من التواريخ ، منها الكتب المرتبة حسب الأنساب ، كأنساب قريش للزبير بن بكار ، و " أنساب الاشراف " للبلاذري (المصدر السابق - أصل ص ٨٤ - ٨٥ وترجمة ص ١٣٦) . ومنها كتب فضائل البلدان ، كشكل مبتور لتاريخ محلي ديني ، يقتصر في الغالب على آيات وأحاديث تمتدح مكانا معينا ، مما لايجعلها جزء صحيحا من التاريخ ، وفقا لرأى روزنتال (المصدر السابق - اصل ١٤٩ وترجمة ٢٣٥) . ومن الامثلة الموجودة لهذا النوع كتاب " مناقب بغداد " تصنيف ابن الجوزي ، المطبوع ببغداد في سنة ١٣٤٢ هـ . كما انهم قد يطلقون على كتب الطبقات الخاصة ببلد معين اسم " تاريخ " (المصدر السابق - اصل ص ١٤٥ وترجمة ص ٢٣٠) وهذا يقودنا الى القول بأن العرب قد عرفوا نوعين من التاريخ المحلي ، أولهما " التاريخ الدينى " ، وثانيهما " التاريخ الدنيوي " (المصدر السابق - اصل ص ١٣١ وترجمة ص ٢٠٧) .

وعلى كل حال ، فان المؤرخين العرب قد عنوا عناية كبيرة بالتأريخ لمدنهم ، لان المدن كانت مراكز للنشاط السياسي والاقتصادى والعمراني ، ومصادر للاشعاع الديني والفكري والادبي . وفيها أقيمت معاهد العلم التي بدأ وجودها في المساجد ، ثم تطورت الى مدارس وربط وزوايا . والى المدن كانت الرحلة في طلب العلم ، تلك الرحلة التي

صارت من التقاليد الأساسية للمجتمع الاسلامي ، فاذا برز في مدينة ما عالم ، جلب لها الشهرة ، وصارت مقصد الرجال . ويرى الدكتور صالح أحمد العلي (مجلة المجمع العراقي - ١٤ /٣ - ٦٠) أن " من الحقائق التي تصل الى مستوى البديهيات ، ان المدن هي المراكز الرئيسية التي تزدهر فيها الحضارة ، وتتعقد فيها النظم ، وتنمو فيها الحركة الفكرية ، وتتوفر فيها بصورة خاصة الوثائق المكتوبة عن نشاط الانسان الاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ . وقد أدى هذا الى أن يكون التاريخ المألوف عندنا هو - في الحقيقة - تاريخ المدن ، ووصف فعاليات أهلها بالدرجة الاولى " . ثم قال " إن المؤلفين العرب والمسلمين اهتموا بدراسة المدن وأحوالها ، وأكثروا من التأليف فيها ، حتى انك قلما تجد مدينة في العالم الاسلامي لم يؤلف فيها كتاب أو اكثر " . وأرى من المناسب ان أشير هنا الى ان الاسلام نفسه قد ظهر في مجتمع مدني - هو مجتمع مكة - ثم وقعت الهجرة الى مجتمع مدني آخر ، هو مجتمع المدينة الذي كان أكثر استقراراً وتنوعا بسبب وجود زراعة متقدمة فيه نسبيا ، وبسبب وجود جالية غير عربية ، هي جالية اليهود ، ثم قرب المدينة من الشام عرضّها لمدنيات أخرى وأعطاها صبغة مدنية مستقرة . ونقطة أخرى أود الاشارة اليها ، هي أن الجيوش الاسلامية كان أول عمل لها ، أثناء الفتوحات ، هو إقامة مدن جديدة كالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان وغيرها . ولذلك يمكن القول بأن الحضارة العربية الاسلامية هى حضارة مدن ، ومنها اشتقت كلمة " تمدن " التي تعني جميع الانجازات التي حققها الانسان في مختلف الميادين . وأكبر دليل على اهتمام المسلمين بالمدن هو حرصهم على كتابة تاريخها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويكفي أن نذكر منها ، على سبيل المثال ، لا الحصر :

أ/ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى (كشف الظنون ص ٢٨٨) وهو مطبوع .

ب / تاريخ دمشق ، لابن عساكر (المصدر السابق ص ٢٩٤) .

ت / تاريخ حلب ، لابن العديم (المصدر السابق ص ٢٩٢) طبعت بعض أجزائه .

ث / تاريخ الموصل ، للأزدي (المصدر السابق ص ٣٠٧) حقق جزءً منه الدكتور على حبيبة وطبعه بالقاهرة في سنة ١٩٦٧ م .

ج/ تاريخ ميافارقين ، لابن الأزرق الفارقي (المصدر السابق ص ٣٠٧) حقق قسما منه بدوي عبد اللطيف وطبعة بالقاهرة في سنة ١٩٥٩ م .

ح / تاريخ تكريت ، لعبد الله بن سويدة التكريتي (المصدر السابق ص ٢٨٩) .

خ / تاريخ الرقة ، لمحمد بن سعيد القشيري (المصدر السابق ص ٢٩٥) .

د / العقد الثمين (وهو تاريخ مكة) للفاسي (المصدر السابق ص ١١٥٠ ، وقد سبق ذكره ص ٢٧٨ من هذه الدراسة) .

ذ / تاريخ نيسابور ، للحاكم ، وذيله لعبد الغافر الفارسي (المصدر السابق ص ٣٠٨) .

ر / تاريخ اصفهان ، لابي نُعيم الاصبهاني (المصدر السابق ص ٢٨٢) وهو مطبوع في ليدن ، سنة ١٩٣١ م .

ز / الاحاطة في تاريخ غرناطة ، تصنيف لسان الدين ابن الخطيب (المصدر السابق ص ١٥ و٢٩٩) وهو مطبوع بالقاهرة .

س / تاريخ مكة ، للازرقي (المصدر السابق ص ٢٠٦) .

ش / تاريخ جرجان . للحافظ حمزة السهمي (المصدر السابق ص ٢٩٠) وهو مطبوع فى حيدر آباد في سنة ١٩٥٠ م .

هذا قليل من كثير ، ولكننا أردنا مجرد التمثيل . والجدير بالذكر أن بعض هذه الكتب هي أشبه بالموسوعات ، فتاريخ بغداد مثلا ، يقع في ١٤ جزءً ، وتاريخ دمشق يقع في ٨٠ جزءً . وبعضها صغير – كتاريخ جرجان – ويقع في جزء واحد فقط . ثم ان المنهج الذي اتبعه هؤلاء المؤرخين يقوم على اعتقادهم بأن المدينة ليست أمكنة ومبان فحسب ، وإنما هى قبل كل شيء ، أناس أحياء ، هم الذين تولوا تخطيطها وإعمارها وإنشاء مختلف مرافقها ، من مساكن ومساجد ومدارس وقلاع وأسوار وأسواق وحمامات ، وما اليها ، وهم أيضا الذين بعثوا فيها الحياة بجدهم ونشاطهم ، فأكسبوها الشهرة والذكر الحسن . وكانوا يبدأون تواريخهم عادة بنبذة تاريخية تتعلق بانشاء المدينة وتطورها ، وذكر أسماء محلاتها وأسواقها ومساجدها ومشاهير حكامها وقضاتها . غير ان القسم

الاكبر من مصنفاتهم هذه ، كانوا يخصصونه لتراجم البارزين من أبنائها والمقيمين فيها ، كما يتناولون بالترجمة النابهين من زوارها (صنف الحافظ المنذري كتابا بعنوان " تاريخ من دخل مصر " ، ولكنه مفقود – انظر " المنذرى " لبشار معروف ص ١٥٥) . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان الزوار كانوا كثيرين جداً ، لان العلماء المسلمين – كما أسلفنا – كانوا يشعرون بأنهم لايمكنهم استيفاء علومهم واستكمال دراستهم ، مالم يرحلوا الى الحواضر الاسلامية الكبرى ، بل والى غيرها من المدن ، مما اشتهر فيها عالم ، أو أنشيء فيها مركز للعلم شهير ، وذلك لكى يتلقوا في تلك المدن عن العلماء بصورة مباشرة ، ولكي يستمعوا اليهم ويحصلوا على الاجازة منهم (Gibb ص ٥٤) .

ومما شجع العلماء المسلمين على الرحلة ، وجود فريضة الحج ، إذ كان هؤلاء ينتهزون الفرصة – عند اداء الفريضة – فيعرِّجون على عدد من المدن ، حتى ولو لم تكن على الطريق المعتاد ، لغرض لقاء أكابر الشيوخ والتلقي عنهم . وعامل أخر كان له دور كبير في تشجيع الرحلة ، هو ان المفهوم الضيق للقومية أو الجنسية ، المعروف الآن ، لما معترفا به بين المسلمين في مختلف العصور ، بل كان مفهوم الوطن يشمل بلاد الاسلام أودار الاسلام كلها ، وكان بوسع العالم المسلم – وغير العالم طبعا – أن يرحل عن بلده وينزل في أي قطر أراد ، ولايجد بين أهل القطر الذي حلَّ فيه ، من يتعصب ضده ، بل انهم ييسرون له وسائل الاقامة حتى لايشعر من قريب أوبعيد انه غريب . وكانوا يعتبرون الواردين اليهم مواطنين مثلهم ، فيرحبون بهم ويحلونهم المكانة اللائقة . وكان هؤلاء ينزلون في المدارس والربط ودور الحديث ودور الضيافة التي انشئت لهذا الغرض ، دون أن يتكبدوا فلسا واحداً . وفوق ذلك كان بوسع الكثير منهم أن يحصلوا على عمل يناسب كفاءاتهم ومكانتهم العلمية . ولقد استمر هذا الوضع حتى العصور الاسلامية المتأخرة ، وكان متبعا – ولا شك – في عصر ابن المستوفي ، وفقا لما يشهد به " تاريخ إربل " ، حسب ما بيّنا في القسم الاول من هذا الكتاب .

وهذه التواريخ المحلية – علاوة على فوائدها التاريخية – أصبحت مصدراً مهما من

المصادر الجغرافية للاقليم الذى تؤرخ له ، مثل " تاريخ حلب " لابن العديم (التاريخ لروزنتال - اصل ص٩٥ وترجمة ص ١٥٠) ، بالنظر لما تلقيه من أضواء على التركيب الجغرافي للمنطقة التي تؤرخها . كما ان هذه التواريخ قد أتاحت حرية واسعة لميول المؤرخ الشخصية ، فصار المؤرخ يختار من الاشكال والمحتويات أنواعا تزيد عما تقدمه التواريخ الحولية ، وخير مثل على ذلك نشؤ تواريخ محلية دينية وأخرى دنيوية ، وفقا لما قدمنا (المصدر السابق - اصل ص ١٣١ وترجمة ص ٢٠٧) . وكثير من هذه الكتب مرتب حسب الحروف الهجائية مثل " تاريخ علماء الاندلس " لابن الفرضي ، و " تاريخ اصبهان " لابي نعيم ، و " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادى (المصدر السابق - اصل ص ١٤٦ وترجمة ص ٢٣١) .

وهكذا يمكن تصنيف التواريخ المحلية ضمن كتب التراجم ، لان التراجم هى العنصر الغالب فيها ، وهـذه تعتبر ، ولاشك جزءٌ من المؤلفات التاريخية ، بل وتبدو التراجم على أنها أثبت صور التعبير التاريخي (المصدر السابق - أصل ص ٨٨ ، وترجمة ص ١٤١) ، وخير مثال لذلك ، سيرة الرسول - ﷺ - . ولكن روزنتال (المصدر السابق - أصل ١٥ وترجمة ص ٢٨) كان قد تساءل في الصفحات الاولى من كتابه ، قائلا بأنه " على الرغم من اعترافنا بأن التراجم جزء أساسي من التاريخ ، فهل يصح قبول التراجم بشكلها الحالى كعنصر بارز في علم التاريخ ، كما فعل المؤرخون المسلمون ؟ أوهل يفيد إقصاء بعض أنواع التواريخ المحلية التي يطلق عليها اسم " تاريخ " ، رغم انها لاتحوي إلا شيئا قليلا ، أو قد تحوي أي شيء من التاريخ ؟ " . ولكنه يعترف بصراحة بأن علم التاريخ الاسلامي ، قد أدخل هذه الكتب ضمن كتب التاريخ ، لاحتوائها على مادة يمكن تصنيفها تاريخية ، وفقا للتعريف الذى أخذ به روزنتال نفسه.

ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ، ان السير هاملتون كب (أنظر مقاله القيم عن مؤرخى التراجم المسلمين ص ٥٤ ، ٥٨) يعتقد ان التراجم هى أفضل أشكال التاريخ ، لانها تعطي المؤرخ قدراً كبيراً من الحرية ليتناول مايشاء من المواضيع ، ولاسيما المتعلقة بالحياة الاجتماعية ، فيدخلها فى كتابه . كما ان التراجم هى الوسيلة التى

مكّنتنا من الاحاطة بنشاط المرأة المسلمة . وعلاوة على ذلك ، فان السير هاملتون يؤكد بأن تصنيف معاجم التراجم هو فن إسلامي أصيل ، لم يسبق اليه ، وقد قدمه المسلمون الى العالم لأول مرة في التاريخ (المصدر السابق - ص ٥٤) ، ولكنه لم يذكر " تاريخ إربل " ضمن كتب التراجم ولا أشار إليه . كما ان حلمي احمد لم يذكره في مقاله المتعلق بتدوين التاريخ العربي في العهدين الزنكي والأيوبي (ص ٧٩ - ٩٧) رغم ان " تاريخ إربل " يقع ضمن هذا العهد ، وان مؤلفه قد عاش ولاية كانت تابعة للزنكيين أولاً ، ثم للايوبيين بعد ذلك .

هذا ويرى عمر رضا كحالة فى كتابه " التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية " ، ان المسلمين جميعا كانوا يعتقدون ان السياسة كانت كلها من عمل الاشخاص ، وانها لاتفُهم إلا على ضوء صفاتهم وخبراتهم ، وبذلك أصبح التاريخ في أذهان كثير من المسلمين مرادفا للتراجم وسير الرجال ، ثم أن كثيراً من فروع المعرفة والعلوم أصبح تاريخها يُفهم على أنه مجموعة لتراجم كبار العلماء (كحالة : التاريخ والجغرافية ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٦٧) .

وفي هذا الصدد قال رودولف زلهايم فى كتابه " العلم والعلماء في عصور الخلفاء " : لايستطيع أي فرع من فروع الأدب أن يطلعنا على مجرى الحياة اليومية خلال القرون الماضية ، وعلى ثقافات تلك القرون اطلاعا فيه عمق ودقة ، مثلما تطلعنا التراجم والسير، إذ لايكاد يتسني لسواها أن يكشف لنا لحظة ما عن ذلك النقاب الكثيف الذي أحاط بجانب من الحياة لم يعزه التاريخ العام اهتماما ، ولم يقيم له وزنا (انظر الترجمة العربية للكتاب ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١١) . ثم استطرد المؤلف يقول : " وكان للنماذج القديمة في كتابات الاغريق والرومان أثرها الفعال على السير والتراجم في أوربا ، ولاسيما منذ عهد النهضة ، غير ان ماكتبه هؤلاء كان مجهولا لدى العرب في القرن الثامن الميلادي ، عندما بدأوا هم أنفسهم يؤلفون في هذا النوع من الأدب (زلهايم ، ص ١١) . وبذلك ينبغي زلهايم تأثر أدب التراجم عند المسلمين بالادب اليوناني أو الروماني .

وبعد ذلك تحدث زلهايم عن تطور أدب التراجم عبر القرون ، فقال ان ذلك أدى الى " تطور أدب خصب في مجال السير والتراجم ، وأحاط بجميع ميادين الحياة الاجتماعية، وهذا الأفق الواسع لم يكن معروفا لا للاغريق ولا للرومان . كما انه لم يكن معروفا في العصور الوسطى في أوربا " (زلهايم ص ١٣) ، ثم واصل الحديث عن مزايا أدب التراجم الاسلامي ، فقال : " ان كُتَّاب التراجم الغربيين يحاولون تقييد القارئ بوجهة نظرهم وحكمهم على من يترجمون له . أما كتاب التراجم المسلمين عامة فانهم قد فتحوا الباب على مصراعيه ، وقدموا صاحب الترجمة للقارئ كما كان حيا وكما كان يعيش في زمنه ، ولم يضعوا إطاراً لينظر المرء من خلاله إليه ، وتركوا الحكم له أو عليه لمن يقرأ الترجمة ، ومهما يكن من شيء فانهم قد أقاموا صرحا شامخا من تراجم الرجال مازال باقيا على الأيام ، وبلغوا في ذلك حداً يتجاوز كل إبداع ويكاد يأخذ بالالباب (زلهايم ، ص ٦٥ - ٦٦) .

٢- التعريف بكتاب " تاريخ إربل " :

إن " تاريخ إربل " الذي نحن بصدده ، هو من التواريخ المحلية التي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة ، وقد ذكره السخاوي (الاعلان ص ٢٤٦) بالفعل ضمن هذه الطائفة من كتب التاريخ . وهو بالدرجة الاولى مجموعة من التراجم لعدد كبير من الشخصيات البارزة التي وردت إربل ، ولجماعة من الأرابلة النابهين أنفسهم . والغريب ان الدكتور طليمات (كوكبورى ص ٢٢٥) يقول عن هذا الكتاب بأنه " ليس تاريخا بالمعنى المفهوم، وإنما هو كتاب تراجم " . أقول وبذلك سمح لنفسه في الحكم على كتاب لم يره ، وأصدر حكما يكاد يكون قاطعا ، باخراج كتب التراجم من صنف كتب التاريخ ، ناسيا بأن " تاريخ بغداد " و" تاريخ دمشق " ليسا سوى كتابي تراجم . فاذا أخذنا بقوله وأخرجنا هذين الكتابين من طائفة الكتب التاريخية ، فماذا يتبقي لهاتين المدينتين العظيمتين من تاريخ ؟ !! . كذلك نسي الأستاذ طليمات ماقاله كل من (روزنتال وگب) عن أهمية كتب التراجم كمصنفات تاريخية ، بل عدها الأخير أفضل أشكال الأدب التاريخي .

وعلى أي حال ، فسأحاول فيما يأتي التعريف بـ " تاريخ إربل " على قدر ما أستطيع استخلاصة من جزئه الثاني :

أ / اسم الكتاب :

سبق أن بينت ، عند الكلام على مؤلفات ابن المستوفي ، بأنه قد صنف تاريخا لاربل، وقد سماه ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢١) " نباهة البلد الخامل ، ومن ورد عليه من الأماثل " ، وقال عنه انه يتضمن أسماء من وقع الى المؤلف ممن ورد إربل وولاياتها ، من الملوك والأمراء والزهاد والعلماء والشعراء والكتاب . وذكره أيضا ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) الا انه لم يذكر اسمه ولاشيئا من محتوياته . كذلك ذكره مصنف " الحوادث الجامعة " (ص ١٣٥) ، وقال انه ذكر فيه من دخل إربل من الشعراء والأعيان ، ولم يسمه . أما حاجي خليفة (ص ١٩٢٣) فقد سماه " نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل " ، ولم يذكر شيئا من محتوياته . وهذه التسمية تطابق ماورد في " الوافي " (١ / ٢٨٦) . واكتفى السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) بالقول بأن لابن المستوفى " تاريخ إربل " وانه وقف عليه . وسماه كحالة (معجم ٨ / ١٧٠) ، " نباهة البلد الخامل لمن ورده من الأماثل " ، وهو الاسم الذى ذكره بروكلمان (ملحق ١ / ٤٩٦) . وتصحّف الاسم في " هدية العارفين " للبغدادي (٢ / ٣) الى " نباهة البلد الحافل بما ورده من الامائل " ، بينما تصحف في " كشف الظنون " (ص ٢٩٣ طبعة أوربا) الى " نباهة الحامل " بالحاء المهملة .

حقا انه لمن العسير جداً معرفة التسمية الحقيقية ، لان المخطوطة التي بين أيدينا لاتحمل اسم الكتاب ، والظاهر ان ورقتها الاولى قد تهرأت بالاستعمال ، أو ان متملكها الاخير قد مزقها عمداً ليعفّي على أسماء مالكيها السابقين ، ويغطى على حقيقة الطريق الذي أوصل المخطوطة الى يديه ، وهو طريق غير شرعي على الأرجح ، إذ لو كان هذا المالك الاخير – ونحن نجهله – قد تملكها بوجه شرعي كالميراث أو الشراء ، لما كان هناك داع لديه ليعفّي على آثار من سبقه من الملاك . وعلى كل الحال ، فان هذه الورقة الاولى قد أُعيد نسخها في وقت متأخر ، على ماأظن . وقد كُتب في أعلى الصفحة الاولى منها " الجزء الثاني من تاريخ بني العباس " ، وفي الحاشية اليمنى للصفحة ، كُتب " الجزء الثاني من تاريخ إربل سنة خمس مايه واثنين وسبعين تصنيف ابي البركات المبارك بن

أحمد بن موهوب المعروف بابن المستوفي في بني العباس " (مخ ورقة ١ ب) . وكُتب مثل ذلك تماما بخط غليظ في ختام هذا الجزء ، وقد استغرقت العبارة أكثر من نصف الصفحة الاخيرة (مخ ورقة ٢٣١ أ) وفي هذه الصفحة نفسها تعليق لأحد متملكي المخطوطة نصه : " مجموع عدد أوراق هذا الكتاب تاريخ دولة بني العباس مائتين (كذا) وثمانية وعشرين (كذا) ورقة " .

وإذا أردنا الترجيح بين الأسماء المتقدمة ، فيجب علينا الأخذ بتسمية ابن الشعار لأنه أقرب المؤرخين عهداً بالكتاب ، بل انه اطلع عليه – وفقا لما بيّنا في موضع آخر من هذا البحث – ولكنني أميل الى التسمية التي أخذ بها الصفدي في " الوافي " وحاجي خليفة في " كشف الظنون " ، لأنها تلائم السياق ، وتؤدي المعنى الذي أراده المؤلف ، أي ان إربل البلد الخامل قد كسب نباهة الذكر والشهرة ، بمن ورد اليه من أماثل الرجال . وعسى أن يوفق الباحثون للعثور على بقية أجزاء" تاريخ إربل " ، ولاسيما جزءه الأول ، لعل فيه مايلقي الضوء على التسمية الاصلية .

ب / حجم الكتاب :

لم يذكر ابن الشعار شيئا عن عدد أجزاء " تاريخ إربل " ، الا ان ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) قال عنه انه في أربع مجلدات ، وانه أحال عليه في مواضع عديدة . أما السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) فقد ذكر بأنه وقف عليه ، وانه بأربع مجلدات أيضا . وتابعهما في ذكر هذا العدد كثيرون كابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) وحاجي خليفة (ص ٢٨١ و١٩٢٣) والبستاني (موسوعة ١ / ٦٨٨) والبغدادي (هدية العارفين ٢ / ٣) وكحالة (معجم ٨ / ١٧٠) وبروكلمان (ملحق ١ / ٤٩٦) الذي قال بأن الكتاب يهتم بصفة خاصة بالشعراء . وقال اليونيني (ذيل ٤ / ١٥٣) انه وقف على مجلد من " تاريخ إربل " لوزيرها ابن المستوفي ، ولم يزد على ذلك . أما السخاوي (اعلان ص ١٢١) وتابعه روزنتال (التاريخ – اصل ص ٣٨٢ وترجمة ص ٦٤٠) فقد انفرد بالقول ، بأنه بخط المؤلف في خمس مجلدات ، وان أكثر من فيه أدباء وملوك !! .

ومهما يكن الحال ، فان " تاريخ إربل " قد صُنف بأكثر من جزء ، لان الجزء الذي

بين أيدينا هو الجزء الثاني منه - وليس الرابع ، كما توهم الاستاذ الراحل آريري (فهرس مخطوطات مكتبة جيستر بيتي ٣١/٥ - مخطوطة رقم ٤٠٩٨) - ثم ان المؤلف نفسه سماه : " الفصل الثاني في ذكر الاخيار والصلحاء والمنتسبين بهم " ، وقال انه خصصه لذكر " المنقطعين الى الزهادة والموسومين بالعدالة والمعروفين بالرواية ، ممن اشتهرت ديانته وعُرفت صيانته وظهرت أمانته " (مخ ورقة ١ ب) . في حين ان ابن الشعار ، ذكر بأن الكتاب لم يقتصر هؤلاء الاخيار والزهاد ، وإنما تناول الملوك والأمراء والشعراء والكتاب أيضا ، وهذا مالانجده في هذا الجزء من " تاريخ إربل" ، ولابد انه قد تناولهم في الاجزاء المفقودة ، بل ان مجرد غياب مقدمة الكتاب هو دليل واضح على ضياع الجزء الاول منه ، الذى لو ظفرنا به لوجدنا فيه - على الأغلب - شيئا عن تاريخ مدينة إربل نفسها ، ولوقفنا على معلومات وافية عن خططها ومحلاتها وحكامها وقضاتها، آسوة بما نجده في الأجزاء الأولى من التواريخ المحلية عادة ، مثل " تاريخ بغداد " و" تاريخ دمشق " .

وما لنا نذهب بعيداً ، وان الجزء الذي بين أيدينا يعطينا الأدلة القاطعة على كون الكتاب بعدة أجزاء ؟!!! . فلقد قال المؤلف (مخ ورقة ١٩٧ أ) عند الحديث عن أحمد بن اسبنديار بن الموفق : " تقدم ذكر والده ونسبه " . وبعد التحرّي ، لم أجد لوالده سوى ذكراً عابراً ، ورد ضمن ترجمة شخص آخر (مخ ورقة ٩٧ أ) . ويصح القول نفسه بالنسبة لدخنة (مخ ورقة ١١٧ أ) ، الذى قال عنه ، انه سبق ذكره ، في حين انني لم أجد له ذكراً في أى موضع آخر من هذا الجزء . وعندما روى قصة الجارية التي اشتراها تميم بن المعز الفاطمي (مخ ورقة ١٠٨ أ) قال المؤلف بانه اختصرها في هذا الموضع ، لأنه ذكرها في موضع آخر . وهى في الواقع غير موجودة في أي مكان آخر من الجزء الثاني . وأشار (مخ ورقة ٢٨ أ) الى عبد الله بن محمد بن محمد ، الذى ولي قضاء إربل ، بأنه سيأتي ذكره . ولكنني لم أجد له أثراً في هذا الجزء .

وهناك أيضا أدلة أخرى ، تؤيد حقيقة تعدد أجزاء هذا الكتاب ، وقد عثرتُ عليها

أثناء استقصائي للمراجع التي نقلت عن " تاريخ إربل " ، إذ وجدتُ إشارات كثيرة الى نقولٍ منه لاوجود لها في الجزء الذي بين أيدينا منه ، وقد رأيت من المفيد أن ألخصها - فيما يأتي :

(١) ابن خلكان : نقل ترجمة نصر الله بن محمد بن الأثير عن " تاريخ إربل " ، وهي غير موجودة في جزئنا ، كما نقل عنه بعض أخبار أخيه المبارك وهي غير موجودة لدينا أيضا . ونقل كذلك عنه ترجمة الحسن بن الحسن ، المعروف بملك النحاة ، ونقل بعض ترجمة الشاعر الاربلي عيسى بن سنجر الحاجري ، عنه ، وفعل مثل ذلك بالنسبة لبعض ترجمة إبراهيم بن نصر ، قاضي السلامية ، وكلها غير موجودة في مخطوطتنا . ونقل عنه أيضا شعراً لمكي بن ريان الماكسيني وبعض ترجمته ، وهي غير موجودة ، وذكر ابن خلكان ان ابن المستوفي قد ترجم لموسى بن يونس بن منعة، ونقل عنه مقتبسات ولكنني لم أجد عنه شيئا في هذا الجزء ، ونقل عنه تراجم أوبعض التراجم لكثيرين من الشخصيات البارزة ، نذكر منهم على سبيل المثال ، محمد بن علي بن شعيب المعروف بأبن الدهان ، وقايماز بن عبد الله حاكم إربل ، وابن دحية الكلبي الأديب الاندلسي ، والأمير أسامة بن منقذ ، والحسين بن علي الطغرائي الشاعر وعلي بن الحسن الحلي المعروف بشميم ، والأمير دبيس بن صدقة صاحب الحلة ، وسعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي ، ومحمد بن يوسف البحراني الشاعر شيخ ابن المستوفي ، والسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، ومحمد بن أيوب اخي صلاح الدين المعروف بالملك العادل . أقول كل مانقله عن هؤلاء من " تاريخ إربل " غير موجود في مخطوطتنا (وفيات ١ / ١٩ و١٧٥ و٣٧١ و٤٤١ و ٢/٣٢ و١٢٥ و١٩١ و٣/٣٦ و٣٥ و١٧٢ و٢٤٦ و٢٨٩ و٤/١٠٢ و١٠٥ و١٦٤ و١٦٧ و٣٦٥ و٣٩٨ و٥/٣٢) .

(٢) ابن الشعار : وقد نقل ابن الشعار كثيراً عن " تاريخ إربل " ، وبالنظر لضخامة كتابه الذى لايزال مخطوطا وغير مفهرس ، فقد تعذر عليَّ الاحاطة بما نقله ، واكتفي هنا بالقول بأن ابن الشعار (٤ ورقة ١١٩) قد نقل بعض ترجمة علي بن شماس عن " تاريخ إربل " ، وهي غير موجودة في جزئنا .

(٣) ابن الفوطي : ونقل ابن الفوطي عنه في كتابه " معجم الألقاب " ، أو على الأصح في الجزء الرابع سنه الذي حققه المرحوم مصطفى جواد ، وذلك نقلا عن الأجزاء المفقودة من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه نقل عنه ترجمة الواعظ علي ابن محمد البيهقي ، وهي غير موجودة في مخطوطتنا . وقل مثل ذلك عن كل من علي بن عبد الجبار بن محمد النيلي الخطيب الذي قدم إربل في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، وروى عنه بعض شعره ، والحسن بن شماس الاربلي ، والحسن بن سعيد الشاتاني ، وأحمد بن داوود بن بلال الاربلي ، ومحمد بن عمر بن علي الحديثي ، وهذه كلها غير موجودة في جزئنا (معجم ابن الفوطي ١ / ٧٩ ، و٥٧٦ و٢/١٠٥٥ و٨٤١ و٣/٨٠ و٢٥٠) .

(٤) اليونيني : ونقل اليونيني في " ذيل مرآة الزمان " عن الاجزاء المفقودة من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه نقل بعض تراجم كل من سليمان بن بليمان (اوبنيمان) الاربلي ، ومحي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ، ونصر الله بن محمد بن الاثير ، وعلي بن محمد بن الرضا الحسيني المعروف بابن دميرخان ، وهذه كلها غير موجودة في الجزء الثاني الذي بين أيدينا (ذيل اليونيني ١ / ٦٥ و٧٥ و٣٧٧ و٤/٣٢٧) .

(٥) ابن سعيد المغربي : كذلك نقل ابن سعيد في كتابه " الغصون اليانعة " عن الأجزاء الضائعة من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه نقل بعض ترجمة القاضي جعفر بن محمد الكفرعزي ، وبعض ترجمة مكي بن ريان الماكسيني شيخ ابن المستوفي ، وكلاهما غير موجودتين في مخطوطتنا (الغصون ص ٧٨ و٨٣ و١١٦) .

(٦) الفاسي : ونقل أيضا الفاسي في كتابه " تاريخ علماء بغداد " عن الاجزاء المفقودة من " تاريخ إربل " ، مما هو غير موجود في جزئنا ، من ذلك مثلا انه نقل بعض ترجمة محمد بن احمد بن عمر الاربلي ، المعروف بابن الظهير (تاريخ علماء بغداد ص ١٣١ و١٧٦) .

كذلك نقل الفاسي عنه في كتابه " العقد الثمين " وهو تاريخ مكة المكرمة على منوال " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي ، نقل عن " تاريخ إربل " بعض التراجم ، ومنها ترجمة إسماعيل بن مسلم بن سلمان الاربلي ، وقال انه لخصها من " تاريخ إربل " (العقد الثمين ج ٣ ص ٣١١) .

(٧) **الصفدي** : ونقل الصفدي في " الوافي " عن القسم المفقود من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا مانقله من ترجمة محمد بن محمد بن محمد الملقب بافتخار الدين (الوافي ١ / ٢٨٦) وبعض ترجمة سليمان بن بليمان الاربلي سالف الذكر (مخ اكسفورد ورقة ١٢١) .

(٨) **اليافعي** : ونقل عنه أيضا اليافعي في كتابه " مرآة الجنان " مما لاوجود له في الجزء الثاني من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا بعض ترجمة المبارك بن محمد بن الاثير (المرآة ٤ / ١٢) .

(٩) **السبكي** : وكذلك السبكي فانه نقل عن الاقسام الضائعة من " تاريخ إربل " ، في كتابه " طبقات الشافعية " ، من ذلك مثلا ، بعض ترجمة موسى بن يونس بن منعة الموصلي (طبقات ٨ / ٣٨٣) وهي غير موجودة في مخطوطتنا .

(١٠) **القرشي** : ونقل القرشي كذلك عن الضائع من " تاريخ إربل " في كتابه " الجواهر المضية " وهو في طبقات الحنفية ، مما لاوجود له في جزئنا . من ذلك مثلا ترجمة محمد بن إبراهيم بن محمد الرازي ، بكاملها وترجمة محمد بن أبي القاسم الراشدي الهمذاني (الجواهر ٢ / ٥ و١١١)

(١١) **السيوطي** : ونقل السيوطي في كتابه " بغية الوعاة " شيئا كثيرا عن الاقسام المفقودة من " تاريخ إربل " ، مما هو غير موجود في الجزء الثاني ، ويبدو ان ابن المستوفي كان قد خصص جزءً أو بعض جزء من كتابه للنحاة . من ذلك مثلا تراجم كل من محمد بن الحسين بن علي الجفني البغدادي ومحمد بن علي بن عبد الله العراقي الحلي ، ومحمد بن ابي الفوارس الحلي ، ومحمد بن أبي الوفاء بن أحمد العمري ، ومحمد بن يوسف البحراني شيخ ابن المستوفي ، وأحمد بن الحسين بن

أحمد الأربلي ، وسعيد بن أحمد بن محمد المغربي النحوي ، وعلي بن بكمش التركي، وعلي بن أبي القاسم الاربلي ، وعمر بن أحمد بن أبي بكر العراقي الضرير ، وعمر ابن عبد النور الصنهاجي ، وعمر بن محمد بن علي الموصلي المعروف بابن الشحنة ، ومحمود بن الأرملة ، ومكي بن ريان الماكسني شيخ ابن المستوفي ، ويحيى بن سعيد ابن المبارك النحوى (بغية ١ / ٩٢ و١٨٢ و٢١٢ و٢٦٠ و٢٨٦ و٣٠٤ و٥٨٢ و٢/١٥١ و١٨٤ و٢١٦ و٢٢٠ و٢٢٤ و٢٧٦ و٢٩٩ و٣٣٤) .

وهكذا فان الأدلة كلها تجمع على أن " تاريخ إربل " ، كان بأكثر من جزء ، والغالب على الظن انه كان في أربعة أجزاء ، إذ هو القول المتواتر فضلا عن كونه أقدم بكثير من قول السخاوي – وهو ما انفرد به بين المؤرخين – من ان الكتاب كان بخمسة أجزاء ، ويكفي أن يكون صاحب القول الأول هو ابن خلكان الذي عاصر المؤلف وعرفه شخصيا ، ونقل عن كتابه ، الأمر الذى لم يتهيأ للسخاوى الذى عاش في أواخر القرن التاسع الهجري ، أى بعد وفاة ابن المستوفي بأكثر من ثلاثة قرون .

هذا وقد ذكر السخاوى (إعلان ص ١٢١) وهو مما انفرد به أيضا ، بأن سليمان بن عبد الله بن أبي الحسن الزنجاني المكي ، قد اختصر " تاريخ إربل " ، ولقد حاولتُ الاهتداء الى هذا المختصر فلم أوفق . أما مصنفه ، فيغلب على الظن أن يكون مؤرخ الحجاز ، الذى يحمل هذا الاسم . وقد ترجم له الفاسي في " العقد الثمين " (٤ / ١٧٣) ، وقال انه كان وزيراً لابي عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة . وقد علق على ذلك المحقق – وهو المرحوم فؤاد سيد – فقال ان له مختصراً لـ " تاريخ إربل " لابي البركات ابن المستوفي ، مستنداً في ذلك على ماذكره السخاوي في " الاعلان " . ثم أضاف قائلا بأن هذا المختصر – فضلا عن أصله – من الكتب النادرة جداً ، وانه لم يقف عليهم . ثم عاد الفاسي وترجم له في موضع آخر (العقد ٤ / ١٧٣ و٦٠٩) وسماه " الريحاني " بدلا من " الزنجاني " ، وذكر استيزاره لقتادة ، وفي كلا الترجمتين لم يذكر شيئا عن اختصاره لتاريخ ابن المستوفي . ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن المستوفي قد ترجم لشخص باسم سليمان بن عبد الله بن الحسن ، المعروف بابن الريحاني المكي ،

وقد توفي في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، وهو ذات الشخص الذي ترجم له الفاسي في " العقد " (٦٠٧/٤ - ٦٠٩) . الا انه قد تعذر عليّ معرفة عما اذا كان هو الشخص الذي زعم السخاوي بأنه اختصر " تاريخ إربل " ، وان نسبته قد تصحفت الى " الزنجاني " بدلا من " الريحاني " ، ام لا .

وعلاوة على ماتقدم ، فان حاجي خليفة (ص ٢٨١) ذكر ان أبا علي الحسن الاربلي، قد صنف تاريخا لاربل أيضا ، ولكنه لم يذكر شيئا عن هذا الكتاب أومصنفه . ولقد بذلت جهدى علّني أعثرعلى بعض المعلومات التي قد تلقي ضوءً على الكتاب المذكور، فلم أوفق . ويبدو لي ان مصنفه قد عاش بعد ابن المستوفي . إذ ذكره حاجي خليفة بعد ذكره لابن المستوفي . كذلك يبدو أن الكتاب لم يكن ذا أهمية تستحق الذكر ، إذ لم يشر اليه أحد في المراجع التي تيسر لي الاطلاع عليها .

هذا ولعله من المناسب ، أن أذكر هنا بأن لاربل تاريخا كنسيا ، من تصنيف مشيحا زخا الذى أسلفنا ذكره في القسم الاول من هذا البحث . وقد كتب الأب بولس شيخو مقالا عن هذا الكتاب في مجلة " النجم الموصلية " (العدد ٨ لسنة ١٩٣٦ ص ١٠٤) .

٢- مادة " تاريخ إربل " :

قمنا ، فيما تقدم ، بالتعريف بـ " تاريخ إربل " ووصفنا الجزء الثاني منه وصفا خارجيا . أما وصف المخطوطة فقد أتينا عليه في مقدمة التحقيق الملحقة بالنص الذى حققناه نفسه . ولذلك سوف نتناول هنا ، وصف الجزء المذكور وصفا داخليا أي نتفحص مادته ، ونحاول تحليلها على قدر الامكان .

أ / الحقبة التي يتناولها " تاريخ إربل " : (١)

ليس بالامكان معرفة الحقبة التي يتناولها " تاريخ إربل " ، مادامت الأجزاء الأخرى منه مفقودة . ولذلك فان تقديرنا لهذه الحقبة ينبغي أن يؤخذ بكل تحفظ ، لانه يستند الى الجزء الثاني منه فقط . الا اننا بوسعنا القول ، بأنه ليس من المتوقع أن يؤرخ المؤلف

---

(١) قامت وزارة الاعلام العراقية بنشر الكتاب مع تعليقاتنا عليه في جزئين مجموع صفحاتهما حوالى (١٧٥٠) صفحة ، ضمن سلسلة كتب التراث ، وذلك في سنة ١٩٨٠ م

لاشخاص عاشوا قبل القرن الخامس الهجري ، لان إربل – كما رأينا في القسم الاول من هذا الكتاب – لم تكن شأن يذكر ، وان كتب التاريخ لم تخصها حتى ولاباشارة عابرة، إلا في أوائل القرن الخامس عندما بدأ ذكرها يتردد على ألسنة المؤرخين . وهذا يتفق الى حد بعيد مع ماذكره ابن المستوفي عن ظهور أرابلة نابهين قصدوا بغداد وسمعوا فيها على الخطيب البغدادي المؤرخ ، وعلى القاضي ابن المهتدي ، وذلك في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م (مخ ورقة ١٠ب – ١١ أ و٨١ أ) . ومن هذا الجيل أيضا القاسم الشهرزوري الاربلي المتوفى في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م (مخ ورقة ٩٣ أ و ١٣٢ أ و ١٣٣ أ) .

أما الجيل التالي لهؤلاء ، ممن كان لهم علاقة باربل بشكل أوبآخر ، فمنهم أحمد الغزالي المتوفى في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م (مخ ورقة ١ ب) ، وهو أخو أبي حامد ، وكان قد زار إربل ووعظ بقلعتها . ويعقوب بن دربيس الاربلي المتوفى في تاريخ لانعرفه ، لكنه سمع الحديث في سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م (مخ ورقة ١٧٣ ب) ، ومحمد بن القاسم الشهرزوري الاربلي المتوفى في سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، (مخ ورقة ٩٣ ب) ، وعيسى بن لل المتوفى في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، وهو زاهد من بعض قرى إربل (مخ ورقة ١٣١ أ) ، ومحمد الاربلي الذي سمع الحديث بالموصل في سنة ٥٥٨ هـ أيضا (مخ ورقة ١٧٣ أ) وداوود بن محمد الخالدي الاربلي المتوفى في سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م (مخ ورقة ١٢٧ أ) . ولكن عدد أهل هذا الجيل والذى قبله ممن استحقوا ان يُترجم لهم ، كان قليلا جداً ، والحق ان اغلب الكتاب – أي " تاريخ إربل " – مخصص لاشخاص عاشوا في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة ، ممن أتيحت الفرصة للمؤلف – الذي ولد في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، ومات في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م – أن يلقاهم شخصيا ، وينقل عنهم ، كما سنرى في موضعه إن شاء الله . وهذه هي الفترة التي عليها المعوَّل في تقويم الكتاب .

والجدير بالملاحظة ، ان ابن المستوفي قد توقف – في هذا الجزء على الاقل – عند سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م ، وهذا أقصى تاريخ ورد ذكره في الكتاب (مخ ورقة ٢٢٢أ) . أما السبب في ذلك ، فعلى ما أظن ، ان ابن المستوفي ، بعد وفاة كوكبوري في السنة

السابقة ، وتحوّل الحكم في إربل الى نواب الخليفة ، واعتذاره عن قبول منصب الوزارة، كل ذلك حمله - كما رأينا في القسم الثاني من هذا البحث - على الانزواء في بيته والابتعاد عن الحياة العامة ، مما حرمه من لقاء الواردين الى إربل ، ذلك اللقاء الذي كانت تتيحه له وظائفه العديدة التي كانت تيسر له سبل الاجتماع بهم . هذا فضلا عن نفوذه وعلو مركزه اللذين كانا يحملان الناس على زيارته ولقائه ، ورغم الذي قاله ابن خلكان من أن الناس قد استمروا يلازمون خدمته ، من وقت استعفائه من الوزارة حتى يوم مغادرته إربل الى الموصل في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، وفقا لما أسلفنا ، فان الذي لاشك فيه ان الذين استمروا في التردد عليه كانوا أقل بكثير من اولئك الذين كانوا يواصلونه يوم كان في أوج مجده وسلطانه . وهذا الوضع الجديد حرمه ، بطبيعة ا ـال، من تلقّي أخبار من كان يترجم لهم ، من ذلك مثلا ، انه ترجم لمحمد بن ابراهيم الاربلي الذى غادر إربل الى دمشق في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م - وفقا لما ذكره ابن المستوفي - وتوفي في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م فان المؤلف لم يدرج تاريخ وفاته في الترجمة ، رغم ان محمداً هذا توفي باربل في تلك السنة (مخ ورقة ١٠٠ أ - ب . والمختصر المحتاج ١ / ٢٣ والوافي ٢ / ٩ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٥) . كما انه لم يذكر وفاة عمر السهروردي التي وقعت في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م (مخ ورقة ٨٨ - ٨٩ وعقود ابن الشعار ، مخ استانبول ٥ ورقة ١٥٤ وابن خلكان ٣ / ١١٩) . هذا وبالامكان إضافة سبب آخر الى توقف ابن المستوفي عند سنة ٦٣١ هـ ، هو ان وفاة كوكبوري - في السنة الفائتة - نفسها ، قد أدت ولاشك الى انصراف الناس عن زيارة إربل ، إذ كانوا فيما مضى يأتونها طلبا للنوال - وفقا لما أكده ابن الشعار أكثر من مرة (انظر مخ استانبول ٣ ورقة ١٥٦ و٥ ورقة ٢٣٧) - والفوز بالحظوة لديه .

أما متى كتب ابن المستوفي " تاريخ إربل " ، فانه من العسير جداً الاهتداء الى زمن بدايته . ولقد ذكر المؤلف بأنه اجتمع بأحد الاشخاص " قبل أن يشرع في توريق الكتاب" غير انه لم يذكر تاريخ ذلك الاجتماع (مخ ورقة ١٠٨ ب) . وذكر عن شخص آخر أراده أن ينوه بذكره في الكتاب ، عندما آنس ان ابن المستوفي كان يؤرخ الواردين

الى إربل (مخ ورقة ١٩٩ ب) ، الا أنه - مع الاسف - لم يذكر هذه المرة أيضا تاريخ لقائه للشخص المذكور . كذلك فانه ذكر عن شخص ثالث ، انه ورد إربل " قديما " ولم يؤرخه (مخ ورقة ١٧٦) ، لكنه لم يبين المعنى بكلمة " قديما " . هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى فان الشيء الذي يمكن القطع به ، هو ان ابن المستوفي كان في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م مشغولا بكتابة تاريخه ، أو باعداد المادة له على الاقل ، فلقد قال عن أحدهم ، انه ورد إربل " في هذه السنة ، وهي سنة ثمان وستمائة " (مخ ورقة ٥٥ ب) . وقد أشار الى هذه السنة بالذات في معرض حديثه عن شخص آخر (مخ ورقة ٦١ أ) . وتوالى بعد ذلك عدد من السنين ، من ذلك مثلا ماذكره عن لقائه لاحدهم - وقد طلب منه ذكره في الكتاب - وكان ذلك بعد سنة ٦٠٨ هـ المذكورة (مخ ورقة ١٢٠ أ) . وأشار الى شخص فقال عنه . " وهو الآن مقيم باربل وذلك في محرم سنة ٦١٢ " (مخ ورقة ٧٨ أ) . وذكر عن شخصين بأنهما باقيان الى سنة ٦١٥ هـ (مخ ورقة ١٠٧ أ و١٢٩ أ) . وقد استمر بعد ذلك بتدوين الاخبار الى سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م . ولذلك يمكن القول بأن تأليف الكتاب قد استغرق حوالي ٢٣ سنة .

هذا ويجدر بنا أن نذكر بأن ابن المستوفي ، كان يعد - ولاشك - نفسه لتصنيف " تاريخ إربل " في تاريخ مبكر ، إذ أثبت في كتابه روايات وقعت له قبل سنة ٦٠٨ هـ بوقت طويل ، من ذلك مثلا ذكره أخبار أشخاص وردوا إربل في سني ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م و٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م و٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م (مخ ورقة ٢٢ب و ٣٩ ب و٧٤ أ و ب) ، وحديثه عن افتتاح دار الحديث المظفرية باربل في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وحضوره الاحتفال مع كوكبوري والعلماء (مخ ورقة ١٦٢ أ) . كما انه أثبت رسالة تعزية وردته من أحد المترجَمين ، بوفاة أخيه في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م (مخ ورقة ١٢٠ ب) ، وذكر سماعه في السنة المذكورة على محمد بن حسان الواسطي ، بجامع إربل ، (مخ ورقة ١٧٤ أ) ورؤيته لشخص - ترجم له - بالموصل في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، ووصف شكله وهمته في الطلب (مخ ورقة ١٦٨ ب) . كذلك تحدث عن مشاوراته مع كوكبوري بشأن استقدام بعض المحدثين من بغداد لاسماع الحديث باربل ، ووصول بعضهم في

سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م ، ووصفه لمجالس السماع في تلك السنة (مخ ورقة ٧٠ أ - ب) . وهـذه الاشـارات تدل ، بلا ريب ، علـى ان ابن المسـتوفي كان يعد نفسه لتصنيف " تاريخ إربل " منذ وقت طويل .

وعلى أي حال ، فان الكتاب قد كُتب كله في عهد كوكبوري - ماعدا الخبر الواقع في سنة ٦٣١ هـ ، وقد مر ذكره ، - ذلك لان ابن المستوفي كان دائما يقرن اسمه بعبارات الدعاء للأحياء ،كقوله ، " أدام الله سلطانه " أو " أعز الله نصره " ، وما الى ذلك (مخ ورقة ٤٥ ب و٦٨ ب و ١٢٢ ب و ١٣٨ أ) . ولم يترحم عليه إلا مرتين ، الأولى وردت خطأ، إذ المقصود بالترحم هو أبوه زين الدين علي (انظر تعليقنا في المخطوطة ورقة ٢٧ ب). أما الثانية فان الترحيم قد حُشر بخط أحد القراء الذي لم يفطن الى التناقض الذي وقع فيه ، إذ وردت عبارة " أدام الله سلطانه " في السطر التالي للترحيم تماما (مخ ورقة ١٣٨ أ) . هذا ومن الطبيعي جداً أن يتم تصنيف الكتاب في عهد كوكبوري ، لان إربل لم تصبح مدينة ذات شأن إلا في عهده - كما بينّا في القسم الاول من هذه الدراسة - ، ثم ان ابن المستوفي لم يبلغ مبلغ أهل العلم والتصنيف إلا بعد تولّي كوكبوري حكم إربل، إذ بلغ آنذاك الثانية والعشرين من عمره . ثم ان توارد العلماء على إربل لم يصبح ظاهرة ملحوظة تستحق التسجيل ، إلا في عهد كوكبوري ، وكتابنا خير دليل على ذلك ، فهو يسجل الواردين الى إربل وقد قدم أغلبهم في عهد كوكبوري ، وقد انقطعوا تقريبا بوفاته . فلا غرابة إذن أن يكون تصنيف هذا الكتاب قد تم كله أو أكثره في عهد الحاكم المذكور .

ب / محتويات " تاريخ إربل " :

وحيث ان كتابنا هو معجم تراجم وسير ، فان غرضنا هنا سيكون وصف تلك التراجم وتحليلها على قدر الامكان :

أولا - طوائف أصحاب التراجم :

لقد سبق وبينا ان " تاريخ إربل " بالاصل ، كان في مالايقل عن أربعة اجزاء ، وانه تناول الملوك والأمراء والعلماء والزهاد والشعراء والكُتّاب ، الا ان الجزء الذي بين أيدينا

هو خاص بذكر الاخيار والصلحاء ، ولاسيما " المنقطعين الى الزهادة ، والموسومين بالعدالة ، والمعروفين بالرواية ، ممن اشتهرت ديانته ، وعُرفت صيانته ، وظهرت أمانته " (مخ ورقة ١ ب) والجدير بالذكر ان التاليف عن الصالحين والزهاد كان متعارفا لدى المسلمين وألف فيه كثيرون ، منهم أبو نُعيم الاصبهاني في كتابه " حلية الاولياء " وابن الجوزي فى كتابه " صفة الصفوة " ، وكلاهما مطبوع ، الأول بمصر في سنة ١٩٣٢ م ، والثاني بحيدر آباد في سنة ١٣٥٥ هـ . ولابن الساعي كتاب بعنوان " اخبار الزهاد " ، كما في " ذيل كشف الظنون " (١ / ٤٢) ، ولكنني لم اقف عليه .

وبالفعل فان ابن المستوفي قد جهد نفسه أن يلتزم بالترجمة للفئات التي ذكرها بالتحديد ، ولهذا فان أصحاب التراجم كلهم تقريبا إما من الزهاد والمتصوفة ، أو من العدول وأهل الحديث ، ولكن الفئة الاخيرة هى الغالبة . ولقد ترجم المؤلف لشخص غني ، وخشي ان يُعترض ، عليه فقال : " وانما كتبته في هذا الباب ، لانه صار في الآخر الى الانقطاع " . وقال عن شخص آخر مثله : "وإنما كتبتُه هنا لغلبة الزهد عليه " (مخ ورقة ٦٥ أ و١٧٢ ب) . لكنه في حالات قليلة أخرى ، لم يجد المبرر الذي يتفق وشروطه ، فتذرع بأسباب واهية ، فقال مثلا عن شخصين ذكرهما ، انه وجد اسميهما ونسبيهما مكتوبين على حيطان بعض المساجد في قرى إربلية (مخ ورقة ١٤٦ أ و ٢٠٤ أ) . وقال عن شخص ثالث " وإنما ذكرتُه ، لان له ذكراً باربل " (مخ ورقة ١٨٠ أ) ، وذكر عن شخص رابع بأنه ذكره غرابة نسبة ولقبه (مخ ورقة ٢٣١ أ) ، وهذا ليس بغريب لان الدكتور إحسان عباس ، نقل عن السلفي بأنه كان يقيد هذه الفائدة أو تلك لغرابة في اسم صاحبها (انظر التراجم الاندلسية المستخلصة من " معجم السفر " ص ٩) . هذا وقد وجدت في " تاريخ إربل " ترجمة لاحد الاطباء (مخ ورقة ١٥٤ أ) الا ان المؤلف سكت عن بيان سبب إيرادها .

وعلى كل حال ، فالكتاب في مجمله مجموعة من التراجم التي بلغ عددها (٢٣٧) ترجمة ، ثلاثة منها لاشخاص تكرر ذكرهم ، مما يجعل العدد الصحيح للتراجم (٢٣٤) .

وهي تتفاوت في الطول تفاوتا كبيراً ، فبينما لايتجاوز بعضها السطرين (مخ ورقة ٢٣١ أ) ، نرى البعض الآخر في ست صفحات أو أكثر (مخ ورقة ١ ب - ٤ و ٦ أ - ٩ و ٢١٧ ب - ٢٢٠ ب) . أما إذا وزعنا عدد الصفحات على عدد التراجم بالتساوي ، فيكون المعدل صفحة واحدة ونصف الصفحة للترجمة الواحدة ، وهذا في الحقيقة هو الغالب (مخ ورقة ١٣٨ ب و ١٤١ أ و ١٤٥ ب و ١٧٢ أ و ب و ١٧٤ ب - و ١٧٥ ب و ١٧٦ ب و ١٩٦ أ و ٢٠٣ أ و ب و ٢٠٤ ب و ٢١١ أ - ٢١٥) .

ثانيا - وصف مجمل للتراجم :

يمكن القول بأن معظم التراجم الواردة في " تاريخ إربل " ، ولاسيما الضافية منها ، متشابه . فتبدأ الترجمة بالاسم الذى اشتهر به المترجَم ، مكتوبا بخط غليظ ، ثم يليه اسمه كاملا تتقدمه الكنية ، ويشمل الاسم أسماء الآباء والاجداد ، وأحيانا سلسلة النسب بكاملها (مخ ورقة ٤١ أ و٤٦ أ ، و١٢٤ ب) ، ثم النسبة سواءً أكانت للمدينة أو للقبيلة ، أو للحالة العلمية ، أوهذه كلها (مخ ورقة ١ ب و ٤ ب و٦ ب و١١ أ و ٢٣ أ و ١٤ ب و١٧ ب و٣١ أ و ب و ٣٤ ب و ١٣٤ ب) ، وبعدها الشهرة ، كان يُعرف الشخص ب " ابن الحدوس " أو " ابن الجمّال " أو " ابن الحداد " (مخ ورقة ١٧ أ و ٣٧ ب و ١٣٤ ب) ، ثم يذكر شيوخ المترجَم أو من سمع عليه ، ورحلاته والواظائف التى شغلها والمؤلفات التي صنفها ، والشعر الذي نظمه - إن كان ممن ينظم الشعر - وفي هذه الحالة يروى عنه ، كما جرت العادة ، بضعة أبيات من الشعر ، سواءً عنه شخصيا ، أو بالواسطة إذا ماكان المترجمَ غائبا أوميتا (مخ ورقة ٢ ب و٣ ب - ٤ أ و ١٥ ب و١٨ ب) . وكان ابن المستوفي في بعض الأحيان يطلب الى بعض المترجَمين أن ينظموا له شعراً ، ليكون ذلك سببا لذكرهم في كتابه (مخ ورقة ١٢٠ أ) . ولقد صرح بغرضه هذا بالنسبة لشخص ورد إربل ولم يُنَبه عليه ، ليجتمع به اجتماعه بغيره ، فيستنشده من شعره " ماهو غرض هذا الكتاب " (مخ ورقة ٢٢٦ ب) . كذلك يذكر المؤلف عما إذا كان المترجَم قد روى الحديث ، وهنا أيضا يحاول - إن كان المترجَم ممن لقيهم شخصيا - أن يروى عنه بعض الحديث (مخ ورقة ٣١ ب - ٣٣ ب) .

ويذكر في أغلب الحالات ، تاريخ الولادة والوفاة ومكانهما ، كلما تيسر له ذلك (مخ ورقة ٥ أ و ب و٧ ب و٩أ و١١ ب و١٢ ب و ١٣ أ - ب و١٤ ب و١٨ أ و١٩ أ و ٣١ أ - ٣٣ ب و ٣٥ ب) . ويذكر أيضا تاريخ ورود الشخص موضوع الترجمة ، الى إربل ، ويزيد في بعض الاحيان أن يذكر تاريخ الرواية والسماع ومكانهما (مخ ورقة ٥ ب و٧ب و ١١ ب و١٣ أ و ب و ١٤ ب و ١٨ أ) .

ويبدو أن ابن المستوفي قد اعتاد على ذكر تواريخ سماعاته ، إذ يذكر الاستاذ الربداوي (الحركة النقدية ص ٥٣٩) بأنه قد وصف في كتابه " النظام " طريقة روايته لـ " ديوان أبي تمام " بدقة علي طريقة أهل الحديث ، فذكر سند الرواية الموصول المتسلسل الى أبي تمام نفسه ، كما انه ذكر قراءته للديوان على محمد بن عيسى الجصاص في سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م بمنزله باربل . والجدير بالملاحظة ان ابن المستوفي ، قد ذكر بالفعل ورود محمد هذا إلى إربل في السنة المذكورة (مخ ورقة ٨٥ أ) ، مما يدل على دقته وأمانته .

هذا وفي مخطوطتنا بعض التراجم التي لم يتبع المؤلف في كتابتها هذا النسق ، وإنما دخل رأسا في ذكر الخبر الذى يرويه عن الشخص موضوع الترجمة ، كالذي وقع في الورقات ١٤٤ أ - ١٤٥ ب ، وهذا ماحملني على اعتبار ماورد في تلك الورقات مجرد مذكرات كتبها المؤلف لنفسه ، للاستفادة منها عند إعداد التراجم ذات العلاقة . وفى حالات أخرى ، اكتفى المؤلف بايراد اسم المترجَم وبخبر قصير لايتجاوز جملة واحدة أوجملتين (مخ ورقة ١٤٦ أ - ب) . وقد بدأ بعض التراجم بقوله : " وجدتُ .. " ثم يأتى بنص ماوجده مكتوبا (وأظن ان هذا مايسمى بـ " الوجادات " ، وأذكر اني رأيتُ مقالا فى مجلة " دعوة الحق " المغربية حول الموضوع ، ولا أذكر تاريخه) ، أو يقول : " كتب لي بخطه وحدثني .. " ، أو نقلتُ .... " ، أويقول : " سمع ... " أو " قرأ ... " ثم يورد اسم السامع والقارئ وما الى ذلك ، دون الاهتمام بايراد الكنية والنسبة (مخ ورقة ١٢٦ أ و ب ، و١٢٩ ب و ١٤٤ أ - ١٤٦ ب و ١٥٠ أ و ١٦٤ أ و ١٦٩ أ و ١٧٢ أ - ١٧٤ أ و ١٧٩ ب)

ثالثا - ترتيب التراجم :

جرت عادة المؤرخين أن يرتبوا كتب التراجم وفقا لترتيب الحروف لاسماء أصحابها ، كما فعل الخطيب البغدادي وابن عساكر وابن خلكان وأمثالهم ، أو أنهم يرتبونها على حسب السنين ، فيترجمون لأصحابها وفقا لتاريخ وفياتهم ، والامثلة على ذلك " المنتظم " لابن الجوزى ، و"مرآة الزمان " لسبطه و"التكملة " للمنذري ، وما يماثلها . وهناك صنف ثالث تكون فيه التراجم مرتبة وفقا لطبقات أصحابها ، وخير مايمثل هذا الصنف " طبقات الشافعية " لكل من السبكي والاسنوي و " طبقات الحفاظ " للذهبي و " ذيل طبقات الحنابلة " لابن رجب . أما " تاريخ إربل " أو على الاصح ما وصلنا منه ، لم يأخذ فيه كاتبه بأي شكل من هذه الاشكال مطلقا ، فلا هو مرتب علي الحروف الهجائية ، ولا على حسب التواريخ ، ولا على شكل الطبقات . فان التراجم فيه وُضعت بعضها فوق بعض بصورة جزافية ، لايربط بينها رابط ، ولاتسير وفق قاعدة مضطردة . وهذا أحد الاسباب التى حملتني على اعتبار المخطوطة التي بين أيدينا هي صورة منقولة عن مسودة " تاريخ إربل " ، وليس الشكل النهائي للكتاب المذكور ، لان الوقت لم يتسع للمؤلف لتبييضه (انظر مقدمة التحقيق) .

ولعل من المفيد إيراد الامثلة لايضاح مابينت أنفا ، فأقول بأن صاحبي الترجمتين الاولى والثانية مثلا ، اسمهما " أحمد " ولكن صاحب الترجمة الثالثة اسمه " المبارك " ، والرابعة " على " ، وكذلك صاحب الترجمة الاخيرة في الكتاب ، اسمه " علي " أيضا . أما تاريخ وفاة هؤلاء فهو بالتقويم الهجري ٥٢٠ و٥٩١ و٦٠٠ هـ و غير معروف و ٦٤٠ هـ، علي التوالي (مخ ورقة ١ ب و ٤أ و ٦ أ و٩ أ و٢٣١ أ) . وعلى كل حال ، فسواء سلمنا بأن المخطوطة منقولة عن مسودة ، أو أن ابن المستوفي أرادها أن تكون على هذه الصورة ، فانه من المفيد وصف الترتيب الفعلى الذي عليه تراجم الكتاب ، لعل بامكان القارئ الكريم أن يكتشف شيئا عن ترتيبها فاتني الانتباه اليه .

(١) رغم عدم التزام المؤلف بالترتيب الزمني في سرد التراجم ، الا ان الملاحظ بأن أغلب الذين تقدمت تراجمهم من حيث موضعها فى المخطوطة كانوا من المتقدمين ،

وان الذين تأخرت مواضع تراجمهم كانوا من المتأخرين . ولقد لاحظتُ مثلا ، بأن معظم التراجم الواردة في المئة صفحة الاخيرة من المخطوطة ، ورد أصحابها الى إربل بعد سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، بل ان بينهم من وردها في سنتي ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م و ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م (مخ ورقة ٢٢٢ أ ، و٢٢٣ ب و ٢٣١ ب) . ومع ذلك فاننا واجدون بين هؤلاء ترجمة شخص توفي في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وآخر توفى في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م (مخ ورقة ٢٢٧ ب و ٢٣١ أ) وهكذا . والظاهر ان المؤلف كان يدرج في مسوداته المعلومات التي تتوارد عليه تباعا ، وهذا ماجعل الاقدمين قد تقدمت تراجمهم في البداية ، بينما تأخرت تراجم المتأخرين الى النهاية .

(٢) يراعي المؤلف ، في بعض الأحيان ، وجود صلة ما ، بين السابق واللاحق من أصحاب التراجم ، كصلة القرابة أوالصحبة أو الزمالة أو التلمذة ، وما أشبه . ومن الامثلة على ذلك ، انه ترجم لاحمد بن محمد الحديثي ، وأعقبه بترجمة لابنه روح بن أحمد ، ثم بترجمة حفيده عبد الملك (مخ ورقة ٩٦ أ – ٩٧ ب) . وفعل مثل ذلك عندما ترجم لاسماعيل بن مسلم الاربلي ، وأتبعه بترجمة أخيه إبراهيم ، ثم بترجمة ولده علي بن إسماعيل فترجمة محمد بن إبراهيم المذكور (مخ ٩٨ ب – ١٠٠ أ) . وكذلك ترجم لعثمان بن عبد الله بن محمد ، ثم أتبعه بترجمة قريبه عبد الله بن إبراهيم بن علي ، وكلاهما من خطباء جامع القعلة باربل (مخ ورقة ١١٩ ب – ١٢٠ أ) . وترجم ايضا لعيسي بن لل ، وأعقبه بترجمة ابنه محمد (مخ ورقة ١٣١ أ– ١٣٢ أ) . وكذلك ترجم لمحمد بن هبة الله بن المكرم ، وأعقبهما بترجمة ابن اخيه علي ابن المكرم (مخ ورقة ٢٠٠ أ – ٢٠١ أ) . وترجم للشيخ أميري بن بختيار ، وأتبعه بترجمة زوج عمته (مخ ورقة ١١ أ – ١٢ ب) . كما ترجم لشخص يعرف بابن الاستاذ ، ثم أعقبها بترجمة اثنين ممن سمع عليه (مخ ورقة ١٣٠ ب – ١٣١ أ) . وترجم لثلاثة أشخاص على التوالي ، وكلهم سمعوا على الحسين بن نصر بن خميس (مخ ورقة ٢٨) . كذلك ترجم لاربعة أشخاص على التوالي أيضا وكلهم سمعوا على

الخطيب البغدادي (مخ ورقة ١٠ ب - ١١ أ) . كما انه ترجم للشيخ علي بن الهيتي ، وأتبعها بترجمة لاحد أصحابه ، ويدعى علي البوهرزي (مخ ورقة ١٢ ب - ١٣ ب) . وفعل مثل ذلك عند ترجمته للحسين الكيلي ، وقد أعقبها بترجمة لاحد أصحابه (مخ ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤) . ثم ترجم لابراهيم بن عثمان الماراني ، وأتبعها بترجمة لزميله عسكر بن عبد الرحيم ، الذي رافقه في سفرته الى خراسان ، كما ان كليهما ورد إربل في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م (مخ ورقة ١٠٠ ب - ١٠١) وترجم لعبد الله ابن الحسن الموصلي ، وأعقبهما بترجمة عمر بن شماس الخزرجي ، وكلاهما كان من كُتّاب الشروط (مخ ورقة ١٤ ب و ١٧ ب) .

ولقد نحا ابن المستوفي في هذا منحى الاسنوي في " طبقات الشافعية " ، إذ ترجم مثلا لمحمد بن عين الدولة ، وأتبعه بولده عبد الله (طبقات ١/ ٥٤٤) . وفعل مثل ذلك بالنسبة لابن زُرعة الدمشقي وولده الحسين (طبقات ١ / ٥١٩ - ٥٢٠) . كذلك فانه ترجم لبني خلكان وبني الخجندي وآل الشهرزوري للآباء منهم والأبناء وللأحفاد أحيانا (طبقات ١ / ٤٩٠ - ٤٩٢ و٤٩٥ - ٤٩٦ و٢ / ٦٣ ومابعدها) .

(٣) يجمع المؤلف أحيانا بين تراجم الواردين الى إربل في سنة واحدة ، فقد سبق وأشرنا الى جمعه بين ترجمتي كل من إبراهيم بن عثمان الماراني وصاحبه عسكر بن عبد الرحيم ، وأضاف عليهما ترجمة فرقد الكناني ، لوردهم إربل في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م (مخ ورقة ١٠٠ ب و ١٠١ أ ، و١٠٣ أ) . وكذلك جمع تراجم بارسطغان الغزي وعبد الرحمن البغدادي والكاتبة الأرموية ، وكلهم وردوا الى إربل في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخ ورقة ١١٥ ب - ١١٧ ب) . كما انه جمع بين ترجمتي محمد بن الدمياطي وابن المخيلي الواردَين الى إربل في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م (مخ ورقة ١٩٨ ب - ١٩٩) . وترجم لابي المجد القزويني ، وأتبعها بترجمة عبد الغفور التبريزي اللذين وردا الى إربل في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخ ١٤٦ ب - ١٤٧) . كما جمع بين ترجمتي يحيى بن أحمد الغرناطي وخالد النابلسي الواردَين الى إربل في تلك السنة أيضا (مخ ورقة ١٦١ أ) . كذلك جمع المؤلف بين ترجمتي محمد ابن

ابراهيم الرازي واسماعيل البوميرى ، إذ وردا الى إربل في ربيع الاول من سنة ٦٢٠ هـ / نيسان ١٢٢٣ م (مخ ورقة ٢٠٣ أ) . وجمع أيضا بين ترجمتي ابن الشعار الموصلي وجعفر بن محمد الواسطي الواردين الي إربل في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (مخ ورقة ١٨١ أ – ١٨٢ ب) . كما ان صاحبي الترجمتين ٧١ و ٧٣ وردا إربل في سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م . (مخ ورقة ٧٤ أ – ب) . كذلك فان محمد ابن يحيي المغربي ومحمد بن الخازن البغدادي وعبد الرشيد الاصبهاني وقاضي السويداء ، كلهم قدموا الى إربل في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م (مخ ورقة ٢١٦ أ – ٢٢١) . وقدم عيسى الاندلسي والحسن بن محمد الاندلسي الى إربل في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م (مخ ورقة ٢١١ ب – ٢١٥ ب) . كما ان المؤلف كان يجمع أحيانا المتوفين في سنة واحدة ، ويترجم لهم بالتتابع ، من ذلك مثلا أنه جمع بين ابن خليفان وعبد اللطيف السهروردي ، وكلاهما توفي في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (مخ ورقة ٧٥ ب – ٧٦ ب). وفعل الشيء نفسه فيما يتعلق بترجمتي عمر بن بدر الحنفي وراجية بنت عبد الله ، وقد توفيا في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخ ورقة ١١٢ ب – ١١٣) ، كما أن صاحبي الترجمتين ٧٠ و٧٢ قد توفيا في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخ ورقة ٧٣ ب – ٧٤ ب) . وهذا ومما لاحظته أيضا ، ان ابن المستوفي يتابع بين تراجم أشخاص تقاربت مواعيد لقائه بهم ، كما فعل بالنسبة لاصحاب التراجم الوارد ذكرهم في الورقات ١٨٤ ب – ١٩٦ ، وكلهم لقي المؤلف بين سنتي ٦٢٢ هـ – ٦٢٥ هـ .

(٤) يجمع المؤلف أحيانا بين تراجم أهل البلد الواحد ، من ذلك مثلا ان خمسة من أصحاب التراجم ، أوردهم تباعا لأنهم كانوا من الارابلة (مخ ورقة ١٧٣ ب – ١٧٤) . وجمع بين ترجمتي اثنين من الاندلسيين (مخ ورقة ٢١١ أ – ٢١٥ ب) . وقد تقدم ذكرها في الفقرة – ٣ – أعلاه . كذلك جمع بين ترجمتي كل من عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري ، ومحمد بن موسى القيسي ، وكلاهما من مدينة سلّا بالمغرب (مخ ورقة ١٥٢ ب – ١٥٣) . وأورد ترجمة ابن شيت الطبيب ، ثم أتبعها بترجمة عبد الحميد المقدسي ، وكلاهما من أهل فلسطين (مخ ورقة ١٥٤ أ – ب) . وجمع بين

ترجمتي كل من عبد القاهر ابن الحسن ، وابن الثُنَسي ، لأنهما من المواصلة (مخ ورقة ٢٢١ ب - ٢٢٢) كذلك جمع بين ترجمتي شخصين من أهل مصر ، هما الدمياطي وابن المخيلي (مخ ورقة ١٩٨ ب - ١٩٩) .

(٥) وقد يجمع المؤلف أيضا بين من تتشابه أسمائهم أوكناهم أو نسبتهم ، من ذلك مثلا أنه ترجم لشيخه المبارك بن طاهر الخزاعي ، وأتبعها بترجمة علي بن محمد بن طاهر الخزاعي ، وقال قبل إيراد ترجمة هذا الأخير " وممن وافق شيخنا الخزاعي في لقبه وبعض نسبه " (مخ ورقة ٦ ب و٩ أ) . والمقصود طبعا ان كليهما يتفقان في النسبة الى خزاعة ، وان اسم " طاهر " موجود في سلسلتي نسبيهما . وعندما انهى ابن المستوفي ترجمة أبى السكر حماد بن يحيي البوازيجي ، قال : " في الاسم والكنية والنسبة " وأورد بعد هذه العبارة ، ترجمة أبي السكر حماد بن محمد البوازيجي (مخ ورقة ١٢٠ ب) . وهنا يقصد ، بلاشك ، ان المترجمين يتفقان في الاسم والكنية والنسبة الى " البوازيج " . كذلك ترجم لابن وهسوذان الهذباني ، وأتبعها بترجمة محمد بن أبي طاهر الهذاباني (مخ ورقة ١٦٤ أ - ب) بسبب اتفاقهما في النسبة . كما انه ترجم لابي بكر الرازي ، وأعقبها بترجمة محمد بن إبراهيم الرازي (مخ ورقة ٢٠٢ ب - ٢٠٣) للسبب نفسه . ثم أنه جمع بين ترجمتي كل من عبد الحميد بن عرفة ، وأتبعها بترجمة عبد الرحمن ابن الحسن ، وكلاهما يعرف بـ " ابن بُصلا " (مخ ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ ب) ، وعلاوة على ذلك ، فانه ترجم لعبد الرحمن بن أبي البركات الحلي ، المعروف بابن " المشتري " ، ثم أعقبها بترجمة عبد الرحمن بن هبة الله ، المعروف بابن " المسيري " ، وقال : " وإنما ذكرته - ويقصد الثاني منهما - لاشتباه نسبته بنسبة ابن المشتري " (مخ ورقة ١١٣ أ - ١١٤ ب) ، ذلك لأن ابن المسيرى كان وزيراً ، ولم يكن من الفئات التى يشملها هذا الجزء من " تاريخ إربل " . هذا وقد ذكر المؤلف على التوالي أربع تراجم أسماء أصحابها " محمد " ، وكنية ثلاثة منهم " أبو عبد الله " (مخ ورقة ٢٠٣ ب - ٢٠٤ ب) . وترجم أيضا لشخص اسمه محمد بن عبد الرشيد ، ثم أتبعها بترجمة لشخص

اسمه عبد الرشيد ، كما ترجم لشخص يعرف بـ " محمد الصوفي " ، وأعقبها بترجمة لمحمود الصوفي (مخ ورقة ٩١ ب – ٩٢ و١٩٤ ب) .

وهذا ، نحا ابن المستوفي منحى ابن الصابوني في كتابه " تكملة الاكمال " ، وهو من كتب المتشابه من أسماء الرجال ، إذ كان يترجم لاعضاء العائلة الواحدة على التوالي ، بالنظر لاتحادهم في النسبة . كذلك كان يفعل الشيء نفسه عندما تتشابه الأسماء والأنساب ، فقد ترجم ابن الصابوني مثلا لمن اسمه " عنتر وعنبر " في مكان واحد (تكملة ص ٢٥٨) . وترجم للخضر بن شبل ، المعروف بابن " عيد " ، وأتبعها بترجمة ابنه وحفيده واخيه ، لأن كلا منهم يعرف بهذا الاسم (تكملة ص ٢٥٥ – ٢٥٧) . وترجم لعبد الصمد القباتي ولعبد الكريم القباري وأحمد القناري ، بالتتابع (تكملة ص ٢٧٧ – ٢٧٩) ، وذلك بسبب التشابه الواقع في نسبة كل منهم . وهذا طبيعي جداً في كتب " المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ، " لأن الاختلاف والائتلاف هما مدار البحث في مثل هذه الكتب ، وكذلك الأمر فى كتب " الأنساب " التي تترجم في مكان واحد ، عادة ، لمن تتحد نسبتهم ، ولكن " تاريخ إربل " ليس واحداً من هذه الكتب ، ولذلك فان اتباعه لهذا المنحى أمر يدعو الى الاستغراب .

(٦) ويأتي المؤلف بالتراجم أحيانا على سبيل الاستطراد ، من ذلك مثلا ورود ذكر حادث في احدى التراجم ، مما يتعلق بشخص من الاشخاص ، فيعمد الى ترجمة هذا الشخص أيضا . وخير مثل لهذا المنحى ، هو ورود ذكر سماع حديث من عبد العزيز بن عبد القادر الجيلي ، في احدى التراجم ، فما كان منه إلا المبادرة بالترجمة لعبد العزيز هذا (مخ ورقة ٣٣ أ و٣٤ أ) ، إذ تذكّر ان هذا أيضا قد ورد إربل ، وانه من الفئات التى يشملها الجزء الثانى من " تاريخ إربل " .

الفصل الثاني

أسلوب ابن المستوفي في " تاريخ إربل "

سبق وبينا ان " تاريخ إربل " ، هو مجموعة تراجم لم ورد إربل ، أوكان من بعض أبنائها وكان من النابهين . ولقد ذكر ابن المستوفي نفسه بأنه يؤرخ " الواردين الى إربل" (مخ ورقة ١٩٩ ب) ، وفي ظني ، انه قصد بتأريخ الواردين هو التعريف بهم ، بأوجز عبارة ، ولم يكن غرضه كتابة تراجمهم بصورة كاملة . ذلك لان العنصر المهم في الكتاب هو التعريف بمن ورد إربل ، لان الورود هو القاسم المشترك بين هؤلاء الاشخاص . ومع هذا ، فقد جاءت التراجم في كثير من الأحيان ، ضافية مستكملة لما يجب توفره في كتب التراجم من شروط . ونقطة أخرى يحسن بي أن أنبه اليها ، هي ان ابن المستوفي كان من البداية عازما على تصنيف كتاب بهذا الشأن ، فقد أشار في إحدى التراجم ، بأنه اجتمع بأحدهم قبل أن يشرع " في توريق هذا الكتاب " (مخ ورقة ١٠٨ ب) ، أي أنه لم يكن هدفه تدوين مجرد مذكرات عمن ورد إربل ، بغية الاستفادة منها بصورة شخصية ، ولأغراض أخرى . وقد تحدث في موضع آخر عن شخص طلب اليه ان يثبته " في هذا الكتاب " (مخ ورقة ١٢٠ أ) ، وقال عن شخص ثالث : " ورد إربل قديما ، ولم أؤرخه " (مخ ورقة ١٧٦ ب) . وفي هذه الاشارات العابرة ، الدليل على أن ابن المستوفي كان يهدف الى تصنيف كتاب تاريخي ، وقد تحدث أكثر من مرة عن توريق " الكتاب " و الاثبات في " الكتاب " ، كما تحدث عن " تأريخ " الواردين الى إربل وما أشبه . ولذلك فان من حقنا القيام بدراسة أسلوب المؤلف في ضوء علم التأريخ ، لنرى الى أي مدى كان يلتزم بأساليب المؤرخين وطرائقهم :

أولا : الشروط التي فرضها ابن المستوفي على نفسه :

حدد المؤلف في مقدمة الجزء الثاني من " تاريخ إربل " ، الفئات التي سيتناولها في هذا الجزء – وقد بسطنا ذكرها في الفصل السابق – ، وقد بذل جهده لئلا يخرج عن نطاقها ، وكان إذا شعر بأنه يتناول أشخاصا لم يكونوا من تلك الفئات ، يحاول إيجاد المبرر ، فيقول مثلا " ولكن أمره في الآخر آل الى الانقطاع ... " أو " إنما ذكرته لغلبة

الزهد عليه ." وما الى ذلك مما أشرنا اليه في موضعه . وهذا ليس معناه ان الكتاب جاء خاليا من الاستطراد ، بل على العكس ، فان الكتاب – شأنه شأن كثير من الكتب العربية – زاخر بالاستطرادات ، ولكنها استطرادات مقبولة . وهي على الاكثر مما تستدعيه المناسبة . وسنحاول فيما يأتي تناول هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية :

١- الاستطراد :

ولاجل الاحاطة بالمدى الذي ذهب اليه ابن المستوفي في استطراداته ، سنستعرض هنا نماذج منها ، من ذلك مثلا أنه ترجم لبدل التبريزي الذي حدثه ببعض الحديث ، فاستطرد المؤلف الى ذكر سلاسل موازية لسند الحديث الذي حدثه به بدل المذكور . ثم استطرد منها الى ذكر أحاديث أخرى ، وقصة هزيمة هوازن ، وسعيها لدى الرسول – ص – لاطلاق أسراها ، وغرضه من ذلك التدليل على علو السند الذى وُفِّق اليه (مخ ورقة ٦١ أ – ٦٤ ب) .

وعندما ترجم لعلي الهروي ، الذي اشتهر بالكتابة على حيطان الاماكن التي يزورها ، أشار الى وجود شخص آخر عُرف بهذه العادة أيضا (مخ ورقة ٦٦ ب – ٦٧) . ولكنه عندما ترجم لسلمان البجبّاري ، استطرد الى ذكر قصة الكيمياوي المصري الذي احتال على أهل الموصل وعلمائها وحكامها – زاعما بأنه يستطيع تحويل المعادن – بادر المؤلف الى الاعتذار قائلا ، بأنه ماذكر القصة الا لعلاقتها باضطرار سلمان المذكور على مغادرة الموصل والقدوم الى إربل (مخ ورقة ٧٥ أ – ب) . ثم انه استطرد لذكر قصة بناء الحجرة النبوية فوق قبر الرسول – ص – ، لغرض التعريف بأحد مترجميه الذى يُنسب اليه القيام ببنائها (مخ ورقة ١٠٣ ب – ١٠٤) . ولقد روى له أحد المترجمين شعراً، فاستطرد الى ذكر قصة تساعد في إلقاء الضوء على صحة نسبة ذلك الشعر والمناسبة التي قيل فيها (مخ ورقة ١٠٧ ب – ١٠٨ و١٩١ ب) .

ويستطرد أحيانا – وهو استطراد مفيد – عند ذكر أخبار المترجَم لهم حتى بعد مغادرتهم لاربل ، وذلك استكمالا لتلك التراجم (مخ ورقة ١١٥ أ) . ويأتي الاستطراد أحيانا ، بذكر قصة أوخبر رواه أحد المترجَمين ، ممالا علاقة له به شخصيا (مخ ورقة

١١٩أ) ، أو مما له به علاقة فعلا ، فلقد استطرد مثلا في ترجمة ابراهيم السنهوري المصري ، فحكى مازعمه هذا الأخير من ان ابن دريد ينفي أن يكون الياس من الانبياء ، وردّ المؤلف على تلك المزاعم (مخ ورقة ١٢٢ ب - ١٢٣ ب) . وهذا أيضا استطراد مفيد، لانه ينطوي علي وصف الشخص المترجَم ، ومدى الثقة بكلامه . وعندما ذكر له أحد المترجَمين انه سمع أحاديث " المهذب " ، بادر المؤلف مستطرداً الى نقد كتاب تناول شرح تلك الاحاديث (مخ ورقة ١٧٨ أ) .

ويستطرد المؤلف في بعض الاحيان ، بتضمين تراجمه أخباراً لها علاقة بحياة أشخاص وردت أسماؤهم ضمن تلك التراجم ، ففي ترجمة عيسى بن لل ، ذكر وفاة الزرزاري الذي كان من معارف عيسى المذكور (مخ ورقة ١٣٢ أ) . ومنها ، انه عندما أورد شعراً منسوبا الى الشيخ أحمد الرفاعي - رح - استطرد الى ذكر وفاته (مخ ١٨٢ أ) ، وفعل مثل ذلك بالنسبة لوفاة عبد الجبار القيرواني (الاشارة السابقة) ، وكذلك كان الامر بالنسبة لمحمد بن ابراهيم الخبري (مخ ورقة ١٩٥ أ - ب) ، ومثله أيضا فيما يتعلق بابن النبيه (مخ ورقة ١٦٠ ب) . وعندما ترجم لابن رشادة الواسطي ، استطرد الى ذكر وفاة والده (مخ ورقة ٢٢٨ ب - ٢٢٩) .

وهذه بلا شك ، هي من الاستطرادات المقبولة ، وقد أخذ بها ابن خلكان كثيراً واستطراد آخر مقبول أيضا ، وقع عندما أنشده أحدهم أبياتا لم يسمّ قائلها ، ثم وجدها ابن المستوفي " كتاب المعارف " تصنيف ابن قتيبة ، لشاعر اسمه هبة الله . وهنا يستطرد الى ذكر شعر قيل في مدح هبة الله المذكور ، كما يشير الى أنه قد وجد الأبيات الاولى مكتوبة بخط عمه ، وهكذا (مخ ورقة ١٤٠ أ) .

وفضلا عن ذلك ، فان بعض الاستطرادات ليست من المؤلف ، وإنما يرويها له أصحاب التراجم فيثبتها ، من ذلك مثلا ما روى له طه بن بشير الاربلي عن دعاء السرو بالكعبة المشرفة (مخ ورقة ١٧٣ أ) ، أما ماروا له عمر بن محاسن من شعر كتبه أحد نزلاء دار المضيف باربل (مخ ورقة ١٧٩ ب) ، أو ما رواه له جعفر بن محمد الواسطي من أخبار تتعلق بشخصين ، من أهل واسط ، روى لهما بعض الشعر ، ثم تصدى الى

ذكر بعض أوصافهما (مخ ورقة ١٨٣ ب - ١٨٤) ، أو ماروواه له عبد الله بن أبي الفضل عن المرأة التي لم تأكل منذ سنين ومازالت على قيد الحياة (مخ ورقة ١٩٤ أ) ، أو ماروواه له محمد بن أبي طاهر الهذباني من قصة كثيّر عزة مع الامير عبد العزيز بن مروان الأموي (مخ ورقة ١٦٤ ب) ، أو ماروواه علي بن المكرم عن قصة بيت الشعر الذي كانت تتمثل به عائشة أم المومنين - رض - (مخ ورقة ٢٠٢ أ) . ومن هذا النوع الشعر الذي رواه للمؤلف ابن فطيرا مما لاعلاقة له بصلب الترجمة (مخ ورقة ٢٠٥ ب - ٢٠٦ ب) .

هذا وبعض استطرادته - وهي قليلة جداً - هي من باب " الشيء بالشيء يذكر " . ومن هذا النوع ماذكره أحد المترجَمين عن الخط الذى رآه مكتوبا على حائط جامع قرية باصيدا ، فرأى ابن المستوفي ان من المفيد أن يروى قصة بناء هذا الجامع ، ومحاولة نصارى هذه القرية رشوة حاكم إربل ، للحيلولة دون بنائه قرب بيعتهم (مخ ورقة ٢٠٤ أ - ب) .

٢- الورود الى إربل :

سبق وبينا بأن المؤلف ألزم نفسه بتأريخ " الواردين الى إربل " (مخ ورقة ١٩٩ ب)، وهذا واضح من خلال الكتاب . وهنا ينبغي أن نشير الى أن المقصود باربل ، ليس المدينة وحدها ، وإنما يشمل ذلك توابعها ، وقد صرح بذلك ابن الشعار ، فقال بأن ابن المستوفي كان يؤرخ الواردين الى إربل " وولاياتها " . واننا واجدون فعلا في " تاريخ إربل " ذكراً لاناس كانت لهم صلة ما ببعض ملحقات إربل ، مثل كفر عزة وباصيدا سالفة الذكر (مخ ورقة ١٧٥ أ و ٢٠٤ أ - ب) وشهرزور . هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى فانه لم يذكر دائما - بصورة صريحة - ان المترجَم لهم قد وردوا الي إربل اسوة بما فعله بالنسبة لعدد كبير من أصحاب التراجم . وهذا بطبيعة الحال يجعل القارئ في حيرة ، إذ لايدرك السبب في إدراج تراجم أشخاص ليس واضحا ورودهم الى إربل (مخ ورقة ٢٠٦ ب - ٢٠٧ ب و١٢١ ب و١٣٤ أ و١٥٢ أ - ب و ١٧٤ ب و١٨٧ أ و ب) . ولكن مجرد لقاء المؤلف لبعض هؤلاء ، هو قرينة على ورودهم . ثم ان المؤلف لابد وقد

سها عن باله أن يشير بصراحة فى كل ترجمة من التراجم ، الى قدوم صاحبها الى إربل . وملاحظة أخرى أود الاشارة اليها ، هي ان ابن المستوفي قد ترجم لكثيرين من أهل إربل نفسها ، وبذلك تجاوز الحدود التي رسمها لنفسه بتاريخ " الواردين " اليها من الأماثل وهو في هذا يسير على خطة من سبقة من مصنفى التواريخ المحلية ، الذين كانوا يترجمون لاهل البلد والواردين عليه على السواء . وانه بفعله هذا ، قد قام بخدمة جليلة ، لأنه انفرد بتسجيل تراجم الارابلة ، ولاسيما الذين عرفهم شخصيا ، ممالا يمكن العثور عليه في المصادر الاخرى إلا نادراً ، ولو لم يفعل ذلك لحرمنا من معلومات تاريخية قيمة عن الحياة الثقافية باربل (مخ ورقة ١٠ ب - ١١ ب و٢٣ أ و٢٨ أ و ٢٩ ب و٤٨ ب و ٧٧ أ و ٨١ ب ، ٨٤ ب و٩٣ أ وب و٩٦ أ و٩٨ أ - ١٠٠ ب و ١٠٤ أ و١٠٩ ب و ١١٦ أ و ١١٩ ب - ١٢٠ أ و ١٢٧ أ و ١٣٣ ب و ١٤٤ ب و ١٥٠ أ و ١٥٣ ب و ١٥٥ أ و١٦٤ أ و ١٧٢ ب - ١٧٤ و ١٧٥ ب و ١٧٦ أ و١٧٨ أ و ١٧٩ ب و ٢٢٧ أ - ب) .

٣- رواية الشعر :

يبدو ان ابن المستوفي - كشاعر أديب - ألزم نفسه بأن لايترجم لاحد مالم يكن من قائلي الشعر ، وكان يحرص على إيراد أشعار مترجَميه ، وهذا هو السبب الذى أدى الى وجود حوالى ٢٥٠٠ بيت من الشعر في الجزء الثاني وحده من " تاريخ إربل " . ولقد صرح هو نفسه بهذا الالتزام في أكثر من موضع ، من ذلك مثلا بأن أحد الاشخاص طلب اليه أن يثبته فى كتابه ، فطلب اليه أن ينظم أبياتا تكون " سببا " في التنويه بذكره (مخ ورقة ١٢٠ أ) . وقال عن شخص آخر زار إربل ولم يُنبَّه عليه ليجتمع به اجتماعه بغيره ، فيستنشده شيئا " من شعره ماهو غرض هذا الكتاب " (مخ ورقة ٢٢٦ ب) . وقد كان بالفعل يستنشد من يلقاهم من المترجَمين بعض شعرهم ، بل ويلح على من يتلكأ منهم في ذلك ، وقد جرى له ذلك مع ياقوت الحموي وابن الشعار (مخ ورقة ٨٤ أ و٩٢ أ و ١٢٠ أ و ١٥٧ أ و ١٥٩ ب و١٧١ أ) . أقول وهذا الالحاح الذي كان عليه ابن المستوفى ، لعله كان السبب الذي حدا بالمجد النشابي الشاعر لكي يصفه باللجاجة - كما تقدم في بيت الشعر الذى رويناه في موضع آخر من هذه الدراسة - . ومع ذلك فان المؤلف لم

يستطع أن يوفّي بهذا الشرط ، أى أن يترجم فقط لمن يقول شعراً ، إذ خلا عدد كبير من تراجم الكتاب من أى شعر على الاطلاق (انظر مخ ورقة ٤ ب و ١٠ ب - ١١ و ١٢ ب ١٣ ب و ٢٦ أ - ٢٩ ب على سبيل المثال) .

٤ - غرابة الاسماء :

ويبدو ان ابن المستوفى قد أخذ بسبب آخر لاثبات بعض ما أثبته في تاريخه ، ذلك هو غرابة الاسماء والانساب ، أو بُعْد منزل الشخص صاحب العلاقة . من ذلك مثلا ، انه روى شعراً لشخص مغربي اسمه الحسن الدكالي ، وكان شعراً غثا ، قال عنه : " وهذا شعر ينبغي أن يطرح ، ولكنني كتبته لغرابة نسب قائله وبُعْد منزله " (مخ ورقة ٢٣٠ أ) . ونقل مرة نصا وجده على حائط مسجد في قـرية باصـيدا ، يتعلـق بشـخص يدعى " الكومي الندرومي " فقال معللا سبب نقله لذلك النص : " كتبته لغرابة نسبته " (مخ ورقة ٢٣١ أ) . أقول ويبدو ان هذه العادة ، أعني عادة تقييد بعض الاخبار والفوائد بسبب غرابة أسماء أصحابها ، كانت شائعة في عصر المؤلف ، ذلك ان الدكتور إحسان عباس سجل لنا شيئا مماثلا عن الحافظ السلفي ، كما أسلفنا (تراجم اندلسية ، مستخلصة من " معجم السفر " - مقدمة ص ٩) .

ثانيا : منهج ابن المستوفي :

شرح ابن المستوفي منهجه في بداية هذا الجزء من " تاريخ إربل " . بعبارات موجزة لكنها جمعت كل ما أراد أن يقول ، فذكر أنه يتناول " المنقطعين الى الزهادة ، والموسومين بالعدالة والمعروفين بالرواية ، ممن اشتهرت ديانته، وعُرفت صيانته ، وظهرت أمانته . موفيا كلا منهم حقه ومعطيه مستحقه ، غير مائل اليه ، ولا متحامل عليه " (مخ ورقة ١ ب) . أي أنه تعهد بأن يسلك في كتابه سبل الدقة والأمانة والحياد التام ، وهي الصفات التي ينبغي أن يتخلق بها المؤرخ ، والقواعد التي يُفترض فيه الالتزام بها . وسنحاول فيما يأتي دراسة مدى التزام ابن المستوفي بتلك القواعد . كذلك سنلقي نظرة على مالاحظناه من حرص المؤلف على تضمين كتابه نصوصا نادرة نقلها من كتب ضائعة ، أو من أجازات وفتاوى ، أو من تعاليق بعض المشايخ وخطوطهم ، فضلا عما

كان مدونا على بعض الحيطان . كما نشير الي اهتمامه بالتعريف بالمواضع النائية ، وإيثاره الايجاز على الاطالة . واليك البيان :

١- الوعى التاريخي :

بامكان قارئ " تاريخ إربل " أن يلمس بكل سهولة – من خلال الكتاب – بأن ابن المستوفي كان يعي مسئوليته كمؤرخ ، وان عليه أن يدوّن المعلومات التي تصل إليه ، سواء أعجبته أم لم تعجبه . ولقد صرح بذلك أكثر من مرة ، من ذلك أنه روى شعراً لم يعجبه ، فقال عنه : " وإنما كتبتُه على عادة أصحاب التواريخ ، إذ المؤرخ ليس يختار ، وإنما هو حاكٍ ما وقع اليه " (مخ ورقة ٢٩ أ) . وقال في حالة أخرى مماثلة : " وهذا شعر يجب أن يطرح ، وإنما أكتبُ مثله على عادة المؤرخين " (مخ ورقة ١٠١ ب) وقال في موضع ثالث : " وهذا شعر تَرْكُ إثباته أولى " (مخ ورقة ٢٢٨ أ و ٢٣٠ أ) . وعندما نقل نصا من حائط أحد الجوامع ، قال : " كتبتُه لغرابة نسبته ، وأثبتُه على ماوجدتُه عليه " (مخ ورقة ٢٣١ أ) . وقد بلغ به الوعى التاريخي حداً عاليا ، إذ كان يدوّن حتى الشعر الذي يخالف عقيدته الاسلامية ، ولكنه يستدرك فيقول : " استغفر الله من إثبات هذا البيت " . (مخ ورقة ١٣٩ ب) . وعندما ترجم للشيخ قضيب البان ، أبت عليه نفسه أن يذكر بعض الكرامات المنسوبة اليه والتي يتداولها الناس ، لانها " تنافي العقل والشرع " ، فاكتفى بالاشارة اليها (مخ ورقة ١٧٤ أ – ب) . وقد حدّثه أحد الرواة عن السماء التي أمطرت سمكا ، فاثبت هذه الرواية ، لكنه ختمها بقوله : " هذا معنى كلامه والعهدة عليه فيما نقل اليّ ، والله ولي سرنا في الدنيا والآخرة " (مخ ورقة ١٣١ ب – ١٣٢) .

أما بالنسبة لقصة المرأة التى لم تاكل عدة سنين ، فقد ذكرها لعلّو شأن راويها ، ولكنه ختمها بقوله : " والله أعلم " (مخ ١٩٤ أ) . وهنا أود أن أؤكد بأن ماقدمتُه من قول، لايعنى بأن ابن المستوفي لم يكن يؤمن بالكرامات ، فلقد ذكر عن أحد المتصوفة بأنه " من الصالحين المشهورين له كرامات مشهورة ، وأحوال مذكورة " ، وقد زار قبره " للتبرك " غير مرة ، وروى بعض كراماته (مخ ورقة ١٢٦ أ – ب) . ثم انه كان لايسمح

لنفسه بتدوين شيء لايتحقق من صحته ، وإن أثبت شيئا يتعارض وماالديه من معلومات بادر الى ذكر الروايتين ، تاركا للقارئ حرية الاختيار بينهما ، ويصرح قائلا بأنه لايعلم " كيف الجمع بين ذلك " (مخ ورقة ١٧٥ أ - ب) . ومن هذا القبيل ، انه نقل نسب الشيخ عمر السهروردي ، ولكنه لاحظ وجود تباين في سلسلة النسب بين مختلف المراجع ، فجاء بها كما هى ، وقال ان فيه " خلاف يجب تحقيقه " (مخ ورقة ٨٨ب) . وفعل الشيء نفسه فيما يتعلق بنسب المظفر الشهرزوري (مخ ورقة ٩٨ ب) .

وهناك نقطة أخرى ، يحسن بي الاشارة اليها ، هي أن ابن المستوفي كان في بعض الأحيان يختار فيما ينقله ، أي أنه ينتقي المعلومات التي يريد إثباتها ، ويضرب صفحا عن بعضها الآخر ، فلقد ذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٤ ورقة ١٨٧) مثلا ، ان ابن المستوفي كان قد سمع الكثير من شعر أحد المواصلة ، الا أنه لم ير أن يقيد منه شيئا لجهله (أي جهل الموصلي) .

٢- الاهتمام بالسند وبرواة الاخبار :

يهتم ابن المستوفي كثيراً بسند الأخبار التي يرويها ، وكان حريصا جداً على عدم إيراد أي خبر أوحديث أوشعر بدون سند ، بل انه كان يحرص على ذكر مكان الرواية أو السماع ، ومكان لقائه الناس الذين لقيهم . ولايكتفي في بعض الاحيان برواية واحدة لحديث أوشعر ، فيحاول الحصول على تلك المرويات من أكثر من طريق ، من ذلك مثلا أن الواعظ الغزنوي أجازه رواية حديث ، فعززها برواية الحديث نفسه عن طريق شخص آخر (مخ ورقة ١٢٩ ب) . بل انه ، عند الشك بأقوال الرواة ، يلجأ الى اليمين بغية التحقق من صحة مايروي (مخ ورقة ١٠٧ ب) . وزيادة على ذلك ، فانه يحاول الاتيان بالاخبار ذات العلاقة ببعض المقطوعات الشعرية ، فيذكر مثلا ظروف نظمها ، والمناسبة التي قيلت فيها ، وما الى ذلك مما يعزز روايتها . وهذا مبثوث في الكتاب كله (أنظر مثلا مخ ورقة ٣١ ب و ٥٣ ب و ٥٥ ب و ٥٩ أ و ٦٨ ب و٧٢ ب و٧٤ أ و ٧٧ أ و ٨٤ ب و ٨٥ ب و ٨٩ ب - ٩٠ ب و٩٢ أ و ٩٧ أ و ب و ١٠٠ أ - ١٠١ أ ، و١٠٣ أ و ١٠٦ أ و١١١ أ - ١١٢ ب و ١١٤ أ و ١١٩ أ و ١٢٢ ب و ١٢٣ ب و ١٢٥ أ و ١٣٢ أ و ١٣٤ أ و ١٣٦ ب و

١٣٩ أ و ١٤٥ أ و ١٤٦ ب و ١٤٧ أ و ١٤٨ أ و ب ١٥٠ ب و ١٥٢ ب و ١٥٣ ب و ١٥٤ ب و ١٥٥ ب و ١٦٠ أ و ١٦١ ب و ١٦٢ أ و ١٦٣ أ و ١٦٤ ب و ١٦٧ ب و ١٧٠ أ و ١٧٣ أ و ١٧٩ أ و ب و ١٨٢ ب و ١٨٥ ب و ١٨٧ أ و ب و ١٨٨ ب و ١٨٩ ب و ١٩٢ ب - ١٩٤ أ و ٢٠١ أ و ب و ٢٠٧ أ و ٢٠٩ أ و ب و ٢١٣ أ و ٢١٥ ب و ٢١٦ أ - و ٢١٧ أ و ب و ٢١٨ ب و ٢٢٢ أ و ٢٢٣ ب و ٢٢٨ أ و ٢٣٠ ب) .

وحرص ابن المستوفي على السند لم يكن قاصراً على رواية الاخبار المفردة والأحاديث ، بل انه أبدى مثل هذا الحرص حتى في رواية الكتب ، وقد لاحظ ذلك الريداوى (الحركة النقدية ص ٥٣٩) فقال : " اما طريق رواية (ديوان أبى تمام) فقد تحدث عنها ابن المستوفي ووصفها بدقة على طريقة المحدثين " . ثم قال بانه جاء بسند قراءته للديوان على محمد بن عيسى الجصاص في سنة ٦٠٩ هـ ، بمنزله باربل ، وانه سرد ذكر السند حتى وصل به الى أبي تمام نفسه .

وفضلا عن ذلك ، فان شطراً كبيراً من المعلومات الواردة في " تاريخ إربل " ، هي حصيلة اتصال شخصي تم بين المؤلف وأصحاب التراجم أنفسهم ، أو أنه نتيجة اطلاعه على خطوط مكتوبة تشير الى مانقله منها . ومن هنا كان حرصه على لقاء المترجم لهم ومشاهدة خطوطهم ، من ذلك مثلا انه اطلع على كتاب " لباب الأحياء " ، تصنيف أبي الفتوح الغزالي - وهو أحد المترجَمين - وعليه إجازة بخط المؤلف (مخ ورقة ٣ ب) ، أو رؤية خطوط من يروى عنهم . وكان في الغالب ينبّه الى أنه نقل من خط هؤلاء أو خط أولئك . ولقد بلغ عدد المترجَمين الذين لقيهم شخصيا حوالى ٢٠٠ من أصل ٣٢٤ شخصا . وكان أيضا يستقي الاخبار من ذوي قرابة أصحاب التراجم ، كما انه كان يتصل بأرباب العلم ، شخصيا أوعن طريق المراسلة ، لكي يستفسر منهم عن هؤلاء المترجَمين . ويكاد القارئ يحس بهذا الحرص الشديد في معظم صفحات هذا الكتاب (أنظر مثلا مخ ورقة ٣ ب و ٥ ب و ٦ ب و ٩ أ و ١١ أ - ١٢ أ و ب و ١٣ ب و ١٤ ب و ١٧ ب - ١٩ أ و ٢٠ ب - ٢٢ ب و ٢٣ ب - ٢٥ أ و ٢٦ ب و ٢٧ ب - ٢٩ ب و ٣٠ ب - ٣١ ب و ٣٣ أ و ٣٤ أ و ب و ٣٦ أ و ٣٧ أ و ٣٨ أ و ٣٩ أ و ب - و ٤٠ أ و ٤١ ب و ٤٤ أ و

٤٥ أ - ٤٦ أ و ٤٩ أ و ب و ٥١ أ - ٥٢ أ و ٥٣ ب و ٥٥ ب - و٥٧ أ و٥٨ أ وب و ٥٩ ب و ٦٠ أ و ٦١ أ و ٦٥ أ و ٦٧ أ و ب و٦٨ ب و ٦٩ ب و ٧٠ أ و ٧١ ب - ٧٣ أ و ٧٤ أ - ٧٧ أ و ٧٨ أ و ب و ٨٠ أ و ب ٨١ ب - ٨٥ أ و ٨٦ أ و ٨٧ أ ٨٨ أ و ٨٩ ب و ٩١ ب و ٩٢ أ و ٩٣ أ و ٩٥ أ و ب و ٩٧ أ و ٩٨ أ - ٩٩ ب و ١٠٠ ب و ١٠٢ أ و ١٠٣ أ و ١٠٥ أ و ب و ١٠٧ أ و ب و١٠٨ ب و ١٠٩ ب - ١١٣ ب و ١١٤ ب - ١١٩ ب و١٢٠ أ - ١٢٢ ب و ١٢٣ ب - و ١٢٥ ب و ١٢٦ ب و ١٢٧ أ و ١٢٩ أ و ١٣٠ أ - ١٣١ أ و ١٣٢ أ و ١٣٣ أ - ١٣٤ ب و ١٣٥ أ - ١٣٨ ب و ١٣٩ ب - ١٤٢ أ و ١٤٣ أ - ١٥٠ ب و ١٥١ - ب و ١٥٦ أ و ١٥٧ أ - ١٥٩ أ و ١٦٠ أ - ١٦٥ ب و ١٦٦ ب و ١٦٧ أ - ١٧٠ ب و ١٧١ أ - ١٨١ ب و ١٨٢ ب - ١٨٨ ب و ١٨٩ ب - ١٩٦ أ و ١٩٧ أ - ١٩٨ أ و ١٩٩ أ - ٢٠١ ب و ٢٠٢ ب - ٢٠٩ ب و ٢١٠ ب - ٢١٥ أ و ٢١٦ أ - ٢٢٢ ب و ٢٢٣ب - ٢٢٩ أ و ٢٣٠ أ و ٢٣١ أ).

الا ان ابن المستوفي قد شذَّ عن هذه القاعدة ، أى قاعدة إسناد كل خبر الي مصدره ، في مواضع عدة من تاريخه ، ولكنها محدودة ، وقد أحصيتها فلم تتجاوز ثلاثين موضعا . إذ كان يروي أحيانا بعض الاخبار دون ذكر أسماء رواتها ، مكتفيا بالقول : " سمعتُ بعض أصحابنا .. " ، أو " حدثني الثقة الصدوق .. " أو " أخبرني بذلك الثقة .. " أو " حُدثتُ بكذا .. " أو " سمعتُ من غير واحد .. " ، أو " قيل لي .. " أو " نُقل لي .. " أو " بلغني .. " وكان في أحيان أخرى ينقل عن بعض مشايخه ، دون تحديد أو عن جماعة من الناس بدون تخصيص أيضا ، كان يقول : " حدثني بعض أهل مراغة .. " أو " .. أهل دقوقا " . بل ويسرد أحيانا الاخبار دون أن يذكر عمن كان ينقل وهذا قليل جداً إذا ماقيس بالاخبار المسندة الى رواتها (مخ ورقة ١ ب و ٥٠ أ و ٧٦ ب و ٨٧ أ و ٩٠ أ و ١٠٠ ب و١٠٦ ب و ١٠٧ ب و ١١٢ ب و ١١٣ أ و ب و ١١٥ أ و ب و ١١٦ أ و ١١٨ أ و ١٢٢ أ و ١٢٩ أ و ١٣٥ أ و ١٥٥ ب و ١٧٥ أ و ١٧٦ أ و ١٧٩ ب و ١٨٦ ب و ١٨٧ أ و ب) .

هذا وان مبعث اهتمام ابن المستوفي بالسند ، هو بلا شك ، كونه من أهل الحديث ، ومعروف اهتمام هؤلاء بسلاسل الاسناد . وقد كان المؤلف يفخر عندما يظفر بسند عال

– كما أسلفنا في موضع آخر من هذا البحث – فكان يقول مفاخراً عن بعض الاحاديث التي سمعها " فكأنني سمعته من البخاري ومسلم وابي داود " ، وما الى ذلك (أنظر مخ ورقة ٣٩ ب و٥٠ ب و ٦٢ ب ،٦٤ ب)

٣- الحرص على ذكر التاريخ :

كان ابن المستوفي – كمؤرخ – حريصا على ذكر التاريخ ، سواءً تاريخ لقائه لمن لقي من أصحاب التراجم أو الرواة ، أو تاريخ السماع بالنسبة له شخصيا وبالنسبة لسماعات غيره . وكان حرصه أشد فيما يتعلق بادراج تاريخ الولادة والوفاة ، وعندما لايتيسر له ذلك ، يترك في بعض الاحيان مكان التاريخ بياضا على أمل الحصول عليه في وقت لاحق ، فيدرجه . أما الاحياء الذين يلقاهم ، فكان يسألهم عن تاريخ ولادتهم ، أو يستفسر عن ذلك من ذوي قرباهم ، أو ممن له علاقة خاصة بهم ، واذا وقع اختلاف في تاريخ ما ، فانه يحاول ذكر سبب الاختلاف ، ويرجع الرواية الى أصحابها ، وللتحقّق من صحة مايُروى له ، كان يسأل ذوي العلاقة اكثر من مرة ، ويقارن بين الاجوبة . وكذلك كان يتحرى صحة التواريخ بمراجعة أكثر من مصدر .

وكان في حالة حصوله على تاريخ ناقص ، كأن يقال له ان وفاة شخص ما وقعت في رمضان من سنة ٦١٧ هـ ، أو وفاة شخص آخر وقعت في سنة ٦٢٩ هـ ، فانه يحاول استكمال التاريخ من رواة آخرين ، الى أن يتحقق بأن ماوقع مثلا كان في ١٩ رمضان بالنسبة للاول ، و١٢ ربيع الاول بالنسبة للثاني . أما إذا عجز عن القطع بصحة تاريخ من التواريخ ، فيعتذر بقوله : " لم يحقق لي ذلك " . وفي حالة عجزه عن الوصول الى معرفة التاريخ المطلوب عجزاً تاماً ، يبادر مثلا الى القول : " حضرتُ وفاته ، ولم أتحقق السنة " . وعندما يُروى له مقتل أحد الاشخاص في واقعة معروفة ، يحرص على ذكر تاريخ تلك الواقعة ، شعوراً منه بواجبه – كمؤرخ – تجاه القارئ ، فييسر عليه معرفة التاريخ دون الحاجة الى مراجعة كتب أخرى . وبلغ من حرصه على ذكر التواريخ بكل دقة ، ان أحد أصحاب التراجم توفي بحران في شهر رجب من سنة ٦١٢ هـ ، فذكر أن خبر الوفاة وصله الى إربل في شهر شعبان من تلك السنة . وكان – على مايبدو – يتعقب

وكان لا يكل في مسعاه هذا ، ولا يأخذه خجل وهو يلح على هذا ويلحف على ذاك، طلباً للمزيد من المعلومات ، وإمعاناً في التحقيق والتدقيق . وقد دوّن لنا بعض الاخبار الطريفة في هذا الصدد ، من ذلك مثلا ان أحد المترجَمين روى له أبياتا ونسبها الى شاعر يدعى " دخنه " ، فحرص ابن المستوفي على سؤال دخنة عن تلك الأبيات ، فانكر أن تكون له . فما كان من المؤلف إلا أن عاد الى راوية الأبيات ليواجهه بالحقيقة ، فلم يحر جوابا . في الحقيقة ان السبب الذى حمل ابن المستوفي على التشكك بصحة أقوال الشخص المذكور ، انه ناقشه في وزن بعض الأبيات فبدا عليه الجهل ، كما ان المؤلف لاحظ اختلاف الخط في رقعتين زعم انهما بخطه ، (مخ ورقة ١١٧ أ و ب) . وقد حصل اكثر من مرة انه كان يروي المقطوعات الشعرية مرتين ، نقلا عن مصدرين مختلفين إمعانا في الدقة (مخ ورقة ٢ب و ٤ أ و٢١٧ ب – ٢١٨) .

ولقد نقل ابن المستوفي مرة ابياتا وجدها مكتوبة على جزء لاحد شيوخه وقد أنشدها له ذلك الشيخ ، وكانت من نظم شخص اسمه ثابت، ولكن المؤلف حرص ، عندما لقي ثابتاً هذا ، على ان يسمعها منه مرة أخرى ، مبالغةً منه في تحرّي الصحة والنص الموثوق (مخ ورقة ١٢٣ب – ١٢٤أ) . وفعل مثل ذلك في مناسبات أخرى (مخ ورقة ٢٠٢ب و٢١٨ب – ٢١٩أ) . ولاحظ مرة ، في نسب شخص قابله ، أنه يقدم اسم أحد أجداده مرة ويؤخره أخرى ، فناقشه فيه الى أن توصل الى الحقيقة (مخ ١٩١أ) . وكان هذا شأنه في التحرّي عن أية معلومات تقع في يده ، فلا يدونها إلا بعد السؤال والاستفسار (مخ ورقة ١٣١ – ١٣٢أ و ١٥٠ أ) . من ذلك مثلا انه سأل محمد بن المكرم عن تاريخ ولادته ، فذكر له . إلا انه زيادة في التدقيق اطلع على تاريخها مدوناً بخط والد محمد المذكور (مخ ورقة ٢٠٠ب) . بل كان يسير على هذا المنوال حتى في صغائر الامور ، من ذلك ان شخصا من مترجَميه كان يدعى " الحافظ " فذكر انه لم يتحقق من صحة تسميته بهذه التسمية (مخ ورقة ٥٠ أ) ، وان آخر يسمى " الحاسب " ، فصرح بأنه لايعرف سبب تلك التسمية (مخ ورقة ١٧٦أ) ، وذكر انه وجد قبراً في جامع منسوبا لاحد أبناء " السلطان مسعود " ، وحيث انه لم يعرف من هو المقصود ، بادر الى القول :" لم أتحقق من مسعود فاثبتُه في موضعه " (مخ ورقة ١٧٥ أ) .

في الواقع ان الامثلة على دقة ابن المستوفي وحذره كثيرة جداً ، وكان لا يقع برأي إلا اذا توفرت لديه الأدلة الكافية لتأييد صحته ، وفي حالة الشك كان منتهى مايقوله انه " يستريب " أو " أظن كذا " . وبلغت به دقته في النقل حداً عاليا ، حتى أنه عندما كان يروى الشعر يميزّ بين مايُنشد اليه ومايتقله من خط المنشد نفسه ، فيقول مثلا : " هذا من إنشاد فلان ، وتكملة القصيدة من إنشاد غيره " ، أو يقول : " أنشدنيها إلا البيت الثامن ، فاني نقلته من خطه " ، وهكذا (مخ ورقة ١٣ ب و ٤٥ أ و ١٦١ ب و ١٨٠ ب و ١٨٦ ب – ١٨٧ ب و ١٩١ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠٤ ب و ٢١٠ ب و ٢٢٦ ب) . واذا كان غير متأكد من نقله النص المروى له كل التأكد ، وصف ما أورده بقوله : " كلاما ماهذا معناه " ، أو " هذا معنى كلامه " ، أو " هذا معنى كلامه ، وأكثر اللفظ لي " ، أو " المعنى والعبارة لي " ، أو أنه " لم يعلق حفظي إلاما ذكرتُ " ، أويقول : " الشك مني " ، أو " لم أتحقق صحة هذه التسمية .. " ودفعا للمسؤولية الادبية ، يبادر أحيانا الى القول : " كذا نُقل اليّ " ، أو " سمعت هذا ولا أعلم صحته " ، أو " كذا رُوي اليّ ، ولم يحقق لي ذلك " ، وهكذا .

وكان عندما ينقل خبراً مشينا ، يحرص على أن يبرئ نفسه من مسؤولية روايته ، فيقول : " حدثني الثقة " ، أو يقول : " حُدثت انه جواد سمح ، إلا ان فيه تسامحا في الدين ... " ، أو " والله أعلم ، تحدث الناس فيه ..." . أما اذا تصرّف في نص نقله ، فيقول : " نقلتُ على الوجه ، إلا ما أصلحتُ فيه من حذف زيادة ، واتمام نقص في بعض حروفه استقام بها الكلام " أو يقول : " إصلاح مافيه من الالفاظ المشكلة لي " (مخ ورقة ١٣٢ ب و١٦٨ أ) أو " ذكر ذلك فلان واختصرتُه " . وعند ذكر الوفاة ، فانه لايكتفي – في كثير من الاحيان – بايراد تاريخها فحسب ، بل يذكر مكان وقوعها أيضا . واذا حصل خلاف حول المكان ذكره كذلك . ثم انه يذكر أحيانا ، سبب الوفاة ، فقال مثلا عن ابن عساكر ، انه توفي بسبب جرح أصابه ، وقال عن ابن نقطة ، انه توفي بالهيضة ، وعن شخص آخر انه توفي بمرض الجوف ، وهكذا .. (انظر مخ ورقة ١١ ب و١٨ ب – ٢٠ ب و ٢٧ ب و٣٨ أ و٥٤ ب و٥٥ ب و ٥٨ ب و ٦٩ ب و ٧٦ ب و

في الواقع ان الامثلة على دقة ابن المستوفي وحذره كثيرة جداً ، وكان لا يقع برأي إلا اذا توفرت لديه الأدلة الكافية لتأييد صحته ، وفي حالة الشك كان منتهى مايقوله انه " يستريب " أو " أظن كذا " . وبلغت به دقته في النقل حداً عاليا ، حتى أنه عندما كان يروي الشعر يميزّ بين مايُنشد اليه وماينقله من خط المنشد نفسه ، فيقول مثلا : " هذا من إنشاد فلان ، وتكملة القصيدة من إنشاد غيره " ، أو يقول : " أنشدنيها إلا البيت الثامن ، فاني نقلته من خطه " ، وهكذا (مخ ورقة ١٣ ب و ٤٥ أ و ١٦١ ب و ١٨٠ ب و ١٨٦ ب – ١٨٧ ب و ١٩١ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠٤ ب و ٢١٠ ب و ٢٢٦ ب) . واذا كان غير متأكد من نقله النص المروي له كل التأكد ، وصف ما أورده بقوله : " كلاما ماهذا معناه " ، أو " هذا معنى كلامه " ، أو " هذا معنى كلامه ، وأكثر اللفظ لي " ، أو " المعنى والعبارة لي " ، أو أنه " لم يعلق حفظي إلاما ذكرتُ " ، أويقول : " الشك مني " ، أو " لم أتحقق صحة هذه التسمية .. " ودفعا للمسؤولية الادبية ، يبادر أحيانا الى القول : " كذا نُقل اليّ " ، أو " سمعت هذا ولا أعلم صحته " ، أو " كذا رُوي اليّ ، ولم يحقق لي ذلك " ، وهكذا .

وكان عندما ينقل خبراً مشينا ، يحرص على أن يبرئ نفسه من مسؤولية روايته ، فيقول : " حدثني الثقة " ، أو يقول : " حُدثت انه جواد سمح ، إلا ان فيه تسامحا في الدين ... " ، أو " والله أعلم ، تحدث الناس فيه ... " . أما اذا تصرّف في نص نقله ، فيقول : " نقلتُ على الوجه ، إلا ما أصلحتُ فيه من حذف زيادة ، واتمام نقص في بعض حروفه استقام بها الكلام " أو يقول : " إصلاح مافيه من الالفاظ المشكلة لي " (مخ ورقة ١٣٢ ب و ١٦٨ أ) أو " ذكر ذلك فلان واختصرتُه " . وعند ذكر الوفاة ، فانه لايكتفي – في كثير من الاحيان – بايراد تاريخها فحسب ، بل يذكر مكان وقوعها أيضا . واذا حصل خلاف حول المكان ذكره كذلك . ثم انه يذكر أحيانا ، سبب الوفاة ، فقال مثلا عن ابن عساكر ، انه توفي بسبب جرح أصابه ، وقال عن ابن نقطة ، انه توفي بالهيضة ، وعن شخص آخر انه توفي بمرض الجوف ، وهكذا .. (انظر مخ ورقة ١١ ب و ١٨ ب – ٢٠ ب و ٢٧ ب و ٣٨ أ و ٥٤ ب و ٥٥ ب و ٥٨ ب و ٦٩ ب و ٧٦ ب و

٧٨ ب و١٠٦ ب و ١١٢ أ و ١١٧ أ و ١١٨ ب و ١١٩ أ و ١٢٢ ب و ١٢٣ ب و ١٢٤ ب و ١٢٧ أ و ١٣٢ أ و ١٣٧ ب ، و١٣٩ أ و ١٤٥ أ و ١٥٠ ب و ١٥٣ ب و ١٦٧ أ و ١٧٢ أ و ١٧٢ أ و ١٧٥ أ و ب و ١٧٦ ب و ١٧٩ ب و ١٨٠ ب و ١٩١ أ و ١٩٣ أ و١٩٨ ب و ١٩٩ ب و ٢٠٢ أ و ب و ٢١٧ ب و٢١٨ أ - ٢١٩ أ و٢٢٠ أ - ٢٢٦ أ و ٢٣١ أ) .

وكما أسلفنا ، فقد تجلت هذه الدقة بوضوح في ثنايا الكتاب ، ولم يكن ابن المستوفي يترك شيئا دون تحقيق ، حتى المنام ، من ذلك مثلا ان أحد الاشخاص حدثه بمنام رأى فيه الرسول - ﷺ - وهو يحدّث قوما بحديث - ذكر نصه - فما كان من المؤلف إلا أن شمَّر عن ساعد الجد يطلب ذلك الحديث في الكتب ، الى أن عثر عليه ، ولم يكتف به برواية واحدة ، بل استقصى جميع رواياته (مخ ورقة ٣١ ب - ٣٢) . وحملته دقته هذه الى درجة انه إذا ماروى له أحد خبراً يحتمل اللبس ، بادر الى ذكر مايزيل ذلك الاحتمال. من ذلك مثلا ، ان كوكبوري روى له خبراً عن الشيخ عدي بن مسافر ، تضمَّن شيئا يتعارض والدين الحنيف ، فرأى ابن المستوفي ان من واجبه التذكير بأن كوكبوري قد أورد الخبر على سبيل الانكار (مخ ورقة ٤٥ ب) ، لكي يزيل من ذهن القارئ الظن بأن كوكبوري كان موافقا على ماقاله الشيخ عدي .

ومن الامثلة على دقة المؤلف وأمانته ، ان بعض المعلومات التي ذكرها قد أمكنني مراجعتها على مراجع أخرى ، فوجدتُها متطابقة وما أورده كل التطابق . ويبدو ان الدقة والامانة والضبط كانت قد رافقت ابن المستوفي في مؤلفاته الاخرى ، أذ أطنب الدكتور محمد عبده عزام في ذكرها بالنسبة لكتابه " النظام " (انظر شرح التبريزي - مقدمة ١ / ٣٩ - ٤٣) هذا وقد وجدتُ من المفيد إيراد بعض الامثلة التي توضح ما أقول :

أ / نقل ابن المستوفي مقطوعتين من شعر محمد البصري وأبياتا لعبد الكريم الأثري، وكلها برواية ابن الشعار . ولقد وجدتُها فعلا في " عقود الجمان " (مخ استانبول ٥ ورقة ومابعدها ، و٧ ورقة ٦٦) . وذكر ان البصري قد أنشده تلك المقطوعتين (مخ ورقة ٢١٠ ب - ٢١١ و ٢٢٦ أ - ب) . كذلك ذكر ابن المستوفي قدوم

ابن رواحة الى إربل في شهر ذي الحجة من سنة ٦٢٥ هـ ، وقد أيد ذلك ابن الشعار (مخ ورقة ١٩٦ أ و مخ استانبول ٣ ورقة ١٥٥) . وقل مثل ذلك عن قدوم يحيى الواسطي الى إربل (المصدرين السابقين ورقة ٢٠٩ ب – ٢١٠ أ و١٠ ورقة ٤٣) . وذكر ابن المستوفي ورود محمد بن يحيى المغربي الى إربل في شهر صفر من سنة ٦٢٨ هـ ، وقد لقيه ابن الشعار هناك فعلا ، في صفر من تلك السنة (المصدرين السابقين ورقة ٢١٦ أ و٧ ورقة ١٠٧) . وذكر عن ابن الشعار بأنه ورد إربل في المحرم من سنة ٦٢٥ هـ ، الأمر الذي أيده ابن الشعار نفسه (المصدرين السابقين ورقة ١٨١ أ و٦ ورقة ٢٢ ب) . كذلك فان المعلومات التي كتبها ابن المستوفي عن خطيب الكرخيني وشعره ، تتطابق تماما وماذكره ابن الشعار ، حتى في اسم الراوي (المصدرين السابقين ورقة ٢٢٧ ب – ٢٢٨ و ٤ ورقة ٢٠٩) . وقل الشيء نفسه بالنسبة لعبدالله بن أسعد الواسطي وأبيه ، ومحمد الانصاري وعلي بن ملاعب (المصدرين السابقين ورقة ٦٨ ب و٢٢٨ أ – ب و٣٢٩ أ و٣ ورقة ١٤٨ و٤ ورقة ٢٠٨ و٥ ورقة ٢٤٩ و٧ ورقة ٧٨) . كذلك قارن ماورد في مخطوطتنا (ورقة ١٤٧ و٢٠٦) ومارواه ابن الشعار (٥ / ٢٨٣ و١٠/٢٨٧) على التوالي .

ب / ذكر ابن المستوفي ان محمد بن سراقة الانصاري قد ورد إربل في سنة ٦٢٦ هـ ، وقال مثل ذلك اليونيني (مخ ورقة ٢٢٩ أ وذيل المرآة ٢ / ٣٠٥) .

ت / ذكر ابن المستوفي ان جعفر بن محمد الواسطي قدم إربل في سنة ٦٢٥ هـ ، وقد نقل ابن الفوطي عن ابن الشعار قوله بأنه لقي جعفراً هذا باربل في السنة المذكورة . وقال ابن المستوفي عن قاضي بيلقان ، بأنه قدم إربل حاجا في سنة ٦٠٦ هـ ، وذكر ابن الفوطي ان المذكور قد قدم بغداد حاجا في سنة ٦٠٥ هـ . ولاشك ان ابن الفوطي أشار الى قدومه بغداد قبل اداء فريضة الحج . بينما أشار المؤلف الى قدومه إربل بعد ادائها (مخ ٣٧ أ و١٨٢ ب ومعجم الالقاب ٣ / ٥٢٥ و٤ / ٦٨٦) .

ث / ذكر ابن رجب بأن عبد الرحيم بن وهبان قد سمع باربل على ابن طبرزد ، وهذا يؤيد ماذكره المؤلف عن السماع المذكور . وقد ذكر ابن المستوفي عن محمد اليعقوبي ،

بأنه حدث باربل عن أبي الوقت ، وكان مضطرب الاسناد . وقد أيد ابن رجب تحديثه باربل ، وقال ابن حجر ان المذكور ادعى السماع عن أبي الوقت (مخ ورقة ٨٧ أ و١١١ أ وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ١٢٣ و١٢٨ ولسان الميزان ٥ / ٣٤٢ و ٣٩٠) .

ج / ذكر ابن المستوفي ان أحمد بن محمد بن مهران ، قد روى " موطأ " محمد بن الحسن ، عن محمد المذكور نفسه ، وقد أيد ذلك القرشي (مخ ورقة ١٩٠ أ والجواهر المضية ١ / ١٢٢) .

ح / جاء مانقله ابن المستوفي عن سماع المُرجّى الواسطي لكتاب " تاريخ واسط " ، مطابقا لما في نسخه السماع المدرجة في ذيل مخطوطة " تاريخ واسط " تصنيف بحشل ، المحفوظة في المتحف العراقي (مخ ورقة ١٩٠ أ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥٢٣ – حاشية) .

خ / روى المؤلف أبياتا من شعر حماد بن هبة الله الحراني ، برواية فرقد الكناني ، وقد نقل المرحوم مصطفى جواد تلك الابيات عن ابن الدبيثي برواية فرقد المذكور أيضا (مخ ورقة ١٠٣ وتكملة ابن الصابوني ص ٢٥٩ – حاشية) .

د/ روى ابن المستوفي مقطوعتين من شعر العباس بن بزوان ، ويبدو ان أحد قراء " تاريخ إربل " لقي عباسا هذا في سنة ٦٤١ هـ ، وقد أنشده المقطوعتين المذكورتين لنفسه ، فكتب القارئ مايؤيد ذلك في حاشية الصفحة التي تحمل المقطوعتين (مخ ورقة ٢٢٧ أ) .

ذ/ نقل ابن المستوفي أقوالا للزمخشري ، فتحريتُ عنها في مصنفات الزمخشري الى أن عثرتُ عليها في كتابه " الامكنة " ونقل أقوالا من كتاب " برد الاكباد " للثعالبي ، وقد وجدتُها فعلا في الكتاب المذكور (مخ ورقة ٩٢ ب – ٩٣ أ و١١٨ أ وأمكنة ص ٩٤ و ٩٩ و ١٠٤ وبرد الاكباد ص ١١٢) .

٥- صراحة المؤلف :

ومما له علاقة مباشرة بالامانة والدقة ، الصراحة . فلقد كان ابن المستوفي صريحا جداً فيما يكتب ، فلم يكن يدّعي مثلا سماعه عن شخص ما إذا لم يكن قد سمع عليه

فعلا ، بل يقول بكل صراحة انه رآه ولم يسمع منه ، أو انه رآه ولم ير الاجتماع به ، أو يقول : " رأيته شيخا مغفلا ، فتركتُ الرواية عنه " ، أو انه لم يُقدَّر له السماع على فلان، وما إلى ذلك ، أو أنه لم يسمع على فلان (مخ ورقة ١٣ ب و ٢٤ ب و ٥٠ أ و ٨٢ ب ، ٨٧ ب و ١١٠ ب ، و١٢٢ أ و ١٧٠ ب و ١٧١ أ و ٢٢٦ ب) . أو يقول ان فلانا " لم أتحققه فاذكر من حاله شيئا " . أو " اجتمعت به قديما ، ولا أعلم الآن من حاله شيئا فأثبتُه " ، أو انه لم يسأل عنه أهلَ بلده (مخ ورقة ٤٨ ب و ٧٧ ب و ١٠٠ ب) . وبصدد ش خص سمّاه " الاسترابادي " ، قال بأنه لايجمع بين شخصه واسمه ، وقال عن شخص لقبه " الأميني " ، بأنه لم يسأل عن تلك النسبة . وهكذا (مخ ورقة ١٣٠ أ و١٩٤ ب و ٢٢٢ أ) . وكذلك فانه يعترف أحيانا بأنه لم يعلق بحفظه مما أُنشِد ، سوى ما أورده ، وانه نسي الباقي . وقد ذكر مرة بأنه قرأ على محمد بن أحمد القزويني أحد الكتب التي صنفها القزويني بنف [illegible] انه لم يثبت على الكتاب المذكور طبقة سماع . وبعد أن ذكر بأنه نقل نصر [illegible] صرح قائلا بأن الموصا اليـه ذَكَرَ مـن كلامه " ماتَرْكُه أولى من ذِكْره " . (مخ ورقة ١٩ أ و ٧٨ ب) ، وهذا اعتراف منه بأنه لم يكن دائما يدوّن جميع مايروى له . كذلك فانه روى عن نفسه ، فذكر بأنه حين طلب اليه شخص من أحفاد الخلفاء ، أن يريه شيئا من " تاريخ إربل " ، أبى عليه ذلك (مخ ورقة ١٩٩ ب) ، وهذا اعتراف ضمني منه بالبخل الأدبي. أقول ولعل السبب في رفضه ، ان الطالب لم يكن من أهل العلم الصادقين ، فقد انتحل شعراً ليس من نظمه . وفضلا عن ذلك ، فيبدو ان هذه العادة كانت معروفة ، إذ كان بعض المصنفين يضنون بمؤلفاتهم على الغير ، وقد وقع ذلك لياقوت (مخ ورقة ١٥٨ أ - ب ومعجم الأدباء ١ / ١٠ - المقدمة) .

وصراحة ابن المستوفي هذه ، حملته على أن يذكر صفات من يلقاهم ، دون أن يخشى غضب من يغضب لو اطلع على ماكتبه عنه ، رغم ما اتصف به من الأدب وحب المجاملة والتستر على عيوب الناس . فقد قال عن أحدهم مثلا " في أخلاقه نفار ، وعند [illegible] ووصف آخر بأن " في أخلاقه زعارة " ، وذكر عن ثالث بأنه " كانت فيه سهولة [illegible] غور " ، ووصف الرابع بأنه " لم يكن يحسن الكتابة " ، وقال

عن الخامس الذى يسمّى نفسه بـ " المقرئ " ، بأنه لم يكن يحسن حفظ الكتاب العزيز ، وذكر عن شخص آخر يدّعي الاشتغال بعلوم الحديث ، بأنه لم يكن عارفا بشئ منها ، ووصف آخر لقيه ، بأنه وجده أمياً ، وسمع عن شخص أوصافا عالية ، فأحب الاجتماع به الا انه وجده دون تلك الأوصاف وقال عن أحد المحدثين ، بأنه ركّب المتن على غير رجاله . وذكر عن آخر ، بأنه كان في مبدأ عمره يقطع الطريق ، وروى عن أحد الاشخاص أخباراً تدل على سوء أخلاقه (مخ ورقة ٨١ أ و ٨٢ ب ، و٨٦ أ و٨٧ أ و١٠٥ ب و ١١٣ ب و ١٢٠ أ و ب ١٢٢ أ - ١٢٣ أ و ١٥٥ ب و ١٦١ ب) .

هذا من جهة ، أما من الجهة الأخرى ، فان المؤلف كان في بعض الأحيان يتحفظ ، فلا يصرح بصفات من يترجم لهم ، من ذلك قوله عن أحدهم : " كان - قبل أن يظهر التديّن - يُحكى عنه أشياء ، لايليق ذكرها " ، أو " كان يحكي عن نفسه ، ما الله ساتر بأمثاله " ، أو " تحدث الناس في دينه بما لايسع ذكره ، عفا الله عنه " ، أو " تحدث الناس في قلة دينه وسوء معتقده ، ومايتجاهر به من أشياء ، نعوذ بالله منها " ، أو " حُدثتُ عنه بأشياء . أضربتُ عن ذكرها لقبحها ، غفر الله لنا وله برحمته " ، أو " ذكر عنه أحوالا أضربتُ عن ذكرها " وما الى ذلك (مخ ورقة ٣٤ ب و ١٠٠ أ و ١٠٣ ب ، و١١٩ ب و ١٥١ ب و ١٧٤ ب) .

وهنا أود أن أنبه القارئ الكريم ، بأن ماقدمته لايعني بأى حال من الأحوال ، بأن ابن المستوفي اقتصر علي إيراد أوصاف السوء دون غيرها ، ففي الكتاب إشارات كثيرة تدل على حسن أخلاق الاشخاص الذين لقيهم ، وقد أطراها . كذلك أشار المؤلف الى أحوال مترجَميه العقلية والعلمية والجسمانية ، بل انه وصف ألبستهم وأزياءهم في بعض الأحيان . فيقول مثلا عن أحدهم : " حنبلي الا انه لم يكن غاليا " ، ووصف آخر بأنه " شيخ ربع القامة " ، وقال عن شخص ثالث إنه " أسمر شديد السمرة ، ربعة " ، ووصف رابعا بأنه " شاب ممتّع بأحدى عينيه " ، وقال عن آخر بأنه " شديد السمرة الى السواد ماهو ، طويل " ، ووصف شخصا سادسا بأنه " طويل له صدغان ، أشقر ، ردئ النظر " ، وقال عن آخر بأنه " شاب أصهب اللحية ، فقير رث الثياب " (مخ ورقة ٥٤ ب

١٠٨ ب و ١١٣ ب و ١١٦ ب و ١٢٠ أ و ١٣٦ أ و ١٣٧ أ و ١٣٩ أ و ١٤٠ ب و ١٤٢ أ و ١٦٨ ب و١٧١ أ و ب و ١٧٧ ب و ١٨١ أ و ١٨٦ أ و ب و ٢٠٠ أ و ٢٠١ أ و ٢٠٤ ب و٢٠٩ ب و٢١٧ أ و ٢٢١ ب و ٢٣٠ ب) . ووصف آخرين بقوله عن أحدهم بأن " فيه ذكاء وعنده فقه " ، وقال عن الثاني انه " شاب قصير حسن الأخلاق ، لطيف " ، وذكر عن آخر بأنه " شيخ لطيف الأخلاق ، حسن العشرة ، إذا حُمل على عادة طباعه " ، ووصف شخصا من حران بأنه " لطيف الاخلاق من بين الحرانيين " ، وقال عن شخص خامس بأنه " شاب خفيف العارضين واللحية ، ذكي لطيف الأخلاق ، فاضل " ، وقال عن آخر بأنه " كان أحسن الناس صوتا ، وأطيبهم قراءة للقرآن الكريم " ، (مخ ورقة ١١١ أ و ب و ١١٩ ب و ١٦٠ أ و ١٧٦ أ و ٢١١ ب) .

أما بالنسبة لوصف الالبسة والأزياء ، فقد وصف مثلا لباس فقيه مغربي بقوله : " كان يلبس لباس الصوفية ، مختصر الثياب " ، وقال عن آخر بأنه " كان يلبس مرة قلنسوة وقباء خز أخضر . " ، ووصف شخصا ثالثا بأنه " كان يتزيا بزى القلندرية " ، ثم وصف ذلك الزي (مخ ورقة ١١٩ أ و ١٢٦ أ و ١٥٠ ب) .

ونقطة اخيرة أود أن أشير اليها بهذا الصدد ، هي ان الصراحة قد رافقت ابن المستوفي – على مايبدو – في مصنفاته الأخرى أيضا ، إذ لاحظ ذلك الاستاذ محمد عبده عزام فوجدها جلية فى كتابه " النظام " (شرح التبريزي ١ / ٤٣ مقدمة) .

٦- الحرص على إدراج النصوص :

كان ابن المستوفي – كمؤرخ – يدرك أهمية النصوص ، وأن إيرادها يرفع من قيمة الكتاب ويزيد من الثقة بمؤلفه . ولذلك فانه شحن " تاريخ إربل " بنصوص كثيرة ، كالاجازات والفتاوى والرسائل والروايات ، بل اقتبس أيضا مقتطفات من كتب – ضاع بعضها – . كما أثبت الكثير من القصائد التى قيلت بمناسبات ذات علاقة بالملك المعظم ، كوكبورى أوبغيره .وكذلك أورد بعض الخطب ورسائل التعزية ، بل ونصوص بعض الرقى والأدعية والأنساب وأورد شيئا من الحواشي والتعليقات المدونة في هوامش الكتب التي قرأها ، وكان بينها نص يتعلق بتاريخ ولادة أحد المترجَمين . ونقل إجازات وردت شعراً ،

مما يلقي بعض الضوء على هذا الفن من المنظوم . كذلك تضمن الكتاب نصوص الرسائل التي كان العلماء يتبادلونها ، سواءً من أجل نقل المعلومات الى بعضهم بعضا ، أو بمنح الاجازات لمن يطلبها . ومن بين تلك الرسائل ، رسالة توصية مرسلة من أحد علماء بغداد بتزكية شخص لدى كوكبوري ، وطلب إسداء المساعدة إليه . هذا فضلا عن الخطوط المنقوشة على الحيطان وشواهد القبور – وهي قليلة – الا انها مفيدة جداً ، إذ قد لانعثر عليها في أي مرجع آخر . أقول أن هذه النصوص الكثيرة المبثوثة في الكتاب، تجعل لـ " تاريخ إربل " أهمية خاصة ، لاتخفى على القارئ اللبيب (مخ ورقة ٩ أ و٢٩ أ وب و ٣٤ ب ، و٣٩ ب و ٤٠ أ و ٤٤ ب و ٤٧ ب – ٤٨ ب و ٥١ ب و ٥٤ أ و٥٦ أ و٥٨ ب و ٦٠ أ و ٦٤ أ ، و٦٥ ب – ٦٧ أ و٧٨ أ – ٧٩ ب و ٨٠ ب و ٨٦ أ وب و ٩١ أ و ١٠٢ أ و ١٠٦ ب – ١٠٧ أ و١٠٩ ب – ١١٠ ب و١١٦ أ و ١٢٠ ب – ١٢١ ب و ١٢٥ ب و ١٢٦ أ و ١٢٧ ب و١٢٨ أ و ١٣٠ ب و ١٣٢ أ – ١٣٣ ب و ١٣٦ أ و١٣٨ أ و ١٤٠ ب و ١٤١ أ و ١٤٣ أ و ١٤٦ ب و١٤٨ أ ، و١٤٩ ب و ١٥٤ ب و ١٥٥ أ و ١٥٧ ب و١٥٨ ب و ١٥٩ أ و ١٦٢ ب و ١٦٤ ب و ١٦٦ ب و ١٦٧ أ و ١٧١ أ و ١٧٢ أ و١٧٣ أ و ب و ١٧٦ ب و ١٧٨ أ – ١٧٩ أ و ١٨٠ ب و ١٨٣ أ و١٨٥ أ و١٨٦ أ و ب و ١٨٨ أ وب و ١٩٦ ب – ١٩٧ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠١ أ و ٢٠٤ أ و ب و٢٠٥ ب – ٢٠٦ ب و ٢١٨ أ و ٢٢٠ أ و ب و ٢٢٢ أ و ٢٢٤ ب – ٢٢٥ ب) .

٧- التعريف بالمواضع الجغرافية :

ان " تاريخ إربل " – كغيره من كتب التاريخ العربي – مليء بأسماء المدن والأقاليم ومختلف المواضع ،لاسيما وانه يؤرخ الواردين الى إربل من سائر أنحاء العالم الاسلامي، الأمر الذى استوجب ذكر البلدان التي ينتمي إليها هؤلاء الزوار . ويبدو ان المؤلف قد افترض في قُرّائه قدراً كبيراً من المعرفة الجغرافية ، فلم ير ضرورة للتعريف بأكثر من تلك المواضع ، وحسنا فعل ، لأنه لو عرَّف بكل واحد منها ، لتضخم الكتاب وخرج عن طوره . إلا انه عرَّف بعدد منها تعريفا موجزاً ، اقتصر فيه على المدن النائية والمواقع الغريبة ، فجاء تعريفه – على إيجازه – دليلا على سعة اطلاعه في علم

الجغرافية .

ومن الأمثلة على تعريفاته هذه ، قوله مثلا : " نوزكاث ، قرية من قرى خوارزم " ، وان " مدينة سلا ، من أقصى بلاد المغرب " ، وان " تاكرنا من نظر قرطبة " ، و" سوسة من بلاد المغرب " ، و" أسفي مدينة على ساحل مراكش ، وهي آخر مراسي البحر المحيط .. " ، وان " شقر جزيرة من شرق بلاد الأندلس ، من نظر بلنسية " ، وان " حصن بيرة بشرقي الاندلس " ، وهكذا (مخ ورقة ٣٨ ب و١٣٧ أ و١٥٢ ب و ١٥٣ أ و ١٦٨ أ و١٧٢ أ و١٨٢ أ و١٩٦ أ و ٢١١ ب و ٢١٢ ب و ٢١٤ أ و ٢١٥ أ و٢٢٩ أ و ٢٣٠ أ) .

٨ - سهولة لغة الكتاب :

على الرغم من كون ابن المستوفي أديبا شاعراً ، مبرزاً في علمي " المعاني والبيان"، فانه أدرك بثاقب فكره ، بأن دوره في " تاريخ إربل " هو دور المؤرخ الذي ينبغي له أن يورد الحقائق مجردة من التزويق والزينة اللفظية خالية من التكلف ، مكتوبة بلغة سهلة واضحة ، يفهمها القراء . وبالفعل فان قارئ " تاريخ إربل " ، لايجد صعوبة تذكر في فهم ماأورده المؤلف ، اللهم إلا بعض العبارات التي استغلقت بسبب إهمال الناسخ ، أو تلك التى أعيد تحبيرها من قبل قارئ جاهل ، فتصحفت ، مما قد أشرنا إليه في موضعه في حواشي الكتاب نفسه ، أثناء التحقيق ، ويكاد يكون كتابنا هذا خاليا من السجع خلواً تاما ، بخلاف عدد غير قليل من كتب التاريخ الاسلامي ، التي صُنّفت في عصر ابن المستوفي ، مثل مصنفات العماد الاصبهاني ، وفي مقدمتها " الفتح القسي"، وهو كتاب تاريخ بالدرجة الاولى ، كما ان ابن الشعار قد لجأ الى السجع في كثير من الأحيان في كتابه " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " ، الذي رجعنا إليه أكثر من مرة ، وحسنا فعل ابن المستوفي إذ لم ينسج على منوال هؤلاء ، لان لغة كتب التاريخ ، يجب أن تكون بسيطة بعيدة عن المحسنات البديعية والسجع المتكلف الثقيل ، الذي قد يؤدي الى التضحية بالحقائق ، أو يلبسها - على الأقل - شيئا من الغموض ، من أجل الزخرفة والتزيين ، وفي ذلك مافيه من الأضرار التي لاتخفى على القراء الكرام .

٩- الميل الى الاختصار والايجاز :

على الرغم من ميل ابن المستوفي الى إدراج النصوص ، كما رأينا في الفقرة السابقة ، فانه كان يؤثر الايجاز عندما يروى أخباراً أو قصصا ، لايخل الاختصار بقيمتها . فيأتي بالمقصود من المعنى ، وينبه الى ذلك في غالب الأحيان ، ليكون القارئ على علم بأن المؤلف قد تصرف بالنص ، بل كان يقول أحيانا " واللفظ لي " ، زيادة في الاحتراز . ولعل من المفيد أن آتي ببعض الأمثلة لما فعله ابن المستوفي بهذا الصدد :

أ / روى له أحد الاشخاص قصة مشاهدته للخضر - ع - وأطنب فيها ، فجاء المؤلف ببعض نصوص القصة طبقا لما رُويت له ، ثم قال : " وذكرمن نحو هذا أشياء يطول بها الكتاب " (مخ ورقة ٧٩ ب) .

ب / تحدث المؤلف عن قصة بناء الحجرة النبوية ، وقال في ختامها : " اختصرتُها وأتيتُ بالغرض منها " (مخ ورقة ١٠٤ أ) .

ت / وعندما روى قصة الجارية التي اشتريت من بغداد ، لأحد الامراء الفاطميين ، قال : " إنها حكاية طويلة ، واختصرتها هنا " (مخ ورقة ١٠٨ أ) .

ث / ونقل قصة أحد الاغنياء الذي أعلن توبته بمكة المكرمة ، وتخلّى عما يملكه وتجرد، وختمها بقوله : " ذكر ذلك أحمد بن شجاع بن منعة ، واختصرته " (مخ ورقة ١٧٢ أ) .

ج / وشاهد المؤلف تعليقا في طبقة سماع ، فأثبت منه ماهو غرضه ، وقال " واختصرته " (مخ ورقة ١٧٣ ب) .

ح / وروى حادث مقتل شخص من أبناء الواثق ، نقلا عن ولده ، وقال: " هذا خلاصة ماحكاه مطولا ، واللفظ لي " (مخ ورقة ٢٠٠ أ) .

١٠ - حياد المؤلف :

لاشك ان من أهم الصفات الواجب توفرها في المؤرخ ، هي أن يكون محايداً غير متحيز فيما يرويه ، لاسيما في كتب التراجم ، التي موضوعها الأساسي ، سير الاشخاص ، مما يصعب على المرء فيه الالتزام بصفة الحياد . ويبدو أن المؤلف كان

واعيا لأهمية هذه الصفة ، إذ تعهد في مقدمة هذا الجزء من " تاريخ إربل " ، باعطاء كل ذي حق حقه ، كما ان التزامه بالحياد واضح كل الوضوح ، خصوصا إذا راجعنا ماذكرناه عن دقته وأمانته ، وحرصه على نقل المعلومات من مصادرها المعتمدة ، ولاسيما اهتمامه الكبير بالرواية شفاها عن أشخاص معروفين ، وبسند متصل الحلقات ، ينتهي عند الشخص صاحب العلاقة ، علاوة على اهتمامه بالنصوص وبذل كل جهد ممكن للاطلاع عليها بنفسه هذا فضلا عن تمسكه بالصراحة ، وتدوينه تواريخ الروايات وتعيين أماكن وقوعها . ولذلك نكتفي بما قدمناه بهذا الشأن ، فانه يغني عن التكرار ، ويعكس بوضوح صفة الحياد التي التزم بها المؤلف .

الفصل الثالث
مصادر ابن المستوفي

إن قارئ " تاريخ إربل " يلاحظ ولاشك ، بأن ابن المستوفي قد اعتمد - بالدرجة الاولى - في جمع المواد لكتابه هذا ، على الاتصال الشخصي والرواية الشفوية . إلا أنه من الناحية الأخرى ، اعتمد كذلك على الكتب والوثائق الخطية ، كالاجازات والفتاوى ، وطبقات السماع والرسائل ، والتعليقات والحواشي التي كان يعثر عليها ، وهو يطالع في الكتب . بل توسع فشمل باهتمامه النقوش الجدارية والكتابات التي كانت تخط على الحيطان ، فانتفع بها كمصدر لبعض المعلومات . ومن هذا يتضح بجلاء ، بان المؤلف كان مؤرخا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى . إلا أننا ينبغي علينا ، تمسكا منا بأمانة التأليف ، أن نشير أيضا الى حقيقة أخرى ، هي ان ابن المستوفي كان يدرج أحيانا بعض المعلومات المتعلقة بمترجَميه ، دون الاشارة الى مصادره . وهذا يلاحظ خصوصا ، في مطلع التراجم ، التي يبدأها عادة باسم المترجَم له ، ونسبه كاملا ، ثم يذكر وروده الى إربل . ويصف في بعض الأحيان مبلغ علم الشخص وحقل اختصاصه (أنظر مثلا مخ ورقة ٤٩ أ و٥٠ أ و٥١ أ وب) . وهنا يعتمد المؤلف على معلوماته الخاصة بالدرجة الاولى ، وقد اكتسبها بالتماس الشخصي وباللقاء والمشاهدة . أما فيما عدا ذلك ، فانه في الغالب كان يشير الى مصادر المعلومات التي يقوم بتدوينها . ولنلق الآن نظرة سريعة على تلك المصادر :

أولا - الأشخاص :

لقد حرص ابن المستوفي على ذكر رواته ، إلا في مواضع قليلة سبقت الاشارة اليها ، وذلك حينما لايصرح بأسماء أولئك الرواة ، ويكتفي بالقول بأنه حدثه الثقة ، وما أشبه . وهناك مواضع أخرى ، لم يشأ المؤلف أن يذكر أسماء رواته فيها ، وهي عندما كان ينقل أخبار السوء ، فقد كان يرويها بصيغة الفعل المجهول ، كأن يقول : " يُحكى أو حُدثتُ " ، أويستعمل صيغة التعميم ، فيقول مثلا : " تحدث الناس " ، أو " قال بعض أصحابنا " أو " ذكر أهل مدينة كذا " ، وما الى ذلك ، حرصا منه على عدم التصريح باسم الراوي ،

دفعا للحرج (مخ ورقة ١٠٠ أ و ١٠٣ ب و ١١٩ ب و ١٥١ ب) . أما فيما سوى ذلك ، فقد ذكر الأسماء صريحة ، في غالب الأحيان .

ويأتي في مقدمة الاشخاص الذين اعتمد عليهم في استقاء المعلومات ، أصحاب التراجم أنفسهم ممن لقيهم شخصيا ، ولقد سبقت الاشارة الى هذا في موضع آخر من هذه الدراسة . فقد كان المؤلف يجتمع بهم ويتحاور معهم ، ويستفسر منهم بما يعنّ له من الأسئلة . في الحقيقة ان الكثير من مادة الكتاب ، هو حصيلة هذا التماس الشخصي . كذلك كان يتصل بذوي قرباهم ، أو بمن كانت له صلة وثيقة بهم ، وهكذا ..

أما الفئة الثانية من رواته ، فهي نخبة من أهل العلم والفضل ، أتيحت لابن المستوفي فرصة لقائهم ، فنقل عنهم أخباراً كثيرة ، ضمنها كتابه هذا . وهؤلاء هم الذين يهمني ذكرهم ، باعتبارهم من مصادر الكتاب . وها انني ذاكر بعضهم ، على سبيل التمثيل ، إذ لو ذكرتُهم جميعا لطال الفصل ، وصار أقرب الى الملل .

١- المؤرخ ابن الدبيثي :

لقد زار ابن الدبيثي إربل ، ولقيه المؤلف ونقل عنه ، وقد صرح بذلك في عدة مواضع (مخ ورقة ٢٦ ب و ٨٩ ب و٩٦ب و ١٣٨ أ و ١٧٧ ب) . كما أنه نقل من خطه ، إذ جرت العادة أن يطلب السامع من الراوي ، أن يكتب بخطه شيئا مما رواه مشافهة ، زيادة في التوثيق (مخ ورقة ٤١ ب و ١٧٧ ب) . كذلك نقل ابن المستوفي من " ذيل تاريخ بغداد " الذي صنفه ابن الدبيثي ، أكثر من مرة (مخ ورقة ٥٤ أ و ٥٦ أ و ٧٧ أ و ٨٥ أ و ٨٨ ب و ٩١ أ و ٩٣ أ و ب) وقد قمتُ بتحقيق مانقله المؤلف عن الكتاب المذكور ، بمطابقة بعض النصوص المنقولة مع مخطوطة الكتاب الموجودة في مكتبة جامعة كمبرج (مخطوطتنا ورقة ١٤٤ ب و مخ كمبرج ورقة ١٨٠) . وللوقوف علي مدى مانقله ابن المستوفي عن ابن الدبيثي ، يمكن مراجعة مخطوطتنا ، ولاسيما الورقات ٤٤ ب و ٤٩ ب ، و٥٣ ب و ٥٥ ب و ٧٠ أ - ٧١ ب و ٧٣ أ و ٧٥ ب و ٧٦ أ و ٨٣ أ و ٩٧ أ و ١٠٠ أ و ١٠٥ ب ، و١١٢ أ و ١٢٥ أ و ١٣٥ أ و ١٣٧ ب و ١٧٦ ب و ١٩٠ أ - ١٩١ أ و ٢٠٠ ب و ٢٠١ أ .

٢- ابن الشعار الموصلي :

سبق وذكرنا ابن الشعار بين تلامذة ابن المستوفي ، إلا أن ابن المستوفي أدرك مايتمتع به ابن الشعار من الاطلاع الواسع على أخبار شعراء زمانه ، إذ ألف كتابا ضخما عنهم ، فاستعان به في استقصاء بعض الاخبار ، كما يتضح من مراجعة " تاريخ إربل " (انظر مخ ورقة ٥٢ أ و ٩٢ أ - ب و ١٨١ أ و ١٩٢ أ و٢١٠ ب و ٢١١ أ و٢٢٤ب و٢٢٦ ب) . ويبدو ان المؤلف قد نقل عن بعض كتب ابن الشعار ، ولعله نقل من مسودة " عقود الجمان " (مخ ورقة ١٨٢ أ) .

٣- ابن شحانه الحراني :

وابن شحانه محدث ومؤرخ من أهل حران وقد سبق ذكره . زار إربل ولقيه ابن المستوفي ، وانتفع بالمعلومات التي أدلى بها إليه ، ولاسيما عن الحرانيين ، فقد صنف المومأ اليه تاريخا لحران (مخ ورقة ١٦٥ ب) . وقد روى عنه مؤلفنا في عدة مواضع ، كما يتضح من مراجعة " تاريخ إربل " (انظر مخ ٣٥ ب و ٤٢ أ و ٥٥ أ و ٧٣ ب و ٩٥ ب و ١٠٣ ب و ١٤٢ ب و ١٤٣ أ و ١٦٥ ب - ١٦٦ ب) . كذلك نقل ابن المستوفي بعض الروايات المكتوبة بخطه ، توثيقا لما رواه عنه مشافهة (مخ ورقة ١٤٤ أ - ١٤٥ ب و ١٦٥ أ) . كما انه أشار إلى انه ذاكره بخصوص أحد الاشخاص ، فكتب له ابن شحانه ترجمة ذلك الشخص بيده (مخ ورقة ١٤٣ أ) .

٤- محمد بن بدل :

هو ابن بدل التبريزي الذي تولى مشيخة دار الحديث باربل . لقيه ابن المستوفي وروى عنه بعض الاخبار في عدة مواضع من " تاريخ إربل " (مخ ورقة ١١ أ و ١٠٠ أ و ١٤٧ ب و ٢١٧ ب و ٢١٩ أ و ٢٢٠ أ) .

٥- العماد الاصبهاني :

هو الكاتب الشهير ، وصاحب المصنفات العديدة التى منها " خريدة القصر " و " الفتح القسي " أجاز لابن المستوفي ، وقد روى عنه في مواضع قليلة في " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢ ب و٤١ أ و٨٦ ب) .

٦ - الخواتيمى :

هو محمود بن علي الاربلي الصائغ ، من أهل النحو . لقيه ابن المستوفي ونقل عنه بعض المعلومات ، كما يتضح من " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢٩ ب ، و٣٩ ب و ٤٠ أ و٥٠ ب و ٨٣ ب) .

٧- القيسي :

هو أحمد بن أبي القاسم الاسكندري ، من أهل الموصل . زامل المؤلف في السماع (مخ ورقة ١٥٢ أ) ، وكان يجمع الحديث والشعر ، وقد نقل عنه ابن المستوفى في عدة مواضع من " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٤٤ ب ، ٦٨ أ و ٨٢ أ و ٨٥ ب و ٩٠ ب و ٩٥ أ و ١٠٣ أ و ١٧٤ ب و ١٩٩ أ و٢٠٤ أ) .

٨- كوكبوري :

هو ملك إربل الذي تقدمت ترجمته في القسم الاول من هذا الكتاب ، وكان ممن يهتم بالتاريخ والاخبار ، وقد نقل عنه المؤلف بعض الاخبار التي أوردها في " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢٧ ب و ٤٥ أ و ب و ٥٥ أ و ١٧٤ ب و ٢٢٩ أ) .

ثانيا - الكتب :

يبدو ان ابن المستوفي كان قد اطلع على عدد كبير من الكتب ، وان الفرصة قد واتته ليقرأها أويراها على الأقل ويتصفحها ، بل وكان هو نفسه يملك الكثير منها ، إذ قال ابن خلكان (٣ / ٢٩٧ - ٢٩٨) ، إنه كان عنده " من الكتب النفيسة شيء كثير " . هذا وقد مر بنا ان عائلة ابن المستوفي ، (ولاسيما عمه صفي الدين) كانت نفسها من أهل العلم ، وانه نقل من تعليقات عمه المذكور فوائد عديدة . ولاشك ان عائلة هذا شأنها ، لابد وانها كانت تملك مكتبة تليق بمقامها . وعلاوة على ماتقدم ، فان ابن المستوفي نفسه قد أشار في الجزء الثاني من " تاريخ إربل " وحده الى مالا يقل عن ١٥٠ كتابا ، في مختلف العلوم والمعارف التى كانت معروفة في عصره ، وقد اطلع شخصيا على أغلبها . ولو قُدِّر لنا العثور على بقية الأجزاء من " تاريخ إربل " ، ومصنفات ابن المستوفي الضائعة ، لأمكننا الوقوف على العدد الحقيقي للكتب التي عرفها المؤلف أو راجعها .

والظاهر ان مؤلفنا ، كان من شدة حبه للكتب منذ شبابه ، ينسخها بنفسه ، فقد كتب بخطه " ديوان شعر القطامي " ، ومخطوطته موجودة في دار الكتب المصرية (أعلام الزركلي ٦ مقابل ص ١٥٢) ، كما نسخ بنفسه كتاب " شرح معاني أبي تمام " للآمدي (أنظر ص ٢٩٦ من هذا الكتاب) . هذا وقد نقل أحد المعلقين على " تكملة المنذري " نصا بخط ابن المستوفي (أعلام الزركلي ٥ / ٢٣٣) ، وربما نقله من كتاب آخر استنسخه المؤلف لنفسه .

وعلى أي حال ، فان ابن المستوفي قد انتفع من هذه الكتب ، واستخدمها في تصنيفه لكتاب (تاريخ إربل) وأشار الى مواضع نقله منها . من ذلك مثلا تاريخ إبن الجوزي المعروف بـ " المنتظم " ، فانه أشار إليه مرتين (مخ ورقة ٢ أ و٩٦ أ) . كذلك أشار إلى نقله من " تاريخ إبن السمعاني " في عدة مواضع (مخ ورقة ٣ أ و ٤ أ و ٤١ ب و ٩٣ ب و ٩٦ أ) . وأشار الي " كتاب الذخيرة " ، تصنيف أبي الفتوح الغزالي(مخ ٣ ب) ، وإلى " مساوئ الأخلاق " للخرائطي (مخ ورقة ٣٢ أ) ، وإلى " تاريخ إبن الدبيثي " وفقا لما أسلفنا (مخ ورقة ٥٦ أ و٩٣ أ) . وأشار كذلك إلى " تهذيب غريب الحديث " لابن سلاّم (مخ ورقة ٧٩ ب) وكتاب " برد الاكباد " للثعالبي (مخ ورقة ٩٢ ب) ، والى صحيحي البخاري ومسلم (مخ ورقة ٩٨ ب) . كذلك نوه بذكر " مقامات الحريري " و" كتاب المعارف " لابن قتيبة (مخ ورقة ١٣٥ ب و١٤٠ أ) ، كما نوه بذكر " معجم الأدباء " لياقوت الحموي ، ونقل منه (مخ ورقة ١٦٧ ب – ١٦٨ ب) ، وبكتاب " الأمكنة " للزمخشري (مخ ورقة ١٦٨ أ) . وأشار ابن المستوفي إلى كتاب إبن الشعار (مخ ورقة ١٨٢ أ) ، والى بعض دواوين الشعر كديوان إبن هانى ، وديوان الطغرائي ، وديوان الوأواء (مخ ورقة ٣ ب و ١٩ ب و ٢٤ أ) . والحق ان من يقرأ " تاريخ إربل " تحصل لديه القناعة بأن المؤلف قد راجع دواوين عديدة أخرى ، كديوان إمرئ القيس ودواوين المتنبي وجرير وكثّير عزة ومجنون ليلى وغيرهم .

وفضلا عن ذلك فان ابن المستوفي قد نقل عن كتب كثيرة لاتزال مفقودة ، بعضها معروف أسمها ، والبعض غير معروف حتى اسمها ، وانه بذلك قدم لنا خدمة كبيرة ، فقد

أضاف الى معلوماتنا معلومات جديدة عن عالم الكتب (مخ ورقة ٩ أ و ١٨ أ و ٤٠ أ و ب و ٥٣ ب و ٧٨ أ - ٧٩ أ و ٨٤ ب و ٩٦ ب و ١٠٢ أ و ١٠٣ ب ، و ١٣٠ ب - ١٣١ ب و ١٤١ ب و ١٤٢ أ و ١٤٩ ب و ١٥٦ أو ١٦٦ ب و ١٧٨ أ و ب و ١٨٤ ب) .

ومن الطريف أن نذكر أن حب المؤلف للكتب ، جعله ينقب عنها في كل مكان ، من ذلك مثلا ان أحد الأدباء الغرباء توفي باربل ، فحرص ابن المستوفي على مراجعة كتبه ، لعله يجد فيها شيئا يهمه ، وبالفعل فقد وجد بينها جزازات نقل منها بعض المعلومات (مخ ورقة ١١٦ ب) .

ثالثا - الحواشي والتعليقات :

يبدو ان ابن المستوفي كان يعتقد - وهو مصيب طبعا - بأن كل مادُوّن على الورق يصلح أن يكون مادة تاريخية إذا عرف المؤرخ كيف يستفيد منها . ولذلك فانه عملا بهذا المبدأ ، كان ينقب بين صفحات الكتب التي وقعت بين يديه ، عن الحواشي والتعليقات علّه يعثر فيها على معلومات تفيده ، وقد حصل ذلك فعلا . ولايضاح هذه النقطة ، اكتفي بايراد بضعة أمثلة ، الأول ، إنه وجد في آخر كتاب " تهذيب غريب الحديث " لابن سلاّم ، وقد سبقت الاشارة اليه ، سماع محمد بن محمود الحراني على أحد الشيوخ (مخ ورقة ٧٩ ب - ٨٠) .

ومن هذه الحاشية تمكن المؤلف من معرفة نسب صاحب العلاقة ، وهو أحمد بن محمد بن محمود الحراني المذكور .

والثانى ، ان أحد أصحاب التراجم روى له أبياتا من الشعر ، ثم وجدها ابن المستوفي في آخر " كتاب المعارف " لابن قتيبة (مخ ورقة ١٤٠ أ) ، كما انه وجد أبياتا مشابهة لها بخط عمه ، وهي مدونة في أول رسالة من رسائل إبراهيم بن هلال الصابي (مخ ورقة ١٤٠ أ) . وبذلك تمكن من تحقيق صحة تلك الأبيات .

والثالث ، انه وجد إجازة مدرجة في آخر كتاب " المفصل " للزمخشري ، وهي معطاة لأحد أصحاب التراجم ، فعرف منها المؤلف اسم الشيخ الذى قرأ عليه الشخص المذكور كتاب " المفصل " آنف الذكر ، وأسماء من قرأ عليه من تلامذته الآخرين (مخ ورقة ١٤٨

أ) . وللاستزادة عن هذا الموضوع تراجع مخطوطتنا (ورقة ٥٤ ب و ١٤٣ ب و ١٢٩ أ و ١٥٩ أ و ١٦٤ أ و ١٦٦ ب و ١٩٧ أ).

رابعا - الاجازات والاشهادات والخطوط :

حرص ابن المستوفي على مشاهدة خطوط أصحاب التراجم ، أو من يروي أخبارهم، لكي ينقل منها المعلومات التي يهمه إدراجها في كتابه ، لان الخطوط المكتوبة تكون في العادة أكثر دقة من الروايات المنقولة بالمشافهة . وكان يبدى اهتماما كبيراً بتلك الكتابات، فينقلها في كثير من الأحيان ، بالنص الحرفي ويعتبرها من الأدلة التي ترجح رواية على اخرى . ولايضاح هذه النقطة ، أكتفي بايراد مثل واحد يتعلق بمحدث بغدادي هو محمد بن هبة الله ابن المكرم الذي زار إربل ، وقد سأله ابن المستوفي عن تاريخ ولادته ، فقال : " في سنة ٥٣٦ هـ " ، ثم ان ابن أخيه أخرج لمؤلفنا جزءً كُتب في آخره بخط هبة الله بن المكرم ، والد محمد المذكور ،هذه العبارة : " ولد النجيب أبو جعفر ، محمد ليلة الأحد وقت صلاة العشاء ، ثامن عشر من شهر رمضان من سنة ٥٣٦ ، أنبته الله نباتا حسنا ، ونشّأه نشأة الصالحين " . ثم قال المؤلف بأن ابن الدبيثي ، قد أخبره ان المذكور قد ولد في ٢٧ رمضان من السنة المذكورة (مخ ورقة ٢٠٠ ب) .

أما الاجازات ، فقد سبق وأشرنا في الفقرة السابقة إلى إجازة مدرجة في آخر كتاب ، ولكن قد توجد أجازات مكتوبة على أوراق منفصلة ، وهنا أيضا يبدي ابن المستوفي اهتماما كبيراً بها ، وينقلها أحيانا بنصها ، لأنها تتضمن معلومات قيمة عن أسماء الشيوخ وتلامذتهم ، كما تتضمن أحيانا ، وصفا للمُجاز وثناءً عليه . ومن الأمثلة على ذلك ، قول المؤلف عن أحد أصحاب التراجم : " واثنى عليه أبو عبد الله محمد بن الدبيثي ، في إجازة بيده " ، (مخ ورقة ١٧٦ ب) . هذا وفي كتابنا نماذج كثيرة من هذا القبيل يمكن مراجعتها (مخ ورقة ٦٨ ب و ١٢٧ ب و ١٣١ ب و ١٣٣ ب و ١٥٤ ب و ١٦٢ ب و ١٦٧ ب ، ١٩١ أ) . ومما يلحق بالاجازات ، طبقات السماع ، فهي سجل لجلسات سماع الحديث تتضمن في العادة ، اسم الشيخ المُسمِع وأسماء التلامذة الذين سمعوا عليه . وفي كتابنا أمثلة كثيرة عن قيام المؤلف باستخدامها كمصدر للمادة التاريخية (مخ ورقة ٢٨ أ و ٢٩ أ و ١٧٣ ب) .

أما الاشهادات ، وهي عادة تتضمن إقرار شخص من الأشخاص بحق للغير قبَله ، وتتخذ في العادة صفة شرعية ، فتُصدَّق أمام القاضي والعدول . وهنا أيضا يمكن للمؤرخ أن يستفيد من مادتها للغرض الذي ينشده ، وقد فعل ذلك ابن المستوفي أيضا ، وخير مثل على ذلك ، انه عندما ترجم لاحد الشهود ، رأى أن يدعم الترجمة بنص إشهاد دوَّنه هذا الشاهد بنفسه ، وختمه بتوقيعه (مخ ورقة ٩٥ ب ، وهناك مثال أخر راجعه مخ ورقة ٢٨ أ) .

ولمن أراد الاستزادة عن هذا الموضوع يمكنه مراجعة مخطوطتنا (ورقة ٢٨ أ و ٢٨ ب و ٣٤ ب و ٤١ ب و ٤٥ أ و ب و ٤٩ أ و ب و ٥١ ب و ٥٣ ب و ٥٧ أ و ٥٨ ب ، و ٦٠ أ و ٦٦ ب و ٦٨ ب و ٦٩ أ و ٧٩ ب و ٨٤ أ و ٨٦ أ و ٨٧ ب و ٩٣ أ و ب و ٩٥ أ و ب ، و ٩٦ أ و ٩٧ أ و ٩٨ أ و ب و ١٠٠ ب و ١٠٢ أ و ١٠٣ ب و ١١٠ ب و ١١١ أ و ١١٢ ب و ١١٦ أ و ١٢٠ ب و ١٢٣ ب و ١٢٥ ب و ١٣٠ أ و ١٣١ أ و ١٣٣ ب و ١٣٤ أ و ١٤٠ أ و ١٥٠ أ ، و ١٥١ ب و ١٥٤ ب و ١٥٧ ب و ١٥٩ أ و ١٦٢ ب و ١٦٤ أ و ١٧٣ أ و ١٧٨ ب و ٢٠٤ أ و ٢٠٥ ب و ٢٠٦ ب و ٢٢٠ أ و ٢٢٤ ب و ٢٢٥ ب). أنظر ايضا " ذيل اليونيني " ٤ / ١٥٩ ، حيث نقل عن إبن المستوفي ، بانه نقل من خط أحمد بن خلكان شعراً ، وهو ثلاث أبيات أثبتها اليونيني .

خامسا - الرسائل :

كان ابن المستوفي يراسل أهل العلم ، ليتحقق من بعض المعلومات التي يهمه إثباتها في كتابه . وكان يعتبر الرسائل الواردة إليه أو إلى غيره ، نصوصا ذات قيمة تاريخية ، فيبادر إلى إثباتها . ولعل من المفيد أن ألمح هنا إلى ما أشار إليه روزنتال (التاريخ ص ١٦٩) حول استخدام المؤرخين المسلمين للوثائق ، وان هذا التقليد قد بلغ أوجه لدى العماد الاصبهاني ، في كتابه " البرق الشامي " . ولذا فلم يكن بدعا ماقام به ابن المستوفي ، وقد ذكر ابن خلكان (ج ١ / ١٩) في معرض ترجمته لقاضي السلامية ، ان صاحبنا قد ذكره في " تاريخ إربل " ، وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع عديدة " ومكاتبات جرت بينهما " ، إلا أن الجزء الذي فيه ترجمة قاضي السلامية ، لايزال – مع

الأسف - ضائعا . على ان الجزء الذي سلم من الضياع ، يحوي بعض الرسائل ، ومنها نص الرسالة التى تلقاها ابن المستوفي من المحدث البغدادي الكبير ، عبد العزيز بن الأخضر ، بخصوص عبد الرحمن بن الغسال الحنبلى (مخ ورقة ٥٤ أ) ، وهي تمثل نموذجا ممتازاً للتعاون الأدبي الذي كان قائما بين أهل العلم في تلك العصور . ونقل ابن المستوفي أيضا ، فقرة من رسالة بعثها اليه المؤرخ المعروف ابن الدبيثي ، بخصوص شخص آخر (مخ ورقة ٩٦ ب) . وعلاوة على ذلك ، فهناك عدة إشارات إلى رسائل أخرى (مخ ورقة ٧٧ ب و ١٣٦ ب - ١٣٧) .

ومن الطريف ، ان ابن المستوفي لم يكتف بالرسائل التي وُجِّهت إليه ، وإنما كان يستفيد أيضا من الرسائل الموجهة إلى غيره ، إذا وجد فيها ما يفيد أغراضه ، وفي كتابنا نماذج من تلك الرسائل ، وبعضها موجه الى كوكبوري ، ملك إربل (مخ ورقة ٨٦ أ و ١٠٩ ب) . ومن أطرف تلك الرسائل ، رسالة كتبها أحد أصحاب التراجم ، وهو عبد الكريم الأثريِ الموصلي الى ابن الشعار ، رداً على استفسار منه ، وقع بتكليف من ابن المستوفي ، فيما يتعلق بورود الأثري الى إربل ودراسته ومشايخه ، وقد أثبتها مؤلفنا نصا بكل ما فيها ، ومن ضمن ذلك قصيدة نظمها الأثري في مدح أئمة المذاهب الاربعة - رض - (مخ ورقة ٢٢٤ ب - ٢٢٥ ب) .

سادسا - النقوش الجدارية والكتابات على الحيطان :

لم يفت ابن المستوفي بأن النقوش الجدارية ، مصدر مهم للمادة التاريخية ، فنقل لنا مثلا بعض النصوص التى نُقشت على جدران مقبرة أحد أصحاب التراجم (مخ ورقة ٦٥ أ - ٦٦ ب) . وبلغ من اهتمامه بهذه النقوش وأمثالها ، انه ناقش المعلومات التي روُيت إليه عن بناء جامع كفر عزة ، على ضوء الكتابة المنقوشة على جداره ، وهي تحمل اسم بانيه الحقيقى (مخ ورقة ١٧٥ ب) .

ولم يكتف المؤلف بتلك النقوش وحدها ، بل انه حرص نقل الكتابات التي كان بعض المسافرين يخطونها على الحيطان ، ولاسيما حيطان الجوامع وبعض المنشآت العامة ، ويبدو ان البعض منهم قد اعتاد على ذلك ، وفقا لما يخبرنا ابن المستوفي (مخ ٦٥ أ

و٦٦ ب) ، وحسنا فعل ، فانها تنطوي على معلومات طريفة قد لانجدها في أي كتاب أو وثيقة مكتوبة ، وفي " تاريخ إربل " عدة نصوص من هذا القبيل (مخ ورقة ٦٧ أ و ١٤٦ أ - ب و ٢٠٤ أ و ٢٣١ أ) .

هذا ومما يجدر ذكره ان روزنتال (التاريخ ص ١٧٣ - ١٨١) أشار الى استخدام المؤرخين المسلمين للنقوش كمصدر للمادة التاريخية ، ولكنه فاتته الاشارة الى الكتابات المخطوطة على الحيطان .

الفصل الرابع
أهمية " تاريخ إربل "

أ - أهميته كمصدر للمؤرخين :

بعد أن أخذنا علما بمصادر " تاريخ إربل " ، يحسن بنا أن نتناول بالبحث أهمية هذا الكتاب كمصدر للمؤرخين الاخرين ، ومدى اعتمادهم عليه . وخير وسيلة للوقوف على هذه الناحية ، هي استقصاء المواضع التى نقل فيها المؤرخون عن " تاريخ إربل " . ولقد حاولت جهدي أن أتتبع هؤلاء فى المراجع التي تيسر لي الاطلاع عليها ، وفيما يأتي موجز بما وُفقتُ إليه :

١- ابن الشعار :

سبق لنا وأشرنا أكثر من مرة الى ملازمة ابن الشعار (المتوفى في سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) لابن المستوفي مدة ست سنوات في إربل وحدها . ولابد انهما كانا يلتقيان بعد هجرة مؤلفنا الى الموصل ، حيث أمضى ثلاث سنوات قبل وفاته فيها ، مما أتاح لابن الشعار فرصة الاطلاع على " تاريخ إربل " ، والنقل عنه . وقد وقعت مخطوطة الجزء الثاني منه بيده فعلا ، وفيها تعليقات بخطه كما بينا في موضع أخر من هذه الدراسة . إلا أن هناك دليلا أقوى من هذا بكثير ، هو تصريح ابن الشعار فى كتابه " عقود الجمان " ، بالرواية عن ابن المستوفي وبالنقل عن كتابه (انظر مخ استانبول مثلا ٤ ورقة ١٨٧ و٢٠٠ و٥ ورقة ٣١ و٢٣٧ و٦ ورقة ١٨٩ و٧ ورقة ١٩٠ و١٩٨ و١٩٩ و ٢٠٢ و٢٢٨ و ٢٣٦ و٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٤٣) ، ولقد نقل ابن الشعار من" تاريخ إربل " ماورد في الورقة ٢١٧ أ من مخطوطتنا حرفيا .

٢- ابن خلكان :

أما ابن خلكان المتوفى في سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، فقد صرح بأنه قد أحال على " تاريخ إربل " (٣ / ٢٩٤) . واذا راجع القارئ الكريم كتاب " وفيات الأعيان " ، يتضح له ان ابن خلكان عرف " تاريخ إربل " كله ، وليس الجزء الثاني الذى بين أيدينا فحسب ، وانه قد نقل عنه مصرحا في كثير من المواضع . ويكفي ابن المستوفي فخراً ،

أن يعتمده مؤرخ كبير كابن خلكان . وللوقوف على مواضع هذا النقل انظر " الوفيات " ١ / ١٧ و ١٧٥ و ١٩١ و ٣٧١ و ٤٤١ و ٢/٢٢ و٤٢ و ١٢٥ و ١٩١ و ٤١٧ و ٣ / ٢٦ و ٣٥ و ١٧٢ و ٢٣٢ و ٢٤٨ و ٢٨٩ و ٢٩٨ و ٣٨٧ و ٤ / ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ و ١٠٢ و ١٠٥ و ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ و ٣٦٥ و ٣٩٨ و ٥ / ٢٥ و ٣٢ و ١٧٩ .

٣- المنذري :

ان المؤرخ المصري ، زكي الدين عبد العظيم المنذري ، المتوفى في سنة ٦٥٦ هـ . ١٢٥٨ م ، لم يذكر صراحة انه نقل عن " تاريخ إربل " ، وهذا شأنه في كتابه " التكملة " ، إذ قلما يذكر المصادر التي يستقي منها معلوماته ، وقد لاحظ ذلك السيد بشار معروف (المنذري ص ٢٧٢) . ومن المعلوم ان ابن المستوفي كان ممن أجاز للمنذري الذي كان عارفا بوجود " تاريخ إربل " . ولم يستطع السيد بشار أن يقطع برأي ، فيما اذا كان المنذري قد نقل عنه أم لا ، لانه لم يطلع على " تاريخ إربل " ، وكان يظنه مايزال ضائعا (التكملة ١ / ٥٢) ، غير انني بعد أن قمتُ بمقارنة بعض التراجم الواردة في كلا الكتابين ، يمكنني أن أقول باطمئنان ، بان المنذري قد نقل عن " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه في ترجمة علي بن الهروي (تكملة ٤ / ١٣٢) نقل عبارة تتطابق حرفيا وما ورد في " تاريخ إربل " ، وهي . " قلما يخلو موضع مشهور من مدينة أو غيرها ، إلا وفيها خطه " (مخ ورقة ٦٥ أ) . ومثل ذلك بالنسبة لترجمة الشيخ عبد اللطيف السهروردي (مخ ورقة ٧٦ ب و تكملة ٤ / ٦٦) ، فانه نقل عن ابن المستوفي بعض العبارات التي منها قوله . " ودفن لوقته بمقبرة الصوفية " ، كما نقل العبارات المتعلقة باتصال السهروردي هذا بصلاح الدين وتوليته إياه أقضية البلاد المفتتحة ، علما بأن الشيخ عبد اللطيف توفي باربل . ويمكننا أن نقول الشيء نفسه بالنسبة لترجمة عبد القادر الرهاوي (مخ ورقة ٥٤ ب وتكملة ٤/ ١٦٣) فانه نقل أيضا عبارة أوردها ابن المستوفي ، وهي : " وولي التحديث بدار الحديث المظفرية بالموصل مدة قريبة " .

وهناك أيضا تشابه في الالفاظ في ترجمة يحيى الواسطي في " تكملة المنذري " (٢ / ١٣٠) بما يقابلها في " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢٣٠ ب - ٢٣١ أ) . وفضلا عن

ذلك، فانني لم أعثر ليحيى المذكور على أية ترجمة في أي مصدر سابق لعهد المنذري ، غير " تاريخ إربل " . ومثل هذا ينطبق أيضا على ترجمة بارسطغان الحميري (مخ ورقة ١١٦ أ – ب وتكملة ٤ / ٣٧٦) ، فانه لاترجمة له في أي مرجع معاصر لابن المستوفي أو سابق لعهد المنذري ، لذلك أرجح أن يكون الاخير قد نقل عن " تاريخ إربل " ، ولا سيما وان بارسطغان قد توفي باربل ثم اننا لو راجعنا تراجم أخرى تخص بعض الأرابلة (مخ ورقة ٦ ب و ٨٤ ب و ١١٩ ب و١٣٧ ب وتكملة ٣ / ٣٩ و ٣ / ٣٦٦ و ٣٧٠ و ٣٥/٤) ممن عرفهم ابن المستوفي شخصيا ، وكان أول من ترجم لهم ، أقول اننا لو راجعنا هذه التراجم لتوصلنا الى القول بما يشبه الجزم من أن المنذري ، نقل بعض تراجم هؤلاء – على الأقل – عن ابن المستوفي .

٤- أبو شامة :

عرف المؤرخ ابو شامة (المتوفى في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) " تاريخ إربل " ونقل عنه في " الروضتين " (١ / ١٢) بعض ترجمة المنتخب البحتري الشاعر . كذلك نقل في " ذيل الروضتين " (ص ٥٢) بعض ترجمة الشاعر علي بن الحسن الحلي ، المعروف بشميم عن ابن المستوفي ، ولكن اسم مؤلفنا تصحف فأصبح " ابن المترقي "

٥- ابن سعيد المغربي :

ونقل ابن سعيد المغربي (المتوفى في سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) في كتابه " الغصون اليانعة " عن " تاريخ إربل " ، في عدة مواضع . ويبدو أنه عرف الكتاب كاملا ، لانه نقل من الأجزاء الضائعة (أنظر " الغصون " ص ٢٣ –٢٥ و٧٦ – ٧٧ و ٨١ و ٨٣ و ١١٦ – ١١٧) .

٦- ابن الفوطي :

أما ابن الفوطي (المتوفى في سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ، فقد استفاد كثيراً من " تاريخ إربل " . فنقل عنه في كتابه " معجم الألقاب " ، أو بالأحرى في الجزء الرابع منه ، في مواضع عدة ، وكان نقله منه نقلا مباشراً ، (أنظر " المعجم " ١ / ٧٩ و ٥٧٦ و٥٨٦ و ٢ / ٨٤١ و ٩٢٣ و ١٠٥٥ و١١٥٨ و ٣ /٨٠ و ٢٥٠) .

٧- اليونيني :

ومن الكتب التي اعتمدت في بعض تراجمها على " تاريخ إربل " ، " ذيل مرآة الزمان" لقطب الدين اليونيني المتوفى في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م ، وهو مؤرخ من أهل بعلبك . وقد نقل صراحة عنه في عدة مواضع ، وذكر انه وقف على مجلد منه ، إلا أنه لم يعينه (أنظر " الذيل " ١ / ٦٥ و ٧٣ – ٧٥ و ٣٧٧ و ٢ / ٣٠٥ ، و٤ / ١٥٣ و ١٥٩ و٣٢١) . وأظنه انه عرف جزء غير الذي بين أيدينا ، لانه نقل تراجم غير موجودة في هذا الجزء (أنظر ١ / ٣٣٧ و ٤ / ٣٢١) .

٨- الصفدي :

وكذلك الصفدي المتوفى في سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ، قد عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه أكثر من مرة ، في كتابه " الوافي بالوفيات " (انظر مخطوطة اكسفورد ورقة ١٢١ والمطبوع ١ / ٢٨٦) .

٩ – الكتبي :

ابن شاكر الكتبي المتوفي سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م نقل عن " تاريخ إربل " في كتابه "عيون التواريخ " ، من ذلك نقله أخبار القاسم بن المظفر الشهرزوري ، إذ صرح يقول عنه ان أبا البركات ابن المستوفي ذكره في " تاريخ إربل " ، ("عيون التواريخ " طبعة بغداد ١٩٧٧ ، ج ١٢ ، ص ٣٩٢) .

١٠ – اليافعي :

أما اليافعي المتوفى في سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ، مؤلف " مرآة الجنان " ، فانه أيضا عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه عدة مرات . ويبدو انه عرف بعض الأجزاء الضائعة منه ، لأن نقله جاء بمعلومات غير موجودة في الجزء الثاني منه (مرآة ٣ / ١٥٠ و١٢/٤ و٦٨) .

١١ – السُبكي :

ونقل السبكي المتوفى في سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ، مصنف " طبقات الشافعية " عن " تاريخ إربل " ، وفقا لما ورد في الطبقات (٨ / ٣٨٣) .

١٢ - القرشي :

أما القرشي المتوفى في سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م ، مصنف " الجواهر المضية فى طبقات الحنفية " ، فانه هو الآخر قد عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه في أكثر من موضع في طبقاته ـ الجواهر ٢ / ٥ و١١١) .

١٣- ابن رجب :

وكذلك فعل ابن رجب المتوفي في سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ، الذي عرف " تاريخ إربل" ، ونقل عنه في كتابه " ذيل طبقات الحنابلة " (انظر ٢ / ١٥٢) .

١٤ - ابن الفرات :

وعرف ابن الفرات المتوفى في سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م " تاريخ إربل " ، ونقل عنه في تاريخه عدة مرات . ويبدو انه عرف بعض الأجزاء الضائعة ، للسبب الذى أشرنا اليه أنفا (أنظر " تاريخ ابن الفرات " ٥ / ٣٤ و١٣٩) .

١٥ - الفاسي :

أما تقي الدين الفاسي المكي المتوفى في سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ، فانه أيضا عرف " تاريخ إربل " واستفاد منه في كتابه " منتخب المختار في علماء بغداد " (انظر ص ١٣١ و١٧٦ - ١٧٧) ، وكتابه الآخر " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " (انظر ٣ / ٣١١ و٤ / ٣١٧ و ٦ / ١٥٠) ، وهو تراجم المكيين والواردين الى مكة المكرمة . والطريف في هذا الكتاب ، ان الفاسي نقل عن " تاريخ إربل " ترجمة أحد مواطني مكة ، سليمان بن عبد الله الريحاني ، الذي كان قد ورد إربل وترجمه ابن المستوفي ، ولم يجد الفاسي مرجعا غيره يعتمد عليه في ترجمة أحد مواطنيه .

وقد سبق أن أشرنا الى سماع الفاسي " تاريخ إربل " على أبي هريرة بن الحافظ الذهبي ، والى نقله عنه ترجمة إسماعيل بن مسلم بن سليمان الاربلي (العقد الثمين ، ج ١ ص ٢٢ و ج ٣ ص ٣١١) ، مما يؤكد اعتماد الفاسي على " تاريخ إربل " .

١٦- ابن قَطْلُوبُغا :

اما ابن قطلوبغا المتوفى في سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م ، وهو مصنف كتاب " تاج

التراجم في طبقات الحنفية " ، فقد عرف " تاريخ إربل " ونقل عنه في موضع واحد على الأقل (أنظر تاج ص ٥٩) .

١٧- السيوطي :

وحيث ان ابن المستوفي كان معدوداً في النحويين ، فان السيوطي قد ترجم له في " بغية الوعاة " ،كما انه استفاد مما جاء في " تاريخ إربل " عن النحاة ، ونقل عنه كثيراً . ويبدو انه عرف الاجزاء الضائعة منه ، ونقل منها (بغية ١ / ٩٢ و ١٨٢ و٢١٢ و٢٦٠ و ٢٨٦ و٥٨٢ و٢ / ١٥١ و١٨٤ و٢١٦ ، و٢٢٠ و٢٢٤ و٢٧٢ و٢٧٦ و٢٧٩ و٢٩٩ و٣٣٤) . علما بأن السيوطي توفي في سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

١٨ - المقري :

أما المقري الأندلسي المتوفى في سنة ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ، فانه هو الآخر قد عرف " تاريخ إربل " ونقل عنه ، ولاسيما ترجمة عيسى بن عبد الله الحميري ، وهو أندلسي زار إربل (أنظر نفح الطيب ٢ / ٨٧٧) .

١٩ - ابن العماد :

أما ابن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م ، وهو " شذرات الذهب " ، فانه نقل عن " تاريخ إربل " بعض ترجمة المبارك ابن الاثير ، وذلك عن القسم الضائع منه ، كما اشار الى مانقله ابن خلكان عن " تاريخ اربل " من ترجمة محمد بن الخضر ابن تيمية . كذلك نقل عن السخاوي – ولم يصرح باسم المرجع الذي نقل عنه – بعض ما يتعلق بترجمة عدي بن مسافر – نقلا – على ما أظن – عن ابن المستوفي بالنظر لتطابق الألفاظ والعبارات المتعلقة بأصله ومكان إقامته وصحبته ، بالعبارات المماثلة في "تاريخ إربل" (مخ ورقة ٣٤ ب و ٤٥ أ و ٤٦ أ والشذرات ٤/١٨٠ و ٥/٢٢ و ١٠٢) .

٢٠ - نَقَلَة أخرون :

وهناك نقلة أخرون ، إلا أنه ليس بوسعي التحقق من صحة نقلهم عن "تاريخ إربل" ، من ذلك مثلا Heer ذكر (ص ٣٦) أن ياقوت الحموي الذي كان معاصراً لابن المستوفي ، قد نقل عن «تاريخ إربل» مشيراً إلى «معجم البلدان» (١/١٨٧) ، ولدى

رجوعي إلى هذه الإشارة في المعجم المذكور ، لم أجد فيها ما يفيد أن ياقوتا قد نقل أي شيء عن «تاريخ إربل» ، بل وليس في المعجم ما يدل على أنه عرف هذا الكتاب ، وإنما فيه ذِكْر لزيارة ياقوت إلى إربل واجتماعه بابن المستوفي .

وذكر السيد بشار معروف (تكملة ٢/١٨٠ – حاشية) بأن بدر الدين العيني المتوفى في سنة ٨٨٥ هـ /١٤٥١ م ، نقل في كتابه "عقد الجمان" بعض ترجمة مكي ابن ريان الماكسيني – وهو أستاذ ابن المستوفي – عن "تاريخ إربل" . ولكنني لم أستطع التحقق من ذلك ، لعدم تمكني من الاطلاع على مخطوطة "عقد الجمان" ، كذلك ذكر السيد معروف (تكملة ١/٥٧ – المقدمة) بأن أحمد بن عبد القادر التميمي نقل عن «تاريخ إربل» "فى كتابه" الطبقات السنية في تراجم الحنفية» . وهنا أيضاً لا يسعني أن أقول شيئاً حول هذا النقل ، إذ لم أتمكن من الإطلاع على مخطوطة «الطبقات السنية» ، وبالتالي فلا أدري مدى اعتماد التميمي على «تاريخ إربل» .

هذا وذكر مصنف كتاب "الذريعة" (٥/٢٧٨) خبراً حكاه «صاحب الرياض» - وهو شخص لم أتحققه – نقلا عن «تاريخ إربل» ، وهذا الخبر يتعلق بسماع أبي عبد الله البُستي لكتاب "جواهر الكلام" على مؤلفه عبد الواحد الآمدي ، مما هو مذكور في "تاريخ إربل" بالفعل (انظر مخ ورقة ٤٤ أ) .

أشار الدكتور عبده إسماعيل الطهطاوي في مقال له في مجلة «دعوة الحق» المغربية (العدد ٨ لشهر أيلول – سبتمبر ١٩٧٠ م ، ص ٨٠) إلى قصيدة قيلت في نور الدين بن زنكي منقولة عن "تاريخ إربل" ، إلا أنه لم يذكر المصدر الذي نقل عنه القصيدة مباشرة . وقد كتبتُ إليه مستفسراً عن مرجعه الذي نقل عنه ، فأُخبرتُ بأنه قد توفى إلى رحمة الله ، وأن المرجع الذي نقل عنه ، لابد وأن يكون مخطوطة كتاب «الكواكب الدرية» لابن قاضي شهبة ، الذي كان المرحوم الطهطاوي بصدد تحقيقه ونشره (تفضل بإعلامي ما تقدم ، الدكتور محمد كمال شبانه برسالته المؤرخه في ١٩٧١/١/١٥ م ، المرسلة من المغرب فإليه مني الشكر والامتنان) .

وهكذا يتضح لنا مما تقدم ، بأن "تاريخ إربل" كان مصدراً رجع إليه المؤرخون من

مختلف العصور ، وبينهم بعض معاصري ابن المستوفي ، وكذلك الذين جاءوا بعده ، إلى القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ، كذلك كان بينهم مؤرخون عراقيون وسوريون ومصريون وحجازيون ، بل ومغاربة وأندلسيون أيضاً . وفضلا عن ذلك ، فقد اعتمد عليه مؤرخو الطبقات ، سواءً منهم طبقات الفقهاء كالحنفية والشافعية والحنابلة ، أو مؤرخو طبقات الشعراء ، كابن الشعار وابن سعيد المغربي ، أو أصحاب التواريخ المحلية ، كالفاسي في كتابيه "علماء بغداد" و"العقد الثمين" في أهل مكة ومن وردها ، والمقري في "نفح الطيب" ، أو مؤرخو الوفيات بصورة عامة كالمنذري في "التكملة" ، وأبي شامة في كتابيه "الروضتين" وذيلها ، وابن خلكان في " الوفيات " ، وابن الفوطي في " معجم الألقاب " ، والصفدي في " الوافي " ، أو مؤرخو التاريخ العام ، كابن الفرات في تاريخه ، وابن العماد في " الشذرات " . وهذا يبرز – ولاشك – الأهمية التي يتمتع بها " تاريخ إربل " .

ثانيا – مزايا " تاريخ إربل " :

بيّنا في الفقرة السابقة أهمية " تاريخ إربل " كمصدر للمؤرخين ، وقصرنا حديثنا فيها على الكتب التى نقلت عنه لغرض تبيان تلك الاهمية . أما الآن ، فنتناول مزايا هذا الكتاب ، التي قد ينفرد ببعضها دون غيره من كتب التاريخ ، ومن تلك المزايا .

١- أهمية التراجم الواردة فيه :

لاشك أن أهمية " تاريخ إربل " تكمن بالدرجة الاولى ، في كونه كتاب تراجم ، لانه يترجم للأرابلة ولأهل المناطق المجاورة لاربل والموصل ، كالبوازيج وكفر عزة والكرخيني وحديثة (انظر التراجم المرقمة ٢ و ٣ و ٥ – ١٠ و١٣ – و١٤ و١٦ و١٧ و٢٢ – ٢٥ و ٣٥ و ٤١ – ٤٤ و ٥٠ و ٦٠ و ٧١ و ٧٣ و ٧٧ و ٨٤ – ٩١ و ١٠٣ – ١١٧ و ١٤٩ – ١٥٤ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٦ – ١٧٤ و ٢١٠ و ٢١٧ و ٢٢٠ و٢٢٩ – ٢٣١ و ٢٣٥ و٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و٢٥٦ و ٢٥٩ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و٢٦٦ – ٢٧١ و ٢٧٣ و ٢٧٦ – ٢٨٠ و٢٨٨ – ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣٠٣ و ٣١٣ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و٣٢٥ و٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣٤) ، مما لانجده في أي مرجع آخر ، كما انه يترجم لاشخاص قد لانجد لهم ترجمة في المصادر الاخرى على

الاطلاق ، وأقصد في المراجع التي تيسر لي الرجوع اليها (انظر التراجم مثلا ، رقم ١٥ و ١٦ - و٤٢ و ٥٦ و ٧١ و ٧٤ و ٧٧ و ٧٨ و ٨٩ و ١٠٢ و ١١٣ و ١١٦ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٥٠ و ١٥٧ و ١٦١ و ١٦٧ - ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٩٤ و١٩٦ و ٢٤٠ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٣١٣ و ٣٢٠ و ٣٢٨) ، أو ان تراجمهم وردت في مصدر واحد لايزال مخطوطا بعيداً عن متناول القراء ، أو ان التراجم في بعض المراجع جاءت موجزة جداً (كالتراجم المرقمة ١٤ و٩٩ و١٣٨ و١٥٨ و ١٥٩ - ١٨٣) ، فصاحب الترجمة رقم ٩٩ مثلا ، ترجم له ابن كثير في تاريخه (١٣ / ١١١) بسطرين فقط ، مما جعلها خاليه من المعلومات التي تهم المؤرخ ، وهنا يقوم " تاريخ إربل " بسد هذا النقص .

والصفة الغالبة على التراجم في كتابنا - لاسيما تراجم الاراربلة ، أي الاشخاص الذين سنحت للمؤلف فرصة لقائهم - فانها ضافية اذا ماقيست بكتب التراجم الأخرى ، مثل " تاريخ ابن الدبيثي " و" معجم الالقاب " لابن الفوطي . والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها التراجم المرقمة ٢ و ٣ و ٩ و ١٣ و ١٤ و ١٧ و٢٩ و ٥٩ و ٦٣ و ١٢٤ و ١٣٢ .

وعلاوة على ذلك ، ففي " تاريخ إربل " تراجم لاراربلة بارزين ، ولكن ابن خلكان - رغم كونه إربليا - لم يترجم لهم ، بل أنه لم يترجم حتى لعميه ، وكانا من الفقهاء المدرسين باربل ، بينما ترجم لهما ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣٧ ب و ١٦٣ ب) ، مما يجعل كتابنا أكثر شمولا . وفضلا عن ذلك ، فان ابن المستوفي قد ترجم للواردين الى إربل ، بصرف النظر عن غناهم أو فقرهم ، أو كونهم احراراً أم عبيداً ، أو أنهم رجال أم نساء، وبالفعل فاننا نجد عدداً غير قليل من الفقراء الذين لايملك بعضهم عشاء ليلة ، وبينهم من كان يبيع الخرز أو اللبن ، كل هؤلاء ترجم له مؤلفنا (مخ ورقة ٣٩ أ و٥١ ب و ١٣٧ أ و ١٣٩ ب و ١٨٠ أ و ٢٢٦ ب و ٢٢٧ أ و ٢٢٨ أ و ٢٣١ أ) . كما انه ترجم لبعض العبيد والاماء ، ماداموا من أهل العلم ، بل وقد سمع على البعض منهم (مخ ١١٣ أ و ١٤٥ب و١٦١ أ) ، كذلك اهتم ابن المستوفي بأخبار النساء ، وقد ترجم لبعضهن (مخ ورقة ٢٩ ب و ١١٢ ب - ١١٣ أ و ١١٧ ب) ، وتحدث عن نشاطات عدد منهن ، كسماع

الحديث عليهن ، واصدارهن الاجازات للسامعين عليهن وكتابتها بخطهن ، وقيامهن بوعظ النساء (يبدو ان وعظ النساء كان معروفا في عصر المؤلف ، فقد ذكر الذهبي في " العبر " ٥ / ١٦٨ ، بأن عائشة بنت محمد بن علي بن البل البغدادية ، الواعظة المتوفاة في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م كانت تعظ النساء) ، بل انه سمع بنفسه على بعض هؤلاء النسوة (مخ ورقة ٢٦ ب و ٢٧ أ و ٢٩ ب و ٦٨ ب و ٧٣ ب و ٧٦ أ و ٧٨ أ و ٨٣ ب و ١٠٥ ب و ١١٢ ب - ١١٣ أ ، و ١١٧ ب و ١١٨ ب و ١٤٥ أ و ١٦١ أ و ١٦٧ أ و ١٨٥ أ و ١٨٨ ب) . وحتى السن لم يكن له أي اعتبار عند ابن المستوفي ، فانه ترجم لأحد الصبيان ، وهو عمر الدنيسري ، الذي ورد إربل للسماع على ابن طبرزذ (مخ ورقة ١١٠ ب) ، وفي الكتاب تراجم لعدد من الشبان ، مثل نجل ابن عساكر (مخ ورقة ١١١ ب) .

٢- الكتاب حصيلة لقاءات شخصية :

ان كتب التاريخ ، في غالبيتها ، يُعتمد في تاليفها على المراجع الاخرى وهي في العادة ، كتب ووثائق ، وان العنصر الشخصي فيها محدود قليل . أما بالنسبة لكتابنا ، فالعكس هو الصحيح ، فلم يعتمد المؤلف على ماكتبه غيره فحسب ، بل انه كان حريصا على الاستفادة من معلومات الأحياء ، سواءً أكان هؤلاء من أصحاب التراجم أو من أهل التأليف ، أو كانوا من ذوي القربي لأصحاب التراجم ، أو على صلة بهم . وقد كان التعاون بين هؤلاء الاشخاص رائعا حقا ، رغم صعوبات النقل والمواصلات . وخير مثال نسوقه لايضاح هذا التعاون والتماس ، هو ما استفاده ابن المستوفي من اتصاله الشخصي بابن الدبيثي المؤرخ وابن الشعار الموصلي وابن شحاته الحراني . ومما جعل هذا الاتصال الشخصي ممكنا سعة الرحلات التي كان أهل العلم والأدب يقومون بها ، ولاسيما المحدثون منهم خاصة . وكتابنا ، بحد ذاته ، دليل ساطع على مدى سعة تلك الرحلات ونفعها في هذا الصدد .

هذا وقد حرص ابن المستوفي على لقاء من يرد إربل من أهل الفضل ، والمذاكرة معهم ، فكان يستنشدهم الشعر ، بل ويطلب إليهم - أحيانا - أن يكتبوا بخطهم ماينشدونه إياه ، كما أجازه البعض منهم . وكان يطلب من هؤلاء في بعض الأحيان ، أن

ينظموا الشعر ، ليكون سببا لذكرهم في " تاريخ إربل " وربما حملهم على ان يتكلفوا قول الشعر لهذا الغرض . كذلك كان حريصا على مشاهدة الخطوط المكتوبة والاجازات والاشهادات والتعاليق ، وما اليها . والكتاب مليء بالشواهد على ماقدمنا (مخ ورقة ٧٢ ب و ٧٤ أ و ٨٤ أ و٨٦ أ و ٨٩ ب و ٩٢ أ و ١٠٠ ب و ١٠١ أ و ١٠٢ ب و ١٠٣ أ و ١٠٥ أ و ١٠٦ أ و ١٠٧ أ ، و١٠٨ ب و ١٠٩ ب و ١١١ ب و ١١٣ أ و ب و ١١٦ ب – ١١٧ ب و ١١٨ ب و ١١٩ أ و ١٢٠ أ ، ١٢٢ ب و ١٢٣ ب – ١٢٤ أ و ١٢٥ أ و ١٣٤ ب ١٣٦ ب و ١٣٧ أ و ١٣٨ أ و ١٣٩ ب و ١٤٠ ب و١٤٤ أ – ١٤٥ ب و ١٤٦ ب و ١٤٧ أ و ١٤٨ ب و ١٤٩ ب و ١٥٠ ب و ١٥١ أ و ١٥٢ ب – ١٥٣ ب و ١٥٤ ب – ١٥٦ أ و ١٥٧ ب و ١٦٠ أ و ١٦١ ب و ١٦٤ ب و ١٦٥ أ و ١٦٧ أ و ١٧٠ أ – ١٧١ أ و ١٧٢ ب و ١٧٤ أ و ١٧٥ ب و ١٧٦ ب و ١٨٠ أ و ١٨١ أ و ب ، ١٨٢ ب و ١٨٥ ب ، و١٨٧ ب – ١٨٨ ب و ١٨٩ ب و ١٩١ أ و ١٩٢ ب و ١٩٥ أ و ١٩٦ أ و ١٩٨ ب و ١٩٩ أ و ٢٠٠ ب و ٢٠٤ ب و ٢٠٥ ب و٢٠٩ أ و ب ٢١٣ أ و ٢١٥ ب و ٢١٦ أ و ٢١٧ ب و ٢٢١ ب و ٢٢٢ أ و٢٢٣ ب و ٢٢٦ ب و ٢٢٨ أ و ٢٣٠ ب) .

٣- الكتاب يضم نصوصا أدبية مهمة :

ان حرص ابن المستوفي على إدارج المقتبسات بنصها الحرفي ، في بعض الأحيان ، قد جعل من " تاريخ إربل " مرجعا لكثير من النصوص الادبية والتاريخية ، لاسيما المنقولة من كتب لاتزال ضائعة ، أو من وثائق لانجدها في أي كتاب أخر ، ومن هذا الصنف التعليقات والرسائل والاجازات والفتاوى ، وما إليها مما يهم الباحثين ، ويقدم اليهم مادة جديدة تساعدهم في أبحاثهم . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نقتطف منها :

أ / نقل المؤلف بعض القصيدة المزدوجة ، التي نظمها عمر بن شماس الخزرجي في التاريخ ، وهى تتناول تاريخ البشر من أول الخليقة حتى خلافة الناصر العباسى (مخ ورقة ١٩ ب) . والقصيدة تمثل نموذجا للتصنيف التاريخي نظما ، والذى يزيد في أهميتها كونها مفقودة بالاصل . وكذلك نقل لنا رسائل ومقدمات كتب ، مفقودة هي الاخرى (مخ ورقة ٩ أ و٧٨ – ٧٩ و١٤٩ ب) . ونقل أيضا مقدمة " معجم الادباء"

لياقوت الحموي (مخ ورقة ١٥٧ - ١٥٩) ، وبذلك يقدم مساعدة ثمينة للمحققين ، إذ يمكّنهم من المقارنة والتصحيح . كذلك حفظ لنا ابن المستوفي أسماء كتب لم ترد - حتى مجرد أسمائها - في أي مرجع آخر ، من ذلك مثلا ، انه ذكر ثلاثة كتب من تصنيف محمد بن عبد الكريم الرافعي (مخ ورقة ٢٧ ب) ، لاذكر لها في المراجع التي تيسر لي الرجوع اليها . وفي حالة أخرى ، ذكر لنا أوصافا لكتب ضائعة ، ونقل لنا نماذج من محتوياتها (مخ ورقة ٤٠ أ - ب) ، مما قد ييسّر على الباحثين أمر العثور عليها (ومن الأمثلة على الكتب التي قد لاتكون مذكورة في المراجع الاخرى ، أو تعد من المفقودات ، انظر مخ ورقة ٢١ أ و ٧٨ أ و ٨٨ ب و ١٢٩ ب و ١٣١ أ و ١٣٣ ب و ١٣٥ ب و ١٥٦ أ و ١٦٤ أ و ١٧٣ ب و ١٧٨ ب - ١٧٩ ب و ١٨٤ ب و ١٨٩ ب و ١٩٠ أ و ٢١٧ ب و ٢٢٩ أ).

ب / كذلك حفظ لنا ابن المستوفي نصوص بعض الرسائل ، كالرسالة التي بعثها الشيخ الصوفي ، عمر السهروردي الى كوكبوري ملك إربل ، وهي رسالة توصية بأحد العلماء (مخ ورقة ٨٦ أ) . كما حفظ لنا نص رسالة الفخر ابن تيمية المرسلة إلى كوكبوري أيضا (مخ ورقة ٣٥ أ) . وهاتان الرسالتان تلقيان الضوء على الأسلوب الذى كان يتخاطب به العلماء مع الحكام . كذلك حفظ لنا " تاريخ إربل " نصا كاملا لرسالة تزكية ، بعثها أحد علماء بغداد الى المؤلف نفسه (مخ ورقة ٥٤ أ) ، وهي الاخرى يمكن أن تكون نموذجا جيداً لأدب الرسائل المتبادلة بين العلماء . وهناك رسالة رابعة (مخ ورقة ١٤٠ ب - ١٤١) تمثل نوعا آخر من الرسائل ، وهي التي يكون الغرض منها إثبات بعض محتوياتها في الكتب ، ومثلها الرسالة الواردة في المخطوطة (ورقة ٢٢٤ ب - ٢٢٥ د) .

ت / وحفظ لنا " تاريخ إربل " كذلك ، نماذج لبعض التعليقات التي كان العلماء يدونّونها في حواشي الكتب ، تصحيحا لخبر ، أو تعليقا على رأي ، أو إبداء رأي في كتاب من الكتب (مخ ورقة ١٣٢ أ - ب و ١٥٩ أ) .

ث/ وفي الكتاب أيضا نصوص استجازات وإجازات ، وقد ورد بعضها شعراً (مخ ورقة ١٠٢ أ و ١٢٧ ب و ١٣٣ أ) ، وهذه الاجازات المنظومة - فضلا عن قيمتها التاريخية

- تهم دارسي أدب الاجازات أيضا . وكذلك في كتابنا ، يوجـــد نص اســتفتاء وفتوى (مخ ورقة ٤٧ ب -- ٤٨ ب) ، وبعض النصوص التي يمكــن اعتبــارها من النثر الفني (مخ ورقة ٦٠ ب) .

٤- الكتاب غني بالشعر :

سبق وبينا بأن " تاريخ إربل " حافل بالشـعـر ، حتى بلغ عـدد الأبيات في الجـزء الثاني منه فقط ، ٢٥٠٠ بيت تقريبا ، ولكي ندرك مدى أهمية هذه الكمية من الشعر لابد لنا من مقارنتها بالمجموعات الشعرية المتخصصة ، مثل " المفضليات " التي بلغت أبياتها ٢٧٢٧ بيتا ، و" الأصمعيات " التي لم تزد أبياتها على ١٤٣٩ بيتا ، ثم " جمهرة أشعار العرب " لابي زيد القرشي التي بلغت أبياتها ٢٦٨١ بيتا ، و " الحماسة الصغرى " لأبي تمام التى لم تتجاوز أبياتها ٢٠٤٦ بيتا (جليل العطية : التذكرة السعدية ، مقال في مجلة عالم الكتب ، مج ٩ عدد ٢ لسنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٢٢٥ - ٢٢٦) وينبغي أن نتذكر أن ٢٥٠٠ بيت جمعها ابن المستوفي هي في جزء واحد فقط من تاريخه ، وهذا بحد ذاته يعطيه أهمية خاصة .

والحق أن ابن المستوفي الشاعر والنقادة الأديب ، لم يستطيع أن يتخلى عن صفته هذه ، فقد ألزم نفسه أن لايترجم إلا لمن يقول شيئا من الشعر ، وهذا واضح في ثنايا الكتاب . أما اذا وُجد بين أصحاب التراجم من لم يقل شعراً . فمرجع ذلك الى أن المؤلف لم يحظ بمقابلة هؤلاء الاشخاص فيستنشدهم ، أو أنه لم يجد لهم أي شعر في المراجع التي نقل عنها ، أو أنه لم يجده لدى الرواة الذين حدثوه عن أولئك الاشخاص .

والشعر الذي جمعه ابن المستوفي ، له أهمية كبيرة بالنسبة لمؤرخي الأدب ، إذ قد جمع اشعار أدباء جاؤا من مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، مشــرقه ومغربه وأندلســه (ولزيادة الاطلاع ، انظر مخ ورقـــة ١٥٢ أ - ١٥٤ ب و ١٦١ أ و ١٦٥ ب - ١٦٦ ب و ١٧٦ ب - ١٧٧ أ و ١٨٠ ب - ١٨٤ ب و ١٩٦ أ - ب و ٢٠٧ أ - ٢٠٨ ب و ٢١١ ب) وسواء كان هؤلاء من المكثرين أو المقلين ، لذلك نجده قد روى أشعارا لانجدها حتى في مظانها وفي الكتب المتخصصة بالموضوع ، بل لعل بعضها لانجده في أي كتاب آخر

على الاطلاق ، كالشعر الذى نظمه أحد أصحاب التراجم خصيصا ليطفيء ظمأ ابن المستوفي ، وحلف له بأنه لم يعمل غيره (مخ ورقة ١٨٧ أ) ، ومن الطبيعي أن لانتوقع العثور على مثل هذه الأبيات في أي مرجع آخر ، كذلك روى ابن المستوفي شعراً منسوبا لمجنون ليلى وابن الرومي ، إلا أنني لم أجد له أثراً في ديوانيهما المطبوعين . ولزيادة إيضاح هذه النقطة ، رأيت من المفيد إيراد بعض الأمثلة :

أ / روى ابن المستوفي شعراً لعلي بن محمد البُستي (مخ ورقة ٩٤ ب) لانجده في مظانه كيتيمة الدهر للثعالبي ، التي ترجمت للشاعر المذكور وأوردت الكثير من مقطوعاته (يتيمة ٤ / ٣٠٢ - ٣٣٤) ، وكذلك لم يذكر ابن خلكان (٣ / ٥٨) هذا الشعر فى ترجمته للبستي .

ب / في " تاريخ إربل " شعر لعلي بن أحمد الحرالي الأندلسي (مخ ورقة ٢١٥ ب - ٢١٦ أ) ليس له ذِكْر في " نفح الطيب " رغم كونه خاصا بالاندلسيين ، وفيه ترجمة ضافية لعلي هذا (نفح ١ / ٥٨٤ - ٥٨٦) . ويمكننا أن نقول مثل ذلك بالنسبة لبعض شعر عبد الوهاب المالقي والهيثم بن جعفر الاشبيلي (مخ ورقة ٢١٢ ب و ٢١٤ ب) ، فان شعرهما الذي أورده ابن المستوفي ، لم يرد في المراجع الأندلسية التي ترجمت لهما ، مثل " الذيل والتكملة " و " القدح المعلى " وغيرهما . وقد ترجم المقري (نفح ١ / ٥٠٢) لمحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي ، ولم يذكر من أشعاره التي رواها ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٩ أ - ب) سوى مقطوعة واحدة . كما ان في كتابنا (مخ ورقة ٢١٤ ب) مقطوعة للشاعر الأندلسي أبي عبد الله الرصافي ، غير موجودة في ديوانه المطبوع .

ت / على الرغم من حرص ابن الشعار على جمع أشعار معاصريه فى كتابه الخاص بالشعراء ، فقد فاته بعض شعرهم ، مما هو موجود في " تاريخ إربل " رغم ان هذا الكتاب ليس بمعجم للشعراء ، من ذلك مثلا انه قد فات ابن الشعار أن يروى في ترجمة قيصر بن السوداء (مخ استانبول ٦ ورقة ١ - ٢) . بيتين رواهما ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤٧ ب) لهذا الشاعر .

ث / روى مؤلفنا (مخ ورقة ١٦٠ ب) شعراً لمحمد بن الحسن الحلبي ، لم أعثر عليه في مظانه التي يُفترض وجوده فيها ، مثل " خريدة القصر " و" تاريخ حلب " و " المحمدون من الشعراء " .

ج / روى ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٣٠ ب) مقطوعة لشاعر ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٧ ورقة ١٠٢) ولم يذكرها على الرغم من كون كتابه معجما للشعراء ، ورغم روايته عدة مقطوعات أخرى للشاعر المذكور .

ح / في كتابنا أبيات من شعر إسماعيل بن علي العين زربي (مخ ورقة ٦٧ أ) ، وهي غير موجودة في المراجع التي ترجمت للعين زربي ، مثل " تاريخ ابن عساكر " و " فوات الوفيات " .

خ / ترجم اليونيني – وهو سوري – لنصر الله بن عبد المنعم التنوخي (الذيل ٤ / ١٠٣) ، وروى له عدة قصائد ، لكنه لم يروِ المقطوعة التي رواها عنه بصورة مباشرة ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٨ أ) ، علما بأن التنوخي سوري أيضا .

د / روى المؤلف (مخ ورقة ١٩٦ ب) شعراً للحسين بن عبد الله بن رواحة ، لم يذكرها العماد في " الخريدة " (١ / ٤٨١ – شام) رغم انه ترجم للحسين هذا ، وان " الخريدة " كتاب شعر بالدرجة الاولى .

ذ / في " تاريخ إربل " شعر لابن البرني الحنبلي (مخ ورقة ٦٨ أ) ، غير ان ابن رجب (الذيل ٢ / ١٤٩) الذي ترجم لابن البرني هذا وروى بعض شعره ، لم يذكر المقطوعة التي رواها ابن المستوفي .

وعلاوة على ماتقدم ، ففي كتابنا نماذج للشعر المتعلق بالالغاز والمعميات ، وهو بذلك يقدم مادة غير قليلة ، لمن تهمه دراسة هذا الفن من المنظوم (مخ ورقة ١١١ أ – ب و ١١٢ب و ١٧١ أ و ١٩٥ ب و ٢٠٢ ب و ٢٠٤ أ – و٢٣٩ أ – ب) .

٥- الكتاب يلقي الضوء على بعض أحوال عصره :

لاشك ان ابن المستوفي لم يقصد من وراء كتابه ، تاريخ أحوال عصره ، إلا أن الكتاب قد تضمن إشارات كثيرة من شأنها أن تلقي بعض الضوء على تلك الاحوال ،

وتمكّن المؤرخ من الوقوف على بعض جوانبها ، ولعله قد انفرد في إيراد تلك الاشارات ، لاسيما ماتعلق منها بمنطقة إربل نفسها ، ولايضاح هذه النقطة ، أضرب بعض الامثلة :

أ / في الكتاب إشارات الى بعض الأحوال السياسية والادارية ، كنزول صلاح الدين على الموصل ، وتعيينه واليا على شهرزور من قبَله ، وتعرض التتر لخوارزم ، وهروب قاضي مصري خوفا على نفسه من أحد الوزراء ولجوئه الى إربل ، واستجابة كوكبوري لاستغاثة أهل جزيرة " ميورقة " التي احتلها الاسبان ، لاجل فكاك أسراهم ، وذكر بعض أحوال الاندلس في تلك الفترة (مخ ورقة ١٤٣ أ و ١٤٧ ب و ١٥٦ أ و ١٥٧ أ و ١٩٨ ب و ٢١٥ ب) . كما ان فيه إشارات الى ورود الرسل من دار الخلافة ، ومن ملوك بني أيوب وغيرهم ، الى إربل ، وعن تبعية شهرزور والكرخيني لاربل ، وان شيخا إربليا أسره الافرنج في القدس ، وآخر قُتل في معركة حارم التي خاضها زنكي ضد الصليبيين ، وان عالما اصفهانيا أسره الروم . وفيه أيضا أخبار عن حالة الامن في طريق الحج في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (مخ ورقة ١٠٤ ب و ١٨٢ أ و ٢٠٠ أ و ٢١٩ ب) .

كذلك يلقي " تاريخ إربل " الضوء على النظام الاداري ، فيخبرنا مثلا عن القضاة ، بأنهم كانوا يعينون نوابا لهم في المدن التابعة لحكمهم ، وانهم كان لهم حجاب ، وان القضاء كان مستقلا ، ويتم عزل القضاة من قبل قاضي القضاة . ويشير أيضا الى وجود هؤلاء في بعض المدن ، مثل دقوقا وحصن كيفا والسويداء ، مما يعطي فكرة ما عن مدى سعة تلك المدن وأهميتها . ومثل ذلك يتحدث الكتاب عن وجود كُتّاب مختصين بكتابة الشروط ، وان الكتب كانت تثْبت لدى القاضي بشهادة الشهود ، وان هناك أشخاصا كانوا يُسمون بـ " العدول " وهم الذين يشهدون عند القضاة ، وآخرين كانوا يُنصبون أوصياء على أموال اليتامى ، وتودع عندهم الودائع . كذلك يتحدث عن وجود ولاة للموصل والبصرة والكرخيني وشهرزور ، وعن وجود " دزدار " لقلعة الموصل ، ومحتسب وناظر لواسط ، ومستوف للبوازيج ، وانه كان للاوقاف نُظّار ، ولدور المضيف متولون ، وللرُبُط شيوخ وعليهم " شيخ الشيوخ " ، وللربط أيضا عمال يتولون النظر في

حاصلها ، وانهم عرضة للمحاسبة . ويشير الى ان الدولة كانت تحاسب من يبقى عليه شيء من أموالها ، وتعزل من يُتَّهم بالرشوة ، وهكذا (مخ ورقة ١٤ ب و ١٧ ب و ٣١ ب و ٥١ أ و ٦٨ أ و ب و ٦٩ ب و ٧٦ ب و ٧٧ أ ، و ٨٨ أ و ب و ٩٢ أ و ٩٧ أ و ب و ١٠٤ أ و ب و ١٠٦ ب و ١١١ ب و ١١٤ ب و ١١٥ أ ، و ١٢١ ب - ١٢٢ ب و ١٢٦ ب و ١٢٨ ب و ١٣١ ب و ١٤٧ ب و ١٤٩ أ و ١٧٠ ب و ١٧٩ أ و ب ، و ١٨٢ أ و ١٨٤ ب و ١٨٧ أ و ١٨٨ ب و ١٨٩ ب و ١٩٤ أ و ١٩٨ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠٣ ب و ٢١٩ ب ، و ٢٢٠ ب و ٢٢١ أ و ٢٢٢ أ و ٢٢٣ أ و ٢٢٧ ب و ٢٣١ أ) .

ويفيدنا الكتاب بأن العلماء كانوا يوفدون رسلا أو سفراء من قِبَل ديوان الخلافة الى بعض الحكام ، أوبين هؤلاء الحكام أنفسهم (مخ ورقة ٨٦ أ و ٨٨ أ و ١١٤ ب و ١١٥ أ و ١٤٧ ب و ١٤٩ أ و ١٧٣ أ و ١٧٧ ب و ١٩٩ أ و ٢٢١ أ) .

وان الولاة كانوا يتوددون الى العامة بواسطة العلماء ، وان الناس كانوا يلتجأون إلى العلماء لحمايتهم من بطش السلطة ، وان الحكام كانوا يتقبلون شفاعات هؤلاء العلماء برحابة صدر (مخ ورقة ٦ب ، ١٢٠ ب و ١٣١ ب و ١٣٨ أو ١٧١ ب) . وفي الكتاب إشارة الى ان حاكما مسلما قد قرر شيئا لنصراني من أهل الذمة (مخ ورقة ٩٥ ب) . وما الى ذلك .

ب/ في " تاريخ إربل " إشارات الى بعض الأمور الاقتصادية ، من ذلك مثلا ، ان الدنانير المصرية كانت تتداول باربل (مخ ورقة ٧٢ أ) ، وان تجارة التمور كانت رائجة ، فترسل السفن محملة بها الى بغداد ، وان البصرة كانت مشهورة بجيد تمورها منذ ذلك الزمن (مخ ورقة ١٩١ ب و ٢٢٠ أ) ، وان المواصلات - رغم صعوبتها - كانت مؤمنة ، بحيث أمكن جلب حمار من مصر الى إربل (مخ ورقة ٩٩ ب) . كذلك هناك إشارات الي وجود بعض الخضر والنباتات التي عرفها أهل ذلك العصر ، كالباذنجان والقثاء والباقلاء والدباء والشعير والماش ، وما أشبه (مخ ورقة ١٩ ب و ٢١ أ و ٢٠٣ ب - ٢٠٤ أ و ٢٢٦ ب) . كما تضمن الكتاب وصفا للعيون المعدنية في القيّارة (مخ ورقة ٥٧ أ) . وفي الكتاب أيضا إشارات الى عدد من المهن التي كانت معروفة في عصر المؤلف ، ومنها

مهنة الشعّار أو المرحّل الذي يعمل آلة الجمال ، والصفّار والخرّاط والحائك والنسّاخ بالأجرة ، والفحّام ، ودلاّل الدور ، وبائع الكتب والصفر واللبن ، وكذلك حرفة الطواف بالازقة لبيع الخرز على النساء ، وما الى ذلك مما يهم دارسي الحياة الاقتصادية (مخ ورقة ٥١ ب و ٦٥ أ و ٧١ ب و ٩١ أ – و٢٠٩ ب و ١٧٧ ب و ١٧٨ أ و ١٨٠ أ و ١٨١ أ و ١٩٧ ب) . وكذلك فيه اشارة الى ان من الصلات التي كان الكبراء ينعمون بها على أهل العلم وغيرهم ، في جهات الموصل تمكينهم من زراعة قطعة من الارض (مخ ورقة ٢٢٦ أ) ، وان قيمة الدينار كانت عالية جداً الى درجة ان صلة مقدارها ديناران في الشهر ، جعلت أحد أئمة الحرم المكي بحال حسن (مخ ورقة ١٧٢ ب) .

ت / والكتاب أيضا حافل بالأخبار التي تلقي الضوء على الحياة الأدبية في عصر المؤلف – وأحيانا في العصور السابقة أيضا – ، فيروى لنا بعض القصص الادبية ، ويصف مجالس الانس ومايدور فيها من غناء وانشاد للقريض . كذلك يروي لنا عدداً من المقطوعات الشعرية التى تضمنت غزلا بالغلمان ، أو أدبا بذيئا . وفيه ذكر عن استعمال " اللغة العجمية " في بعض المجالس الأدبية ، وانه كان للمطربين أمير ، وان الشعر كان يستخدم أحيانا ، في نقد أعمال الموظفين أولكيل الثناء عليهم (مخ ورقة ١١٣ أ و ١١٩ أ وب و ١٢١ ب و ١٣٠ أ و ١٣٦ أ و ١٥٢ أ وب و ١٦٠ ب و ١٦٦ أ وب و ١٦٩ أ و ١٨٢ أ و ١٨٣ ب ، و١٨٤ أ و ١٨٨ أ و ١٩١ ب و ١٩٥ ب – ١٩٦ ب و ١٩٨ ب و ٢٠١ أ و ٢٠٧ أ – ٢٠٨ أ و ٢٠٩ ب و٢١١ ب و ٢١٤ ب و ٢١٥ أ و ٢٢١ ب و ٢٢٧ ب – ٢٢٨ ب) .

ث / وفضلا عن ذلك ، فالكتاب يشير بوضوح الى ان عدداً من المدن الصغيرة التى لاشأن لها في يومنا هذا ، كانت ذات شأن يذكر ، إذ خرج منها علماء أفاضل ، مثل حران وواسط وهيت وتكريت وحديثة والبوازيج وما اليها . وهذا يدل بطبيعة الحال ، على ان النهضة العلمية كانت مشاعا ، وانها لم تكن وقفا على الحواضر الكبرى في العراق ومصر والحجاز والشام والجزيرة ، مثل بغداد ودمشق والقاهرة والموصل ، أو مثل همذان واصفهان ونيسابور ، وكلها اشار اليها مؤلفنا أيضا (مخ ورقة ٣٤ ب و ٣٥ ب و ٣٦ أ و ٣٨ أ و ٤٤ أ و٥٤ ب و ١٠٩ ب و ١٢٠ ب و ١٢٦ ب و ١٦٧ ب و ١٦٩ أ و ٨٨ أ و ١٩٠ ب

و ١٩٢ أ و ١٩٢ ب) . ويؤكد الكتاب استمرار بغداد كمركز أول للنشاط العلمي ، وان الانظار كانت تتجه اليها باستمرار ، ولاسيما الى مدرستها النظامية التى استمرت مركزاً للاشعاع خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وان تجارة الكتب كانت تنبعث من بغداد أيضا ، إذ ، كانت المجهز لمختلف البلدان ، ومنها إربل (مخ ورقة ١٣ أ و ٣٧ ب و ٤٠ ب و ٤١ ب و ٧٣ أ و ١١٣ أ و ب و ١٢٢ ب و ١٤٧ ب و ١٦٢ أ و ١٧٢ ب و ١٧٤ أ و ١٧٧ ب و ١٩٢ أ و ب و ٢٠٩ أ و ٢١٧ أ و ٢٢٩ أ) .

ج / ويفيدنا " تاريخ إربل " ، بان العلماء كانوا على اتصال وثيق ببعضهم بعضا ، وكان بينهم تعاون مثمر ، إذ كانوا يتراسلون حول مايهمهم من المواضيع ، ويتبادلون الرأي من أجل الوصول الى الحقائق . من ذلك مثلا ، ان صاعد بن علي – من شيوخ ابن المستوفي – قد تسلّم قصيدة من نظم عبد الحق بن الدجاجي ، وكان هذا الأخير ممن ورد إربل ، فبادر صاعد الى إرسال القصيدة الى ابن المستوفي الذي كان يؤرخ الواردين الى إربل (مخ ورقة ٥٤ أ و ١٣٨ أ و ١٤٠ ب – ١٤١ أ و ١٥٥ أ و ٢٢٠ أ) . كما انه يفيدنا بأن تداول الكتب كان سريعا بين المتعاصرين ، إذ كانوا – عند الأسفار – ينقلون معهم مصنفاتهم ومجلداتهم ، مما أتاح لزملائهم في البلدان الاخرى فرصة الاطلاع عليها . وخير مثال على هذا الاتجاه ، ماقعله ياقوت الحموي ، إذ مكّن ابن المستوفي من الاطلاع على مصنفه " معجم الأدباء " (مخ ورقة ١٥٧ ب) ، كما ان المؤرخ ابن الدبيثي فعل الشيء نفسه ، وبذلك تمكّن مؤلفنا من رؤية مصنفه " ذيل تاريخ بغداد " ، والنقل منه (مخ ورقة ٥٦ أ و ٩٣ أ) . ثم ان الأخبار كانت تنتقل من بلد لأخر بسرعة أيضا ، رغم صعوبة المواصلات ، فها ان ابن المستوفي يخبرنا بأنه علم في شعبان من سنة ٦١٢ هـ ، بنبأ وفاة الشيخ عبد القادر الرهاوي ، الذي توفي بعيداً بحران في شهر رجب من السنة المذكورة (مخ ورقة ٥٥ أ) . وهو يروى لنا أيضا شعراً من نظم محمد بن إدريس بن مرج الكحل الاندلسي المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م (مخ ورقة ٢١٢ ب) رغم بُعْد الشقة بين إربل والاندلس ، ورغم أن مؤلفنا لم يلق ابن مرج الكحل هذا .

ح / ويشير الكتاب الى بعض العادات والتقاليد التي كانت جارية في عصر المؤلف ، من ذلك مثلا عادة وقف الكتب في المساجد والمشاهد ، وعادة تصدير الرسائل بأبيات من الشـــعر ، ومنح الطالب الذى يدرس الحديث جراية ، وان الحديث كان يملى في الجوامع (مخ ورقة ١٣٥ أ و ١٦٠ أ و ١٨٧ أ و ٢٢٨ ب) ، وان الولد وأباه كانا يسمعان الحديث سوية ، ولا يجدان في ذلك حرجا ، وكانا يسافران معا في طلب العلم . والجدير بالذكر ان ابن الدبيثي (المختصر المحتاج ٢ / ١٣) ذكر بأنه وابنه قد سمعا الحديث علي عبد المنعم بن عبد الوهاب ، ويفيد " تاريخ إربل " أيضا بأن الصبيان كانوا يرحلون لوحدهم أحيانا في طلب العلم . وهناك أمثلة كثيرة على مثل هذه الســماعات المشتركة والاسفار (مخ ورقــة ٥٣ أ و ٥٦ أ و ٥٨ أ و ٩٥ ب و ٩٦ أ و ١٠٠ أ و ١١٠ ب و ١١١ ب و ١٢١ ب و ١٣١ ب و ١٤٨ أ) . ويفيدنا أيضا عن وجود عادة تقضي بأن من يقرأ على شيخ من الشيوخ أن يأخذ عنه شيئا من شعره ، ليذكره فيما أخذه عنه (مخ ورقة ١٩٩ ب ، وقد ذكر الدكتور إحسان عباس بأن الحافظ السِلفي قد فعل مثل هذا ، عندما استجاز الزمخشري – انظر تراجم الاندلسية مستخلصة من معجم السفر ، ص ١٠ – المقدمة) ، وان كتب الدين والأدب والتاريخ وأمثالها ، وكذا الشعر ، كانت كلها تروى بالاجازة شأنها شـأن الحـدث (مخ ورقـة ٧ ب و ١٨٩ ب – ١٩٠ ب و ٢٢٥ أ ، وفي الحـقـيـقـة ان ابن المستوفي قد روى " ديوان أبي تمام " بسند متصل ينتهي عند أبي تمام نفسه وفقا لما ذكره هو في كتابه " النظام " – انظر ص ٣١٧ من هذه الدراسة) .

خ / ويحدثنا " تاريخ إربل " بان الاهتمام بالعلم والأدب ، لم يكن وقفا على فئة معينة من الناس ، بل كان يتساوى فيه أكابر الناس بفقرائهم ، فذكر لنا أسماء عدد من أحفاد خلفاء بني العباس ممن رحل من أجل طلب العلم ، وقد برز منهم غير واحد في الحديث خاصة (مخ ورقة ٧ ب و ٢٦ أ و ٣٣ ب و ٣٤ أ و ٧٥ ب و ٨١ ب و ٩٠ ب و ٩١ أ و ١٠٥ أ و ١٠٦ أ و ١١٥ ب و ١٤٦ أ و ١٥١ ب ، و ١٩٩ أ) ، كما ترجم لعدد غير قليل من الفقراء الذين كانوا من أهل العلم أيضا (مخ ورقة ٣٩ أ و ٥١ ب و ١٣٧ أ و ١٣٩ ب و ١٧٤ أ و ١٨٠ أ و ٢٢٦ ب ، و ٢٢٧ أ و ٢٢٨ أ و ٢٣١ أ) . والكتاب كذلك طافح بذكر أرباب المهن

والحرف الذين أبدوا اهتماما كبيراً بتدارس العلم والأدب ، وبين هؤلاء عدد من الصناع والتجار والنساخين بالأجر والأطباء (مخ ورقة ٤٨ ب و ٥١ ب و ٦١ أ - و٦٥ أ و ٦٧ أ و ٧٠ أ وب و ٧١ ب و ٨٠ أ - ٨١ أ و ٨٢ ب و ٨٣ ب و ٨٤ أ و ٨٥ أ و ٩١ أ و ١٠٤ أ و ١٠٥ أ وب و ١٠٩ ب و ١١٤ ب و ١٢٠ أ و ١٢١ ب و ١٣٤ ب و ١٣٥ أ و ١٤٥ أ و ١٤٧ أ و ١٥٤ أ و ١٥٥ ب و ١٦٩ أ و ١٧٢ ب و ١٧٧ ب و ١٧٨ أ و ١٨٠ أ و ١٨١ أ - و ١٨٢ أ و ١٨٨ ب و ١٨٩ أ و ١٩٧ ب و ٢٠٣ ب و ٢١٠ ب و ٢٢٣ ب و ٢٢٦ ب) . كذلك كان يتساوى في طلب العلم الحر والعبد ، بل وحتى الاماء . ولقد سمعت إحدى الجواري ومولاها الحديث سوية ، وقد قرأ عليها ابن المستوفي (مخ ورقة ١١٣ أ ، انظر أيضا مخ ورقة ٥٤ ب و ٩٠ ب و ١٠٠ أ و ١٤٥ ب و ١٦١ أ و ١٨٧ ب) . كذلك يسجل لنا الكتاب بأن المرأة كان لها شأن كبير في العلم ، إذ كان يقرأ عليها الكبراء ويروون عنها أمور دينهم ودنياهم ، وكان البعض منهن يمتهن الوعظ (مخ ورقة ٢٦ ب و ٢٧ أ و ٢٩ ب و ٦٨ ب و ٧٣ ب و ٧٦ أ و ٧٨ أ و ٨٣ ب و ١٠٥ ب و ١١٢ ب و ١١٣ أ و ١١٧ ب و ١١٨ ب و ١٤٥ أ و ١٦١ أ و ١٦٧ أ و ١٨٥ أ و ١٨٨ ب) ، وحتى ذوي العاهات ، كالعميان وأمثالهم ، لم تكن تمنعهم عاهاتهم من المشاركة في النشاط العلمي ، وتولّي بعض المسؤوليات ، حتى أن أحدهم كان ناظر وقف في الموصل (مخ ورقة ١٧٠ ب ، انظرأيضا مخ ورقة ٢٨ أ و ٩٠ أ و ٩٨ أ و ١٦١ ب و ١٧٦ أ و ٢٠٠ أ و ٢٠٣ أ) .

د/ وفي الكتاب إشارات ، هنا وهناك ، لاتخلو من فائدة ، من ذلك مثلا ان عدم تنقيط الكتابة ظل مألوفا لدى البعض حتى الثلث الاول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) ، وان اللغة الكردية كانت تستعمل أحيانا في منطقة إربل (مخ ورقة ٦٩ ب و ١٠٤ أ و ١٣٧ ب و ٢٢١ ب) . وانه كانت هناك لهجة عامية ، وان بين الوظائف المعروفة في عصر المؤلف وظيفة كل من المدرس والمعيد ، وهما من وظائف التدريس (مخ ورقة ١١٢ ب ، و٢٢٦ ب و ١٤٢ ب و ١٧٣ أو ١٧٤ أ) ، وان بعض الناس كانوا يمتهنون مهنة نقل الاستجازات والاجازات بين مختلف المدن الاسلامية ، فيسافرون مثلا بين بغداد ودمشق والقاهرة والاسكندرية ، ليوصلوا الاستجازات الى أصحابها ويأخذوا منهم الاجازات المطلوب أخذها (مخ ورقة ٢٣١ أ - ب) .

ذ/ كذلك يلقي " تاريخ إربل " بعض الضوء على الحياة الاجتماعية لذلك العصر ، ففيه إشارات الى الازياء التي كانت تلبسها بعض الطوائف كالصوفية والقلندرية والفقهاء (مخ ورقة ١٢٦ أ و ١٥٠ ب و ١٥١ ب و ١٨٧) . كما أنه يتحدث عن بعض العادات التي كانت سائدة في عصره كعادة حفظ شجرة النسب لدى بعض الناس ، كالاشراف وأبناء الخلفاء ، وعادة تبادل التهاني بالأعياد ، وزيارة قبور الصالحين والتبرك بجنازة الزهاد ، وعادة نقل رفات الموتى من أماكن دفنها أحيانا ، إلى أماكن أخرى ، وعادة الوعظ في المقابر ، والتصدق في مجالس الوعظ . ويتحدث أيضا عن عادة اللعب بالطيور ، واعتياد بعض الادباء على الجلوس لدى أصحاب الدكاكين (مخ ورقة ١٣٤ ب و ١٣٥ ب و ١٣٦ أ و ١٧٤ أ و ب و ١٨٠ أ و ١٨٢ أ و ١٩٩ ب) . وعادة طريفة أخرى يسجلها الكتاب ، هي عادة الكتابة على الحيطان ، ولاسيما حيطان المساجد والأماكن العامة (مخ ورقة ٦٥ أ و ٦٦ ب و ٦٧ أ و ١٤٦ أ و ب و ٢٠٤ أ و ٢٣١ أ) ، أقول ولعل هذه العادة ، كانت هي الأصل فيما اتخذه الناس بعدئذ من سجلات للزيارات تحفظ في الأماكن العامة ، ليسجل فيها الزوار أسماءهم . وقد كان لتلك العادة – أي عادة الكتابة على الحيطان – بعض الفائدة ، إذ تضمنت الكتابات معلومات تاريخية مفيدة (مخ ورقة ٦٥ أ و ٦٦ ب و ٦٧ أ و ١٤٦ أ و ب و ٢٠٤ أ و ٢٣١ أ) .

ر/ وعلاوة على ذلك ، ففي الكتاب بعض الأخبار المتعلقة بالتنجيم وبصناعة الكيمياء (أي تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة) ، وما يتصل بها من أمور الشعوذة ، لغرض ابتزاز الأموال وخداع الناس ، بما في ذلك بعض الحكام (مخ ورقة ٧٤ ب – ٧٥ و ١٢٢ أ و ١٥٠ ب) . كذلك فيه إشارات الى وجود عدد من الأمراض التي كانت معروفة أنذاك ، وطريقة علاج بعضها ، ومنها الزكام ، والسكتة والجذام ، وما اليها (مخ ورقة ١٩ ب و ٢١ أ و ٧٤ ب و ٧٧ أ و ٨١ ب و ١١٨ ب و ١٤٤ ب و ١٩٧ ب) .

ز / يلقي " تاريخ إربل " بصيصا من النور على دور الاكراد في الحياة العامة لمنطقة إربل . ولعله أول كتاب من نوعه أشار الى وجود عدد من العلماء الاكراد ، ساهموا بقسط

– ولو قليل – في النشاط الثقافي والحياة العامة في تلك المنطقة ، خلال العصر الذي أرخ له ابن المستوفي (مخ ورقة ٤ أ – ب و ١٢ ب و ٣٦ ب – ٣٧ أ و ٦٩ ب و ٧٧ أ و١٠٤ أ و ١٠٨ ب و ١٣٠ ب و ١٣٣ ب و ١٦٢ أ و١٦٤ أ وب) ، الامر الذي يسهّل على الباحثين معرفة حقيقة الدور الذي لعبه هؤلاء . إلا أنني أود أن أشير الى نقطة أخرى ، هي أن ابن المستوفي لم يهمل الاشارة الى الانتماء القومي أو القبلي أو القطري أو المدني ، للاشخاص الذين يتعرض لذكرهم ، ولاسيما العرب منهم ، وهم الأغلبية الساحقة ، فقد نسبهم إلى قبائلهم أو مدنهم في كثير من الاحيان (مخ ورقة ٦ أ – ب و ٩ أ و ١٢ ب – ١٤ ب و ١٧ ب و ٢٦ أ وب و ٢٧ ب و ٢٩ ب و ٣١ أ و٣٣ ب و ٣٤ ب و ٣٨ أ و ٤٠ ب و ٤٩ أ و ٥٥ أ – ب و ٥٩ ب و ٦٧ أ و ٦٩ أ و ٧٢ أ و ٧٥ ب و ٧٦ أ و ٧٧ أ و ٧٩ ب و ٨٣ ب و ٨٤ أ و ٨٧ أ و٨٨ أ و٩٦ أ و ١٠١ أ و ١٠٢ أ وب و١٠٦ أ و ١٠٧ ب و١٠٨ ب و ١٠٩ ب و ١١١ أ وب و ١١٣ أ و ١١٤ ب و ١١٦ أ وب و ١١٧ ب و ١٢٢ أ و ١٣٧ ب و ١٤٣ أ و ١٤٤ أ و ١٥٢ أ – ١٥٣ أ و ١٥٤ ب و ١٥٥ ب و ١٦٠ ب ، و١٦٦ ب و ١٦٨ ب و ١٦٩ ب و ١٧١ أ و ١٧٢ أ و ١٧٦ أ و ١٨٥ ب و ١٩٢ أ و ١٩٦ أ و ١٩٩ أ و ٢٠٤ ب و ٢١١ أ و ٢١٦ أ و ٢١٧ ب و ٢٢٧ أ – ٢٢٨ أ و ٢٢٩ أ) . في الحقيقة ان المؤلف لم يكن غرضه من ذكر تلك الانتماءات ، على الاطلاق ، التمييز بين القوميات التي كان المجتمع الاسلامي يتألف منها ، وإنما كان يذكر تلك النسبة – أي النسبة الى القومية والقبيلة والمدينة والقطر – لان ذكرها جزءً لايتجزأ من التعريف بالشخص الذي يترجم له أو يتعرض لذكره ، بل صارت النسبة جزءً من اسم الشخص ذي العلاقة ، ولايُعرف إلا بها . وهذا تقليد سار عليه المؤرخون المسلمون في مختلف العصور ، وكان سببا في ظهور كتب " الأنساب " ، ومن أشهرها " أنساب ابن السمعاني " و" اللباب " لابن الاثير ، وقد اختصر به " أنساب ابن السمعاني " ، وذيّل عليه .

س / وفي الكتاب أيضا إشارات الى بعض الامور الدينية ، من ذلك ، مثلا ، انه يروي بعض المعلومات المهمة عن جذور الطائفة العدوية – أتباع الشيخ عدي بن مسافر – وهى الطائفة المسماة الآن بـ " اليزيدية " (انظر عن الموضوع " منتظم ابن الجوزي " ٨

/ ٦٣ و٣٠٥ و٩ / ٤٠٣ و " كامل ابن الاثير " في حوادث السنوات ٤٤٧ و٤٦٩ و٤٧٥ و" تاريخ ابن كثير " ١٢ / ١١٥ و " العراق في العصر السلجوقي " لحسين امين ص ٤٢٧)، وأخبار الخلافات التي كانت قائمة بينهم وبين بعض العلماء في ذلك الحين ، مما قد أدى الى وقوع فتن وصدامات حملت السلطة على التدخل (مخ ورقة ٤٥ أ - ٤٦ ب و١٢٠ ب). وأشار الكتاب الى الخلافات بين الحنابلة والأشاعرة (مخ ٤٥ أ - حاشية و٦٧ ب - ٦٨ أ و١٣١ ب و ١٥٦ أ - ب) ، علاوة على الاشارات المتعلقة ببعض العقائد ذات الصلة بخلق القرآن الكريم وقدمه ، مما كان مصدر خلاف في تلك العصور ، كالقول بالأصوات والحروف والنقط (أنظر كتاب " النقط " للداني ص ١٣٢ - ١٣٨) والشكل والأعشار ، وصدور الفتاوى بتكفير القائلين بقدم الأصوات والحروف والنقط وما الى ذلك (مخ ورقة ٤٥ أ و٤٧ ب - ٤٨ ب و ٦٧ ب - ٦٨ أ و ١٢٤ أ و ١٧٠ ب) . كما ان هناك إشارة إلى رأي قال به البعض ، وهو ضلال من لايترحم على معاوية ابن أبي سفيان ، وبتكفير من يقول بتفضيل الأمام علي - رض - على الأنبياء - ع - (مخ ورقة ١٣١ أ) . وكذلك يتحدث الكتاب عن بعض الشؤون الصوفية ، كانشادهم الأناشيد وضربهم على الدفوف واتخاذهم أزياء خاصة ، ويشير الى طريقتهم في تربية المنضمين الى زمرتهم ، والى خدمة الزهاد (مخ ورقة ١٢٦ أ و ب و ١٥٠ ب و ١٧٢ أ و ب و ١٨٧ ب) . وفيه أيضا بعض القصص عن تخلّي بعض الأغنياء عن أملاكهم ومماليكهم ، وانقطاعهم الى الزهد وخدمة الشيوخ ، كما يشير الى تصدق بعض أثرياء المسلمين بأموال طائلة لوجه الله تعالى (مخ ورقة ١٧١ ب - ١٧٢ ب و ١٨٠ أ) .

ش / أما بالنسبة لغير المسلمين ، فان في الكتاب إشارات طريفة تلقي بعض الضوء على علاقات النصارى بالمسلمين في ذلك العصر . من ذلك مثلا ، انه يسجل لنا بأن حاكم إربل في سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ، قد قرر شيئا لشخص نصراني من مدينة إربل، وأثبت الاقرار من قبل القاضي ، وان نصارى قرية باصيدا التابعة لاربل ، قد حاولوا رشوة الحاكم في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ، لكي لا يبنى الجامع قريبا من

كنيستهم ، وان فقيها مسلما أسره الروم ، ثم أطلقوه ، وكان يثني عليهم في شعره ، بينما أُسر أحد الصوفية - وهو إربلي - من قبل الصليبيين في القدس ، وكانوا يعذبونه لاجل النّيل من عقيدته ، فلم يفلحوا ، وان أحد كبار المحدثين الحنابلة ، كان أبوه افرنجيا ، وان أمه نصرانية وقد ظلت على دينها (مخ ورقة ٥٤ ب و ٥٥ أ و ٩٥ ب و ١٠٤ ب و ٢٠٤ ب و٢١٨ ب) .

ص / وينفرد " تاريخ إربل " برواية قصة بناء الحجرة النبوية المطهرة بمسجد المدينة المنورة ، في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . فقد روى ضمن ترجمة شخص يدعى " الشيخ حسين الكيلي " ، الذي زار المسجد ولم تعجبه حالة الحجرة الشريفة ، فعمل على استحصال الاموال اللازمة من الخليفة المسترشد ، أو من بعض ملوك السلاجقة - على اختلاف الروايات - ، فبناها بالشكل الذي يليق بها ، بكلفة ٥٠ ألف دينار أومائة ألف - على اختلاف الروايات - (مخ ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤) . وأهمية هذه القصة أنها فريدة في بابها .فلقد راجعتُ الكتب التي أرخّت لخلافة المسترشد ، وقد حكم بين سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م وسنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ، وكذلك الكتب التى تناولت تاريخ المدينة والمسجد النبوي ، فلم أجد فيها أي خبر ذي علاقة بالقصة المذكورة (أنظر أتابكية ابن الاثير ص ٨٥ - ٩٣ والكامل له ١٠ / ١٨٩ و٢١١ ومرآة السبط ٨ / ٧٠ - ١٥٦ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ١٨٢ - ٢٠٨ وإشارات الهروي ص ٩٠ وكتاب السمهودي ص ١٤٣ وما بعدها ، وقد ذكر الأخير ص ١٤٦ - ١٤٨ ، إجراء بعض الترميمات في الحجرة النبوية في السنوات ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م و ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م و٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ، وان الجمال الاصفهاني وزير صاحب الموصل ، قد عمل للحجرة مشبكا من الصندل والابنوس ، وأداره عليها . إلا أنه لم يشر الى شيء له علاقة بقصتنا . ولم يذكر هذه القصة البتنوني في رحلته ص ٢١٢ ولاسوفاجيه Sauveget ولا ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار ١ / ١٢٣ ، أو القلقشندي في صبحه ٤ / ٢٨٨ ، مع ان الاخير تناول عماره المسجد النبوي والحجرة ، لكنه لم يتعرض لقصة الشيخ الكيلي ، وذكر اليافعي في مرآته ٤ / ١٣٤ حريق المسجد النبوي الشريف في سنة ٦٥٤ هـ /

١٢٥٦ م والتعميرات التي أمر باجرائها الخليفة المستعصم ، ومنها تسقيف الحجرة وماحولها ، ولكن هذا تمّ بعد وفاة مؤلفنا ، ولذلك فلا علاقة له بالموضوع الذي نحن بصدده) .

ض / وأخيراً ، فان كتابنا يلقي بعض الأضواء على خطط إربل ، إذ هو يساعدنا في التعرف على هذه المدينة بأسوارها وأبوابها وأسواقها ومساجدها وربطها ومدارسها ومقابرها وقيسارياتها ومستشفاها ، وبقلعتها وربضها وقراها وملحقاتها ، ومدى مابلغته المدينة من اتساع وتقدم في العمران . والاشارات الى هذه الاماكن مثبوته في ثنايا الكتاب (أنظر مثلا مخ ورقة ١ ب وه أ و٦ ب و٩ أ و ٤٤ أ و ٤٥ ب و٤٩ أ و ٦٩ ب و ٧٥ ب و ٨١ أ و ٨٣ ب و ٨٤ أ و ٩٩ ب و ١٠٣ ب و ١٠٤ أ و ١٠٩ ب و ١١٣ أ وب و ١١٥ أ و ١١٦ ب و ١٢٦ أ و ١٣٧ ب و ١٦٢ أ و١٧١ ب و١٧٢ ب و ١٧٥ أو ١٧٦ أ و ١٧٨ أ و٢٠٤ أ) .

٦- الكتاب دليل ساطع على وحدة العالم الاسلامي :

إن دارسي التاريخ واقفون ، ولاشك ، على أن العالم الاسلامي قد أصابه الضعف والانحلال في القرنين الاخيرين من حياة الدولة العباسية ، التي تحولت الى دول ودويلات وامارات متعددة متنازعة فيما بينها ، تغطي رقعة هذه الدولة ، في مختلف أنحائها القريبة من مركز الخلافة والبعيدة عنها على السواء ، فقد تمزقت وحدة الامة ، واضطرب حبل الأمن ، ووقعت حروب داخلية طاحنة بين حكام تلك الدويلات ، طمعا فيما تحت أيدي بعضهم البعض . وزاد من الطين بلة الخطر الخارجي الداهم ، الذى تمثّل في الغزو الصليبي القادم من الغرب ، والغزو المغولي الآتي من الشرق ، علاوة على غزوات الاسبان لاقاليم الاندلس وبعض نواحي المغرب العربي . والحق ان القارئ لتاريخ هذه الفترة ليصاب بالالم والحسرة ، ويأخذه الحزن واليأس ، إلا أنه واجد ما قد يخفف عنه آلامه ، يعزّيه عن تلك المصائب ، إذا ما تذكر النهضة الثقافية الكبرى التي حمل لواءها رجال الدين وأهل العلم والادب من أبناء ذلك العصر ، فكانت حصيلتها إنتاجاً ضخما في مختلف أبواب المعرفة ، من علوم الشريعة والتصوف والادب ، والفلسفة والطب

والرياضيات وغيرها . إذ شهد العالم الاسلامي آنذاك ظهور عدد من الشخصيات الفذة ، من أمثال الامام أبي حامد الغزالي ، والشيخ عبد القادر الجيلي (الكيلاني) ، وأبي القاسم القشيري وإمام الحرمين ، وأبي إسحق الشرازي ، والزمخشري ، وابن عساكر ، وابن السمعاني والعماد الكاتب ، وياقوت الحموي ، وابن المستوفي وأبناء الأثير ، وغيرهم ممن يعدون بالمئات . فقد أضاء هؤلاء الطريق أمام الأمة بما صنفوه من كتب وموسوعات زخرت بها المكتبات ولا يزال الكثير منها شاهد حق على عظمتهم - على الرغم من ضياع عدد كبير منها بسبب الحروب والآفات الطبيعية ، علاوة على جهل الأجيال التالية وإهمالها - وبذلك عوضوا للامة عما خسرته في ميادين السياسة والحرب ، ومنحوها بديلا من فُرقتها ، وحدةً قائمة على الفكر والعلم والعرفان ، وحملوا لواء التبشير بهذه الوحدة الروحية بأنفسهم فكانوا في رحلة دائمة ، وتنقل مستمر بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه بروح لاتعرف الكلل ، وبهمة لاتعرف الملل . وكانوا أينما حلّوا ، شموسا مشرقة تبدد دياجير الظلام ، وتنير السبيل أمام المؤمنين ، فكانوا يلقون دروسهم ومواعظهم وتوجيهاتهم في المساجد والربط ، وفي المدارس ودور الحديث ، ويعقدون مجالس المحاضرة والمناظرة في كل مكان يحلّون فيه ، وكانوا يجدون الاحترام والتكريم من أهل البلاد ، حكاما ومواطنين على السواء ، ولم يعرف الشعور بالغُربة الى قلوبهم سبيلا ، فالأهل أهلهم ، والأوطان ، كل الأوطان أوطانهم .

هذه حقيقة واضحة معروفة ، لامراء فيها ، ولاسبيل إلى إنكارها ، وان " تاريخ إربل" لدليل ساطع على وجودها وقوة رسوخها في النفوس ، فهو برهان قاطع على وحدة العالم الاسلامي - آنذاك - ثقافيا وروحيا وفكاريا ، رغم تمزقه السياسي ، وصعوبة التنقل والمواصلات من الناحية المادية . لاحظ جرديناو فى كتابه " حضارة الاسلام " ان الوحدة التى تجمع المسلمين بسبب الرابطة الاسلامية واللغة العربية ، كانت دائما قائمة رغم تفرق المسلمين سياسيا (أنظر الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩) . كما أن الجغرافيين المسلمين أدركوا حقيقة هذه الوحدة فسموا العالم الاسلامي " مملكة الاسلام " ، وبهذا الاسم سماه المقدسى ، رغم أنه صنف كتابه فى عصر تفرق

فيه المسلمون في عدة دول (أحسن التقاسيم ، ص ٩ و ٦٢) . فتاريخ إربل ماهو الا قصة العلماء الذين كانوا يضربون في مناكب الارض من أدناها الى أقصاها ، ولا هدف لهم إلا التعارف مع أخوان لهم في العقيدة ، ولاغرض لهم سوى طلب العلم والاستزادة منه ، والنهل من ينابيعه الصافية ، ثم إشاعة روح الود والاخاء بين المواطنين : ولقد كان لاربل - على الرغم من صغرها وقلة شأنها - نصيب وافر من تلك الرحلات التى أخذت تزداد وتتسع بمرور الأيام ، مما حمل ابن المستوفي على تصنيف كتابه ، لكي يؤرخ الواردين الى إربل . وقد يكون من المفيد أن أقتبس هنا بعض الأمثلة على تلك الرحلات التي كانت لها أهمية عظمى في تبادل الافكار ، وتداول الآراء ، واستقاء المعلومات من منابعها الأصلية ، الأمر الذي أدى بدوره الى إشاعة العلم وانتشار المعرفة ، وتبادل التجارب والخبرات بين المواطنين في كل مكان من العالم الاسلامي الواسع الكبير . ومن تلك الامثلة نجتزئ مايأتي :

أ / يحدثنا ابن المستوفي عن أرابلة رحلوا الى مختلف انحاء العالم الاسلامي ، فهناك مثلا رجل منهم رحل الى مكة المكرمة ، حيث أصبح إماما للحرم ومدرسا وقاضيا فيه ، ولما عاد الى إربل ، ابتنى فيها داراً على هيئة دور مكة ، وآخر أقام بمكة حتى توفي بها بعد أن أصبح شيخا للصوفية هناك ، وشخص ثالث زار خراسان وغيرها من الاقاليم المجاورة ، ثم عاد الى إربل حيث تولى منصبا قضائيا . وهناك فقيه إربلي هاجر الى الشام وقُتل في معركة حارم التي خاضها زنكي ضد الصليبيين ، وإربلي آخر نزل دمشق واتخذها مقاما له ، بينما أقام إربلي سادس في البصرة وبها توفي (مخ ورقة ٨٤ ب و ١٢٧ ب - ١٢٨ ب و ١٣١ ب - ١٣٢ أ و ١٥٥ ب و ١٧٢ ب و ١٧٨ أ) .

ب / كثير من المحدثين والأدباء رحلوا من بغداد الى أنحاء أخرى ، ومنها إربل ودمشق وخراسان وخوارزم واصبهان وغيرها . كما كان آخرون يرحلون مثلا من مصر الى بغداد وواسط وإربل . فلدينا مثلا رجل من أهل واسط رحل الى بغداد وإربل والشام، لسماع الحديث . وهذا ابن عساكر الدمشقي ، قدم الى إربل ومعه ابنه ، ثم توجها الى خراسان لسماع الحديث أيضا . أما ياقوت الحموي - وهو رومي الأصل ،

حموي الولاء – نشأ ببغداد ، وسافر في طول العالم الاسلامي وعرضه ، وزار خراسان وإربل ، ثم توفى بحلب ، لكنه وقف كتبه على مشهد ببغداد (مخ ورقة ٧٠ أ و٧١ أ و ٧٢ أ و ٧٤ ب و ١٠٠ ب و ١١١ ب ، و١١٥ أ و١١٨ أ و ١٢٢ أ و ١٣٥ ب و ١٤٣ أ و ١٤٦ ب و ١٤٧ ب و ١٥٢ ب و ١٥٧ أ و ١٦١ ب و ١٦٧ أ و ١٨١ أ و ١٩٢ أ و ١٩٥ أ و ٢٠٤ ب و ٢٠٩ أ و ٢١٧ ب و ٢٢٣ ب و ٢٣٠ ب) .

ت / وهناك رجل من أهل اذربيجان ، طلب العلم ببغداد ، ثم عاد الى بلده ، نخجوان فتولّى التدريس بها ، وعُيّن بعد ذلك قاضيا في تبريز . ثم أُوفد رسولا الى إربل . وآخر من أهل اصفهان ، زار بغداد ونظم قصيدة في مدح الخليفة بها ، ثم توجه إلى زيارة إربل . وشخص ثالث من أهل البحرين ، هاجر الى إربل فأقام بها ، وفيها توفي (مخ ورقة ٢٦ ب و ١٤٧ ب و ١٧٥ أ – و٢١٧ ب) .

ث / وقد رحل رجل من أهل غزة إلى الاسكندرية ، فولّي قضاءها ، ثم زار إربل وبها مات . وهناك مواطن إسكندري نزل الموصل فأقام بها . وورد إربل محدث من أهل دمياط ، فأجاز بها لجماعة. وفرّ قاض مصري ، خوفا على نفسه من أحد وزراء مصر ، فلجأ الى حلب ، ومنها الى إربل . وقدم الى إربل رجل من أهل حران ، ثم تولى قضاء شهرزور . وقام أحد أمراء ميافارقين باكمال بناء جامع كفر عزة ، إحدى المدن التابعة لاربل (مخ ورقة ٢٨ أ و ٧٣ أ و١٠٣ أ و ١١٦ أ و ١٤٣ أ و ١٥٢ أ و ١٨٤ ب و ١٩٨ ب و ١٩٩ أ) .

ج / وهناك المغاربة أيضا ، فهذا رجل منهم وُلد بمدينة سوسة ونشأ بتونس ، ثم سكن بغداد ورحل الى الموصل فاقام بها حتى وفاته . وشيخ من أهل القيروان ، زار بغداد وفيها سمع كتاب " الشهاب " . وشخص ثالث من أهل طنجة ، ورد الى إربل ، وكان من الزهاد . كذلك ورد الى إربل مغربي آخر من قبيلة صنهاجة (مخ ورقة ٢٧ ب و ٧٣ أ و ١٠٤ ب و ١١٩ أ و ١٣٦ أ و ١٥٢ ب و١٥٣ أ و ٢٠٤ أ و ٢١٦ أ و ٢٢٩ ب) .

ح / ومن صقلية قدم ابن رواحة ، فنزل أولا في الاسكندرية ، وبها سمع من الحافظ السِلفي ، ثم توجه الى إربل بعد أن مر بالشام ، وحصل على إجازة من الحافظ بن عساكر (مخ ورقة ١٩٦ أ) .

خ / وقدم كثيرون من الاندلس ، وكان بعضهم يقيم مجالس الواعظ باربل ، فيحظى بالقبول لدى العامة . ومن هؤلاء ، محدث أندلسي زار نيسابور وخوارزم ودمشق ، ثم توفي بالبصرة . وآخر من أهل جيان ، ورد الى الموصل وحدث بها . وشخص ثالث من أهل غرناطة ، زار بغداد ، وبها أجاز لابن الدبيثي ، كما زار فارس وكرمان والهند وسمرقند ، ثم قُتل في هراة . ومحدث أندلسي رابع ، ورد الى بغداد للسماع ، ثم زار إربل . كذلك هناك طالب حديث من أهل اشبيلية ، زار بلاد العجم وورد الى إربل . وورد الى إربل أيضا شاعر من أهل قرطبة ، فروى فيها بعض شعره . وأخيراً قدم الى إربل أحد فضلاء الاندلس ، وهو من أهل جزيرة " ميورقة " ، وقد جاء مستغيثا بالملك كوكبوري ، ليساعد في فكاك الأسرى من أهل بلاده ، بدفع الفدية عنهم ، وقد فعل (مخ ورقة ٣١ أ و١٦١ أ و ١٧٧ أ و ٢١١ ب و ٢١٥ أ - ب و٢٢٩ أ) .

هذا قليل من كثير ، من الشواهد على قيام الوحدة الروحية والفكرية والثقافية بين أقطار العالم الاسلامي ، بل ويمكن القول ، انها شواهد على الوحدة الجغرافية التي كانت تجمع أطراف العالم الاسلامي ، إذ جعلها هؤلاء الرحالون وحدة جغرافية متماسكة الأجزاء ، على الرغم من سعة رقعتها ، وكانت بالتالي عاملا مهما في تيسير تبادل الافكار ، وانتقال المعارف ، وانتشار الكتب بين مختلف الانحاء ، بسرعة عجيبة ، رغم جميع العقبات المادية والصعاب .

الفصل الخامس
الخاتمة

قال المرحوم عباس العزاوي في كتابه " التعريف بالمؤرخين " (ص ١٥) : " أن أواخر القرن السادس الهجري ، وأوائل السابع – كسائر العصور السابقة – قد طفح بالعلماء ، وفاض بالعلوم الاسلامية في بغداد ، وفي العراق . وتوسع في الاقطار العربية والاسلامية ، مثل الشام ومصر وإيران . بل لاتخلو بلدة صغيرة أو كبيرة من علماء ، وكأن الممالك الاسلامية انقلبت الى دور معرفة ، فاهتمت الاهتمام كله في الثقافة ، وبذلت مافي الوسع لتمكينها .. بحيث صار تُشد إليها الرحال .. " .

والحق ، ان هذه الفترة ، رغم اتصافها بالاضطراب السياسي ، والتدهور العسكري ، وتمزق الدولة الاسلامية ، إذ كان الملوك والأمراء فيها يتقاتلون ويسفكون الدماء ، ويدكون المدن والقرى ، نقول رغم ذلك كله ، فان العلماء لم يتأثروا بتلك الأوضاع المحزنة ، إذ واصلوا رحلاتهم في سبيل العلم ، من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، وبالعكس ، وهكذا ، وفقا لما بيّناه في الفصل السابق . وقد أدى ذلك ، بطبيعة الحال ، الى ظهور طبقة كبيرة كثيرة العطاء ، من أهل الدين والأدب والتاريخ ، ترك لنا أعضاؤها مؤلفات ضخمة تشهد على طول باعهم في التصنيف ، وعمق ثقافتهم ومعرفتهم بالمواضيع التى تصدوا لدراستها . فقد عرفت هذه الفترة ابن عساكر ، وابن الجوزي ، وابن السمعاني ، والعماد الاصفهاني والحافظ السلفي ، وابن الدبيثي ، وياقوت الحموي ، وابن أبي الحديد ، وأبناء الاثير الثلاثة ، وابن القطيعي ، وابن خلكان وابن الساعي ، وابن النجار، وابن دحية ، وابن نقطة ، وابن الفارض والقفطي ، وابن مماتي ، وعبد اللطيف البغدادي، وابن أبي الدم الحموي ، والمنشيء النسوي ، وسبط ابن الجوزي ، وابن الشعار ، وأبا شامة وابن شداد ، وغيرهم كثير ، ممن لو استقصينا ذكرهم ، لاحتجنا الى صفحات عديدة . وقد كان ابن المستوفي واحداً من هؤلاء .

كذلك تميّز هذا العصر بظهور عدد غير قليل من المجموعات الموسوعية والمعاجم ، أمثال " معجم السفر " للسلفي ، و" تاريخ دمشق " ، لابن عساكر و" المنتظم " لابن

الجوزي و" الكامل " لابن الاثير و " الأنساب " لابن السمعاني ، و" ذيل تاريخ بغداد " لابن الدُبيثي ، و" معجم الأدباء " و"معجم البلدان " لياقوت الحموي ، و" الجامع المختصر " لابن الساعي و" مرآة الزمان " لسبط ابن الجوزي ، و " ذيل تاريخ بغداد " لابن النجار ، و" عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " لابن الشعار ، و" خريدة القصر " للعماد الاصبهاني ، و" كتاب الروضتين " وذيله لأبي شامة ، و" وفيات الاعيان " لابن خلكان ، وأمثالها . وقد تناولت هذه الكتب حياة الشخصيات التى ساهمت في بناء الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، خلال القرن السادس الهجرى وشطر من القرن السابع ، بالدرجة الأولى . وهنا يمكننا أن نضيف - بطبيعة الحال - " تاريخ إربل " لابن المستوفي ، فانه واحد من هذه المعاجم الموسوعية .

ان الفترة التي تناولها ابن المستوفي في تاريخه ، تقرب من قرنين من الزمان ، إذ ترجم لاشخاص كانوا أحياء في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ، وآخرين وردوا الى إربل في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م . وبمطالعة هذا الكتاب يمكننا الوقوف على حياة عدد كبير من أهل الفضل والأدب ، ولاسيما الزهاد والمحدثين والشعراء منهم ، بالنظر لولع المؤلف الخاص بالحديث وبالشعر . وأكثر هؤلاء كانوا من معاصريه الذين يندر العثور على تراجمهم في الكتب الأخرى ، ومن بينهم بعض النساء اللواتي ، يصعب الوقوف علي سيرهن في غير هذا الكتاب . كما ان الكتاب يساعدنا في التعرف على وجود حركة أدبية علمية واسعة ، ازدهرت لا في العراق فحسب ، بل وفي مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، لاسيما في القرن السادس الهجري ، وبعض القرن السابع (أي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) . وقد اتصلت شعلة هذه الحركة بالنهضة العلمية العظيمة التى شهدها العراق وبلاد الخلافة العباسية ، في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وكانت مراكز إشعاعها بغداد بالدرجة الأولى ، وبعض المدن العراقية الاخرى ، مثل واسط والكوفة والبصرة . أما في القرنين الأخيرين ، أي السادس والسابع ، فان هذه الحركة المباركة قد شملت تقريبا كل مدن العراق الصغيرة منها والكبيرة على السواء ، وخير دليل على ذلك نسبة العلماء الى مدنهم وقراهم ، التى

بدأوا تعليمهم فيها قبل نزوحهم الى المراكز الكبرى . ومن هذه المدن البوازيج وكفر عزة وتكريت وحديثة وهيت وبلد وعكبرا ، فضلا عن الموصل وشهرزور وسنجار التى كانت تتمتع بمراكز أكبر شأنا منها . أما إربل فلم تكن إلا واحدة من تلك المدن الصغرى التي لم يعرها المؤرخون أية أهمية قبل انتصاف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادى) ، كما رأينا في القسم الاول من هذه الدراسة .

ومما هو بالذكر جدير ، ان الحركة الثقافية التي أرخ بعض وجوهها ابن المستوفي ، لم تكن حكراً على من احترف العلم والأدب وحدهم ، بل لقد شارك فيها الخلفاء والأمراء والوزراء وأعيان البلاد ، ولم تمنعهم مشاغلهم السياسية والادارية ، على كثرتها ، من الادلاء بدلوهم بين الدلاء ، بل أن ابن المستوفي نفسه يصلح أن يكون أحسن ممثل على مدى مشاركة أهل السلطة والجاه في تلك الحركة الفكرية المباركة . كذلك يجدر بنا أن نشير الى ان ذلك النشاط لم يكن مقصوراً على الرجال دون النساء ، إذ كان للمرأة المسلمة والعربية بالذات ، دور كدور الرجل ، لاينقص عنه بشيء ، اللهم إلا أن عدد النساء كان أقل من عدد الرجال في هذا المضمار ، وهذه ظاهرة طبيعية لازالت قائمة حتى يومنا هذا في جميع أنحاء العالم ، إذ لم تزل مشاركة النساء في الحياة العامة ، وفي مجالات البحث والتأليف ، أقل من مشاركة الرجل لاسباب ليس هنا موضع بحثها .

هذا ومن المعالم البارزة التى يسجلها " تاريخ إربل " ، ان النشاط العلمي كان آنذاك شاملا لمختلف أنحاء العالم الاسلامي ، من أواسط آسيا الى الأندلس . ولعل أسطع دليل على ذلك ، هو ان الواردين الى إربل كانوا من تلك البقاع جميعها ، وكانوا كلهم يتكلمون اللغة العربية المجيدة التي كان يجري التفاهم بها بين هؤلاء وبين أهل البلاد التي يحلّون فيها ، بل كانوا ينظمون الشعر بها ، وبها يصنفون مؤلفاتهم ، كما ان أهل إربل كانوا يفهمونها ، ويفهمون حتى تلك اللغة العربية – بلهجتها الأندلسية – التي وعظهم بها واعظ من أهل غرناطة ، الى درجة انهم منحوه من لدنهم القبول التام ، والتمسوا ملكهم كوكبوري أن يستبقيه في إربل عندما أزمع على الرحيل (مخ ورقة ١٦١ أ) .

والظاهرة الاخرى ، التي تستوقف النظر هي ان اللغة العربية ، وإن كانت هي اللغة

الوحيدة التي عبّر بها أولئك الأفاضل عن أفكارهم وخلجات نفوسهم ،فألفوا بها ودرّسوا بها ، كما نظموا بها الشعر ، وألقوا بها المواعظ ، فان هؤلاء لم يكونوا كلهم من العرب في الأصل والنجار ، بل كان بينهم عدد غير قليل من العلماء والأدباء المنحدرين من أصول أخرى ، ولاسيما الاكراد سكان المناطق المجاورة لاربل . أما إربل نفسها ، فلم تكن كردية في عصر ابن المستوفي ، إذ كان أهلها – كما بينتُ آنفا – يتكلمون العربية ويستمعون الى المواعظ بها ، وقد قال عنهم ياقوت الحموي – وقد زار إربل في زمن ابن المستوفي ، ولقيه – بأنهم استعربوا . وفضلا عن ذلك ، فان كثيرين من العرب المنسوبين الى قبائل معروفة ، كانوا قد استوطنوها وأصبحوا من أهلها البارزين فيها ، مثل عائلة ابن المستوفي اللخمية ، وعائلة الخزرجي التي منها الوزير على بن شماس وأخوه الأديب الشاعر عمر ، وعائلة الخزاعي التي منها المبارك بن طاهر ، أحد شيوخ ابن المستوفي .

وليس غريباً أن تستقطب إربل هذا العدد الضخم من أهل العلم والادب ، فلم تكن بعيدة عن بغداد مركز الخلافة ، ومصدر النور والاشعاع ، ومنبع العلم والأدب ، ومهوى أفئدة المسلمين ، والعلماء منهم خاصة . ولا شك ان حكام إربل قد تأثروا الى حد كبير بما كان يجرى في بغداد والموصل ، وأرادوا لمدينتهم الخاملة بعض الذكر والنباهة . فحذوا حذو حكام الحواضر الكبرى ، فشجعوا أهل العلم ، وأقاموا المدارس ودور الحديث وأنشأوا المساجد والربط ، ودعوا العلماء والمحدثين والأدباء ، وبالغوا في إكرامهم ، ولا سيما عندما تولى ابن المستوفي – المؤرخ العالم والأديب – مراكز عالية فيها تُوِّج بمنصب الوزارة ، وخير ما نستشهد به في هذا المقام اقتراحه على الملك كوكبوري دعوة المحدثين الكبيرين ابن طبرزد وحنبل ، ومن بغداد ليحدثا في دار الحديث المظفرية باربل . ويبدو ان إربل حظيت في هذه الفترة بسمعة كبيرة وصيت واسع ، مما حمل العديد من العلماء والأدباء أن يهرعوا إليها من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، بل جاء بعضهم ، كما أسلفنا ، من أواسط آسيا وبلاد الاندلس ، لينعموا بمكارم حكامها ، وليفوزوا بصلاتهم السخية .

ومن حسن الحظ ، ان ابن المستوفي قد سجل بعض مظاهر الحياة الثقافية باربل ،

وان الجزء الـذي بين أيدينا من " تاريخ إربل " يلقي ضوءً ساطعا على تلك المظاهر ، و" تاريخ إربل " هذا يختلف عن كتاب الوفيات ، كوفيات ابن خلكان وتكملة المنذري ، كما يختلف عن كتب الطبقات ، كتذكرة الحفاظ للذهبي أو طبقات الشافعية للسبكي أو طبقات الحنفية للقرشي أو طبقات الحنابلة لابن رجب . لان المهم في تلك الكتب هو معرفة تاريخ الولادة والوفاة للأشخاص المترجم لهم ، ليتم التحقق – بالدرجة الأولى – من معاصرة رجال السند في الفئة الاولى ، وبين الشيوخ وتلامذتهم في الفئة الثانية من هذه الكتب ، لبعضهم البعض . كما انه يختلف عن كتب التاريخ العامة التي تؤرخ لحقبة من الزمان ، وفقا لتعاقب السنين وهي " الحوليات " ، فيذكر المؤرخ حوادث كل سنة ، ثم يتبعها بذكر الاشخاص الذين توفوا في تلك السنة ، ومن هذه الفئة " المنتظم "لابن الجوزي ، و" الكامل " لابن الأثير ، و" العبر " للذهبي و" الشذرات " لابن العماد . اما ابن المستوفي ، فقد كان همّه ذِكْر الأرابلة ومن ورد إربل من الغرباء ، الأماثل منهم خاصة . وقد حشد جميع المعلومات المتوفرة لدية عنهم ، سواءً أكانت منقولة عنهم شخصيا ، أو عمن روى عنهم أو عاصرهم وكانت له صلة بهم من تلمذة أو مزامل أو قربى، أو ان المؤلف وجد تلك المعلومات مكتوبة في الكتب – في صلب متونها ، أو تعليقات مدونة في حواشيها كملاحظات القراء ، أو الاجازات التي تُوشّح بها ذيول تلك الكتب – أو كانت مجرد خطوط كتبها أصحابها كمذكرات لانفسهم ، أو خطوطا مكتوبة على الجدران ، أو نقل تلك المعلومات من بعض الوثائق كالاشهادات والرسائل أو الاجازات المحررة وفقا للتقاليد الجارية في ذلك العصر .

ولذلك فان " تاريخ إ ربل " قد حوى معلومات ضخمة ، تناولت مختلف المعارف المعروفة آنذاك ، من قرآن وحديث ، وتاريخ وأدب ، ولغة وشعر . وكان بعض الحديث الذي أثبته ابن المستوفي ، فريداً في نصه وسنده ، وليس له ذِكْر في كتب الحديث المتداولة ، ولاشك ان كتابنا هذا يهم أهل الحديث ، إذ ورد فيه ٧٤ حديثا ، وقد اعتنى المؤلف عناية خاصة بسلاسل السند ، بل حرص على رواية بعض تلك الأحاديث من أكثر من طريق . والكتاب أيضا غني بالشعر ، فقد شحنه مؤلفه بالعديد من القصائد والمقطوعات حتى

شارفت على ٢٥٠٠ بيت ، في حين اننا لانجد في كتب التراجم عادة ، مثل هذا المقدار الكبير منه . ولاغرابة في ذلك فان ابن المستوفي نفسه كان أديبا شاعراً ، وله ولع خاص بالشعر وروايته ، حتى انه نسخ بخطه " ديوان شعر القطامي " ولمّا يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، كما نسخ بيده " شرح ديوان أبي تمام " للآمدي وهو بعد في سن الشباب ، ثم انه قرأ " ديوان أبي تمام " بكامله على أحد شيوخه بسند متصل ينتهي عند أبي تمام نفسه ، وعلاوة على ذلك ، فانه صنف " النظام " في شرح شعر المتنبي وأبي تمام . والجدير بالذكر ان المؤلف قد روى في " تاريخ إربل " ، شعراً قد لانجده حتى في دواوين الشعراء ذوي العلاقة ، أوفي المظان المختصة بأمور الشعراء ، على الرغم من كونه ليس معجما للشعراء ، أو كتابا من كتب الأدب .

كذلك يحوي " تاريخ اربل " معلومات كثيرة أخرى عن أصحاب التراجم ، من ولادة ووفاة ، ودراسة ورواية ، وسفر وولاية أعمال ، وما الى ذلك مما قد لانجده في الكتب الاخرى ، ولاسيما بالنسبة للأرابلة أولبعضهم على الأقل ، ممن لم تتعرض الكتب لذكرهم . ثم ان الكتاب – كما أسلفنا – ليس من كتب الطبقات التي تختص بأهل علم معين ، أو بأصحاب مذهب محدد ، فقد جمع بين تراجم الشوافع والحنابلة والحنفية ، كما جمع بين تراجم المحدثين والفقهاء والعدول والزهاد ، على السواء . وفوق ذلك فانه حوى – أحيانا – ما لانجده عن هؤلاء حتى في كتب طبقاتهم .

والحق ، فان ابن المستوفي ، علاوة على ترجمته أشخاصا لم أجد لهم ذكراً في أي مرجع تيسر لي الاطلاع عليه ، فانه ذكر على – سبيل الاستطراد – عدداً كبيراً من الأشخاص من أهل العلم والأدب ، ممن لاذِكْر لهم في المراجع المتيسرة أيضا . كذلك يتضمن " تاريخ إربل " ذِكْراً لعدد غير قليل من الكتب المفقودة ، وقد نقل عنها المؤلف ، في بعض الاحيان ، مقتبسات مفيدة . وبذلك حفظ لنا هذا الكتاب معلومات غير قليلة ، كانت معرضة للضياع ، لو لم يبادر ابن المستوفي الى تدوينها .

وغني عن القول ، بأن المعلومات التي يحتويها " تاريخ إربل " لها أهمية كبيرة في تكوين المادة التاريخية المتعلقة بالعصر الذي تناوله ابن المستوفي ، سواءً أكان ذلك في

المجالات الدينية ، أو الاجتماعية أو الفكرية أو الاقتصادية . ومن هذه المعلومات ، يستطيع القارئ أن يتبين مدى اهتمام العلماء المسلمين بالرحلة ، ولاسيما في طلب الحديث وغيره من العلوم الدينية بصورة عامة ، كما يقف على شدة حرصهم على لقاء المشايخ شخصيا ، والسماع عليهم والانتفاع بصحبتهم . وانها تشير ، كذلك ، الى المناهج الدقيقة التي اتبعوها في النقد والتمحيص وتحري الحقائق . وفضلا عن ذلك ، فانها تزودنا بتفاصيل كثيرة عن أعمار الناس في تلك الأزمان ، والأمراض التي تنتابهم، والحوادث التي أدت الى وفاتهم في بعض الأحيان ، وتعيين أماكن دفنهم من مقابر وغيرها ، وهذه - أي المقابر - بدورها تلقي الأضواء على خطط المدن التي تقع فيها ، واتساع عمرانها ، ولاسيما بالنسبة لخطط إربل بالذات . فالمعروف مثلا ، ان المقابر تكون عادة ، في أطراف المدن ، فاذا ماعرفنا موقع مقبرة ما ، أمكننا بالتالي معرفة سعة المدينة التي تقع فيها تلك المقبرة ، وما الى ذلك من الأمور التي يهتم بها المختصون بعلم الخطط . وفي " تاريخ إربل " الكثير من هذه المعلومات ، التي يظهر بعضها الى النور لأول مرة ، مما يعين الباحث على رسم صورة جيدة لخطط إربل .

ومما يزيد في قيمة " تاريخ إربل " وأهميته ، ان مصنفه ابن المستوفي كان من أعلام الأدباء في عصره ، ومن أئمة الحديث البارعين ، ومن أهل الدين والورع والتقوى ، علاوة على تبريزه في النحو والشعر وعلمي البيان والمعاني والحساب وفن ضبط الديوان ، هذا فضلا عن تولّيه لعدد من المناصب العالية في الدولة . وقد أتاح ذلك له اطلاعا واسعا ، ومكّنه من إصدار أحكامه رصينةً بعيدةً عن الجهل والهوى ، تقوم بالدرجة الأولى على الاتصال الشخصي والمشاهدة العيانية . والحق ان تمتع المؤلف بحاسة نقدية حادة وفكر جوّال ، وخلُق رصين يترفع عن الدنايا ، وما الى ذلك من الصفات العالية ، قد ساعدته على كشف الحقائق وإزالة الشائبات التي علقت بها ، ثم عرضها بأسلوب واضح مبين .

وعلى أيّ حال فان " تاريخ إربل " ، بمجمله ، سجل حافل بكل مفيد ، ومن هنا نشأت أهميته كمصدر للمؤرخين الذين جاؤا بعد ابن المستوفي ، من أمثال ابن الشعار وابن خلكان وابن الفوطي وغيرهم ممن ذكرنا في موضع آخر من هذه الدراسة ، إذ

عرف هؤلاء قيمته حق المعرفة ، وأنزلوه المنزلة التي يستحقها . وإنني – بعد أن درستُه خلال مدة تزيد على خمس سنوات – لأشاركهم في تقديرهم لهذا الكتاب ، واقفُ إلى جانبهم في تقديم الاحترام لمصنفه الفذ ، وأرجو ان أكون قد وُفقتُ في إنصافه وإعطائه حقه من التقدير والاهتمام ، والله ولي التوفيق ..

ثبت المراجع

هذه المراجع ، وهي تتألف من المخطوطات والكتب المطبوعة والمقالات ، التي استعملت في تحقيق " تاريخ اربل " ، وفي اعداد الدراسة ، قد رتبت حسب الترتيب الهجائي لاسماء المؤلفين او شهرتهم . ويلي اسم كل مؤلف من هؤلاء ، اسم مصنفه اومصنفاته - ان كانت اكثر من واحد - التي روجعت في هذه الدراسة .

اولا - المخطوطات

الأدفوي - كمال الدين جعفر بن ثعلب (او تغلب) المتوفي سنة ٧٤٩ هـ

١- البدر السافر وتحفة المسافر في الوفيات - مخطوطة في مكتبة " فاتح " باستانبول برقم ٤٢٠١ .

ابن خلكان (فى الواقع ان المصنف مجهول ، ونسينا أن نذكر ابن خلكان ، لان المخطوطة هى مختصر لوفياته)

٢- حدائق العيان في مختصر وفيات الاعيان - مخطوطة في مكتبة جامعة كمبرج برقم (٨) ١٦٦ OR (a) ٣٩١ وهي ناقصة الآخر ، اذ تنقطع عند حرف " ن " ، وقد كتبت للسطان العثماني " عثمان الثاني " الذي حكم بين ١٠٢٨ - ١٠٣١ هـ (١٦١٩ - ١٦٢٢ م) .

ابن الدبيثى - محمد بن سعيد الواسطى ، المتوفي سنة ٦٣٧ هـ .

٣- ذيل تاريخ بغداد - مخطوطة في مكتبة جامعة كمبرج - برقم ٢٩٢٤ , add ، تتناول حرف " ع " ولعلها الجزء ٢ .

السخاوى - محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٩٠٢ هـ .

٤- ارتياح الاكباد بارباح فقد الاولاد - مخطوطة مكتبة جيستر بيتي في دبلن بارلنده ، وهي برقم ٥١٧٤ .

السلفى - احمد بن محمد بن احمد الاصفهانى المتوفي سنة ٥٧٦ هـ .

٥- معجم السفر - مخطوطة في مكتبة دبلن آنفة الذكر ، وهى برقم ٣٨٨٠ .

السمعاني – عبد الكريم بن محمد المتوفي سنة ٥٦٢ هـ .

٦- مختصر كتاب الانساب ، مخطوطة بمكتبة جامعة كمبرج ، برقم (١٢) OR٩٢٧ (a) ١٠١٠ ، وهي ناقصة من آخرها وتتناول بعض حرف " ح " .

ابن الشعار – المبارك بن ابى بكر بن حمدان الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ هـ .

٧- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان – مخطوطة بثمانية اجزاء ، في مكتبة " اسعد افندي " باستانبول ، وهي برقم ٢٣٢٣ – ٢٣٣٠ (يقع الاصل بعشرة اجزاء ، غيران جزئين منه مايزالان مفقودين)

الشعراني – عبد الوهاب بن احمد الانصاري المتوفي سنة ٩٧٣ هـ .

٨- الطبقات الكبرى – مخطوطة مكتبة دبلن أنفة الذكر ، وهي برقم ٥١٨٨ (علما بان الاستاذ آربري الذي اعد فهرس مخطوطات المكتبة المذكورة نسبها الى مؤلف مجهول ، ولكنني استطعت ، بعد مقارنتها بالمطبوع من الطبقات ، الاهتداء الى معرفة المؤلف ، فضلا عما وجدته في ترجمة والده الواردة في المخطوطة نفسها) .

الشهر ستاني – محمد بن عبد الكريم الشافعي المتوفي سنة ٥٤٨ هـ.

٩- كتاب الملل والنحل – مخطوطة مكتبة جامعة كمبرج ، وهي برقم ٢٩٢٩ add .

الصفدي – صلاح الدين خليل بن إيبك المتوفي سنة ٧٦٤ هـ .

١٠ – الوافي بالوفيات – مخطوطة مكتبة بودليان باكسفورد ، وهي برقم ٦٦٦ و٦٧٢ و٦٧٩ وهذه ثلاثة اجزاء من اجزائه .

الكناني – القاضي احمد بن ابراهيم العسقلاني المتوفي سنة ٨٧٦ هـ .

١١- شفاء القلوب في مناقب بني إيوب – مخطوطة المتحف البريطاني برقم ٣١٤ (علما بان المفهرس عدها مجهولة المؤلف ، الا ان المرحوم مصطفى جواد حقق نسبتها الى الكناني المذكور ، وفقا لما ذكره السخاوي في " الذيل على رفع الاصر " ص ٢٩ ، انظر " مجلة المجمع العراقي " ج ٢ / ٩٠٥) .

ابن المستوفى – المبارك بن احمد الاربلى المتوفي سنة ٦٣٧ هـ .

١٢ – النظام في شرح ديوان المتنبي وديوان ابي تمام – مخطوطة مكتبة السليمانية باستانبول ، وهى الجزء الثاني .

١٣ – تاريخ اربل – مخطوط مكتبة دبلن أنفة الذكر ، وهى برقم ٤٠٩٨ الجزء الثاني منه .

ابن المكرم – جمال الدين محمد بن مكرم ، المعروف بابن منظور ، المتوفي سنة ٧١١ هـ .

١٤ – مختار ذيل تاريخ بغداد ، للسمعاني – مخطوطة " كلية ترينتي " بكمبرج ، برقم (a) ، ٢٣٠ ، ٦٦ ، ١٣، R .

المنذرى – عبد العظيم بن عبد القوي المتوفي سنة ٦٥٦ هـ .

١٥ – التكملة لوفيات النقلة – مخطوطة مكتبة جامعة كمبرج برقم ٥٨ Q9 ، وهى تحتوي على الاجزاء ١١ – ٢٠و٤٧ و ٤٨ .

ابن النجار – محمد بن محمود (محب الدين) المتوفي سنة ٦٤٣ هـ .

١٦ – ذيل تاريخ بغداد – مخطوطة جامعة كمبرج برقم (١٠) ١٤٠٣ OR ، وتشمل حرف " ع " ، وهي منقولة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

ثانيا – الكتب العربية المطبوعة

١٧ – القرآن الكريم – طبعة G . FLUGEL في سنة ١٨٩٣ في ليبزغ ، وطبعة مصلحة المساحة المصرية في سنة ١٣٤٢ هـ .

ابن الأبار – محمد بن عبد الله القضاعى المتوفي سنة ٦٥٩ هـ .

١٨ – التكملة لكتاب الصلة – تحقيق ف . كوديره – مدريد ، ١٨٨٦ م .

١٩ – الحلّة السيراء – تحقيق عبد الله انيس الطباع – بيروت ، ١٩٦٢ م .

ابن الاثير – علـى بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى المتوفي سنة ٦٣٠ هـ .

٢٠ – الكامل – طبعة بولاق ، وطبعة ابريل سنة ١٨٧٦ م .

٢١ – الباهر – تحقيق عبد القادر طليمات – مصر ١٩٦٣ م ، وهو " تاريخ اتابكة

الموصل " الذي حـقـقـه ايضـا الفـرنسي RECUIL وطبعة ضـمن مجـموعـة النصوص التاريخية المتعلقة بالصليبيين – لندن ١٩٦٧ م .
٢٢ – اسد الغابة في معرفة الصحابة – جمعية المعارف الوهبية – ١٢٨٠ هـ .
٢٣ – اللباب في تهذيب الانساب – القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .
ابن الاثير – المبارك بن محمد المتوفي سنة ٦٠٦ هـ .
٢٤ – جامع الاصول من احاديث الرسول – تحقيق عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي – القاهرة ، ١٩٤٩ – ١٩٥٠ .
٢٥ – النهاية في غريب الحديث – مصر (بدون تاريخ) .
ابن الاثير – ضياء الدين نصر الله بن محمد المتوفي سنة ٦٢٧ هـ .
٢٦ – رسائل ضياء الدين ابن الاثير – تحقيق انيس المقدسي – بيروت ، ١٩٥٩ م .
الادريسي (الشريف) – محـمـد بن محـمـد الحسني المتـوفي سنة ٥٦٠ هـ .
٢٧ – جغرافية الاندلس – تحقيق كوندي – مدريد ، ١٧٩٩ م
٢٨ – وصف الهند ومايجاورها (من نزهة المشتاق) تحقيق مقبول احمد – لايدن ، ١٩٦٠ م .
٢٩ – صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس (من نزهة المشتاق) – طبع بريل ، ١٨٦٤ م .
٣٠– كتاب وصف افريقيا الشمالية (من نزهة المشتاق) تحقيق هنري بيرص – الجزائر ، ١٩٥٧ م .
الاربلي – عبـد الرحـمـن بن ابراهيم (سبط قنيتو) المتوفي سنة ٧١٧ هـ .
٣١ – خلاصة الذهب المسبوك – المطبعة الارثوذكسية ، ١٨٨٥ م ، بيروت .
الاربلي – عبد القادر بن محيي الدين المتوفي سنة ١٣١٥ هـ
٣٢ – تفريج الخاطر – القاهرة ، ١٩٤٩ م .
الاربلي – على بن عيسي بن ابى الفتح ، المتوفي سنة ٦٨٧ هـ .
٣٣ – كشف الغمة لمعرفة الأئمة – تبريز ، ١٣٨١ هـ .

الاربلي – محمد بن علي الخطيب المتوفي سنة ٧٥٥ هـ ، ولقبه بدر الدين .
٣٤ – ارجوزة الانغام (في الموسيقى العراقية ، وقد نظمها سنة ٧٢٩ هـ) – تحقيق عباس العزاوي – بغداد ، ١٩٥١ م .
الازدي – ابو زكريا يزيد بن محمد ، المتوفي سنة ٣٣٤ هـ .
٣٥ – تاريخ الموصل – تحقيق الدكتور علي حبيبة – القاهرة ، ١٩٦٧ م .
الاسنوي – جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن ، المتوفي سنة ٧٧٢ هـ .
٣٦ – طبقات الشافعية – تحقيق عبد الله الجبوري – بغداد ، ١٣٩٠ هـ .
الاشعري – محمد بن يحيى بن ابي بكر الاندلسي ، المتوفي سنة ٧٤١ هـ .
٣٧ – مقتل عثمان – تحقيق محمود يوسف زايد – بيروت ، ١٩٦٤ م .
الاصطخري – ابراهيم بن محمد الكرخي ، المتوفي ٣٤٦ هـ .
٣٨ – المسالك والممالك – تحقيق محمد جابر الحيني – مصر ، ١٩٦١ م .
الاصمعي – عبد الملك بن قريب ، المتوفي سنة ٢١٦ هـ .
٣٩ – الاصمعيات – تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون – مصر ، ١٩٥٥ م .
٤٠ – كتاب النبات – تحقيق عبد الله الغنيم – القاهرة ، ١٩٧٢ م .
ابن ابي اصيبعة – احمد بن القاسم السعدي ، المتوفي سنة ٦٦٨ هـ
٤١ – عيون الانباء في طبقات الاطباء – مصر ١٣٠٠ هـ .
الفُخاني – محمد بن عمر المكي (كان حيا سنة ١٥٩٥ م) .
" تاريخ كجرات " – لندن ١٩١٠ تحقيق E D.ROSS .
الافغاني – سعيد الافغاني
٤٢ – اسواق العرب في الجاهلية والاسلام – بيروت ، ١٩٦٠ م .
امرؤ القيس بن حجر ، المتوفي سنة ٨٠ قبل الهجرة .
٤٣ – ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – مصر ، ١٩٥٨ م .

امين – حسين امين .

٤٤ – العراق في العصر السلجوقي – بغداد ، ١٩٦٥ م .

الامين – محسن الامين (محسن بن عبد الكريم ، المتوفي سنة ١٣٧١ هـ) .

٤٥ – اعيان الشيعة – بيروت ، ١٩٦٠ – ١٩٦١ م .

ابن الانباری – عبد الرحمن بن محمد ، المتوفي سنة ٥٧٧ هـ .

٤٦ – نزهة الالباء في طبقات الادباء – تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي – بغداد، ١٩٥٩ م .

الانصاری –احمد عبد الله الخزرجی (صفی الدين) المتوفي سنة ٩٢٣ هـ.

٤٧ – تذهيب الكمال في اسماء الرجال – مصر سنة ١٣٢٢ هـ .

الانصاری – محمد بن محمد بن عبد الملك الاندلسی المراكشی ، المتوفي سنة ٧٠٣ هـ .

٤٨ – الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة – تحقيق الدكتور احسان عباس – بيروت ، ١٩٦٤ م .

اهلوارت (W.AHLWARDT) المتوفي سنة ١٩٠٩ م .

٤٩ – العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين – لندن ، ١٨٧٠ و١٨٩٩ م .

الباخرزی – علی بن الحسن ، المتوفي سنة ٤٦٧ هـ .

٥٠ – دمية القصر – تحقيق محمد راغب الطباخ – حلب ، ١٩٣٠ م .

البتنونی – محمد لبيب ، المتوفي سنة ١٣٥٧ هـ .

٥١ – الرحلة الحجازية – القاهرة ، ١٣٢٧ هـ .

بحشل – اسلم بن سهل الرزاز الواسطی ، المتوفي سنة ٢٩٢ هـ

٥٢ – تاريخ واسط – تحقيق كوركيس عواد – بغداد ، ١٩٦٧ م .

البخاری – محمد بن اسماعيل المتوفي سنة ٢٥٦ هـ .

٥٣ – الجامع الصحيح – طبعة لايدان ، ١٨٦٢ ، طبعة الحلبي ، ١٣٤٥ هـ .

٥٤ – تاريخ البخاري الكبير – طبعة حيدر اباد ، ١٣٦١ هـ .

بدران – عبد القادر بدران ، المتوفي سنة ١٣٤٦ هـ .

٥٥ – تهذيب تاريخ ابن عساكر – دمشق ، ١٣٢٩ – ١٣٤٩ هـ .

بدوى – الدكتور احمد احمد بدوى .

٥٦– الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية – القاهرة (بدون تاريخ) .

٥٧ – الحياة " العقلية " في عصر الحروب الصليبية – القاهرة (بدون تاريخ) .

بركات – محمد فارس .

٥٨ – المرشد الى آيات القرآن الكريم – دمشق ، ١٩٣٩ م .

برهان قاطع .

٥٩ – معجم فارسي – طبعة كلكتا ، ١٢٣٣ هـ (ادرج ضمن المطبوعات العربية ، لانه مكتوب باحرف عربية) .

ابن بسام – على بن بسام الشنتريني ، المتوفي سنة ٥٤٢ هـ .

٦٠ – الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة – القاهرة ، ١٩٣٩ – ١٩٤٥ م .

البستاني – بطرس البستاني ، المتوفي سنة ١٨٨٣ م .

٦١ – دائرة معارف البستاني – بيروت ، ١٨٧٦ م .

٦٢ – محيط المحيط (قاموس) – بيروت ، ١٨٦٧ م .

البستاني – عبد الله بن مخائيل اللبناني ، المتوفي سنة ١٩٣٠ م .

٦٣ – معجم البستان – بيروت ، ١٩٢٧ م .

ابن بشكوال – ابو القاسم خلف بن عبد الملك ، المتوفي سنة ٥٧٨ هـ .

٦٤ – الصلة – تحقيق كوديره ، مدريد ، ١٨٨٢ م ، وتحقيق عزت العطار الحسيني – القاهرة ، ١٩٥٥ م .

بغداد – معهد الدراسات الاسلامية ببغداد .

٦٥ – فهرس مخطوطات المعهد (مطبوع بالاستانسل) بغداد ، ١٩٦٨ م .

البغدادى – اسماعيل باشا البابانى ، المتوفي سنة ١٣٣٩ هـ .

٦٦ – ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون – استانبول ، ١٩٤٧ م .

٦٧ – هدية العارفين الى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين – استانبول ، ١٩٥١ م .

البغدادى – عبد القادر بن عمر ، المتوفي سنة ١٠٩ هـ .

٦٨ – خزانة الادب – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ، ١٩٦٧ م .

البغدادى – عبد القاهر بن طاهر ، المتوفي سنة ١٠٩٣ هـ .

٦٩ – الفرق بين الفرق – تحقيق عزت العطار الحسيني – القاهرة ، ١٩٤٨ م ، وتحقيق محمد بدر – القاهرة (بدون تاريخ) .

البغدادى (ابو الحسن على بن محمد الماوردى البصرى) المتوفي سنة ٤٥٠ هـ .

٧٠ – الاحكام السلطانية – مصر ، ١٢٩٨ هـ .

البكرى – عبد الله بن عبد العزيز البكرى الاندلسي ، المتوفي سنة ٤٨٧ هـ .

٧١ – معجم ماستعجم – تحقيق مصطفى السقا – القاهرة ، ١٩٤٥ – ١٩٥١ م .

٧٢ – كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب (من المسالك والممالك) تحقيق دي سلين – الجزائر ١٨٥٧ م .

البلاذرى – ابو الحسن احمد بن يحيي ، المتوفي سنة ٢٧٩ هـ .

٧٣ – فتوح البلدان – تحقيق دي غوييه – لايدن ١٨٦٦ م ، وتحقيق رضوان محمد رضوان – مصر ، ١٩٣٢ وتحقيق صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و١٩٦٠ – القاهرة .

البلفيقى – ابراهيم بن محمد بن ابراهيم (لم اهتد الي تاريخ وفاته) .

٧٤ – المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الابار – تحقيق ابراهيم الابياري – القاهرة ، ١٩٥٧ م .

البندارى – الفتح بن على بن محمد الاصفهانى ، المتوفي سنة ٦٤٣ هـ .

٧٥ – زبدة النصرة ونخبة العصره (وهو مختصر تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الاصفهاني) – تحقيق هوتسمه – لايدن ، ١٨٨٩ م ، وطبعة مصر ، ١٩٠٠ م .

البيرونى – محمد بن احمد ، المتوفي سنة ٤٤٠ هـ .

٧٦ – تحقيق ماللهند من مقالة – تحقيق سخاو – لندن ، ١٨٨٧ م ، وطبعة حيدر اباد، ١٩٥٨ م وطبعة حيدر اباد ، ١٣٥٥ هـ .

٧٧ – الجماهر فى معرفة الجواهر .

البيضاوى – عبد الله بن عمر ، المتوفي سنة ٦٨٥ هـ .

٧٨ – تفسير القرآن الكريم – طبعة ليبزغ – ١٨٧٨ م .

التادلى – يوسف بن يحيي بن عيسي المتوفي سنة ٦٢٧ هـ (ويعرف بابن الزيات) .

٧٩ – التشوف الى رجال التصوف – الرباط ، ١٩٥٨ م .

تامر – عارف تامر

٨٠ – ابن هانى ، متنبي المغرب – بيروت ، ١٩٦١ م .

التبريزى (الخطيب) – يحيي بن على الشيبانى ، المتوفي سنة ٥٠٢ هـ .

٨١ – شرح ديوان ابي تمام – تحقيق الدكتور محمد عبده عزام – القاهرة ، ١٩٥١ م .

التجيبى – صفوان بن ادريس المرسى ، المتوفي سنة ٥٩٨ هـ .

٨٢ – كتاب زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر – بيروت ، ١٩٣٩ م .

الترمذى – محمد بن عيسي بن سورة ، المتوفي سنة ٢٧٩ هـ .

٨٣ – الجامع الصحيح – طبعة بولاق ، ١٢٩٢ هـ ، وتحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة – ١٩٣٧ م .

ابن تغري بردي – ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، المتوفي سنة ٨٧٤ هـ .

٨٤ – النجوم الزاهرة – طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة – ١٩٢٩ م .

التهانوى – محمد بن على الفارقى (كان حيا سنة ١١٥٨ هـ) .

٨٥ – كشاف اصطلاحات الفنون – تحقيق وليم ليس – كلكتا ، ١٨٦٢ م .

التوحيدى – ابو حيان على بن محمد ، المتوفي سنة ٤٠٠ هـ .

٨٦ – كتاب اخلاق الوزيرين – تحقيق محمد بن تاويت الطنجي – دمشق ، ١٩٦٥ م .
التيمورية – دار الكتب المصرية .
٨٧ – فهرس الخزانة التيمورية – القاهرة ، ١٩٤٨ – ١٩٥٠ م .
الثعالبي – عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ، المتوفي سنة ٤٢٩ هـ .
٨٨ – يتيمة الدهر – طبعة استانبول ، ١٩١٤ ، وتحقيق محمد محيي عبد الحميد – مصر ، ١٩٤٧ م .
٨٩ – تتمة اليتيمة – طبعة طهران ، ١٣٥٣ هـ .
٩٠ – لطائف المعارف – تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي – مصر ، ١٩٦٠ م .
٩١ – خاص الخاص – قدمه حسن الامين – بيروت ، ١٩٦٦ م .
٩٢– برد الاكباد في الاعداد – استانبول ، ١٣٠١ هـ .
جاد المولي – محمد جاد المولي
٩٣ – ايام العرب في الجاهلية – القاهرة ، ١٩٤٢ م .
الجاسر – حمد الجاسر .
٩٤ – رسائل في تاريخ المدينة – تحقيق الجاسر ، الرياض ، ١٩٧٢ م .
الجاحظ – عمرو بن بحر ، المتوفي سنة ٢٥٥ هـ .
٩٥ – الحيوان – تحقيق عبد السلام هارون – مصر ، ١٩٣٧ م ، والطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م .
الجبوري – عبد الله الجبوري .
٩٦ – المستدرك على الكشاف عن مخطوطات كتب خزائن الاوقاف – بغداد ، ١٩٦٥ م.
٩٧ مخطوطات حسن الانكرلي في مكتبة الاوقاف ببغداد – بغداد ، ١٩٦٧ م .
٩٨ – مكتبة الاوقاف العامة ، تاريخها ونوادر مخطوطاتها – بغداد ، ١٩٦٩ م .

ابن جبير – محمد بن احمد الكناني ، المتوفى سنة ٦١٤ هـ .

٩٩ – رحلة ابن جبير – تحقيق رايت – لايدن ، ١٨٥٢ م ، وتحقيق حسين نصار – القاهرة ، ١٩٥٥ م .

الجرجاني – عبد القاهر بن عبد الرحمن ، المتوفي سنة ٤٧١ هـ .

١٠٠ – اسرار البلاغة – تحقيق محمد رشيد رضا – مصر ١٩٣٩ م .

الجرجاني – على بن محمد على الحسيني ، المتوفي سنة ٨١٦ هـ .

١٠١ – التعريفات – طبعة الحلبي – مصر ، ١٩٣٨ م .

جرير – جرير بن عطية ، المتوفي سنة ١١٠ هـ .

١٠٢ – ديوان جرير – طبعة المطبعة العلمية بمصر ، ١٣١٣ هـ ، وتحقيق محمد امين طه – القاهرة ١٩٦٩ م .

ابن الجزري – محمد بن محمد ، المتوفي سنة ٨٣٣ هـ .

١٠٣ – غاية النهاية في طبقات القراء – تحقيق G.BERGSTRAESSER – القاهرة ، ١٩٣٢ م .

الجعدى – عمر بن على بن سمرة اليمنى ، المتوفي سنة ٥٨٦ هـ .

١٠٤ – طبقات فقهاء اليمن – تحقيق فؤاد سيد – القاهرة ، ١٩٥٧ م .

الجلبى – الدكتور داود الجلبى الموصلى ، المتوفي سنة ١٣٧٩ هـ .

١٠٥ – مخطوطات الموصل – بغداد ، ١٩٢٧ م .

الجمحى – محمد بن سلام ، المتوفي سنة ٢٣١ هـ .

١٠٦ – طبقات فحول الشعراء – تحقيق محمود محمد شاكر – مصر ، ١٩٥٢ م .

جميل – فؤاد جميل .

١٠٧ – مقال عن سهل حدياب في العصور القديمة – مجلة " سومر " المجلد ٢٥ ص ٢١٩ لسنة ١٩٦٩ م .

الجميلى – رشيد الجميلى .

١٠٨ – دولة الاتاكبة في الموصل – بيروت ، ١٩٧٠ م .

ابن الجوزي – عبد الرحمن بن على المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .

١٠٩ – المنتظم – طبعة حيدر اباد ، ١٣٥٧ – ١٣٥٨ هـ .

١١٠ – مناقب بغداد – تحقيق محمد بهجة الاثري – بغداد ، ١٣٤٢ هـ .

١١١ – مناقب احمد بن حنبل – القاهرة ، ١٩٣١ هـ .

١١٢ – صفوة الصفوة – طبعة حيدر اباد ، ١٣٥٥ هـ .

١١٣ – كتاب القصاص والمذكرين – تحقيق M.S.SWARTZ – بيروت ، ١٩٧١ م .

جول – اسماعيل بك جول ، أمير اليزيدية فى سنجار .

١١٤ – اليزيدية قديما وحديثا – تحقيق الدكتور قسطنطين زريق – بيروت ، ١٩٣٤ م .

الجوهرى – اسماعيل بن حماد ، المتوفي سنة ٣٩٣ هـ .

١١٥ – الصحاح – طبعة مصر ، سنة ١٢٧٢ هـ واخرى بمصر في سنة ١٣١١هـ .

حاجى خليفة – مصطفي بن عبد الله ، المتوفي سنة ١٠٦٧ هـ .

١١٦ – كشف الظنون – استانبول ، ١٩٤١ م .

الحاكم – محمد بن عبد الله النيسابورى ، المتوفي سنة ٤٠٥ هـ .

١١٧ – المستدرك على الصحيحين ، الرياض (بدون تاريخ) .

١١٨ – كتاب معرفة علوم الحديث – تقديم الدكتور معظم حسين – القاهرة ، ١٩٣٧ م .

ابن حبّان – محمد بن حبان البستى ، المتوفي سنة ٣٥٤ هـ .

١١٩ – مشاهير علماء الامصار – تحقيق M.FLEISCH HAMMER – طبعة ويسبادن ، ١٩٥٩ م .

ابن حجر العسقلانى – احمد بن على بن حجر ، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ .

١٢٠ – الاصابة في تمييز الصحابة – كلكتا ، ١٨٥٦ م .

١٢١ – لسان الميزان – طبعة حيدر اباد ، ١٣٢٩ هـ .

١٢٢ – تهذيب التهذيب – طبعة حيدر اباد ، ١٣٢٥ هـ .

١٢٣ – النكت الظراف على الاطراف (مطبوع مع " فتح الاشراف بمعرفة الاطراف" للمزي) – تحقيق عبد الصمد شرف الدين – بومباي ، ١٩٦٥ م (وهو معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة لاحاديث الكتب الستة) .

١٢٤ – تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد علي النجار – مصر ، ١٩٦٥ م .

١٢٥ – الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة – حيدر اباد ، ١٣٤٨ هـ .

ابن ابي الحديد – عبد الحميد بن هبة الله ، المتوفي سنة ٦٥٥ هـ .

١٢٦ – شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – مصر ، ١٩٥٩ م .

الحريري – القاسم بن علي ، المتوفي سنة ٥١٦ هـ .

١٢٧ – مقامات الحريري – تحقيق M-F.STEINGASS لندن ، ١٨٩٧ م .

ابن حزم – علي بن سعيد الاندلسي ، المتوفي سنة ٤٥٦ هـ .

١٢٨ – جمهرة انساب العرب – تحقيق ليفي بروفنسال – مصر، ١٩٤٨ م .

١٢٩ – كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل – مطبوع سنة ١٣٢١ هـ (لم يذكر مكان الطبع) ، واخرى بمصر ، ١٣٤٧ هـ .

حسن ابراهيم حسن

١٣٠ – تاريخ الدولة الفاطمية – مصر ، ١٩٥٨ م .

١٣١ – النظم الاسلامية (بالاشتراك مع علي ابراهيم حسن) – القاهرة ، ١٩٧٠ م .

الحسني – عبد الرزاق الحسني

١٣٢ – الوزارات العراقية – صيدا ، ١٩٦٥ م .

حسين – سيد كامل حسين

١٣٣ – فهرست المخطوطات والمطبوعات في مكتبة " سبحان الله اورينتال لايبريري " – عليكره ، ١٩٢٩ م .

حسين – طه حسين
١٣٤ – الفتنة الكبرى (مقتل عثمان – رض) – مصر ، ١٩٦٨ م .
حسين – فاضل حسين
١٣٥ – مشكلة الموصل – بغداد ، ١٩٥٥ م .
الحسين – صدر الدين على بن ابى الفوارس ناصر ، المتوفي سنة ٦٢٢ هـ .
١٣٦ – اخبار الدولة السلجوقية – تحقيق محمد اقبال – لاهور ، ١٩٣٣ م .
الحلاج – الحسين بن منصور ، المتوفي سنة ٣٠٩ هـ .
١٣٧ – ديوان الحلاج – تحقيق لويس ماسينيون – باريس ، ١٩٥٥ م .
الحلبى – على بن ابراهيم ، المتوفي سنة ١٠٤٤ هـ
١٣٨ – السيرة الحلبية – مصر ، ١٣٤٩ هـ ..
حمزة بن يوسف السهمى ، المتوفي سنة ٤٢٧ هـ .
١٣٩ – تاريخ جرجان – حيدر اباد ، ١٩٥٠ م .
الحميدى – محمد بن فتوح بن عبد الله ، المتوفي سنة ٤٨٨ هـ .
١٤٠ – جذوة المقتبس – تحقيق محمد بن تاويت الطنجي – القاهرة ، ١٩٥٣ م ..
الحميرى – محمد بن محمد بن عبد المؤمن المتوفي سنة ٩٠٠ هـ .
١٤١ – الروض المعطار – تحقيق M GONZALEZ – بلنسية ،١٩٦٣ م .
١٤٢ – صفة جزيرة الاندلس (منتخبة من الروض المعطار) – القاهرة ، ١٩٣٧ م .
ابن حنبل – احمد بن حنبل الشيبانى المتوفي سنة ٢٤١ هـ .
١٤٣ – المسند – طبعة بولاق ، ١٣١٣ هـ ، وتحقيق احمد محمد شاكر – مصر ، ١٩٥٤ م .
ابن حوقل – محمد بن على البغدادى ، المتوفي سنة ٣٦٧ هـ .
١٤٤ – المسالك والممالك – تحقيق السر وليم اوسلي – بريطانيا ، ١٨٠٠م (OUSELEY) .

ابن حيان الاندلسي – حيان بن خلف ، المتوفي سنة ٤٦٩ هـ

١٤٥ – المقتبس من تاريخ الاندلس – تحقيق عبد الرحمن علي الحجي – بيروت ، ١٩٦٥ م .

الخانجي – محمد أمين

١٤٦ – منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ، مصر ١٩٠٧ م .

ابن خرداذبه – عبيد الله بن احمد الخراساني ، المتوفي سنة ٣٠٠ هـ .

١٤٧ – المسالك والممالك – تحقيق دي غوييه – طبعة بريل ، ١٨٨٩ م .

الخطيب البغدادي – احمد بن علي ، المتوفي سنة ٤٦٣ هـ .

١٤٨ – تاريخ بغداد – مصر ١٩٣١ م .

الخطيب – محمد بن عبد الله (كان حيا في سنة ٧٣٧ هـ)

١٤٩ – مشكاة المصابيح – كراجي ، ١٣٥٠ هـ (وللكتاب ترجمة انكليزية)

١٥٠ – الاكمال في اسماء الرجال (مطبوع "بذيل " المشكاة " المذكور آنفا) .

ابن الخطيب (لسان الدين) – محمد بن عبد الله ، المتوفي سنة ٧٧٦ هـ .

١٥١ – الاحاطة في اخبار غرناطة – مصر ، ١٣١٩ هـ ، وتحقيق محمد عبد الله عنان – مصر (بدون تاريخ) .

١٥٢ – كناسة الدكان بعد انتقال السكان – تحقيق الدكتور محمد كمال شبانه – القاهرة ، ١٩٦٦ م .

ابن خفاجة – ابراهيم بن عبد الله الاندلسي ، المتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

١٥٣ – ديوان ابن خفاجة – طبعة جمعية المعارف – مصر ، ١٢٨٦ هـ .

ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، المتوفي سنة ٨٠٨ هـ .

١٥٤ – تاريخ العبر .. الخ – دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ١٩٥٦ م .

ابن خلكان – احمد بن محمد بن أبي بكر الاربلي ، المتوفي سنة ٦٨١هـ .

١٥٥ – وفيات الاعيان –– تحقيق محمد محيي عبد الحميد – مصر ، ١٩٤٨ ، وتحقيق الدكتور احسان عباس – بيروت سنة ١٩٦٨ م ، واخرى بتحقيق

المستشرق وستنفيلد ، سنة ١٨٣٧ م ، ورابعة طبعة بولاق ، وخامسة طبعة ايران .

خليل – الدكتور عماد الدين خليل .

١٥٦ – عماد الدين زنكي – بيروت ، ١٩٧١ م .

الخليلي – جعفر الخليلي .

١٥٧ – موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين) بالاشتراك مع الدكتور مصطفى جواد – بغداد ، ١٩٦٧ م .

١٥٨ – موسوعة العتبات المقدسة (قسم مكة المكرمة) بغداد ، ١٩٦٧ م .

الخوارزمي – محمد بن احمد ، المتوفي سنة ٣٨٧ هـ .

١٥٩ – مفاتيح العلوم – تحقيق فان فلوتن – طبعة بريل ، ١٨٩٥ م .

الخوانساري – محمد باقر الموسوي ، المتوفي سنة ١٣٠٧ هـ .

١٦٠ – روضات الجنات – طبعة ايران ، ١٣٠٧ هـ .

ابن الخوجة – محمد بن الخوجة (كان حيا سنة ١٣١٤ هـ) .

١٦١ – تحفة الانجاد بمقابلة تاريخي الهجرة والميلاد – تونس ،١٨٩٧ م .

الدارمي – عبد الله بن عبد الرحمن ، المتوفي سنة ٢٥٥ هـ .

١٦٢ – السنن – تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني – القاهرة ، ١٩٦٦ م .

الداني – عثمان بن سعيد المتوفي سنة ٤٤٤ هـ .

١٦٣ – كتاب النقط – تحقيق OTTOPRETZL – استانبول ، ١٩٣٢ م .

١٦٤ – المحكم في نقط المصاحف – تحقيق عزة حسن – دمشق ، ١٩٦٠ م .

ابو داود – سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني ، المتوفي سنة ٢٧٥ هـ.

١٦٥ – السنن – تحقيق احمد سعد علي – القاهرة ، ١٩٥٢ م .

ابن الدبيثي (انظر الذهبي فيما يتعلق بالمختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي) .

دحلان – احمد بن زيني دحلان المكي ، المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ ..

١٦٦ – الفتوحات الإسلامية – مكة المكرمة ، ١٣٠٢ هـ .

ابن دحية – عمر بن الحسن الكلبي (ابو الخطاب) ، المتوفي سنة ٦٣٣ هـ .

١٦٧ – النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس – تحقيق عباس العزاوي – بغداد ، ١٩٤٦ م .

١٦٨ – المطرب في اشعار اهل المغرب – تحقيق مصطفى عوض عبد الكريم – الخرطوم ، سنة ١٩٥٤ م ، واخرى تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد – القاهرة ، ١٩٥٤ م .

ابن دريد – محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، المتوفي سنة ٣٢١ هـ .

١٦٩ – جمهرة اللغة – حيدر اباد ، ١٣٤٤ هـ .

١٧٠ – كتاب الاشتقاق – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ، ١٩٥٨ م .

درويش – عبد الله درويش .

١٧١ – دراسات في العروض والقافية – القاهرة (بدون تاريخ) .

درويش – عدنان درويش .

١٧٢ – المخطوطات العربية المصورة بدمشق – دمشق ، ١٩٦٨ م .

ابن دُقماق – ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي ، المتوفي سنة ٨٠٩ هـ .

١٧٣ – كتاب الانتصار (الجزءان الرابع والخامس في خطط مصر) – بولاق ، ١٣٠٩ هـ .

الدمشقي – ابو المحاسن محمد بن علي الحسيني ، المتوفي سنة ٧٦٥ هـ .

١٧٤ – ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي – تحقيق محمد زاهد الكوثري – بيروت (بدون تاريخ) .

الدميري – محمد بن موسي الشافعي ، المتوفي سنة ٨٠٨ هـ .

١٧٥ – حياة الحيوان الكبرى – طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ .

الدينوري – ابو حنيفة احمد بن داود ، المتوفي سنة ٢٨٢ هـ .

١٧٦ – الاخبار الطوال – تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الشيال – القاهرة ، ١٩٦٠ م .

الديوه جي – سعيد الديوه جي .

١٧٧ – الفتوة في الاسلام – الموصل ، ١٩٤٠ م .

الذهبي – محمد بن احمد . المتوفي سنة ٧٤٨ هـ .

١٧٨ – تلخيص المستدرك على الصحيحين – الرياض (بدون تاريخ) .

١٧٩ – سير اعلام النبلاء – تحقيق صلاح الدين المنجد – القاهرة ، ١٩٥٦ – ١٩٥٧ م .

١٨٠ – العبر في خبر من غبر – تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد – الكويت ، ١٩٦١ م .

١٨١ – المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي – تحقيق الدكتور مصطفى جواد – بغداد ، ١٩٥١ و١٩٦٣ م .

١٨٢ – تذكرة الحفاظ – طبعة بيروت (بدون تاريخ)

١٨٣ – المشتبه في اسماء الرجال – لايدن ، ١٨٩٣ م ، واخرى مصر ، ١٩٦٢ م .

١٨٤ – تاريخ الاسلام – مصر ١٣٦٧ هـ (خمسة اجزاء فقط) .

١٨٥ – دول الاسلام – حيدر اباد ، ١٣٣٧ هـ .

١٨٦ – ميزان الاعتدال – تحقيق علي محمد البجاوي – مصر ، ١٩٦٣ م .

١٨٧ – المغني في الضعفاء – تحقيق نور الدين عتر – حلب ١٩٧١ م .

الراجكوتي – عبد العزيز الميمني السلفي ، المتوفى (؟) .

١٨٨ – كتاب بعنوان " ابن رشيق " والقسم الثاني بعنوان ابن شرف – القاهرة – المطبعة السلفية ، ١٣٤٣ هـ .

١٨٩ – النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف القيروانيين – القاهرة – المطبعة السلفية ، ١٣٤٣ هـ .

الرازي (الفخر) – الامام محمد بن عمر الشافعي ، المتوفي سنة ٦٠٦ هـ .

١٩٠ – التفسير الكبير – مصر ، ١٣٠٨ هـ .

الرباط – الخزانة العامة .

١٩١ – فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة – الرباط ، ١٩٥٨ م .

الربداوى – الدكتور محمد الربداوى .

١٩٢ – الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام – بيروت ، ١٩٦٧ م .

ابن رجب – عبد الرحمن بن شهاب البغدادى الدمشقى الحنبلى ، المتوفي سنة ٧٩٥ هـ .

١٩٣ – ذيل طبقات الحنابلة – تحقيق سامي الدهان – دمشق ، ١٩٥١ ، وتحقيق محمد حامد الفقي – القاهرة ، ١٩٥٢ م .

ابن رشيق – الحسن بن رشيق القيروانى ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

١٩٤ – العمدة – مصر ، ١٩٠٧ م ، واخرى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مصر ، ١٩٣٤ م .

١٩٥ – ديوان ابن رشيق – تحقيق عبد الرحمن ياغي – بيروت (بدون تاريخ) (انظر ايضا الراجكوتي) .

الرصافى – ابو عبد الله محمد بن غالب ، المتوفي سنة ٥٧٢ هـ .

١٩٦ – ديوان الرصافي – جمع وتحقيق الدكتور احسان عباس – بيروت ، ١٩٦٠ م .

الرضى (الشريف) – محمد بن احمد الحسينى ، المتوفي سنة ٤٠٦ هـ

١٩٧ – نهج البلاغة – تحقيق محمد حسن نائل المرصفي – مصر ، ١٣٢٨ هـ ..

الرُعينى – على بن محمد بن على الرعينى الاشبيلى ، المتوفي سنة ٦٦٦ هـ .

١٩٨ – برنامج شيوخ الرعيني – تحقيق ابراهيم شبوح – دمشق ، ١٩٦٢ م .

الرُعينى – محمد بن ابى القاسم الرعينى القيروانى ، المتوفي سنة ١١١٠ هـ .

١٩٩ – المؤنس في اخبار افريقيا وتونس – تحقيق محمد شمام – تونس ، ١٢٨٦ هـ .

رمزي – محمد رمزي .

٢٠٠ – القاموس الجغرافي للبلاد المصرية – القاهرة ، ١٩٥٤ .
روزنتال – فرانس .
٢٠١ – علم التأريخ عند المسلمين – ترجمة الدكتور صالح احمد العلي – بغداد ، ١٩٦٣ م .
ابن الرومي – علي بن العباس ، المتوفي سنة ٢٨٣ هـ .
٢٠٢ – ديوان ابن الرومي – تحقيق كامل كيلاني – مصر (بدون تاريخ) .
الرويشدي – سوادي عبد محمد .
٢٠٣ – امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ – بغداد ، ١٩٧١ م .
الزبيدي – محمد مرتضي بن محمد الحسيني ، المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ .
٢٠٤ – شرح القاموس المسمى " تاج العروس " – مصر ، ١٣٠٦ هـ .
٢٠٥ – ترويح القلوب في ملوك بني ايوب – تحقيق صلاح الدين المنجد – دمشق ، ١٩٦٩ م .
الزبير بن بكّار ، المتوفي سنة ٢٥٦ هـ .
٢٠٦ – جمهرة نسب قريش – تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
ابن الزبير – احمد بن ابراهيم بن الزبير ، المتوفي سنة ٧٠٨ هـ .
٢٠٧ – صلة الصلة – تحقيق ليفي بروفنسال – الرباط ، ١٩٣٨ م .
الزركلي – خير الدين .
٢٠٨ – الاعلام – مصر ، ١٩٥٤ – ١٩٥٩ م . وكتاب " ما رأيت وما سمعت " – مصر ، ١٩٢٣ م .
زكي – محمد امين زكي ، المتوفي سنة ١٣٦٧ هـ .
٢٠٩ – خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – القاهرة ، ١٩٣٩ م .
الزمخشري – محمود بن عمر بن محمد ، المتوفي سنة ٥٣٨ هـ .
٢١٠ – تفسير الكشاف – القاهرة ، ١٣٠٧ هـ .
٢١١ – اساس البلاغة (معجم) – بيروت ، ١٩٦٥ م .

٢١٢ – الجبال والامكنة والمياه – النجف ، ١٣٥٧ هـ .

٢١٣ – المفصل – الاسكندرية ، ١٢٩١ هـ ، واخرى بتحقيق J.P. BROCH طبعت في اوربا – باريس ، ١٨٧٩ م .

الزوزني – الحسين بن احمد بن الحسين ، المتوفي سنة ٤٨٦ هـ .

٢١٤ – نيل الارب في شرح معلقات العرب – مصر ، ١٣٢٨ هـ ، وطبعة اخرى في بيروت (بدون تاريخ) .

زيدان – جرجي زيدان ، المتوفي سنة ١٩١٤ م .

٢١٥ – تاريخ آداب اللغة العربية – مصر ، ١٩١١ م .

ابن الساعي – علي بن انجب ، المتوفي سنة ٦٧٤ هـ .

٢١٦ – الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير – تحقيق الدكتور مصطفى جواد – بغداد ، ١٩٣٤ م .

سالم – الدكتور عبد العزيز سالم .

٢١٧ – التاريخ والمؤرخون العرب – مصر ، ١٩٦٧ م .

سبط ابن الجوزي – يوسف بن قزا اوغلي ، المتوفي سنة ٦٥٤ هـ .

٢١٨ – مرآة الزمان – حيدر اباد ، ١٩٥١ م ، وطبعة مصورة بالفوتوستات – شيكاغو ، ١٩٠٧ م .

٢١٩ – تذكرة الخواص (في خصائص آل البيت – ع) – النجف ، ١٩٦٤ م .

السبكي – عبد الوهاب بن علي ، المتوفي سنة ٧٧١ هـ .

٢٢٠ – طبقات الشافعية الكبرى – مصر ١٣٢٤ هـ ، وبتحقيق محمود محمد الطناجي – مصر ، ١٩٦٤ م .

السخاوي – محمد بن عبد الرحمن ، المتوفي سنة ٩٠٢ هـ .

٢٢١ – الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – دمشق ، ١٣٤٩ هـ .

٢٢٢ – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .

٢٢٣ - الذيل على رفع الاصر - تحقيق جوده هلال ومحمد محمود صبح - القاهرة، ١٩٦٦ م .

سركيس - يوسف اليان سركيس ، المتوفي سنة ١٣٥١ هـ .

٢٢٤ - معجم المطبوعات العربية والمعربة - القاهرة ، ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .

٢٢٥ - جامع التصانيف الحديثة المطبوعة (ذيل المعجم) - القاهرة ، ١٩٢٧ وما بعدها .

سري - حسين سري .

٢٢٦ - اطلس مصر - القاهرة ، ١٩٢٨ م .

ابن سعد - محمد بن سعد الزهرى ، المتوفي سنة ٢٣٠ هـ .

٢٢٧ - الطبقات الكبرى - تحقيق سخاو - لايدن ، ١٣٤٧ هـ .

ابن سعيد المغربى - على بن موسي الاندلسى ، المتوفي سنة ٦٨٥ هـ .

٢٢٨ - الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة - تحقيق ابراهيم الابياري - مصر ، ١٩٤٥ م

٢٢٩ - المغرب في حلي المغرب (لابن سعيد وجماعة من اهل الاندلس) تحقيق شوقي ضيف - مصر ١٩٥٥ م

٢٣٠ - اختصار " القدح المعلى " ، الاصل لابن سعيد ، ومختصره لمحمد بن عبد الله ابن خليل - تحقيق ابراهيم الابياري - القاهرة ، ١٩٥٩ م .

سفر - فؤاد سفر .

٢٣١ - مقال عن اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب في نينوى واربل ، مجلة "سومر" مج ٣ لسنة ١٩٤٧ ص ٧٧ - ٨٦ .

سلام - محمد زغلول سلام .

٢٣٢ - الادب في العصر الايوبي - القاهرة ، ١٩٦٨ م .

السلفى - احمد بن محمد بن احمد الاصفهانى ، المتوفي سنة ٥٧٦ هـ .

٢٣٣ – اخبار وتراجم اندلسية من معجم السفر – تحقيق الدكتور احسان عباس – بيروت ، ١٩٦٣ م .

السلمي – محمد بن الحسين بن محمد ، المتوفي سنة ٤١٢ هـ .

٢٣٤ – طبقات الصوفية – تحقيق JOHANNES PEDERSEN – لايدن ، ١٩٦٠ .

٢٣٥ – رسالة الملامتية – تحقيق ابو العلا عفيفي – مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة – مايو ١٩٤٢ .

السمعاني – ابو سعد عبد الكريم بن محمد ، المتوفي سنة ٥٦٢ هـ .

٢٣٦ – كتاب الانساب – تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي – حيدر اباد ، ١٩٦٢ – ١٩٦٣ م ، ونسخة مصورة بالفوتوستات – لندن ، ١٩١٢ م .

السمهودي – نور الدين على بن عبد الله ، المتوفي سنة ٩١١ هـ .

٢٣٧ – خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى – بولاق ، ١٢٨٥ هـ .

السهروردي – عمر بن محمد بن عبد الله البكري ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ .

٢٣٨ – عوارف المعارف – مصر ، ١٢٩٢ هـ (توجد ترجمة انكليزية للكتاب ، مطبوعة سنة ١٨٩١ م) .

السهيلي – ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي ، المتوفي سنة ٥٨١ هـ .

٢٣٩ – الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام – مصر ، ١٩١٤ م ، وبتحقيق عبد الرحمن الوكيل – مصر ، ١٩٦٧ م .

سومر – مجلة سومر .

٢٤٠ – مقالات لها علاقة باربل بقلم كل من المرحوم ناجي الاصيل وكوركيس عواد وبشير فرنسي ، في الاعداد (٣ و٥ و٨ ، ص ٣٢١ و٢٥٠ على التوالي) وهي للسنوات ١٩٤٩ و١٩٥٢ م .

سيد – فؤاد سيد .

٢٤١ – فهرس المخطوطات المصورة في الجامعة العربية – القاهرة ، ١٩٥٤ م .

٢٤٢ – فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية (القسم الثاني) – القاهرة ، ١٩٦٢ م .

السيرافي – الحسن بن عبد الله ، المتوفي سنة ٣٦٨ هـ .

٢٤٣ – اخبار النحويين البصريين – تحقيق كرنكاو – بيروت ، ١٩٣٦ م .

السيوطي – جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر ، المتوفي سنة ٩١١ هـ .

٢٤٤ – ذيل طبقات الحفاظ – بيروت (بدون تاريخ) .

٢٤٥ – الجامع الصغير في احاديث البشير النذير – القاهرة ، ١٣٢١ هـ .

٢٤٦ – تفسير الجلالين – دمشق ، ١٣٨٥ هـ .

٢٤٧ – بغية الوعاة – طبعة الخانجي – مصر ، ١٣٢٦ هـ ، وبتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . مصر ، ١٩٦٤ م .

٢٤٨ – المزهر في علوم اللغة – تحقيق محمد جاد المولى وآخرين – القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٤٩ – حسن المحاضرة – مصر ، ١٢٩٩ – ١٣٢١ هـ .

٢٥٠ – تاريخ الخلفاء (من عهد ابي بكر – رض – الى سنة ٩١١ هـ) – مصر ، ١٣٥١ هـ .

٢٥١ – الاتقان في علوم القرآن – مصر ، ١٩٢٥ م .

٢٥٢ – لب اللباب (مختصر انساب السمعاني) – تحقيق P.J.NETH – طبعة بريل .

السيوطي – عبد الرحيم السيوطي الجرجاوى (غير معروف الوفاة) .

٢٥٣ – ثالث القمرين على بيتي الرقمتين – مطبعة النيل – مصر ، ١٣٢٥ هـ .

شاد – محمد بادشاه شاد .

٢٥٤ – فرهنك انندراج (قاموس فارسي) – طهران ، ١٣٣٥ شمسي (ادرج ضمن المطبوعات العربية لانه بحروف عربية) .

الشافعى – الامام محمد بن ادريس ، المتوفي سنة ٢٠٤ هـ .
٢٥٥ – ديوان الشافعي – تحقيق زهدي يكن – بيروت ، ١٩٦١ م .
ابو شامة – عبد الرحمن بن اسماعيل ، المتوفي سنة ٦٦٥ هـ .
٢٥٦ – كتاب الروضتين – القاهرة ، ١٢٨٧ هـ .
٢٥٧ – ذيل الروضتين – تحقيق عزة العطار الحسيني – دمشق ، ١٩٤٧ م .
ابن الشحنة – ابو الوليد محمد بن محمد بن الشحنة ، المتوفي سنة ٨٩٠ هـ .
٢٥٨ – روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر (مطبوع بهامش الجزئين ١١ و١٢ من كامل ابن الاثير) بولاق ، ١٣٠٣ هـ .
ابن شداد – محمد بن على بن ابراهيم ، المتوفي سنة ٦٨٤ هـ .
٢٥٩ – الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة – تحقيق الدكتور سامي الدهان – دمشق ، ١٩٥٦ م .
ابن شداد – القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدى ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ .
٢٦٠ – سيرة صلاح الدين الايوبي – مصر ، ١٣١٧ هـ ، وبتحقيق جمال الشيال – القاهرة ، ١٩٦٢ م .
الشعرانى – عبد الوهاب بن احمد الانصارى ، المتوفي سنة ٩٧٣ هـ .
٢٦١ – الطبقات الكبرى – مصر ١٩٢٥ م .
الشنطوفى – علي بن يوسف ، المتوفي سنة ٧١٣ هـ .
٢٦٢ – بهجة الاسرار – القاهرة ، ١٣٠٤ هـ .
ابن شهر اشوب – محمد بن على السروى المارندرانى ، المتوفي سنة ٥٨٨ هـ .
٢٦٣ – مناقب آل ابي طالب – النجف ، ١٩٥٦ م .
الشهرستانى – محمد بن عبد الكريم الشافعى ، المتوفي سنة ٥٤٨ هـ .
٢٦٤ – كتاب الملل والنحل – تحقيق احمد فهمي محمد – مصر ، ١٩٤٨ ، ومطبوع

ايضا في هامش " الفصل " لابن حزم .

الشيال – الدكتور جمال الدين الشيال .

٢٦٥ – اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي – الاسكندرية ، ١٩٦٥ م .

شيخو – المطران بولس شيخو .

٢٦٦ – القيمة التاريخيه لتاريخ اربل مقال في مجله " النجم " التي تصدرها بطركية الكلدان بالموصل ، العدد ٨ لسنة ١٩٣٦ م ص ١٠٤ – ١٠٧ و١٧٥ – ١٨٠ .

شيخ الربوة – محمد بن ابى طالب الانصارى الدمشقى المتوفي سنة ٧٢٧ هـ .

٢٦٧ – نخبة الدهر في عجائب البر والبحر – تحقيق M.FRAEHN and M.A.F.MEHREN ليبزغ ، ١٩٢٣ م .

ابن الصابونى – محمد بن على ، المتوفي سنة ٦٨٠ هـ .

٢٦٨ – تكملة اكمال الأكمال في الانساب والاسماء والالقاب – تحقيق الدكتور مصطفى جواد – بغداد ، ١٩٥٧ م .

صاعد بن احمد الاندلسى ، المتوفي سنة ٤٦٢ هـ .

٢٦٩ – طبقات الامم – تحقيق لويس شيخو – بيروت ، ١٩١٢ م .

الصالح – صبحي الصالح .

٢٧٠ – علوم الحديث ومصطلحه – بيروت ، ١٩٦٥ م .

الصائغ – القس سليمان الصائغ .

٢٧١ – اربيل عند رأي الآثاري فيكتوربلاس – مقال في مجلة " النجم " – العدد ١٣ لسنة ١٩٥٣ ، ص ١٢٩ – ١٣٤ .

الصفدى – صلاح الدين خليل بن أيبك ، المتوفي سنة ٧٦٤ هـ .

٢٧٢ – الوافي بالوفيات – تحقيق عدد من العلماء – استانبول ودمشق وغيرهما ، ١٩٣١ وما بعدها .

٢٧٣ – نكـت الهميـــان في نكت العميان – تحقيق احمد زكي باشا – مصر ، ١٩١١ م .

الضبى – احمـد بن يحيـي بن احمد بن عميرة ، المتوفي سنة ٥٩٩ هـ .

٢٧٤ – بغية الملتمس – مدريد ، ١٨٨٥ م .

الطبرانى – ميمون بن القاسم ، المتوفي سنة ١٠٣٥ هـ .

٢٧٥ – مجمـوع الاعيـاد – تحقـيق R.STROTHMANA فـي مجلة "DERISLAM" مج ٢٧ – برلين ١٩٤٦ م .

الطبرى – محمد بن جرير ، المتوفي سنة ٣١٠ هـ .

٢٧٦ – تفسير القران الكريم – مصر ، ١٣٢١ هـ .

٢٧٧ – تاريخ الطبري – تحقيق دي غوييه – لايدن ، ١٨٨٣ م

طلس – محمد اسعد طلس .

٢٧٨ – الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف – بغداد ، ١٩٥٣ م .

طليمات – الدكتور عبد القادر احمد طليمات .

٢٧٩ – مظفر الدين كوكبوري ، امير اربل – القاهرة ، ١٩٦٣ م .

ابن الطقطقى – محمد بن على بن طباطبا ، المتوفي سنة ٧٠٩ هـ .

٢٨٠ – الفخرى في الآداب السلطانية – تحقيق H.DERENBOURG – باريس، ١٨٩٥ م .

الطهرانى – اغابزرك محمد محسن ، المتوفي سنة ١٩٧٠ م .

٢٨١ – الذريعة الى تصانيف الشيعة – طهران ،١٩٤٧ م .

٢٨٢ – كتاب الانوار الساطعة – بيروت ، ١٩٧٢ م .

الطهطاوى – احمـد رافع الحسـينى القاسمى ، المتوفي سنة ١٣٥٥ هـ .

٢٨٣ – التنبـيه والايقـاظ لمـا في ذيول طبقات الحفاظ للذهبي – بيروت (بدون تاريخ) .

الطهطاوى – عبده اسماعيل الطهطاوى .

٢٨٤ – مقال عن " نور الدين زنكي " في مجلة " دعوة الحق " المغربية – عدد سبتمبر ١٩٧٠ م ص ٨٠ .

الطوسي –محمد بن محمود المتوفي سنة ٤٦٠ هـ(ويعرف بشيخ الطائفة) .

المبسوط – طهران ، ١٣٨٧ هـ تهذيب الاحكام – طهران ، ١٣٩٠ هـ النهاية في مجرد الفقه والفتاوي – بيروت ١٩٧٠ م .

١٨٥ – تفسير النبيان – تحقيق احمد حسب العاملي – النجف ، ١٩٦٣ م .

ابن طولون – شمس الدين ، محمد بن علي ، المتوفي سنة ٩٥٣ هـ .

٢٨٦ – قضاة دمشق – تحقيق صلاح الدين المنجد – دمشق ، ١٩٥٦ م .

الظاهرية – دار الكتب الظاهرية بدمشق .

٢٨٧ – فهارس المخطوطات – دمشق ، ١٩٤٧ و١٩٦٢ و ١٩٦٣ و ١٩٦٤ م (وضعها السادة يوسف العش وعزة حسن وعبد الغني الدقر)

العبادى – ابو عاصم محمد بن احمد ، المتوفي سنة ٤٥٨ هـ .

٢٨٨ – طبقات فقهاء الشافعية – تحقيق GOSTANTTESTAM – لايدن ١٩٦٤.

عبد الباقى : محمد فؤاد .

٢٨٩ – تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي – مصر ، ١٩٣٥ م .

ابن عبد البر – يوسف بن عبد الله النمرى القرطبى ، المتوفي سنة ٤٦٣ هـ.

٢٩٠ – الاستيعاب في معرفة الاصحاب – حيدر اباد ، ١٣١٨ هـ .

عبد الجبار عبد الرحمن .

٢٩١ – دليل المراجع العربية والمعربة – البصرة ، ١٩٧٠ م .

ابن عبد الحق – عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ، المتوفي سنة ٧٣٩ هـ .

٢٩٢ – مراصد الاطلاع في اسماء الاماكن والبقاع – تحقيق T.G. JUYNBOLL – لايدن ، ١٨٤٢ م .

ابن عبد الحكم – عبد الله بن عبد الحكم ، المتوفي سنة ٢١٤ هـ .

٢٩٣ – سيرة عمر بن عبد العزيز – القاهرة ، ١٩٢٧ م .

ابن عبد ربه – احمد بن محمد الاندلسي ، المتوفي سنة ٣٢٨ هـ .

٢٩٤ – العقد الفريد ، تحقيق احمد امين وآخرين – القاهرة ، ١٩٤٠ (فهارس الكتاب من اعداد محمد شفيع ، طبعت في كلكتا سنة ١٩٣٥) .

ابو عبيد – القاسم بن سلام النحوي الهروي ، المتوفي سنة ٢٢٤ هـ .

٢٩٥ – كتاب الاجناس – تحقيق امتياز علي الرامفوري – بومباي ، ١٩٣٨ م .

٢٩٦ – غريب الحديث – حيدر اباد ، ١٩٦٤ م .

ابو العتاهية – اسماعيل بن القاسم ، المتوفي سنة ٢١٣ هـ .

٢٩٧ – ديوان ابي العتاهية – طبعة صادر – بيروت ، ١٩٦٤ م .

العتبي – محمد بن عبد الجبار العتبي ، المتوفي سنة ٤٢٧ هـ .

٢٩٨ – تاريخ العتبي وشرحه المسمى " الفتح الوهبي " للشيخ المنيني – مصر ، ١٢٨٦ هـ .

ابن العديم – عمر بن احمد بن هبة الله ، المتوفي سنة ٦٦٦ هـ .

٢٩٩ – بغية الطلب في تاريخ حلب – تحقيق الدكتور سامي الدهان – دمشق ، ١٩٥١ – ١٩٦٨ م .

العراق – المجمع العلمي العراقي .

٣٠٠ – مجلة المجمع العلمي العراقي

العراق – الحكومة العراقية – وزارة التخطيط .

٣٠١ – المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٦٥ – دائرة الاحصاء المركزية – بغداد ، ١٩٦٦ م .

العراق – وزارة الداخلية (مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة) .

٣٠٢ – دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥ – بغداد ، ١٩٦٥ م .

العربى – مجلة كويتية العددان ١٦٧ و ١٩٦ لشهرى تشرين اول ١٩٧٢ وآذار ١٩٧٥ ص ٨٨ وص ٧٠ علي التوالى .

ابن العربى – محمد بن على بن محمد الطائى ، المتوفي سنة ٦٣٨ هـ .

٣٠٣ – كتاب الفناء في المشاهدة – حيدر اباد ، ١٣٦١ هـ .

عزام – الدكتور محمد عبده عزام .

٣٠٤ – شرح التبريزي لديوان ابي تمام – القاهرة ، ١٩٥١ م .

العزاوى – عباس العزاوى .

٣٠٥ – التعريف بالمؤرخين في العراق – بغداد ، ١٩٥٧ م .

٣٠٦ – العراق بين احتلالين – بغداد ، ١٩٣٥ م .

٣٠٧ – امارة آل بكتكين باربل – مجلة المجمع العربي بدمشق – اعداد المجلدين ٢١ و٢٢ لسنتي ١٩٤٦ و١٩٤٧ م .

ابن عساكر – على بن الحسن الدمشقى ، المتوفي سنة ٥٧١ هـ .

٣٠٨ – تاريخ دمشق – تحقيق صلاح الدين المنجد – دمشق ، ١٩٥١ – ١٩٥٤ م ، وذيله لابي يعلى حمزة بن القلانسي – بيروت ، ١٩٠٨ م ، و" تهذيب تاريخ دمشق" لابن بدران ، المطبوع بدمشق سنة ١٣٣١ هـ .

ابو العلا عفيفى .

٣٠٩ – مقال " الملامتية والصوفية واهل الفتوة " في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة – عدد مايو ١٩٤٣ م .

العماد الاصفهانى – محمد بن محمد بن حامد ، المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .

٣١٠ – خريدة القصر (قسم العراق – تحقيق محمد بهجة الاثري – بغداد ، ١٩٦٤ .

٣١١ – خريدة القصر (قسم الشام) – تحقيق شكري فيصل – دمشق ، ١٩٥٥ – ١٩٥٩ م .

٣١٢ – خريدة القصر (قسم مصر) – تحقيق احمد امين وآخرين – القاهرة ، ١٩٥٢ م .
٣١٣ – خريدة القصر (قسم المغرب) – تحقيق محمد المرزوقي – تونس ، ١٩٦٦ م ، واخرى بتحقيق عمر الدسوقي – القاهرة ، ١٩٦٩ م .
٣١٤ – تاريخ دولة سلجوق – مصر ، ١٩٠٠ م .
٣١٥ – الفتح القسي في الفتح القدسي – مصر ، ١٣٢١ هـ ، وتحقيق CARLODE LANOBERG – لايدن ١٨٨٨ م .
ابن العماد – عبد الحى بن العماد الحنبلى ، المتوفي سنة ١٠٨٩ هـ .
٣١٦ – شذرات الذهب – مصر ، ١٣٥٠ هـ .
العمرى (ابن فضل الله) – احمد بن يحيي ، المتوفي سنة ٧٤٩ هـ .
٣١٧ – مسالك الابصار في ممالك الامصار – تحقيق احمد زكي باشا – القاهرة ، ١٩٢٤ م .
ابن عِنبه – احمد بن على الحسينى ، المتوفي ٨٢٨ هـ .
٣١٨ – عمدة الطالب في انساب آل ابى طالب – النجف ، ١٩٦١ م .
ابن عُنين – محمد بن نصر الدمشقى ، المتوفي سنة ٦٣٠ هـ .
٣١٩ – ديوان ابن عنين – تحقيق خليل مردم – دمشق ، ١٩٤٦ م .
عواد – كوكيس عواد .
٣٢٠ – المخطوطات في مكتبة يعقوب سركيس – بغداد ، ١٩٦٦ م .
٣٢١ – المخطوطات التاريخية في مكتبة المتحف العراقي – مجلة " سومر " – مج ١٣ لسنة ١٩٥٧ م .
٣٢٢ – خزائن الكتب القديمة في العراق – بغداد ، ١٩٤٨ م .
٣٢٣ – بلدان الخلافة الشرقية (الاصل من تاليف لوسترانج ، وقد ترجمه عواد مع بشير فرنسيس) بغداد ، ١٩٥٤ م .
العينتابى – سامى اسعد .

٣٢٤ – فهرس المطبوعات العربية في مكتبة العينتابي – حلب ، ١٩٦٣ م .

غالب – اسماعيل غالب .

٣٢٥ – موزه همايون ، مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي – استامبول ، ١٣١٢ هـ (ادرج ضمن المطبوعات العربية لانه مطبوع باحرف عربية) .

الغُبريني – ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله ، المتوفي سنة ٧١٤ هـ .

٣٢٦ – عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية – تحقيق عادل نويهض – بيروت ، ١٩٦٩ م .

الغزالي – ابو حامد محمد بن محمد ، المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

٣٢٧ – احياء علوم الدين – مصر ،١٢٨٢ هـ .

٣٢٨ – المنقذ من الضلال – دمشق ، ١٩٣٤ م .

الغلامي – عبد المنعم .

٣٢٩ – الانساب والاسر – بغداد ، ١٩٦٥ م .

ابن فاتك – مبشر بن فاتك ، المتوفي سنة ٤٨٠ هـ (وقيل ٥٠٠ هـ) .

٣٣٠ – مختار الحكم ومحاسن الكلم – تحقيق عبد الرحمن بدوي – مدريد ، ١٩٥٨ م .

ابن الفارض – عمر بن على المصرى ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ .

٣٣١ – ديوان ابن الفارض – طبع بالقاهرة باشراف مصطفى سلامة البخاري ، سنة ١٢٧٥ هـ (قام المستشرق البريطاني المعروف آربري بترجمة بعض قصائد ابن الفارض الى الانكليزية وقد طبعت بلندن سنة ١٩٥٢ م) .

الفارقى – احمد بن يوسف بن على بن الازرق ، المتوفي فى اواخر القرن السادس الهجرى .

٣٣٢ – تاريخ ميافارقين وآمد (تاريخ الفارقي) – تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض – القاهرة ، ١٩٥٩ م .

الفاسي– تقي الدين محمد بن احمد بن اسماعيل المكي، المتوفي سنة ٨٣٢ هـ.

٣٣٣ – العقد الثمين في تاريخ البلد الامين – القاهرة، ١٩٥٩ م.

٣٣٤ – منتخب المختار في علماء بغداد والواردين اليها المذيل على تاريخ بغداد لابن النجار (الاصل تأليف ابن رافع السلامي، ومختصره للفاسي) – تحقيق عباس العزاوي – بغداد، ١٩٣٨ م.

فان دايك – ادورد، المتوفي سنة ١٨٩٣ م.

٣٣٥ – اكتفاء القنوع بما هو مطبوع – مصر، ١٨٩٧ م..

الفتح بن خاقان، المتوفي سنة ٥٣٠ هـ.

٣٣٦ – قلائد العقيان في محاسن الاعيان – تحقيق محمد العناني – تونس، ١٩٦٦ م.

ابو الفداء – الملك المؤيد اسماعيل بن علي، صاحب حماة، المتوفي سنة ٧٣٢ هـ.

٣٣٧ – كتاب المختصر في اخبار البشر – مصر (بدون تاريخ)، وطبعة اوربية – تحقيق I.REISKII.

٣٣٨ – تقويم البلدان – تحقيق CHARLES SCHIER – درسدن، ١٨٤٦ واخرى بتحقيق دي سلين – باريس سنة ١٨٤٠ م.

ابن الفرات – محمد بن عبد الرحيم، المتوفي سنة ٨٠٧ هـ.

٣٣٩ – تاريخ ابن الفرات – المجلد التاسع بتحقيق الدكتور قسطنطين زريق – بيروت، ١٩٣٦ م، والمجلد الخامس بتحقيق حسن الشماع – البصرة، ١٩٧٠ م (المطبوع هو الجزء الاول من كلا المجلدين).

ابو الفرج الاصبهاني – علي بن الحسين، المتوفي ٣٥٦ هـ.

٣٤٠ – كتاب الاغاني -- طبعة بولاق، وطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٨ م، و« مهذب الاغاني " لمحمد الخضري، طبعة القاهرة. (اما فهارس « الاغاني » فهي من اعداد المستشرق غويدي).

٣٤١ – مقاتل الطالبيين – تحقيق احمد صقر ، القاهرة – ١٩٤٩ م .
ابن الفقيه – احمد بن محمد الهمذاني ، المتوفي سنة ٣٦٥ هـ .
٣٤٢ – كتاب البلدان – تحقيق دي غوييه – لايدان ، ١٨٨٥ م .
ابن الفوطي – عبد الرزاق بن احمد الشيباني ، المتوفي سنة ٧٢٣ هـ .
٣٤٣ – تلخيص معجم الالقاب – تحقيق الدكتور مصطفى جواد – دمشق ، ١٩٦٢ – ١٩٦٧ م .
٣٤٤ – الحوادث الجامعة – تحقيق الدكتور مصطفى جواد – بغداد ، ١٣٥١ هـ (علما بان المحقق يميل الى نسبة هذا الكتاب الى مؤلف آخر غير ابن الفوطي ، لاسباب رآها بعد النشر) .
الفيومي – احمد بن محمد بن علي الفيومي ، المتوفي سنة ٧٧٠ هـ .
٣٤٥ – المصباح المنير (معجم) – مصر ،١٣١٢ هـ .
القاري –علي بن محمد المعروف بملا علي القاري ، المتوفي سنة ١٠١٤ هـ .
« كتاب الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة » . تحقيق محمد الصباغ بيروت ١٩٧١ م .
ابن قتيبة الدينوري – عبد الله بن مسلم ، المتوفي سنة ٢٧٦ هـ .
٣٤٦ – كتاب المعارف – مصر ، ١٩٣٤ م .
ابن قدامة – عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ، المتوفي سنة ٦٢٠ هـ .
٣٤٧ – المغني – تحقيق محمد رشيد رضا – مصر ، ١٣٦٧ هـ (كتاب فقه) .
القرشي –عبد القادر بن ابي الوفاء محمد المصري ، المتوفي سنة ٧٧٥ هـ .
٣٤٨ – الجواهر المضية في طبقات الحنفية – حيدر اباد ، ١٣٣٢ هـ .
القرطبي – محمد بن احمد الانصاري ، المتوفي سنة ٦٧١ هـ .
٣٤٩ – الجامع لاحكام القرآن (تفسير) – مصر ، ١٩٣٩ م .
القزاز – الآنسة وداد علي .
٣٥٠ – مقال صغير في وصف بقايا " المنارة المظفرية " باربل – مجلة " سومر " مج

١٦ لسنة ١٩٦٠ م ص ١٢٧ .

القزويني – زكريا بن محمد بن محمود ، المتوفي سنة ٦٨٢ هـ .

٣٥١ – اثار البلاد واخبار العباد – تحقيق وستنفيلد – كوتنكن ، ١٨٤٩ م .

القطامي – عمير بن شُييم التغلبي ، المتوفي سنة ١٣٠ هـ .

٣٥٢ – ديوان القطامي – تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب – بيروت ، ١٩٦٠ م .

ابن قُطلوبُغا – زين الدين قاسم بن قطلوبغا ، المتوفي سنة ٨٧٩ هـ .

٣٥٣ – تاج التراجم في طبقات الحنفية – بغداد ، ١٩٦٢ م .

القفطي – علي بن يوسف ، المتوفي سنة ٦٤٦ هـ .

٣٥٤ – المحمدون من الشعراء – تحقيق حسن معمري – بيروت ، ١٩٧٠ م .

٣٥٥ – انباه الرواة على انباه النحاة – تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – القاهرة، ١٩٥٠ م .

٣٥٦ – تاريخ الحكماء (اخبار العلماء باخبار الحكماء) – طبعة مصر سنة ١٣٢٦هـ، واخرى بتحقيق JULUSLIPPERT طبعت في ليبزغ – ١٩٠٣ م .

القلانسي – ابو يعلي حمزة بن اسد ، المتوفي سنة ٥٥٥ هـ .

٣٥٧ – ذيل تاريخ دمشق – بيروت ، ١٩٠٨ م .

القلقشندي – ابو العباس احمد بن علي ، المتوفي سنة ٨٢١ هـ .

٣٥٨ – صبح الاعشى – طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٢٢ م .

٣٥٩ – نهاية الارب في معرفة انساب العرب – تحقيق علي الخاقاني – بغداد ، ١٩٥٨ م ، واخرى بتحقيق ابراهيم الابياري – القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٣٦٠ – قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان – تحقيق ابراهيم الابياري – القاهرة ، ١٩٦٣ م .

ابن قنفذ القسنطيني – احمد بن حسن بن علي الخطيب ، المتوفي سنة ٨٠٩ هـ .

٣٦١ – كتاب الوفيات – تحقيق عادل نويهض – بيروت ، ١٩٧١ م .

ابن قيم الجوزية – محمد بن ابى بكر الزرعى الدمشقى ، المتوفي سنة ٧٥١ هـ (اخطأ ناشر ، زاد المعاد ، فسماه محمد بن بكر) .

٣٦٢ – زاد المعاد – مصر (بدون تاريخ) .

٣٦٣ – اخبار النساء – بيروت (بدون تاريخ) .

الكتانى – محمد بن جعفر ، المتوفي سنة ١٣٤٥ هـ .

٣٦٤ – الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة – كراجي ، ١٩٦٠ م ، لها طبعة اخرى في بيروت .

الكتبى – محمد بن شاكر ، المتوفي سنة ٧٦٤ هـ .

٣٦٥ – فوات الوفيات – تحقيق محمد محيي عبد الحميد – مصر (بدون تاريخ) ، وطبعة اخرى ببولاق ، ١٢٩٩ هـ .

كثير عزة – كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، المتوفي سنة ١٠٥ هـ .

٣٦٦ – شرح ديوان كثير – تحقيق هنري بيرص – الجزائر وباريس ، ١٩٢٨ م .

ابن كثير – اسماعيل بن عمر القرشى ، المتوفي سنة ٧٧٤ هـ .

٣٦٧ – شمائل الرسول (ﷺ) – تحقيق مصطفى عبد الواحد – القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٣٦٨ – البداية والنهاية (التاريخ) – طبعة مصر ، ١٩٣٢ م .

كحالة – عمر رضا كحالة .

٣٦٩ – معجم المؤلفين – دمشق ، ١٩٥٧ م .

٣٧٠ – معجم القبائل – دمشق ، ١٩٤٩ م .

٣٧١ – جغرافية جزيرة العرب – دمشق ، ١٩٤٥ م .

الكردى – محمد بن سليمان المدنى ، المتوفي سنة ١١٩٤ م .

٣٧٢ – الحواشي المدنية في الفقه الشافعي – مصر ، ١٣٠٢ هـ .

الكلينى–محمد بن يعقوب المتوفي سنة ٣٢٩ هـ– الكافى–النجف، ١٣٩١هـ.

لبيد بن ربيعة ، المتوفي سنة ٤١ هـ .

٢٧٣ – ديوان لبيد – تحقيق الدكتور احسان عباس – الكويت ، ١٩٦٢ م .

اللكنوى – محمد عبد الحي بن محمد ، المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ .

٢٧٤ – الفوائد البهية في تراجم الحنفية – مصر ، ١٣٢٤ هـ .

الماتريدى – محمد بن محمد بن محمود السمرقندى ، المتوفي سنة ٣٣٣ هـ .

٢٧٥ – كتاب التوحيد – تحقيق فتح الله خليف – بيروت ، ١٩٧٠ م .

ابن ماجه – محمد بن يزيد القزويني ، المتوفي سنة ٢٧٥ هـ .

٢٧٦ – السنن – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – مصر ، ١٩٥٢ م .

ابن ماكولا – علي بن هبة الله ، المتوفي سنة ٤٧٥ هـ .

٢٧٧ – الاكمال – تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني – حيدر اباد ، ١٩٦٢ م .

مالك بن انس الاصبحي (الامام) ، المتوفي سنة ١٧٩ هـ .

٢٧٨ – الموطأ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – مصر ، ١٩٥١ م .

المامقاني – الحاج عبد الله بن محمد حسن ، المتوفي سنة ١٣٥١ هـ .

٢٧٩ – تنقيح المقال في احوال الرجال – النجف ، ١٣٥٠ هـ .

المبرد – محمد بن يزيد الازدى ، المتوفي سنة ٢٨٦ هـ .

٢٨٠ – الكامل – تحقيق رايت – ليبزغ ، ١٨٨٢ م .

المتقي الهندى – علي بن حسام الدين ، المتوفي سنة ٩٧٥ هـ .

٢٨١ – كنز العمال في سنن الاقوال والافعال – حيدر اباد ، ١٩٤٥ م ، وطبعة اخرى في بولاق بهامش « مسند » احمد بن حنبل ، و« منتخب كنز العمال » مطبوع ايضا في هامش « المسند » المذكور ، سنة ١٣١٣ هـ .

المتنبي – احمد بن الحسين الجعفي ، المتوفي سنة ٣٥٤ هـ .

٢٨٢ – ديوان المتنبي – طبعة كلكتا ، ١٢٣٠ هـ .

المجلسي – محمد باقر ، المتوفي سنة ١١١١ هـ .

٢٨٣ – بحار الانوار – طهران ، ١٣٧٦ – ١٣٩٢ هـ .

مجنون ليلي – قيس بن الملوح ، المتوفي سنة ٦٨ هـ .

٣٨٤ – ديوان مجنون ليلى – جمع ابي بكر الوالبي – مصر ، ١٢٩٤ و١٣٠١ هـ و١٩٣٩ م ، وطبعة رابعة بتحقيق عبد الستار احمد فراج ، طبعت بمصر ايضا (بدون تاريخ) .

محمد بن سليمان

٣٨٥ – جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد – تحقيق عبد الله هاشم اليماني المدني – المدينة المنورة ، ١٩٦١ م .

محمد بن عبد الله بن خليل (تاريخ وفاته غير معروف) .

٣٨٦ – اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى (الاصل لابن سعيد الاندلسي) – تحقيق ابراهيم الابياري –القاهرة ١٩٥٩ م .

ابن مخرمة – عبد الله بن الطيب بن عبد الله ، المتوفي سنة ٩٥٧ هـ (ابا مخرمة) .

٣٨٧ – تاريخ ثغر عدن (مع نخب من تواريخ اخرى) – تحقيق LOFGREN OSCAR – لايدن ، ١٩٣٦ م .

مدريد – المكتبة الوطنية .

٣٨٨ – فهرس المخطوطات العربية – مدريد ، ١٨٨٩ م .

المراكشي – محمد بن محمد بن عبد الملك الانصارى الاوسى ، المتوفي سنة ٧٠٣ هـ .

٣٨٩ – الذيل والتكملة – تحقيق الدكتور احسان عباس – بيروت ، ١٩٦٥ م .

المرزباني – محمد بن عمران ، المتوفي سنة ٣٨٤ هـ .

٣٩٠ – معجم الشعراء – تحقيق كرنكو – القاهرة (بدون تاريخ) ، وبتحقيق عبد الستار فراج – مصر ، ١٩٦٠ م .

المزى – يوسف بن الزكى المزى ، المتوفي سنة ٧٤٢ هـ .

٣٩١ – فتح الاشراف بمعرفة الاطراف (انظر المرجع ١٢٣ أعلاه) – تحقيق عبد الصمد شرف الدين – بومبي ، ١٩٦٥ م (للمحقق كتاب " الكشاف عن ابواب مراجع فتح الاشراف » – بومبي ، ١٩٦٦) .

مسلم بن الحجاج القشيرى ، المتوفي سنة ٢٦١ هـ .

٣٩٢ – الجامع الصحيح –استانبول ، ١٣٢٩ هـ .

مصر – دار الكتب المصرية .

٣٩٣ – فهرس الكتب العربية الواردة للدار – القاهرة ، ١٩٤٢ م .

٣٩٤ – فهرس مخطوطات مصطلح الحديث للدار – القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٣٩٥ – فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٦١ – ١٩٦٣ م .

معروف – بشار عواد معروف .

٣٩٦ – المنذري وكتابه التكملة – النجف ، ١٩٦٨ م .

٣٩٧ – مقال عن « كتب الوفيات واهميتها في دراسة التاريخ الاسلامي » – مجلة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد .

معروف – الدكتور ناجى معروف .

٣٩٨ – علماء المستنصرية – بغداد ، ١٩٥٩ م .

المعرى احمد بن عبد الله التنوخى ، المتوفي سنة ٤٤٩ هـ .

٣٩٩ – لزوم مالايلزم – تحقيق امين عبد العزيز – مصر ، ١٩١٥ م .

المغربى – احمد بن خالد الناصرى السلاوى ، المتوفي سنة ١٣١٥ هـ .

٤٠٠ – الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى – الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م .

المفضل بن محمد الضبى ، المتوفي سنة ١٦٨ هـ .

٤٠١ – المفضليات – تحقيق LYALL – بيروت ، ١٩٢٠ م .

المقدسى – انيس المقدسى .

٤٠٢ – امراء الشعر في العصر العباسي – بيروت ، ١٩٥٣ م .

المقرى – احمد بن محمد بن احمد التلمسانى المالكى ، المتوفي سنة ١٠٤١هـ .

٤٠٣ – نفح الطيب – تحقيق دوزي – لابدن ، ١٨٥٥ م ، وبتحقيق محمد محيي عبد الحميد سنة ١٩٤٩ م ، وطبعة بولاق ١٢٧٩ هـ ، وطبعة مصر ، ١٣٠٢ هـ .

المقريزى – احمد بن على الحسينى ، المتوفي سنة ٨٤٥ هـ .

٤٠٤ – كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار – باشراف WIET – القاهرة ، ١٩١٣ م ، وطبعة بولاق (بدون تاريخ) .

٤٠٥ – كتاب السلوك – تحقيق محمد مصطفى زيادة – مصر ، ١٩٣٤ م .

المكي – تقي الدين محمد بن فهد ، المتوفي سنة ٨٧١ هـ .

٤٠٦ – لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي – تحقيق الكوثري – بيروت (بدون تاريخ) .

المناوى – عبد الرؤوف المناوى ، المتوفي سنة ١٠٢٩ هـ .

٤٠٧ – كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق – القاهرة ، ١٣٢١ هـ (مطبوع بهامش الجامع الصغير للسيوطي) .

٤٠٨ – الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية – القاهرة ، ١٩٣٨ م .

المنجد – الدكتور صلاح الدين .

٤٠٩ – اعلام التاريخ والجغرافية – بيروت ، ١٩٥٩ م .

المنذرى – عبد العظيم بن عبد القوى ، المتوفي سنة ٦٥٦ هـ .

٤١٠ – التكملة لوفيات النقلة – تحقيق بشار عواد معروف – النجف ، ١٩٦٨ م.

٤١١ – مختصر صحيح مسلم – تحقيق « محمد ناصر الدين الالباني » – الكويت ، ١٩٦٩ م .

منصور – عبد الحفيظ منصور .

٤١٢ – فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس – بيروت ، ١٩٦٩ م .

ابن منظور – محمد بن مكرم ، المتوفي سنة ٧١١ هـ .

٤١٣ – معجم لسان العرب – بيروت ، ١٩٥٥ م .

ابن منقذ – اسامة بن مرشد الكناني ، المتوفي سنة ٥٨٤ هـ .

٤١٤ – كتاب الاعتبار – تحقيق هارتويغ ديرينبرغ – لايدن ، ١٨٨٤ م ، وطبعة فيليب حتي ، اميركا ١٩٣٠ م .

٤١٥ – المنازل والديار –تحقيق انس خالدوف – موسكو ، ١٩٦١ م .

الميداني – احمد بن محمد بن احمد النيسابورى ، المتوفي سنة ٥١٨ هـ .

٤١٦ – مجمع الامثال – تحقيق محمد محيي عبد الحميد – مصر ، ١٩٥٩ م ، وطبعة اخرى بمصر ، ١٣١٠ هـ .

النابغة الذبياني – زياد بن معاوية ، المتوفي سنة ١٨ قبل الهجرة .

٤١٧ – ديوان النابغة – تحقيق R.FESTSCHRIFT – سان بطرسبرغ ، ١٨٩٧ م ، وبتحقيق دير ينبرغ – باريس ، ١٨٩٩ م .

النابلسي – محمد بن عبد القادر ، المتوفي سنة ٧٩٧ هـ .

٤١٨ – مختصر طبقات الحنابلة لمحمد بن ابي يعلى الفراء – تحقيق احمد عبيد – دمشق ، ١٣٥٠ هـ .

ابن ناقيا البغدادى – عبد الله بن محمد بن الحسين ، المتوفي سنة ٤٨٥ هـ .

٤١٩ – الجمان في تشبيهات القرآن – تحقيق عدنان محمد زرزور وزميله – الكويت ١٩٦٨ م .

النجف – مكتبة أية الله الحكيم العامة ..

٤٢٠ – فهرس نوادر المخطوطات في المكتبة – الحلقة الاولى – النجف ، ١٩٦٢ م

ابن النديم – محمد بن اسحق ، المتوفي سنة ٣٨٥ هـ .

٤٢١ – كتاب الفهرست – مصر ، ١٣٤٨ هـ ، له ترجمة بالانكليزية قام بها الدكتور بيارد دودج .

النسائي – احمد بن شعيب ، المتوفي سنة ٣٠٣ هـ .

٤٢٢ – السنن – شرح السيوطي – القاهرة ، ١٩٣٠ م .

النسوى – محمد بن احمد المنشيء ، المتوفي سنة ٦٣٩ هـ .

٤٢٣ – سيرة جلال الدين منكوبرتي – تحقيق هوداس – باريس ، ١٨٩١ م . النشار – على سامي .

٤٢٤ – فهرس مخطوطات المسجد الاحمدي بطنطا – الاسكندرية ، ١٩٦٤ م .

ابو نُعيم – احمد بن عبد الله الاصبهانى ، المتوفي سنة ٤٣٠ هـ .
٤٢٥ – ذكر اخبار اصبهان – لايدن ، ١٩٣١ م .
٤٢٦ – حلية الاولياء – مصر ، ١٩٣٢ م .
٤٢٧ – مختصر الصفوة لابن الجوزي – مصر ، ١٣٣٩ هـ .
النعيمى – عبد القادر بن محمد ، المتوفي سنة ٩٢٧ هـ .
٤٢٨ – الدارس في تاريخ المدارس – تحقيق جعفر الحسني – دمشق ، ١٩٤٨ م .
النقشبندى – السيد ناصر .
٤٢٩ – الدينار الاسلامي في المتحف العراقي – بغداد ، ١٩٥٣ م .
النهر والى – قطب الدين محمد بن احمد المكى ، مفتى الحرمين المتوفي سنة ٩٩٨ هـ .
٤٣٠ – الاعلام باعلام بلد الله الحرام – تحقيق وستنفيلد – ليبزغ ، ١٨٥٧ م ، واخرى طبعت بمصر ، ١٣٠٢ هـ .
النووى – محيى الدين يحيى بن شرف ، المتوفي سنة ٦٧٦ هـ .
٤٣١ – شرح صحيح مسلم – القاهرة ، ١٩٢٩ – ١٩٣٠ م .
٤٣٢– تهذيب الاسماء واللغات – مصر (بدون تاريخ) .
النويرى – احمد بن عبد الوهاب ، المتوفي سنة ٧٣٣ هـ .
٤٣٣ – نهاية الارب في فنون الادب – القاهرة ، ١٩٣١ م .
هارون – عبد السلام هارون .
٤٣٤ – تهذيب سيرة ابن هشام – القاهرة ، ١٩٥٥ م .
الهاشمى – طه الهاشمى
٤٣٥ – مفصل جغرافية العراق – بغداد ، ١٩٣٠ م .
ابن هانى الاندلسى – محمد بن هانى ، المتوفي سنة ٣٦٢ هـ .
٤٣٦ – ديوان ابن هاني – بيروت ، ١٩٦٤ م .
الهَجْويرى – على بن عثمان الجُلاَبى ، المتوفي سنة ٤٦٥ هـ .

٤٣٧ – كشف المحجوب (ترجمة نيكلسون من الفارسية الى الانكليزية) لايدن ، ١٩١١ م ، وبالفارسية طبعتان ، احداهما في لننغراد ، ١٩٢٦ م، والاخرى سنة ١٣٣٠ هـ (المكان غير معروف) .

الهروى – على بن ابى بكر الموصلى ، المتوفي سنة ٦١١ هـ .

٤٣٨ – كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات – تحقيق _ J SOURDEL THOMINE – دمشق ، ١٩٥٣ (له ترجمة فرنسية) .

٤٣٩ – التذكرة الهروية (مايتعلق بالخطب الهروية) – تحقيق مطيع المرابط – دمشق، ١٩٧٢م .

ابن هشام – عبد الملك بن هشام الحميرى ، المتوفي سنة ٢١٨ هـ .

٤٤٠ – السيرة النبوية – تحقيق وستنفيلد – كوتنكن ، ١٨٥٩ م ، وتحقيق مصطفى السقا وآخرين – القاهرة ، ١٩٣٦ و١٩٥٥ م.

الهيتمى – الشهاب احمد بن حجر المكى الشافعى ، المتوفي سنة ٩٧٤ هـ .

٤٤١ – الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة – القاهرة ، ١٣١٥ هـ .

٤٤٢ – تطهير الجنان واللسان (في النهي عن ثلب معاوية بن ابي سفيان ، وهو مطبوع بذيل الكتاب السابق) .

ابن واصل – جمال الدين محمد بن سالم ، المتوفي سنة ٦٩٧هـ .

٤٤٣ – مفرج الكروب – تحقيق جمال الدين الشيال – القاهرة ، ١٩٥٧ م .

الواقدى – محمد بن عمر بن واقد ، المتوفي سنة ٢٠٧ هـ .

٤٤٤ – كتاب المغازي – تحقيق م . جونز – طبعة اوكسفورد ، ١٩٦٦ م .

الوأواء الدمشقى – محمد بن احمد الغسانى ، المتوفي ٣٧٨ هـ .

٤٤٥ – ديوان شعره – تحقيق الدكتور سامي الدهان – دمشق ، ١٩٥٠ ، واخرى طبعة اوربا .

ابن الوردى – عمر بن مظفر ، المتوفي سنة ٧٤٩ هـ .

٤٤٦ – تتمة المختصر في اخبار البشر – تحقيق احمد رفعت البدراوي – بيروت ، ١٩٧٠ م .
وكيع – محمد بن خلف بن حيان ، المتوفي سنة ٣٦ هـ .
٤٤٧ – اخبار القضاة – تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي – مصر ، ١٩٤٧ م .
اليافعى – عبد الله بن اسعد بن على ، المتوفي سنة ٧٦٨ هـ .
٤٤٨ – مرأة الجنان – حيدر اباد ، ١٣٣٨ هـ .
ياقوت الحموي – ياقوت بن عبد الله ، المتوفي سنة ٦٢٦ هـ .
٤٤٩ – المشترك وضعا والمفترق صقعا – طبعة كوتنكن ، ١٨٤٦ م .
٤٥٠ – معجم البلدان – تحقيق وستنفيلد – ليبزغ ، ١٨٦٦ م ، واخرى طبعة مصر ، ١٩٠٦ م .
٤٥١ – معجم الادباء – تحقيق مرغوليوث – مصر ، ١٩٢٣ م ، واخرى طبعة وزارة المعارف المصرية –القاهرة ، ١٩٣٨ م .
اليعقوبى – احمد بن اسحق بن واضح ، المتوفي سنة ٢٩٢ هـ .
٤٥٢ – كتاب البلدان – تحقيق دي غوبيه – لايدن ، ١٨٩٢ م .
ابن ابى يعلي – محمد بن ابى يعلي بن الفراء ، المتوفي سنة ٥٢٦ هـ .
٤٥٣ – طبقات الحنابلة – تحقيق محمد حامد الفقي – القاهرة ، ١٩٥٢ م (انظر مختصره للنابلسي برقم ٤١٨ أعلاه) .
اليغمورى – يوسف بن احمد الدمشقى ، المتوفي سنة ٦٧٣ هـ .
٤٥٤ – نور القبس المختصر من المقتبس في اخبار النحاة والادباء والشعراء والعلماء للمرزباني – تحقيق VON RUDOLF SELLHEIM – طبع ويسبادن ، ١٩٦٤ م .
اليونيني – قطب الدين موسي بن محمد بن احمد البعلبكي الحنبلى ، المتوفي سنة ٧٢٦ هـ .
٤٥٥ – ذيل مرآة الزمان – حيدر اباد ، ١٩٥٤ م .

ثالثا – المطبوعات الاجنبية .

AHMAD, M. HILMY M. — Some Notes on Arabic Historiography During the Zengid and Ayyucid Period (521 - 648 - 1127 - 1250) P P. 79 - 97 .

456 - AINSWORTH, W.F. — Traveland Researches in Asia Minor , Mesopotamia Chaldis and Armenia , London (m.d.)

457 - AINSWORTH, W.F. — Researches in Assyria, Babylonia and chaldis London (m.d.)

458 - ALTAMIRA, R. — A History of Spain, New York 1918

459 - AMARI, M. — STORIA DEI MUSULMAN DI SICILIA, catania 1938

460 - AMELINEAU, E. — La Geographie De l'Egypte Paris 1892.

461 - ARBERRY, A. J. — Handlist of the Arabic Mss in the Chester Beatly library, Dublin 1962

462 - ARBERRY, A. J. — A Second Supp. of Handlist of Muhammadan M.S.S. in Cambridge University Library Cambridge 1952.

463 - BELCT, Jean - Baptiste — Dictionnaire Français - Arabe, Beyrouth 1952

464 - BENJAMIN DE TUDELA — VIAJE DE BENJAMIN DE TUDELA, Madrid 1918

465 - BENJAMIN DE TUDELA — The Itinerary of Benjamin of tudela, by M.N. Adler, London 1907

466 - BERLIN — DIE HANSCHRIFTEN VERZEICHNIESSE DER KÖNIGLICHEN BIBLIOTHEK ZU BERLIN, 1899

467 - BERTRAND, L. — The History of Spain, London 1969

468 - BOWEN, H. — Life and Time of Ali. ibn Isa, cambridge, 1928

469 - BROWNE, E.G. — Handlist of the Muhammadan Mss in Cambridge University Library, Cambridge 1900 and 1922.

470 - BROCKLMAN, C. GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR LEIDEN 1898.

471 - BUCKINGHAM, J.S. Travels in Mesopotamia, London 1827.

472 - BUCKINGHAM, J.S. Travels in Assyria, Media and Persia London 1830.

473 -CAHEN, CL. BEGTEGINIDS, Encyl Islam, ed 1960 (1,1160).

474 - CLAUSON, Sir Gerard An Etymological Dictionary Oxford 1972.

475 - DE GOEJE Catalogue of Leiden Library, Leiden 1907.

476 - DOZY, R. History of Moslems in Spain, London 1913.

477 - DOZY, R. NOMS DES VETEMENTS, Amesterdam 1845.

478 - DOZY, R. Supplement etc Leiden 1927.

479 - EDHEM. I.G. Catalogue des Monnaies Turcomanes, Muséx Imperial Uttoman, Bologna 1965.

480 - EGYPT Liste des Provinces, villes et villages d'Egypte, puplished by Institute Francais d'Archeologie Orientale, du caire 1919.

481 - ELLIS, A.G. C'at. Arabic Books in the British Museum, London 1894, 1901 and 1935.

482 - ELLIS, A.G. Supl. c'at Arabic Books in the British Museum, London, 1926.

483 - EN - BR. Arbila, Encyl. Brit. ed 11th, Vol II, 323

484 - FIEY, J.M. Assyries Chrétienne, Beirut 1965 - 1968.

485 - FIEY, J.M. Mossul Chrétienne, Beirut 1960.

486 - FLUGEL, G CONCORD ANTIAE, CORANI ARABICAE, LIPSLIAE 1898.

487 - FOULTON, A.S. — Supl. Cat. Arabic books in the British Museum, London, 1959.

488 - FRASER, J.B. — Mesopotamia and Assyria, Edinburgh 1841.

489 - FUCHS, H. — MAWLID, Encyl. ISLAM ed. 1936, III, 419 - 422.

490 - GIBB, Sir Hamilton — Islamic Biographical Litrature, Historians of the Middle East p.p. 54 - 68. London 1962.

491 - GRENVILLE, G.S.P. FReema — The Muslim and Christian Calenders, London 1963.

492 - GUIDI,I. — Tables Alphabetiques du Kitab al - Aghani, Leiden 1895.

493 - GUILLAUME, A. — The Traditions of Islam (Hadith Litrature), Oxford. 1924.

494 - HARTMANN, R. — Erbil, Encyl. Islam (ed. 1927) vol 2.28

495 - HARTMANN, R. — Malamatiyya, Der Islam, vol 8, April 1918

496 - HAUSSLEITER, H. — Register Zum Qoran kommentor Des Tabari, strasburg 1912.

497 - HEER. F.J. — JAQUT GEOGRAPHISCHEN WERTERBUCH, Strasburg 1898.

498 - LANE. E.W. — Arabic- English Lexicon, London 1863 - 1893.

499 - LANE - POOLE, S. — The Turkmen Houses etc. London 1877.

500 - LANE - POOLE, S. — Mohammadan Dynasties, Westminister 1893

501 - LATRIE, M.le CTE. DEMAS — Trésor de chronologie, Paris 1889

502 - LE STRANGE, G. — Baghdad during the Abbassid Caliphate, oxford1924.

503 - LE STRANGE, G. — The lands of Eastern Caliphate, Cambridge 1930.

504 - LE STRANGE, G. — Palestine under the Moslems, London 1890.

505 - MADRID — CATALOGO Des lesMss. Arabes, Bibliotcca Nacional de Madrid, Madrid 1889.

506 - MASSIGNON, L. — RECUEIL de Textes CONCERNANT L'Histoire de la Mystigue en Pays D'Islam, Paris 1920.

507 - GORIAWALA, MUIZZ — Catalogue of FYZEE collection of Islamic Mss, Bombay 1969.

508 - NAINAR, Muhd. — Indian Geographers, Madras 1942.

509 - NICOLL, A. — Catalogue of Mss. in the Bodlein Library, Oxford 1787.

510 - OKUTAN, AHMET — Catalogue, Kayseri Umumi KUTUBHANESI, Istanbul 1964.

PEARSON, J.N. — Index Islamicus, London 1958 - 1972

511 - PENRICE, J. — Dictionary and Glossary of the Koran, London 1971.

512 - REDHOUSE. — NEW REDHOUSE Turkish - English Dictionary Istanbul 1968.

513 - RICH, C.J. — Narratives in Koordiation, London 1836.

514 - ROSENTHAL, Franz — A History of Muslim Historiography, Leiden 1952

515 - RECUIL — Des Historiens Des croisides, Paris 1872 - 1906

516 - SAUVAGET, J. — La Mosquée Omayyade de Médine, Paris 1947.

517 - SEZGIN, FUAT — GESCHICHTE DES ARABISHIN SCHRIFTTUMS, Leiden 1967

518 - STRECK, M. — Irbil, Encycl - Islam (II, 521 - 523) ed 1927

519 - WENSINCK, A.J. — CONCORDANCE et InDICES de la Tradition Musulman, Leiden 1935.

520 - WETZSTEIN J. G. — Catalog Arabischen Mss. in Damaskus, Berlin 1863

521 - WRIGHT, W. A Grammer of Arabic Language, London 1875.

522 - WOSTENFELD, F. ABHANDLUNGEN Der KONIGLICHEN GESLLSCHAFT Der WISSENCHAFTEZUGÖTT-INGEN, Vol 28, 1882 P.P. 119 - 120.

52 ZAMBAUR, E.V. Manuel de Geneslogie et de chronologie pour L'Histoire de L'Islam, Hu.

524 - ZAMBAUR, E.V. Die MUNZPAAGUNGEN des Islam, WIESBADEN 1968.



فهرس الصور واللوحات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٨ الشكل رقم -٧ ، الورقة ٤٧ - أ وهي تمثل ماطرأ على المخطوطة من تغييرات، فالكتابة الباهتة هي الاصلية وحبرها فاتح اللون . ثم كتب احد القراء فوق حروف الاسطر ٤ و ٥ و٦ و ٧ و٨ بحبر اسود لغرض جعلها اكثر وضوحا ، وقد وقع مثل هذا في كثير من صفحات المخطوطة ، الامر الذي ادى في بعض الاحيان الى شيء من التصحيف والتحريف . وفي هذه الصفحة سمح احد القراء ، وهو محمد علي بن محمد راضي النجفي ، اقول سمح لنفسه ان يضيف بيتا من الشعر الى احدى المقطوعات ، اذ زجّه بين اسطرها (راجع ماكتب في الفراغ المحاذي للسطر السادس) . كذلك سمح لنفسه بان يعلق في الحاشية بايراد آية من القرآن الكريم ، وبكتابة بعض الابيات من نظمه ، وهي - على مايبدو - مستوحاة من الشعر الوارد في متن الكتاب .

٩- الشكل رقم - ٨ ، الورقة ٥٣ - أ ، وهي تمثل الاصل الباهت الذي يغطي الصفحة بكاملها ، ولم يطرأ على الكتابة أي تغيير ، الا ان هناك حاشية من نوع جديد كتبها - على مايستفاد من النص ، المبارك بن ابي بكر بن حمدان الموصلي ، المعروف بابن الشعار - وهي تتضمن بعض المعلومات التي فاتت على المؤلف بصدد وفاة احد المترجم لهم . والجدير بالذكر أن ابن الشعار قد خط عددا من الحواشي في مواضع اخرى من المخطوطة ، وبالامكان تمييزها من نوع الخط والحبر الاسود .

١٠ - الشكل رقم - ٩ ، الورقة ٧١ - أ ، وقد جاءت هذه الصفحة كلها بخط الناسخ دون أي تغيير . ووردت فيها اضافة في الحاشية بخط الناسخ نفسه ، اذ فاتته بعض العبارات - على مايظهر - فتداركها في الحاشية .

١١- الشكل رقم - ١٠ ، الورقة ١١١ - أ ، وتمثل الاصل وما طرأ عليه من اعادة تحبير الاسطر بحبر اسود ، كما وقع في الاسطر ٨ و٩ و ١٠ و١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و١٨ . كذلك تصور هذه الصفحة البياض الذي كان يتركه الناسخ لغرض ملأه ، بالمعلومات التي لم تتيسر للمؤلف حين الكتابة ، فترك مواضعها

بياضا الى ان يتيسر له الوقوف على المظان التي تحوي تلك المعلومات . والظاهر ان الفرصة لم تسنح له لادراك غرضه . ويوجد عدد غير قليل من هذه الفراغات (كمثال لها ، انظر الفراغ الواقع بين السطرين الرابع والخامس من هذه الصفحة ، وهو مخصص لشيء من الشعر) .

١٢ - الشكل رقم - ١١ ، الورقة ١٧٧ - أ ، وهي تمثل الاصل المكتوب بخط واضح هذه المرة ، إذ بدأ الناسخ في استعمال نوع جديد من الحبر ، اعتبارا من الورقة ١٦٤ وما بعدها . ويلاحظ في هذه الصفحة اسلوب الناسخ في التصحيح ، من ذلك مثلا كلمة " عجائب " المكتوبة في الحاشية ، وقد اراد بها تصحيح الكلمة المغلوطة الواردة في المتن . كذلك يمكن ملاحظة كلمة " عشرون " المكتوبة في طرف الزاوية اليسرى من اعلى هذه الصفحة ، وهي تشير الى رقم احدى الكراريس التي تتالف منها المخطوطة ، وتوجد اشارات مماثلة في بعض المواضع الاخرى من الكتاب .

١٣ - الشكل رقم - ١٢ ، الورقة ٢٢٧ - أ ، وفيها يظهر تأثير الرطوبة وكثرة الاستعمال ، مما ادى إلى تشويه اطراف الورقة ، بل ان بعض الكلمات قد انخرمت . من ذلك مثلا كلمة (والفو ...) الواردة في وسط الصفحة من ناحية اقصى اليسار ، فقد حال الخرم دون امكان قراءتها . ويلاحظ فيها وجود حاشية كتبها احد القراء على الهامش ، ومنها يتضح ان صاحب الترجمة الواردة في المتن قد انشد كاتب الحاشية نفسه الابيات الواردة في الترجمة ، في شهر رمضان من سنة ٦٤١ هـ ، وهي السنة التي انجز فيها نسخ المخطوطة ، كذلك يلاحظ في هذه الصفحة الاسلوب الذي يتبعه الناسخ في كتابة الاضافات المستدركة ، انظر مثلا كلمة (يغلب) المكتوبة في الحاشية ، وقد اشر موضعها في المتن برسم خط افقي بين كلمتي (لم) و(عليها) .

١٤- الشكل رقم - ١٣ ، الورقة ٢٣١ ب ، وهي الصفحة الاخيرة من المخطوطة ، وقد قام احد القراء باعادة تحبير الكتابة بحبر اسود ليجعلها اكثر وضوحا بعد

ان بهت لونها ، وتوجد فيها اضافة مكتوبة بحبر احمر وبخط غليظ ، وهي تطابق الحاشية المكتوبة في الصفحة الاولى (اي الورقة ١ - ب) ، وذلك لغرض التعريف بعنوان الكتاب واسم مؤلفه . كذلك توجد اضافة اخرى مكتوبة بحبر اسود وبخط عادي ، نصها « مجموع عدد اوراق هذا الكتاب تاريخ دولة بني العباس مايتين وثمانية وعشرون ورقة » (كذا بالاصل) واظن بانها بخط محمد علي بن محمد راضي النجفي الذي كتب عدة حواش اخرى . والظاهر انه اخطأ في الحساب لان العدد الصحيح هو ٢٣١ ورقة .

Figure _ 1

الشكل — 1

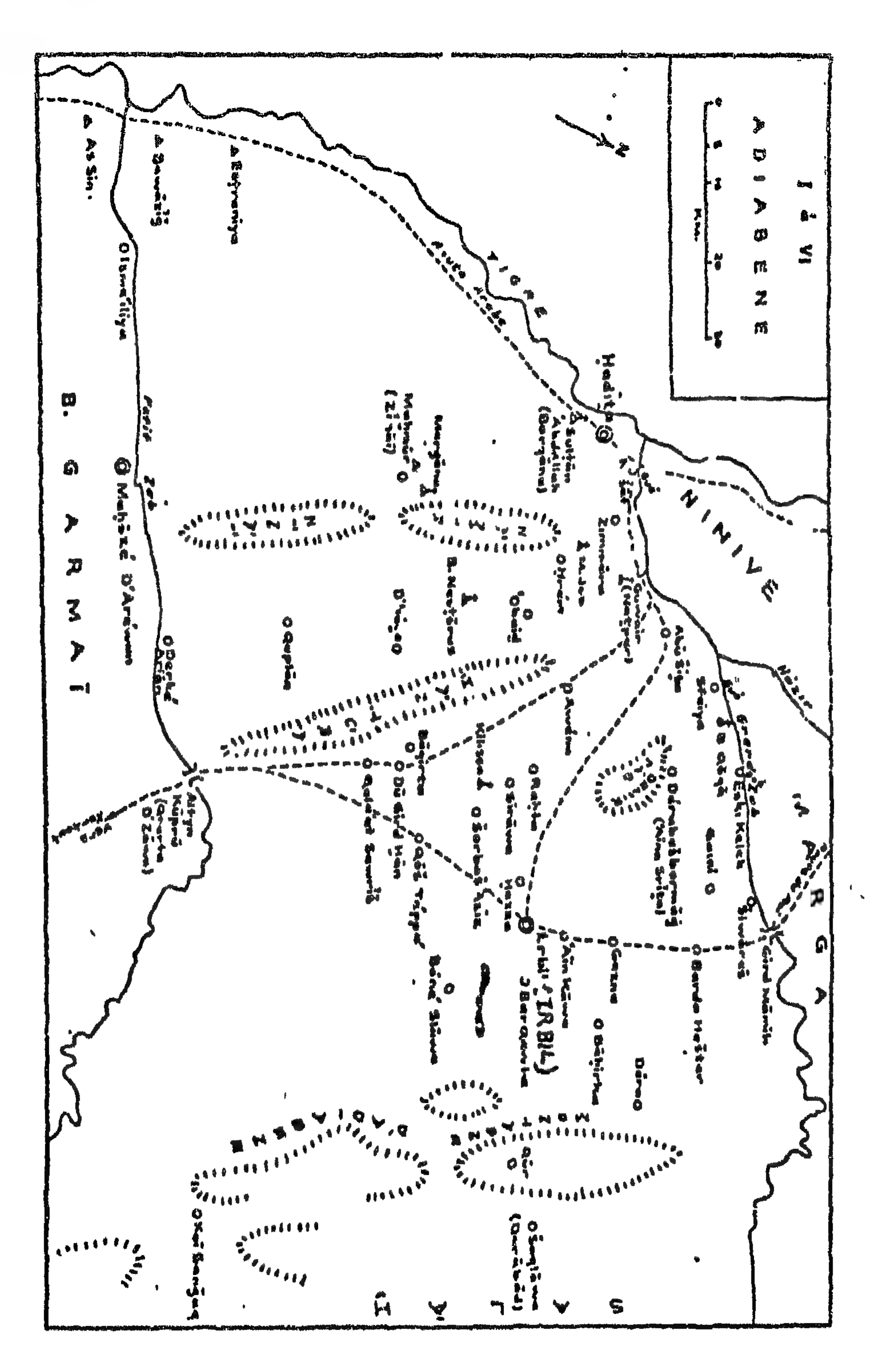
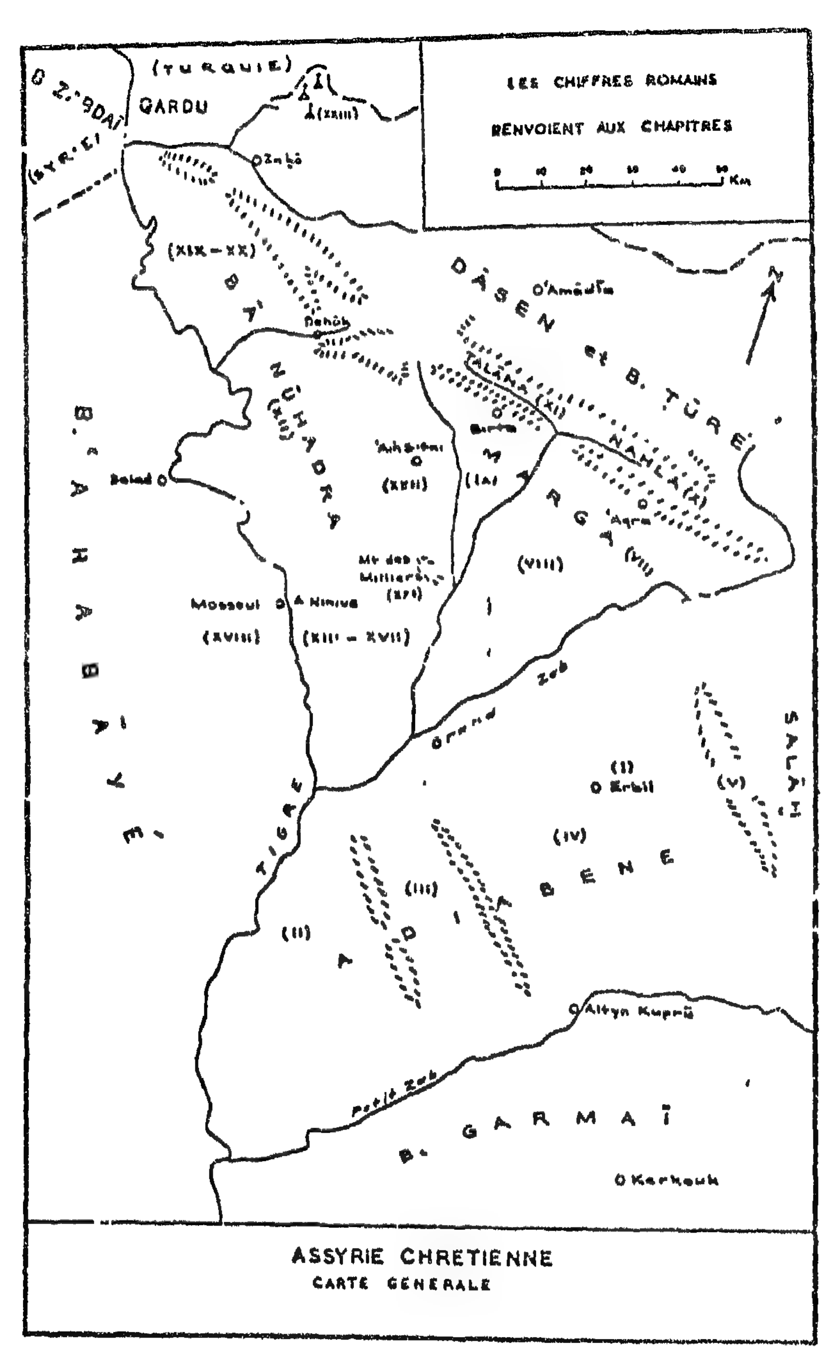
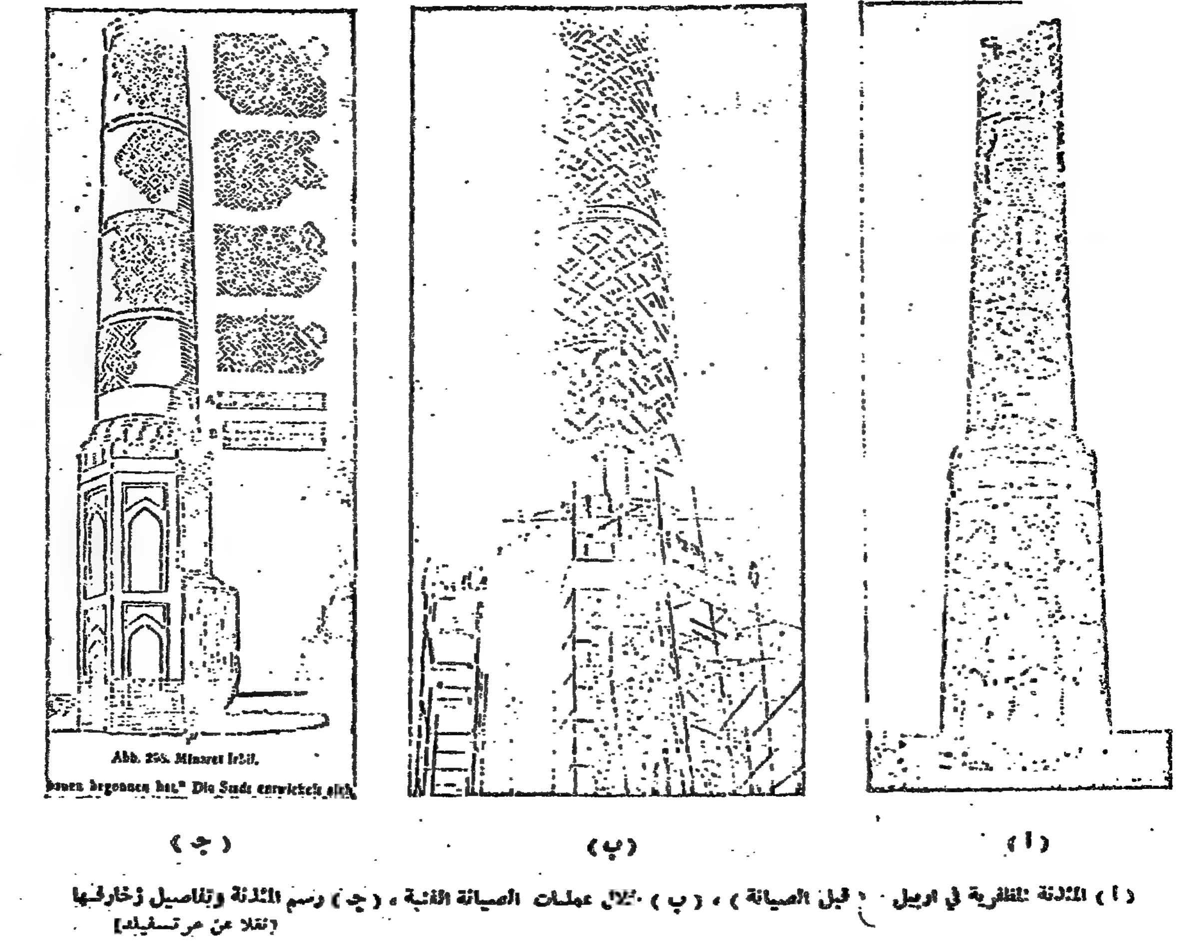


Figure _ 2

الشكل ــ ٢



الشكل ـ ٢ مكرر

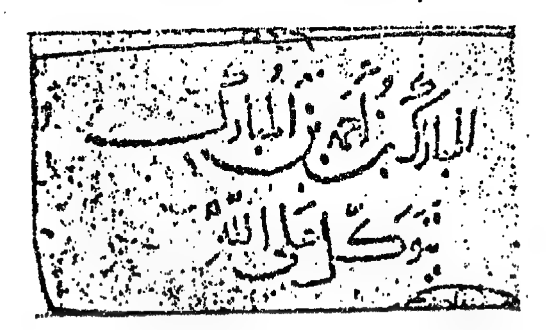


(ج) (ب) (أ)

(أ) المئذنة المظفرية في اربيل ، قبل الصيانة) ، (ب) خلال عمليات الصيانة الفنية ، (ج) رسم المئذنة وتفاصيل زخارفها [نقلا عن هرتسفيلد]

Figure _ .3

الشكل _ ٢

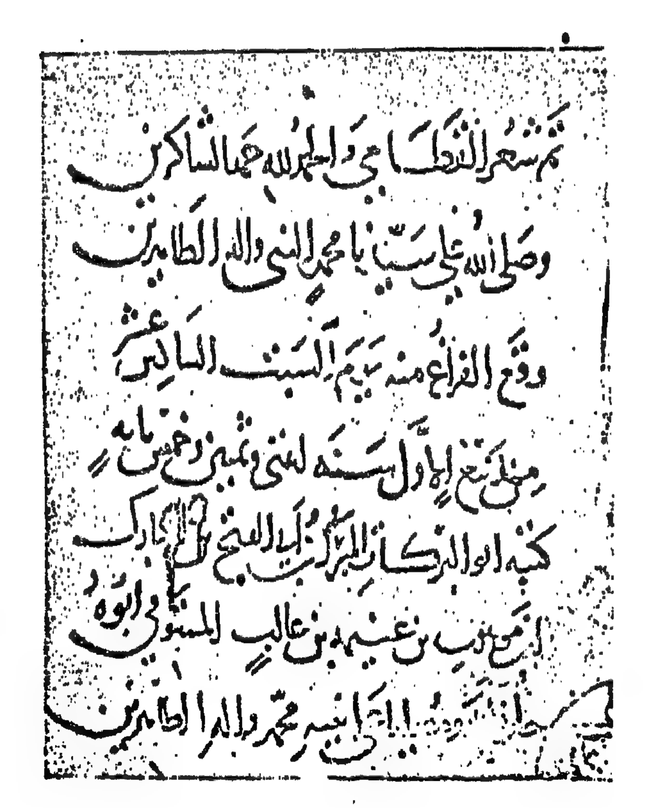


المبارك بن احمد بن المبارك
يتوكل على الله

فى ظاهر « ديوان شعر القطان » من مخطوطات دار الكتب المصرية « ٥٤٦ أدب » .



- ٢ -



تم شعر القطان والحمد لله حمد الشاكرين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين
ووقع الفراغ منه يوم السبت السادس عشر
من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وخمس مايه
كتبه ابو البركات المبارك بن ابي الفتح احمد بن المبارك
ابن موهوب بن غنيمة بن غالب المستوفى ابوه

المبارك بن أحمد ، ابن المستوفى الإربلى (٦ : ١٤٩)
— فى ختام « ديوان شعر القطان » الآنف ذكره —

Figure _ 4 الشكل — ٤

H.G. Ellis
6.5.15

الشكل — ٥

Figure 5

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الفصل الثاني في ذكر الأخيار الصلحاء المحدثين
والمنتسبين بهم أنا ذاكر في هذا الباب المنقطعين إلى
الزهادة والموسومين بالعدالة والمعروفين بالرواية ممن اشتهرت ديانته
وعرفت صيانته وظهرت أمانته موفيا كلا منهم حقه ومعطيه
مستحقه غير مائل إليه ولا متحامل عليه والله تعالى أسأل
حسن العاقبة وجميل الذكر في العاجلة والآجلة بمنه
وكرمه

أبو الفتوح أحمد الغزالي هو أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن
أحمد أخو أبي حامد الفقيه الطوسي الغزالي الإمام الزاهد والعالم
العامل ذو الكرامات الظاهرة والدلالات الباهرة تغني شهرته
عن [illegible] وصفته كان عالما غير أنه مال إلى
الوعظ وشهرته فأخبرني الشيخ أبو اليمن صبيح بن عبد الله
المتزهد الحبشي عتيق [illegible] عن رحمه الله أنه
حضر مجلس الغزالي هذا وهو يعظ
الناس بقلعة اربل وسمعت بعض أصحابنا
يذكر أن الغزالي إنما هو بالتخفيف

الجزء الثاني من تاريخ اربل [illegible] تصنيف [illegible] المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب المعروف بابن المستوفي من بني العباس

[illegible] في نسبه [illegible] أبي حامد [illegible]

Figure _ 6

الشكل ـ ٦

[illegible] يا [illegible]

[illegible] المدام [illegible]

[illegible] لاحد [illegible]

وانشد لنفسه امسيتك لا خشى الصدود فما لما اصبحت كالراح لا تحال

وليس مثلي من يدوم سلوة ولا يرى الميل الى الملال

وحدثني فال غنى مغن يوما بقوله تهم استيف تهم تبه شذا عطر مما يطيب الانفاس

لا تستقي وحدي فما عودتني اني اشح بها على جلاس

فقلت

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لا [illegible] الانسان ... الاحباب

٥

هاتها هاتها ... الشاق

... فتى الحديث ... الشاق

٥

ابو القسم عبد الرحمن ابن ... ل

Figure _ 8   الشكل — ٨

Figure _ 9 الشكل ـ ٩

وان حل ارضا حل فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

وانشدنا قال انشدنا هبة الله بن قسام القاضي بواسط رحمه الله وقد جرى ذكر السفر

انما المكث في المنازل عجز فاغتنم نفعه ولا تتلبث

فكر ائت الغدير لولا كما نالها مكثه تخبث

ابن خولة هو احمد بن محمد بن احمد

السلمي ابو جعفر المغربي الاندلسي يعرف بابن خولة من اهل غرناطة

شاعر في التنزيه فضل رحل الى بغداد وبلاد فارس وكرمان والخراسان

وغزنه وقطعة من بلاد الهند ودخل سمرقند وسلم في سراة واشتغل

الملوك واكتسب مالا وورث نحو الهند قال ابن الدبيثي انشدني لنفسه

وانجاز لي بعد ذلك كتابة

اذا ما المرء يبغي جيش طلعته اعنامه والاكتباب

تنتسم عليه من جلد بحثا اسباب الدلالة والكلاب

وتبت اصم من شهم البيان عجائب من قابلتها ادبا

اريح بها التسلي مستجاوليم على الزمان هاعتاب

عجائب

قال ابن الادريسي سالته عن مولده فقال سنة ثمان ونمان سنة اثنتين وسبعين

وخمسمائة بغرناطة وبلغنا انه قتل بادكنا ينهراة في ربيع الاول

سنة ثلاث عشرة وستمائة ٥

... الامام الجيلي هو عبد الله ...

Figure _ 11 الشكل — ١١

زنو لصنوبر - هذا : ذ

جاء لله ان اذل النزل بسوال بن روحا الحجيا
ارى وانقابا باب ليس بن يحيى رشح كفه فيحيا
مل الدجى الزمان بالعيش والنشر الييف العفات ما زمن حجبا

معلــــــــ قبه

وحمنرد كى الازهار للشذا جار سحابه زهـر النجـــوم
حوى حرا وبردا باعتدال نوكر نشهما طيب النعـــيم
ينفس روحه عن كل روح وينبغى عارض الجسم السقيم
بريك العشق كيف يكون غشا وكيف تزاح عنك به الهموم
وانشد فى فال الشذرى بن وهبان لنفسه ملغـــزا شنهـــرزقد ٥

Figure _ 10 الشكل — ١٠

[illegible] في [illegible] وانوب [illegible] في [illegible]

[illegible] بن مروان هو ابو الفضل العباس بن

مروان بن [illegible] بن [illegible] بن احمد بن محمد بن [illegible] الاربلي

سمع [illegible] الخطيب [illegible] بغداد والموصل وسمع على [illegible]

الحال لا ملك [illegible] [illegible] الشراء [illegible] انشدني لنفسه

[illegible] [illegible] [illegible] واداخل

[illegible] [illegible] [illegible] اسل

[illegible] [illegible] [illegible]

وانشدني لنفسه

[illegible] الخفا [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

ان المحب اذا [illegible] بالحمام [illegible]

ومنها

يا [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

الخط [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] اسماء [illegible] [illegible] [illegible] رمضان [illegible]

[illegible]

Figure _ 12

الشكل _ ١٢

الشكل ـ ١٢ Figure 12

بحلو كثير اي بلد دخله اخذ منها خطا طا مزيه من ارباب النقل الحديث ورواة

ثم رجع الى بلدها في رجب من سنة ثمان وعشرين وستمايه وسافر فيه ثم رددها

في رجب من سنة ثلث وثلثين وستمايه لما هو عليه ٥

تم بحمد الله وعونه وتاييده وهو يغنى بيوم الجمعة عند الرواح فيلاقه :

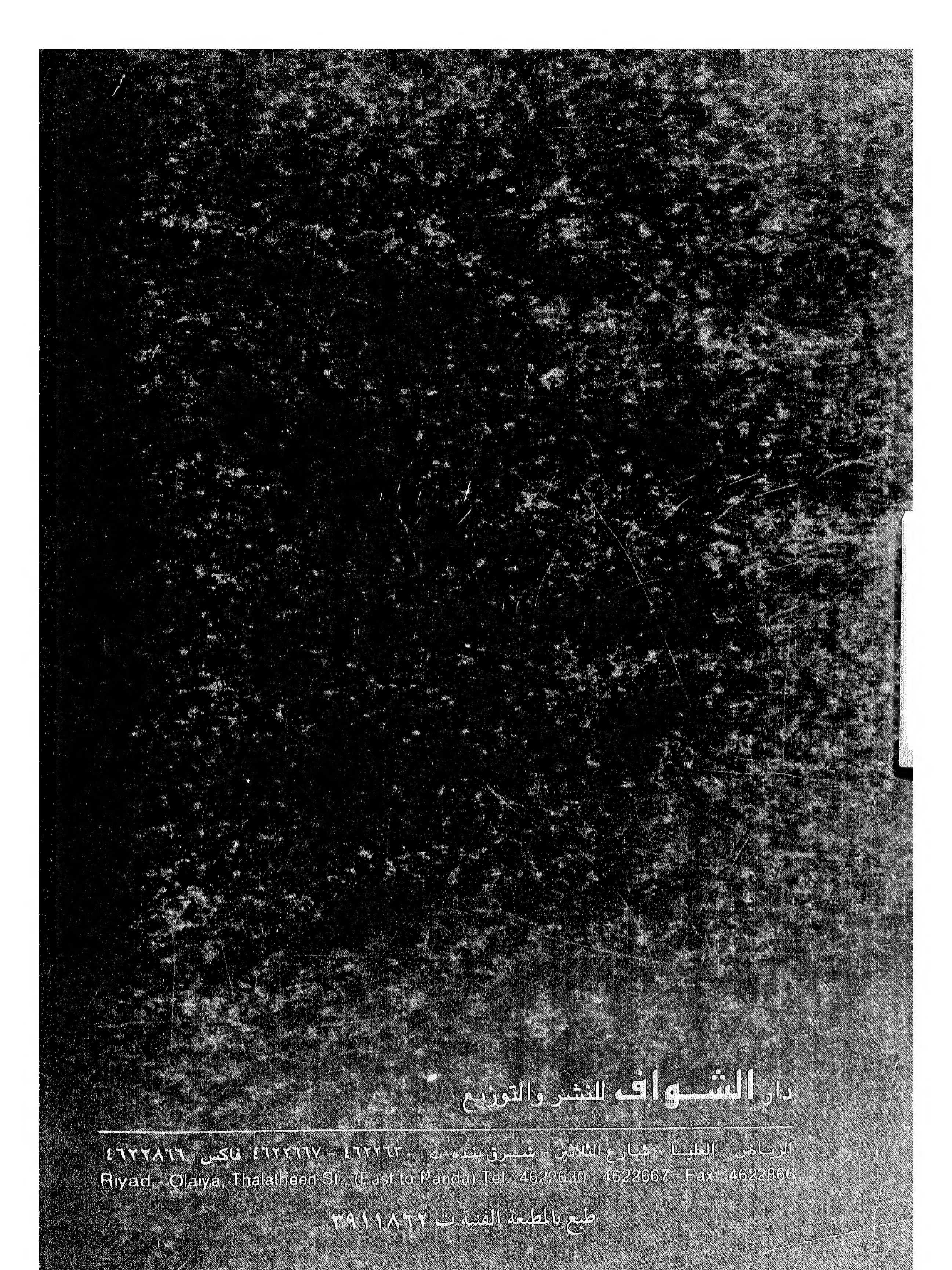
من شهر شوال من عام واحد وثلثين وستمايه وصلى الله على محمد المرسل بالصالح

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واياه نستعين لانه ولي ذلك

والقادر عليه

محمد عبد داود
هذا الكتاب تاريخ
بن العباس مائتين
ثمانيه وعشرون ورقة





دار الشـــواف للنشر والتوزيع
الرياض - العليا - شارع الثلاثين - شـــرق بنده ت : ٤٦٢٢٦٣٠ - ٤٦٢٢٦٦٧ فاكس : ٤٦٢٢٨٦٦
Riyad - Olaiya, Thalatheen St., (East to Panda) Tel. 4622630 - 4622667 - Fax 4622866
طبع بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢